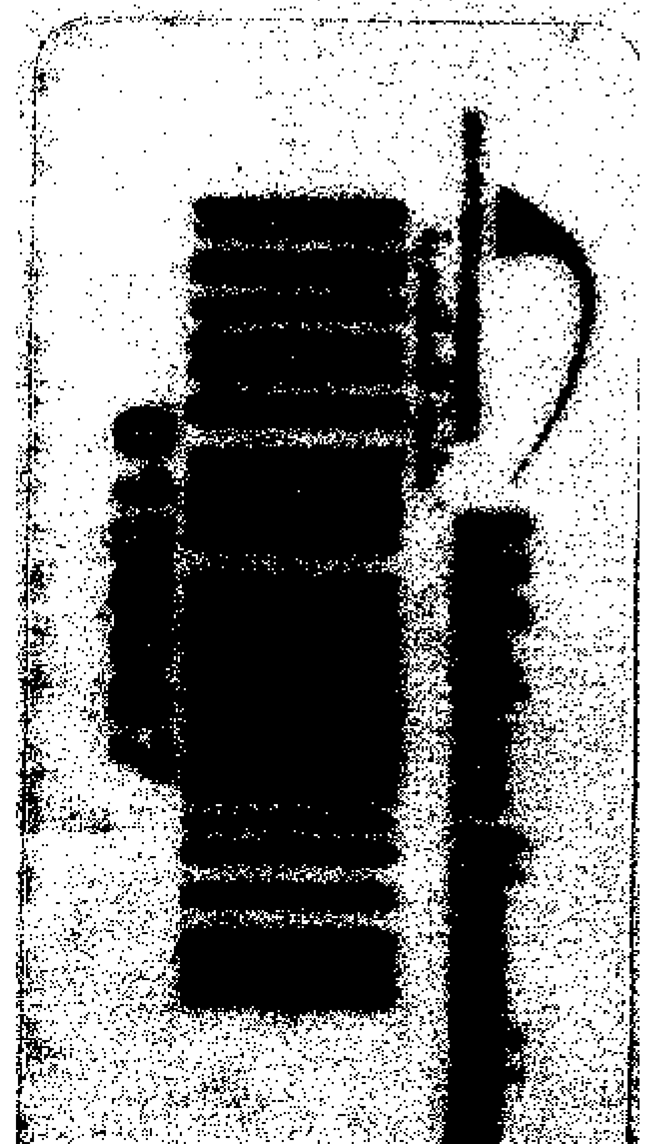
كتاب ثقافي عسكري

الأبعاد الجديدة في التاريخ العسكري

ترجمة : اللواء المتقاعد جبرائيل البيطار

اصـــدار

مركز الدراسات والابحاث العسكرية



دمشق - ١٩٨١

الكتاب الثقافي العسكري

الأبعاد الجديدة في التاريخ العسكري

طبع وترجمة

مركز الدراسات والأبحاث العسكرية

دمشق – ١٩٨١

تمهيـــــــد

راسل ف. ويغلي

احتل التاريخ العسكري مركز الصدارة في مناهج أرقى المعاهد العسكرية العليا . وأوضح مثال على ذلك ، الاكاديمية العسكرية الالمانية اولى واشهر الاكاديميات العالمية التي اعتمدت في دراستها للاستراتيجية عـلى التاريخ العسكري ، خاصة في أوج تألقها تحت اشراف هيملوت فون مولتكه الذي يعتقد انه لا يوجد اساس آخر سوى التاريخ العسكري لتدريب الاستراتيجيين.

وقد قامت الاركان البروسية والالمانية ، بتأثـير من مولتكه ، بتجميع وتصنيف كافة الوثائق التاريخية واضافت اليها كافة الدراسات وخلاصة الخبرات المكتسبة من المعارك التي خاضتها قواتها ووضعت كافـة هذه المستندات تحت تصرف ضباطها لتكون موجها لهم في معاركهم المقبلة . هـذا العمل الكبير أغنى التاريخ العسكري بلا شك ولكنه مع ذلك منيت القيادة الالمانية بهزائم مفجعة في حربين عالميتين .

لذلك ربما كان من الافضل لنا ان نعطي لفائدة التاريخ العسكري قيمـة اكثر تواضعا . من جهة اخرى ونظرا لقلـة الفرص التي تسنح للعسكري لممارسة مهنته عمليا (وهذا من حسن الحظ) فان التاريخ العسكري يشكل بديلا لا يستغنى عنه من حيث تقديم الخبرات العملية في فترة تأهيل العسكري لمهام القيادة . ولكن هذا البديل يتصف بدرجة عالية من « اللاكمال » ؛ اذ ان هذه الخبرات الحربية العملية المدروسة في الجو الآمن والمريح المتوفر في قاعات الدراسة بعيدة جدا عن المؤثرات التي يتعرض لها القائد والمقاتل في المعركة الحقيقية ، ولا يمكن خلق مثل هذه المؤثرات في القاعات .

هذه هي العقبة الاولى والاكثر وضوحا التي تعترض محاولاتنا في الاستفادة من التاريخ العسكري . ولكن هناك عقبات اخرى أكثر عمقا .

فالرجل العسكري الذي يعتمد التاريخ أساسا لاستعداده لتحمل مسؤولياته سواء منها الادارية او الاستراتيجية او التكتيكية ، ينتظر بالطبع من هذا التاريخ ان يقدم له مبادىء عملية توجه عمله مع بعض الدروس المستفادة من معارك سابقة ، والا لما أضاع وقته الثمين في الغوص في التاريخ . ولكننا عمليا نجد ان من يحترف العمل التأريخي يتجنب عادة استخلاص دروس محددة او حتى الوعود بتقديمها ، اذ ان التربية العلمية للمؤرخ المحترف تدعوه الى التركيز على الوقائع الغامضة في محاولة منه لاعادة صياغة الماضي ، وتحثه على التنقيب في هذا الماضي ، لا على دروس توجيهية بل على النواحي والاحداث المستترة ومدى تأثيرها على الاحداث آنذاك .

اعتمد الالمان على التاريخ العسكري كأساس لتأهيل قادتهم المحترفين ، وقد ساعدهم هذا التاريخ فعلا على التفهم الواسع والعميق للاستراتيجية فوضعوا العالم بكامله في موقف حرج طيلة اربع سنوات في الحرب العالمية الاولى وست سنوات خلال الثانية . ولكن الواقع ان مفهومهم الخاص للتاريخ العسكري – خاصة شعورهم بأنهم هم ، العسكريون ، كانوا دوما قلب الدولة البروسية وبأن عظمة هذه الدولة قامت على سواعدهم – هو الذي أغراهم بالسعي الى قضم دولة اثر أخرى بالوسائل العسكرية وهذا ما قادهم الى كوارث رهيبة . وتبين ان التاريخ العسكري قادر على التضليل بنفس درجة قدرته على التوجيه .

وقد أدى عدم رضاء العسكريين عن مدى تجارب المؤرخين من حيث تقديم الدروس العملية المستخلصة من التاريخ ، الى توجههم نحو مصادر اخرى غير تاريخية للاستفادة منها في التدريب .

سلك مولتكه والتدريب العسكري الالماني الخط التقليدي للدراسة العسكرية التي خطها « كارل فون كلاوزفيتز » والقائلة بمحاولة فهم الحرب عبر معرفة ابعادها المعنوية والاخلاقية انطلاقا من التاريخ العسكري . ولكن

كلاوزفيتز نفسه الذي كان فيلسوفا أكثر منه عسكري واقعي ، (رغم خبراته الواسعة في الحروب النابليونية) اعترف بالغموض الذي يصعب جلاؤه عن طريق عملية مسح شاملة الحرب بهدف التفتيش عن العوامل الاخلاقية فيها . وان انجازه الكبير « في الحرب » ليس سوى منظار متعدد الانوان للاحظات متحولة دوما وغامضة في معظم الاحيان مما يجعله مصدرا الضيق والحنق لدى العسكري المحترف الذي يحاول تخطي الكلمات الى معناها .

لهذا ورغم المديح الكبير الذي لقيته فلسفة كلاوزفيتز فقد أقر العسكريون (عدا مواطني كلاوزفيتز) بالفائدة الاكبر التي وجدوها لدى معاصره ومنافسه في دراسة نابليون ومؤسس الفكر العسكري الحديث « انطوان هنري بارون دو جوميني » . ذلك لان جوميني قدم المبادىء العامة بشكل يمكن للاستراتيجي والاداري والتكتيكي الاستفادة منها في التطبيقات العملية ، كما أورد نصائح عملية حول ما يجب السعي الى تنفيذه وما يجب تجنبه .

مع كلاوزفيتز ، على القارىء ان يحاول باستمرار استشفاف الحقائق انيومية من خلال المبادىء العامة وغالبا ما يخرج بمفاهيم مبهمة وغير محددة ، في حين انه ، مع جوميني ، يتعلم مبادىء عملية . فيجد مثلا ان غاية الاستراتيجية هي : « الزج بكبد الجيش بالتتابع عبر عدد من التحركات الاستراتيجية ، نحو النقاط الحاسمة في مسرح الحرب ونحو مواصلات العدو مع تجنب تعريض مواصلات الصديق للخطر » فكلام كهذا يعطي القائد مفهوما لما يجب عليه أن يفعله عمليا ويعتبر نقطة انطلاق للتحول من المطالعة النظرية الى التطبيق الفعلي . لقد أرسى جوميني أسس مفاهيم القرن العشرين لمبادىء الحرب .

انطلق جوميني ، مثله مثل كلاوزفيتز ، بدراسة التاريخ العسكري وخاصة معارك نابليون (وان كان قد تميز عن كلاوزفيتز بأسلوبه الاكثر تفصيلا في سرد الوقائع التاريخية) ولكنه سرعان ما تخلى عن الغموض التاريخي ليقدم لنا توجيهات تتصف بالوضوح النابع عن النظر الى المسرح الحربي وساحات القتال عبر مفاهيم هندسية رياضية . وهكذا نرى أن التدريب العسكري

الذي يعتمد على التاريخ كأساس هو ذلك الذي يتبنى التقاليد الكلاوزفيتزية بمياهها الفلسفية الموحلة . أما تقاليد جوميني التي وصلت أميركا عبر « دنيس هارت ماهان » من وست بوينت ثم تطورت على يد انكابتن « جون بيغولو » في كتابه « مبادىء الاستراتيجية » عام ١٨٩٠ ثم الاعمال الحديثة مثل « المفاهيم العسكرية والفلسفة » للاميرال « هنري ايكلز » ... فانها أقل أعتمادا على التاريخ في التدريب العسكري ، وأكثر اهتماما بالمفاهيم الرياضية أي بصورة عامة أكثر علمية ، وهي تنحو نحو القوانين الطبيعية النيوتونية في العمل القيادي .

واذا ما بدا المفهوم النيوتوني في معالجته لعلم الحرب قديما من حيث مفهومه للناحية العلمية فسرعان ما قدمت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بديلا اكثر تطورا من الناحية العلمية للتاريخ كأساس لعلم الحرب ، اذ جذب العصر النووي والاستراتيجية النووية العديد من أقدر العلماء نحو دراسة المسائل العسكرية . في البدء قام بعضهم بذلك لا بسبب رغبتهم بتحمل المسؤولية انما لشعورهم بأنهم كانوا سببا في تفاقم نتائج الحرب ، وهذا واضح في « المنشور الذي وزعه علماء الذرة » وقد سعى هؤلاء الى تجنب وضع مشابه عن طريق استغلال الاسلوب العلمي والمنطق الرياضي للصالح العام والعسكري . وهكذا نجد ان العلوم النووية وتكنولوجيا الصواريخ قد جعلت المسائل العسكرية تبدو أكثر ارتباطا بالابحاث العلمية ، كما توثقت الروابط بين استراتيجية الردع والتوازن النووي بالعلوم الفيزيائية والرياضية . وبنفس الوقت ساهم تطور تكنولوجيا الحواسب الالكترونية في التشجيع على معالجة الاستراتيجية استنادا الى مبادىء الرياضيات مما أوجب تجزئة المسائل الاستراتيجية لجعلها ملائمة للتحليل بواسطة هذه الحواسب .

ومع تزايد عدد الحواسب الالكترونية تطورت عمليات الابحاث والتحاليل لتصبح نظما ووسيلة لدراسة الاهداف المشتركة بين الاستراتيجية والتكتيك وعلاقتها بمنظومات الاسلحة .

خلال الحرب العالمية الثانية بدأت عمليات البحث باتباع التحليل المنهجي

والكمي بهدف الوصول الى اقصى ما يمكن الحصول عليه من سلاح معين . وفي نهاية هذه الحرب نفسها تحولت عملية البحث الى عمليات تحليل أي دراسة اعمق تشكل الابحاث المنهجية فيها جزءا فقط من أساليب عدة في دراسة التكنولوجيا العسكرية ، مع اعطاء اهمية خاصة للاسلوب الاميركي في التحليل الكمي .

أخيرا توسعت عمليات التحليل لتشمل آفاق المستقبل في مجال الاستفادة من منظومات الاسلحة المتوفرة وفي اسلوب الاختيار العقلاني بين مختلف انواع الاستراتيجيات انسجاما مع منظومات الاسلحة المختارة .

هذه التطورات كافة جعلت من الدراسة العسكرية في العصر النووي ، وبشكل لم يسبق له مثيل ، مجالا رئيسيا لعمل العالم الرياضي والفيزيائي .

لا نستطيع لوم العسكريين السابقين لكونهم فضلوا اسلوب جوميني في الدراسة العسكرية على اسلوب كلاوزفيتز ، فقد منحهم جوميني وأتباعه مساعدة مباشرة اكثر مما فعل كلاوزفيتز واتباعه . ولا نستغرب ايضا كون عسكريو ما بعد الحرب العالمية الثانية قد أملوا بمساعدة افضل من قبل الاستراتيجيين الجدد الذين اعتمدوا العلم اكثر من التاريخ ، فاذا كان غموض الحقائق التاريخية قد ثبط عزائم العسكريين السابقين فان محاولة تعميم هذه الحقائق على العصر النووي كما يفعل حاليا بعض المؤرخين تقودنا الى يأس قاتل .

عند كتابة ما يعتبر حتى الآن افضل مسح للتاريخ العسكري الاميركي « اسلحة ورجال » استخلص « والتر ميليز » عام ١٩٥٦ « ان الحدث النووي جعل التاريخ العسكري للحرب العالمية الثانية متخلفا وغير قابل للتطبيق تماما كتاريخ الحرب مع المكسيك » . ونجد آراء مماثلة لدى العديد من المؤرخين الآخرين .

ثم ان الميل الطبيعي لدى علماء التاريخ للاخذ بوجهات نظر محددة المدى ، في الوقت الذي عليهم دون سائر الناس امتلاك أفق واسع وبعيد المدى ، هذا الميل هو سبب آخر يدعونا الى النظر الى الفائدة التي نجنيها من التاريخ بتواضع أكثر .

ونجد مثلا شخصا مثل « توسيديد » يبدأ تقليدا غير موفق بين المؤرخين العسكريين بتقريره انه لم يحدث شيء يستحق التسجيل في اليونان قبله .

ولكن ، ولسوء الحظ فان هؤلاء العلماء الكبار من فيزيائيين ورياضيين لم يقدموا للسياسة والاستراتيجية العسكرية أي دليـل أفضـل مما قدمه التاريخ العسكري .

لا شك أن الوقائع التي قدمها الاستراتيجيون العلميون الجدد هي متينة الاساس من حيث الدقة العلمية ولكن ما نستنتجه منها فيما يتعلق باستراتيجية شاملة للعصر النووي نجده متأرجحا كالرقاص ذهابا وايابا بين « الردع المحدود » و « الردع غير المحدود » ومفاهيم اخرى بأسماء مختلفة .

كما أنه قد حدث بعض الشك في قدرات المحللين المنهجيين وحواسبهم الالكترونية مثلا اعطت هذه الحواسب التي احاطها وزير الدفاع « روبرت مكنمارا » باهتمام كبير ، للقيادة الاميركية معلومات تفيد بأن التدخل الاميركي في الهند الصينية سيعطي نتائج سريعة وفعالة بتكاليف مقبولة ، وكانت نتيجة هذا التدخل مخالفا لذلك تماما . هذه التجربة غير الموفقة هي احد الامثلـة البارزة لمجال كان بامكانالتاريخ العسكري أن يقدم خبرة افضل لان سبب الفشل الاميركي كامن في فقدان وحدة النظرة للمفهوم التاريخي بين الثقافة الاميركية وبين ثقافة تختلف عنها تماما ثقافة لها جذور عميقة في التاريخ .

أمضيت العام الدراسي ١٩٧٣ — ١٩٧٤ في مركز البحوث التاريخية التابع للقوات المسلحة الاميركية في « كارلايل باراكس » كاستاذ زائر ، وساهمت في تدريس وتوجيه طلاب المعهد الحربي الموجود في نفس المنطقة ، وقد لاحظت هناك بروز ميل لدى ادارة المعهد ولدى الكليات التابعة له وحتى بين الطلبة بالعودة الى التاريخ والاستناد اليه كموجه للسياسة والاستراتيجية العسكرية ، وذلك بعد ان خيبت الطرق العلمية الجديد آمالهم . وفي الوقت نفسه علمت ان ادارة المعهد البحري قد اعتمدت في مناهجها على الاسس التاريخية التي وضعها الأميرال « ستيفان ب. لوس » والاميرال « الفرد تيير ماهان » لصالح هذا المعهد، وكان طـلاب السنة النهائية الذين يعالجـون المسائل الوطنيـة والسياسة

الاستراتيجية الحربية وتطبيقاتها في مجال البحرية ينطلقون من اسس تاريخية .

ومن أهم انعكاسات الرغبة بربط مناهج التدريب العسكري بالتاريخ العسكري هو قرار قيادة القوات المسلحة في عام ١٩٧١ بتأليف لجنة مهمتها دراسة مدى حاجة الجيش لدراسة التاريخ العسكري ، وقد نشر تقريرها في اربع مجلدات في شهر ايار . وقد أبرزت دراسة هذه اللجنة تدني الاهتمام لدى العسكريين وسواهم بالتاريخ العسكري اعتبارا من الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية وأوضحت بعض أسباب ذلك معزية اياها الى نوعية المواضيع الحديثة وتطور الوسائط العلمية المساعدة في الدراسة ، ولكن هذه اللجنة أعادت التأكيد على أهمية الدراسة التاريخية ، وعلى الاخص نظريات وآراء المؤرخين ، بالنسبة للعسكري المحترف . وقد دعت في تقريرها الى الاستفادة بشكل أوسع من مراكز الدراسات التاريخية الموجودة فعلا في الجيش والمؤسسات المختصة بالتاريخ العسكري خاصة ادارة التاريخ العسكري (حاليا مركز التاريخ العسكري) التي انطلقت أساسا من عملها المحدد في كتابة التاريخ الرسمي للحرب العالمية الثانية وتابعت جمعها لكافة الوثائق التاريخية المفيدة لعمل أي مؤرخ عسكري ، وكذلك « مجموعة ابحاث التاريخ العسكري » التي شكلت عام ١٩٦٧ بمهمة حفظ الوثائق ذات الاهمية التاريخية العسكرية .

وقد نوه تقرير اللجنة المذكورة على حقيقة تحمل نوع من القضاء ، اذ لوحظ توسع الجامعات المدنية في تدريس التاريخ العسكري خاصة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في الوقت الذي كان هذا الاهتمام يتدنى في المعاهد العسكرية . فان فقدان الشعور بالآمان الذي ساد فترة ما بعد الحرب دفع بعدد كبير من المدنيين الى الاهتمام بدراسة مواضيع الامن الوطني واهتمت بها الاوساط العلمية عامة وعلماء الاجتماع خاصة وكان من الطبيعي تبعا لذلك ان تهتم الجامعات بهذه المواضيع . وقد أوصت اللجنة بتوثيق العلاقة بين المحيطين العسكري والمدني في هذا المجال لفائدة الطرفين . واقترحت انشاء ثلاث مراكز للتاريخ العسكري في « ويست بوينت » و « كارلايل باراكس » وكلية القيادة والاركان في « فورت ليفن وورث » حيث يستطيع اساتذة مدنيين

حضور دورات لعام كامل . وقد نفذ ذلك فعلا عام ١٩٧٢ – ١٩٧٣ في المركزين الاوليين وخلال عام ١٩٧٤ – ١٩٧٥ في الثالث . وقدمت اللجنة نفسها نصيحة عامة تقضي بزيادة الزمن المخصص لدراسة التاريخ العسكري في جميع مناهج الكليات والمعاهد العسكرية وشجعت العسكريين المحترفين على زيادة مطالعاتهم الشخصية في مواضيع التاريخ العسكري .

في خريف نفس العام الذي عملت فيه هذه اللجنة وقدمت تقريرها أي عام ١٩٧١ وضع مؤرخو مركز الابحاث التاريخية العسكرية بطلب من مدير المعهد العسكري العالي منهاجا لدورة اختيارية في التاريخ العسكري لطلاب هذا المعهد . الواقع ان دورة كهذه كانت قد أقرت قبل تأليف اللجنة ولكن هذه الفكرة قد لقيت دعما كبيرا من اللجنة التي اضافت ان هذه الفرصة يجب أن تتاح لطلاب جميع الكليات والمعاهد العسكرية . ورغم الاهمال الذي لقيته مادة التاريخ العسكري في الكليات الحربية بعد الحرب العالمية الثانية فقد حوفظ على هذه المادة في المعاهد العسكرية العالية التي يؤمها العقداء الاحداث والمقدمين القدماء الذين أمضوا عشرين عاما في الخدمة وهم في سن الثانية والاربعين من العمر وسطيا . وتهدف الدورات الانتقائية الى جذب العسكريين نحو دراسة التاريخ عبر التنسيق بين أحدث الوسائل المساعدة في تحليل المعطيات التاريخية وبين الدراسات التقليدية المتوفرة لخلق نوع من الاستمراريه. وكان الهدف الاساسي ، وبسبب ضيق الوقت ، هو التشجيع على هذا النوع من الدراسات اكثر منه التخصص العميق فيها . هذا هو هدف مثل هذه الدورات وهذا ايضا هو الهدف من هذا الكتاب .

وعلى أمل أن نقدم للقارىء نوعا من التحسس بالتاريخ العسكري واطلاعه على النواحي المتعددة فيه والامكانيات التي يقدمها ، أدخلنا في هذه المجموعة من الابحاث المختارة من المحاضرات التي القيت خلال الاعوام الثلاث ١٩٧١ – ١٩٧٤ في الدورة الجديدة التي عقدت في المعهد العسكري العالي حول التاريخ العسكري .

ساهمت شخصيا في محاضرات العامين الاوليين وحضرت كأستاذ زائر

محاضرات السنة الثالثة بكاملها . وكانت مساهمتي في هذا العمل نابعة من الشعور الذي لمسته لدى العسكريين برغبتهم بالعودة الى التاريخ ليكون قاعدة لهم في عملهم المستقبلي . وقد لقي هذا الشعور لديهم صداه في كافة المعاهد واحتل مركزا جيدا في كافة المناهج خاصة تلك التي تبحث في الاستراتيجية الوطنية والعسكرية .

ولكن الطلاب الذين قابلتهم سواء في « كارلايل باراكس » او في المعاهد العسكرية الاخرى أبدوا بعض التحفظات ، فهم يخشون من أن يؤدي التحول الجديد نحو التاريخ العسكري في المعاهد الاميركية الى اعطاء هذا التاريخ قيمة أكبر مما يستحق .

والطلاب ، كضباط محترفين ، يودون من المؤرخ استخلاص دروس محددة من التاريخ ليتمكنوا من الاستفادة منها عمليا . ولكنهم في هذا المجال سيتلقون جوابا واحدا التاريخ لا يقدم الدروس . ولكنهم لا يقبلون ردا كهذا ، فاذا كانت المعطيات التاريخية مشوشة فان خبراتنا الشخصية هي كذلك ايضا ومع ذلك فان الخبرة تعطي نوعا من التصرف الافضل في حالات مشابهة . واذا كانت عملية استخلاص الدروس من التاريخ غير متبعة حتى الآن خاصة من قبل اولئك الذين يفتقرون الى الحس التاريخي فان هذا لا يعني انه لا وجود لدروس عديدة يمكن للتاريخ ان يقدمها .

تعرض « جاي لافاس » في أولى محاولاته الدراسية التي نشرها في أميركا الى ميل العسكريين نحو « دروس محددة متى تعلموها قادتهم حتما الى الانتصار في ساحة القتال » فذكر ان السير « بازيل ليدل هارت » استخرج من التاريخ وخاصة من جنكيزخان ووليم تيكومسه شيرمن دروسا حول الاستخدام الصحيح للارتال المتحركة التي تبلورت عمليا فيما دعي بالضربة الصاعقة للارتال المدرعة . ولكن هذه الدروس في معظم الاحيان تكون سلبية بمعنى انها تدلنا على ما يجب تجنب فعله . ومع ذلك هناك فائدة كبرى بعدم ارتكاب نفس الاخطاء . فالخبرة التي قدمتها معارك ايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية التي برهنت على عدم فائدة الاعتماد على السلاح الجوي لقطع خطوط المواصلات

المعادية حتى المارة عبر الجبال ، كان المفروض ان تحمي مفر قيادة الجنرال دوغلاس ماك ارثور من التصورات المضخمة لاحتمال عزلها من الجو . كما ان خبرة الحرب الكورية حول نفس الموضوع كان مفروضا ان يستفاد منها في المواقع الاخرى . فاذا كنا لم نتفهم هذه الدروس فهذا لا يعني انها غـير موجـودة .

والتاريخ العسكري مفيد جدا لانه يعطينا حسا داخليا يوجهنا أثناء بحوثنا الاستراتيجية . لا شك ان المؤرخين العسكريين في القرن التاسع عشر قد ضخموا المفهوم القائل بأن أي تبدل بالاسلحة يؤدي الى تبدل في التكتيك في حين ان المبادىء الاستراتيجية تبقى ثابتة . فالاميرال ماهان الذي تبنى ثبات الاسس الاستراتيجية رغم كافة التبدلات التي تطرأ على التكتيك او التكنولوجيا ، فشـل كمنظر استراتيجي الى درجـة انه لم يستطع التنبؤ بفعالية وتأثـير التكنولوجية الحديثة التي دخلت الغواصات والطوربيد الآلي على الاستراتيجية والتكتيك معا ، وبعدم اعترافه بالقيمة الاستراتيجية للقيادة التقليدية في البحر . ولكن من جهة أخرى وجدنا ان البحرية الاميركية التي ما زالت تطبق تعاليم ماهان نجحت في ايقاع الهزيمة في الامبراطورية اليابانية البحرية بين ١٩٤١ — ١٩٤٥ . واذا كان الغموض الذي يحيط بآراء كلاوزفيتر يحد من فائدتها فيما يتعلق بتأهيل الاستراتيجيين فان مبادىء جوميني الرياضية ليست بأفضل من ذلك (عدا بعضها) .

ان تعريف جوميني لهدف الاستراتيجية يحمل بذاته فائدة للعسكري المحترف تفتقر اليها جدلية كلاوزفيتز ، ولكنه في الواقع كما قال الكولونيل مـود الناقد العسكري البريطاني :

« هذه الافكار هي ، رغم كل شيء ، بدائية ، سهلة الاكتشاف من قبل مثقف متوسط ، رغم ان العديد من المجلدات قد وضع في محاولة لاثباتها . فكل ما قدمه لنا جوميني واتباعه هو حدث ما ومحاولة شرحه وتبريره أي عمل مشابه لاية دراسة عسكرية يقوم بها عسكري محترف في بريطانيا » .

بين أبواق جدلية كلاوزفيز والنظرة الرياضية البدائية لجوميني يبقى

التاريخ العسكري افضل دليل يمكن للاستراتيجي الاعتماد عليه وهو بالنسبة للرجال العسكريين بديل للتجربة العملية التي يمكن للاختصاصات الاخرى ممارستها في الحياة اليومية ، والتي يفتقر اليها العسكريون في معظم الاحيان .

ان الاقرار بتاريخ عسكري قادر على أن يكون دليلا للاستراتيجية هو الاقرار بتاريخ عسكري يتعامل مع الصراع . وربما كان أوضح تقصير في هذا المجال موجود في المحاضرات التي تلقى في موضوع الابعاد الجديدة للتاريخ العسكري في كارلايل باراكس والابحاث التي تتضمنها مجموعتنا هذه اذ أن القليل منها فقط يتعرض للصراع . ان التاريخ العسكري للمؤرخين المدنيين ـ العسكريين الذين اهتموا بمسائل الامن الوطني بتأثير من الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة دعي بفخر من قبل المبشرين له « التاريخ العسكري الجديد » . ففي حين كان التاريخ العسكري يهتم في السابق وبشكل شبه محدود بالمعركة والموقعة ، فان التاريخ العسكري الجديد يهتم بالتاريخ العسكري كجزء من التاريخ العام ، لا ينفصل عنه وهذا هو المظهر الجديد فيه وهناك مظاهر أخرى مثل نظرته الى العسكري كانعكاس للمجتمع ، وللعلاقة بين الجندي والدولة ، وللمؤسسات والآراء العسكرية . ولكن هذا التوسيع في مجال التاريخ العسكري بشموله كافة هذه المواضيع يقود الى الغرق في بحر الادعاءات أو الحذر الشديد عندما يتخلى المؤرخون الجدد عن الاساليب القديمة للدراسة التاريخية ، وقد يخفقون في التعامل مع كافة هذه المواضيع . ولا عذر للمؤسسات العسكرية في عدم التعرض للصراع . فالصراع هو بالتحديد الموضوع الذي يبحثه التاريخ العسكري وان الميل الموجود لدى المؤرخين العسكريين للادعاء أحيانا بعكس ذلك هو سبب آخر يجعلنا لا نعطي لعملهم قيمة كبرى اثناء المناقشة العامة للتاريخ .

عندما يتعرض المؤرخ العسكري للصراع كما يجب عليه ان يفعل ، فانه بلا شك سيدخل مجال التكتيك والاستراتيجية ، وحتى الاميرال ماهان ، ذو التقدير المحدود لمدى التأثيرات التي أحدثتها التكنولوجيا ، اعترف بأن التكنولوجيا الحديثة لم تترك شيئا على حاله بل عرضته للتبدل . وحتى هنا

ورغم ذلك ، فان حقائق الماضي كالحرب المكسيكية لا يجوز استبعادها بسهولة كما ذكر وولتر ميليس . فمع دخولنا حلبة الاسلحة الموجهة بدقة فان تطور التكتيك قد يقوم بقفزة كمية بعيدا عن تكتيك الحرب العالمية الثانية . ولكن تحول كهذا قد يقودنا الى التفكير بفائدة دراسة القفزة الكمية التي حدثت بين الحرب المكسيكية والحرب الاهلية الاميركية ، في مجال التحول التكتيكي من البندقية ذات الجف الاملس الى البارودة كسلاح للمشاة . فالتحسن الذي طرأ على دقة الاصابة يعادل نسبيا ما تقدمه لنا الآن الاسلحة الدقيقة التوجيه ، وبالامكان النظر الى ساحات القتال في مطلع القرن التاسع عشر التي تحملت نتائج نيران البواريد لنكون فكرة عن مدى التأثير التكتيكي والنفسي للاسلحة الدقيقة التوجيه في أيامنا هذه .

أبعد من ذلك ، ان الاصوات الاولى التي ارتفعت بالقول بأن السلاح النووي جعل من التاريخ العسكري موضوع اهتمام علماء الآثار جاءت قبل ان تتضح معالم الحرب النووية ، لقد ارتفعت قبل توازن الرعب النووي بين القوى المتصارعة الذي جعل استخدام الاسلحة النووية بعيد الاحتمال وبذلك دفع بالصراع العسكري الى شكله المبسط . لقد وقعت حروب في العصر النووي ولكن القيود التي فرضها توازن الرعب عليها من حيث الاهداف والاشكال جعلها اكثر بدائية من حيث الاسلحة من الحرب المكسيكية ورغم ذلك قابلة للتفهم ، الحروب السابقة كالحرب الاسبانية التي كانت أولى الحروب التي حملت اسم « حرب الفوار » أو حرب التحرير الوطنية التي خاضها الانصار الاميركيون بعد عودة بريطانيا لاحتلال جورجيا وكارولينا خلال حرب الاستقلال الاميركية . ونظرا لان الردع النووي قد قيد التدخل العسكري بالاشكال التي سبقت العصر النووي فقد حافظت القوات المسلحة في العصر النووي على تنظيمها السابق وعلى تقاليدها وقيمها وعلى علاقتها بالمؤسسات المدنية المحيطة بها كما كانت منذ عدة عصور . لهذا كله كانت ابحاث « التاريخ العسكري الجديد » حول الجندي والدولة والقوات المسلحة والمجتمع هي المواضيع العسكرية ــ المدنية المطروقة حاليا . وان خبرات الولايات المتحدة الاميركية

سواء لدى العسكريين المحترفين او المجندين ، في الماضي ، قادرة على القاء الضوء على النتائج المحتملة لاي اختبار جديد .

ان النقص الذي يتصف به التاريخ العسكري له علاقة وثيقة بالاهتمام المستمر بدراسته . لو كان الانسان فعلا قادرا على تلقي دروس من خارج الماضي العسكري لما زج نفسه في حروب غالبا ما تكون غير مجدية ان لم تؤد الى كارثة للقائم بها . (وهذا يعني انه لا يوجد جذور اعمق من جذور الحرب سوى النقص الكامن في الطبيعة الانسانية) . ولكن وبسبب كون الاحداث التاريخية هي احداث قذرة ولان الدول تدخل بغباء حربا تلو الاخرى فان على كل دولة ان تحضر نفسها لاستخدام القوة بين حين وآخر في علاقاتها مع الدول الاخرى وعلى العسكريين ان يهيئوا انفسهم عبر دراسة التاريخ والاساليب الاخرى لاكتساب الخبرات المهنية . ونظرا لان هذه المقدمة قد كتبت عام ١٩٧٥ استنادا الى ارضية الغزو الشيوعي للهند الصينية فان معظم الاميركيين يصيحون محتجين « لن يتكرر ذلك مطلقا »، عندما يفكرون بالحرب الهند الصينية الاخيرة.

ولكن لعدم امكانية الاستغناء عن القوات المسلحة كيف يمكننا الوثوق بعدم الخوض بمغامرة اخرى مماثلة ؟ أية مشكلة دولية سيكون لها معطيات مشابهة الى درجة كافية تدفعنا لتطبيق المعاني القذرة المستخرجة من الهند الصينية ؟ .

ان فائدة القوة العسكرية كوسيلة لتحقيق الاهداف الوطنية قد تدنت كثيرا خلال القرنين الاخيرين . ثم ان الخوف من الفناء النووي يدفع الى الامتناع عن استخدام أي سلاح نووي في القتال خشية من ان يؤدي استخدامها الى الفناء التام المتبادل ، ولكن منذ الحرب الاهلية الاميركية تعاظمت القدرة النارية للاسلحة التقليدية لدرجة جعلت من الخصمين متعادلين في القوة في ساحة القتال مما يؤدي الى جمود تكتيكي يتحول الى جمود استراتيجي . فالتوقف الطويل الامد التكتيكي والاستراتيجي خلال الحرب الاهلية الاميركية عاد الى الظهور خلال الحرب الروسية التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ والروسية اليابانية ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ وبشكل أوضح في الحرب العالمية الاولى ، وبدا ان

الطائرة والدبابة في مطلع الحرب العالمية الثانية سيكسران هذا الجمود ولكنه عاد بشكل حرب استنزاف طويلة الامد على الجبهة الشرقية كوسيلة لانهاء الحرب . وظهرت حرب الثبات من جديد في كوريا والهند الصينية ولكنها غابت عن الحروب العربية الاسرائيلية كما اظهرت حرب يوم الغفران ١٩٧٣ بسبب تفاوت القوى بين الخصوم .

ولا يمكن في ظروف كهذه ان تكون القوة العسكرية وسيلة تستخدمها الدولة بشكل محسوب بهدوء تعطي نتائج ايجابية مثلما كان فريدريك الكبير في القرن الثامن عشر يستخدمها في عملية جراحية يستأصل فيها سليزيا عن النمسا . فالقرار العسكري القليل التكاليف لم يعد متوفرا الا ضد اعداء جد ضعفاء ومع التعرض لمجازفات سياسية .

ولكن اذا لم يعد باستطاعتنا التمتع بمكاسب ايجابية من استخدامنا للقوات المسلحة فعلينا رغم ذلك التهيؤ لاستخدامها على الاقل لتجنب الهزيمة . والمكاسب الاميركية من الحرب الكورية كانت من هذا النوع السلبي : تجنب الهزيمة ، ولكن اذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى الموقع الاستراتيجي لكوريا بالنسبة لليابان فان هذه المكاسب لن تعود شيئا قليل القيمة . ان ضرورة الاحتفاظ بقوات مسلحة واحتمال استخدامها يعطي قيمة للتاريخ العسكري ليضيء الطريق سواء للعسكري المحترف وللمواطنين الذين يستخدمونه .

المؤلفون عادة يعتبرون الناشر شخصا يمكن الاستغناء عنه ، وعدم الحاجة لناشر هذا الكتاب تفوق سواها . اذ لم يقم المؤلفون بالعمل الحقيقي فقط بل وافقوا ايضا على نشر دراساتهم التي اعدوها أصلا كمحاضرات لتلقى على طلاب مركز التاريخ العسكري التابع للقوات المسلحة الاميركية في المعهد العسكري العالي في دورة خاصة بالابعاد الجديدة للتاريخ العسكري . بالاضافة الى ذلك فان هذا الكتاب فشل في عكس ما يستحقه الذين كان لهم فضل اطلاق وتنظيم هذه الدورة من تقدير . فان تنظيم دورة الابعاد الجديدة في التاريخ العسكري في خريف ١٩٧١ هو من عمل مؤرخين عسكريين كفؤين من مجموعة الابحاث التاريخية العسكرية الدكتور دون ديكيه الابن وفرانكلين

كولينغ . وبعد مغادرة الدكتور ريكيه لكارلايل باراكس تابع الدكتور كولينغ بمفرده عملية جمع المحاضرين وتنظيم وادارة الدورة طيلة عامين . ويعود الفضل في مجموعة الابحاث التي نقدمها الى الاعمال التنظيمية للدكتور ريكيه والدكتور كولينغ ولاختيارهما الموفق للمحاضرين وادارتهما الجيدة لسير الدورة.

كما لعب الكولونيل جورج س. باباس دورا أساسيا في تنفيذ عملية اخراج هذه المجموعة سواء من حيث وضع الابحاث واعدادها للطبع . وكان اول مدير لمركز الابحاث التاريخية العسكرية في القوات المسلحة الاميركية وتحت اشرافه تم عقد دورة الابعاد الجديدة للتاريخ العسكري ، وهو اكثر من مدير ــ مؤسس للمركز الذي حوله من فكرة الى واحد من افضل مراكز الابحاث في العالم . وبعد احالته على التقاعد ، حيث يشغل حاليا وظيفة مدير البريزيدو برس اقترح اصدار هذه المجموعة وشجعنا على ذلك طيلة مراحل اصدارها وقد أنقذ الناشر من جزء كبير من الجهد الشاق خاصة فيما يتعلق بالمراسلات المتبادلة مع المساهمين مما اسهم في امكانية اخراجها .

الكولونيل جيمس بارون اغينو والمدير الحالي لمركز الابحاث التاريخية العسكرية في القوات المسلحة الاميركية كلاهما سمحا لنا بنشر هذه المجموعة وأكدا انه لن يكون هناك أي قيد من قبل القوات المسلحة يحد من اصدارها . وقد اصدرت مؤسسة اغينو فعلا كل ما القي من محاضرات خلال الاعوام الثلاث لدورة الابعاد الجديدة في التاريخ العسكري انما بتوزيع محدود ، وهو بموافقته على نشر هذه المجموعة ساهم بتوسيع دائرة التوزيع . كما يستحق العميد جيمس كولينز الابن مدير التاريخ العسكري شكرنا لمساعدته المماثلة .

لكل المذكورين اعلاه امتنان الناشر ، فقد كانت عملية نشر هذه المجموعة بحاجة ماسة لمساعدة كل منهم .

فيلادلفيا ــ حزيران ١٩٧٥

المصــــادر :

١ ــ بارون دو جوميني « فن الحرب » مندل وكريفهيل (فيلادلفيا ليبنكوت ١٨٦٢ ، أعيد طبعه في ويست بورت ، غرينوود ١٩٧١) ص ٧٠

٢ ــ جون بيفولو : « مبادىء الاستراتيجية » ١٩٦٨

٣ ــ وولتر ميليز : « أسلحة ورجال » دراسة في التاريخ العسكري الاميركي نيويورك بوتنام ١٩٥٦ ، ص ٧

٤ ــ توسيديد « الحرب البيلوبونيزية » (جامعة ميتشيفان ١٩٥٩) .

٥ــ تقرير اللجنة المكلفة بدراسة مدى الحاجة الى التاريخ العسكري ٤ مجلدات (ويست بوينت ١٩٧١) .

٦ ــ نفس المصدر أعــلاه .

٧ ــ الموسوعة البريطانية الاصدار الحادي عشر المجلد ٢٩ نيويورك (١٩١٠ ــ ١٩١١) .

ملاحظة : من الافضل أخذ المصادر باللغة الاجنبية اذ انه حتى لو ترجمت للعربية فستكون مختلفة الصفحة ودار النشر .

طبيعة التاريخ العسكري

التاريخ العسكري : وجهة نظر تاريخية أكاديمية

جاي لوفاس

تعليق الناشر

كان الهدف الرئيسي لدورة الابعاد الجديدة في التاريخ العسكري هو مساعدة الضباط الكبار في دراسة التاريخ العسكري ، هذه المادة التي كانت تفتقر اليها كافة المناهج التدريبية بعد الحرب العالمية الثانية . وحسب العادة بدأت الدورة من قبل مؤرخ زائر لديه نظرة شاملة للموضوع . ولدى جاي لوفاس من جامعة اليفني مثل هذه النظرة فعين استاذا زائرا في السنة الثانية من الدروة أي في خريف عام ١٩٧٢ .

ان احكام جاي لوفاس على قيمة التاريخ العسكري تختلف الى حد بعيد عما يراه الناشر وهي جديرة بأن تكون نقطة انطلاق اخرى للدخول في الابحاث التي ستليها . وان آراء البروفسور لوفاس في هذا المجال تقدم أسبابا أكثر اهمية لدراسة ملاحظاته حول طبيعة التاريخ العسكري .

التارايخ العسكري يجب أن يكون تاريخا عالميا ، اذ لا يمكن للمؤرخ العسكري أن يجد نفسه داخل حدود أمة ــ دولة واحدة كما تلاحظ لدى المؤرخين في الاختصاصات الاخرى . ويعطي البروفسور لوفاس كمثال على الطبيعة الدولية للتاريخ العسكري والعاملين فيه بمزجه الخبرات الخاصة في التاريخ العسكري الحديث في بريطانيا وفي الحرب الاهلية الاميركية . وله كتب عدة : « تدريب الجيش » : أفكار بريطانية عسكرية ١٨١٥ ــ ١٩٤٠

(شيكاغو : جامعة شيكاغو برس ١٩٦٤) وكذلك نشره لدراسات الكولونيل هندرسن حول التاريخ العسكري بعد ان اضاف اليها تعليقاته الخاصة ، و « الحرب الاهلية : وجهة نظر عسكري » (شيكاغو جامعة شيكاغو برس ١٩٥٨) .

وكان البروفسور لوفاس اول من شغل وظيفة استاذ زائر في قسم التاريخ العسكري في ويست بوينت عام ١٩٧٢ ــ ١٩٧٣ ..

التاريخ العسكري هو كالوصف الذي أطلقه الكسندر بوب على المراة « في أفضل حالاتها ، متناقضة » . فالتاريخ العسكري هو بآن واحد اقدم اشكال التاريخ وأحدثها في كسب احترام الجامعات . الواقع ان التاريخ بدأ كتاريخ عسكري لان كثرة الحروب التقليدية قد اعطت مجالا واسعا للمؤرخين لا يقل عما اعطته للشعراء . هيرودوس « ابو التاريخ » اعطى للحروب الاغريقية صفات رائعة عندما كتب عن حروب الفرس ، توسيديد كان مؤرخا عسكريا من الدرجة الاولى ، ويكفي ان نذكر آناباسيس (كزينوفون) او تعليقات قيصر وقسم كبير من مؤلفات بوليبيوس وليفي ، انلم بأبعاد قيمة التاريخ العسكري في العالم القديم .

ومع ذلك فلم يسمح للتاريخ العسكري باحتلال مركزا في المعاهد والجامعات الا في أيامنا هذه . في عام ١٩١٢ نظم البروفسور ر.م. جونستون « نصف دورة » حول هذا الموضوع في جامعة « هارفارد » وكانت الدورة الوحيدة من نوعها في الجامعات الاميركية انذاك . وكانت هناك جامعتان فقط اعطتا لطلابها ابحاثا حول هذا الموضوع وذلك قبل ثلاثة وعشرين عاما . اما الآن فلدينا مئة وتسع مؤسسات علمية عالية تنظم دورات خاصة في التاريخ العسكري دون الاخذ بعين الاعتبار الدورات التي ينظمها قسم التاريخ العسكري في القوات المسلحة .

وفي حين ان جامعات كبرى على مستوى جامعة دارثموث ، ديوك هارفارد ، كال تيك وميت ، ميتشيفان ، برنستون ، رايس ، ستانفورد تبذل نشاطا واسعا في هذا المجال فان معظم المدارس التي تنظم دورات للتاريخ العسكري

ما زالت في بدء تأسيسها . وقد تخلفت عن ذلك كافة المعاهد التقنية والفنية وفي معظم الاحيان نجد ان المدرس نفسه المهتم بالتاريخ العسكري هو الذي يعطي دفعا لهذه المادة لا ادارة المعهد ولا المنهاج الموضوع .

التناقض البارز الآخر هو كما جاء في تقرير اللجنة التي شكلتها قيادة الجيش لدراسة مدى الحاجة الى تدريس التاريخ العسكري : « في الوقت الذي يتعاظم اهتمام المدنيين بالتاريخ العسكري أظهرت قيادة القوات المسلحة ميلا الى الاقلال من تدريس هذه المادة في المعاهد العسكرية بعكس ما كان الموقف عليه قبل الحرب العالمية الثانية » . وهذا الموقف يدعو للاستغراب عندما نعلم ان المعاهد كانت تطلب من معدي المناهج السنوية ادخال هذه المادة في عملها ، في حين أن قادة الجيش كانوا يزدادون قناعة بالابتعاد عنه وجعله في مجال الثقافة العامة والمطالعة الحرة ، كانوا يحتقرون ما دعوه بمدارس « الطبول والابواق » التي تعيد تمثيل معارك القرون الماضية بكل فن ومهارة « جون فيليب سوسا » في مجال الاستعراض ، فان اهتمامات المعاهد العسكرية في أيامنا هذه لا تقتصر على المواضيع العملياتية ولكنها تركز خاصة على التاريخ المتعلق بالنواحي والمظاهر التقنية والادارية للحرب والعلاقة بين العامل العسكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي على مستوى الامة . هذا ما يفسر التناقض الذي قاد العديد من الباحثين العلميين الى زج أنوفهم في مجالات التاريخ العسكري بدلا من التوجه نحو التاريخ السياسي او العلاقات بين الاجناس ، في الوقت الذي لم تقم القيادات العسكرية بالحد من دراسة التاريخ العسكري بل سعت جهدها لقطع الطريق على المؤرخين المحترفين من الخوض في هذا المجال .

غالبا ما ينظر الاكاديميون بريبة الى التاريخ العسكري اذ يجدونه مرتبطا « بالعسكريتارية » هذا في الوقت الذي أقر الجيش رسميا بضرورة « تطوير التفكير التاريخي لدى الضباط العاملين على مدى واسع ودفعهم الى المساهمة فرديا في صياغة الاحتمالات ، وتحسين المحاكمة ، وزيادة الخبرة المهنية والقدرة على التنبؤ بالمستقبل » .

كان التاريخ العسكري دوما متقاسما بين مدرستين . فهو من الناحية العسكرية التطبيقية قد تطور وزاد تخصصا خلال عصر النهضة وكان الامر كذلك بالنسبة لادب الحرب . ثم جاء ميكيافللي ففتح طريقا جديدة في دراسة طبيعة ومهام الدولة والعلاقة بين العسكرية والسياسة فكان اول من اعتبر « العسكرية جزءا من المواطنية والحرب فرع من السياسة » .

ومع السنين تزايدت الحروب واصبح التاريخ العسكري وقفا على العسكريين . ونجد ان الفروق بين التاريخ العسكري والنظريات العسكرية ضئيل جدا لدى الكتاب العسكريين في القرن الثامن عشر : مارشال دو ساكس في (أحلام) ، جيبير في (أبحاث حول التكتيك) ، ويليم لويد في (تاريخ الحرب الاخيرة في المانية) كلهم استخدموا التاريخ كأساس لنظرياتهم . جوميني أكبر منظر عسكري في فترة ما بعد نابليون ، يصر على ان الوظيفة الحقيقية للتاريخ العسكري هي : « تطوير علاقة الاحداث مع هذه المبادىء » وكان هذا الحكم مقبولا لدى العسكريين القدامى الذين احتكروا مجال التاريخ العسكري . وهذا ينطبق على السير ويليم نابييه مؤلف « تاريخ الحرب في شبه الجزيرة » ، ويبدو ذلك بوضوح أكبر في كتب جنرال بريطاني متقاعد يدعم جون ميتشيل الذي اتصف بنظرة متعصبة الى الموضوع . فقد كتب بعد عشرين سنة من معركة واترلو : « يجب على التاريخ العسكري ان يقدم دروسا عملية والا كان عديم الفائدة ولا حاجة له » .

ان لفت الانتباه الى الناحية المفجعة في القتال او الى بعض التفاصيل في معركة ما على حساب العوامل الاخرى الاكثر دلالة سيقودنا حتما الى نظرة سطحية لما حدث فعلا . وبالتالي الى عدم فهم دروس التاريخ مما قد يقود الى تبني عقائد جديدة نبثها ونتمسك بها حتى نصاب بكارثة غير متوقعة توضح لنا مدى هشاشة الاسس التي بنيت عليها هذه العقيدة .

قبل فترة طويلة من الكارثة التي اصابت فرنسة عام ١٨٧٠ ، والمعارك الخاسرة في حرب الاهلية الاميركية ، والعقيدة الهجومية التي سيطرت على الافكار التكتيكية والاستراتيجية الفرنسية عام ١٩١٤ والتي غطت التراب

الفرنسي بدماء أبنائه خلال الاربع سنوات التالية ، والاعتماد على خط ماجينو عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ ، قبل ذلك كله حذر ميتشيل بأن التاريخ العسكري قد يستغل لوضع عقائد قتالية خاطئة . وفيما بعد قال جنرال الماني « من المعروف ان التاريخ العسكري المدروس بسطحية قد يقدم معطيات لتدعيم اية نظرية او فكرة » .

أشك بوجود أي فرع تاريخي خاضع لهذا القدر من الضغط كالتاريخ العسكري في مجال الدراسة العميقة . الواقع ان هدف توسيديد من تاريخه الكبير ان يكون دراسة موضوعية للاجيال القادمة : « لقد قمت بكتاباتي ليس طمعا بتصفيق آني بل كذخر لكافة الاجيال » وكان يأمل بأن يكون عمله هذا : « مفيدا لاولئك الباحثين الراغبين بالحصول على معلومات حقيقية عن الماضي ومساعدة لهم في استشفاف المستقبل » . وكان توسيديد يؤكد انه خلال سير الاحداث الانسانيــة فان المستقبل سيكون مشابها للماضي « اذا لــم يكن انعكاسا له » .

يمكننا تعلم شيئا من توسيديد . ان اهتمامه الكبير بالتفاصيل تلقي الاضواء على فن الحرب لدى الاغريق ، ولكن الاهم من ذلك ، هو ان معرفته العميقة للطبيعة الانسانية والصفات الديموقراطية في الحرب هي مفيدة جدا للقارىء اليوم كما كانت بالنسبة للجيل التالي من الاثينيين . فحول ثورة كورسيرا عام ٤٢٧ ق.م يلاحظ توسيديد :

.. وهكذا يأخذ كل شكل من الظلم جذوره في البلاد اليونانية بسبب الفوضى والقلاقل . ان مظاهر الفخر والشرف التي دخلت من باب التقاليد القديمــة الواسع اصبحت مدعــاة للسخرية فزالت ، وانقسم المجتمع الى معسكرات حيث يشك كل انسان بزميله . ولم يكن هناك لوضع حد لهذه الحال لا آمالا يمكن الاستناد اليها ، ولا قيما تفرض الاحترام ، بل اعتمدت كل فئة في حساباتها على فقدان الامل بثبات الاوضاع وبالتالي تغلبت عليها نزعة الاعتماد على النفس في الدفاع عن مصالحها بدلا من اعتماد الثقة وسيلة للتعامل . وفي مثل هذا الجو كان الشعور بالقلق هو المسيطر . ونظرا لوعيهم التام لنقــاط

ضعفهم ومعرفتهم بمهارة خصومهم باتوا يخشون الفشل في المناقشات وان يفاجأوا بنوع من التحالف بين أخصامهم ومؤيديهم المترددين لذلك لجأوا الى العمل الفوري ، وفي الوقت الذي كان خصومهم على ثقة بأن المعلومات عن استعداد الطرف الآخر للقتال ستصلهم في الوقت المناسب وبالتالي لا ضرورة لاتخاذ تدابير أمنية فمنيوا بالهزيمة نتيجة عدم اتخاذ الاحتياطات . وفي هذا الجو المضطرب الذي يسيطر على الحياة في المدن فان الطبيعة الانسانية تنفر من الناحية العاطفية من أي توجيه ، وتشعر بسموها في احترام العدالة وعدوة لكل تفوق » .

يشعر الانسان وكأنه يستمع الى صوت ايريك سيفريد في وصفه للاوضاع الحالية . أين ؟ في جنوب فيتنام ؟ ربما حتى في الولايات المتحدة الاميركية .

يميل جيل الانكليز الذي خاض الحرب العالمية الاولى أن يقارنوا أنفسهم بموقف الآثينيين ـ ديموقراطيتان لكل منها قوة بحرية مكبلتان بحرب مميتة ضد أقوى قوة برية عسكرية في العالم ، ولكن هذا التشبيه رغم كونه ممتعا (ولا أمل منه من حيث النتائج) فهو أقل فائدة من تعليقات توسيديد العميقة حول مواقف وتصرفات معاصريه .

فهو يذكرنا بأن « رأس المال قادر على استمرارية الحرب اكثر من مساهمة القوات » .

« المهارة تكون في ذروتها عند بدء العمليات » .

« الآلام التي تصيب المدن من جراء الثورات كانت كبيرة ورهيبة وكما حدث سابقا سيحدث دوما طالما ان الجنس البشري باق على طبيعته . في زمن السلم والازدهار تكون للدول وللاشخاص عواطف ومشاعر افضل » .

« القوي يفعل كل ما يستطيعه والضعيف يتحمل ما يفرض عليه » .

« الحرب ليست مسألة سلاح بقدر ما هي مسألة مال اذ أن المال هو الذي يؤمن العتاد الحربي . وهذا صحيح خاصة عندما تقاتل قوة برية اولئك الذين يملكون قوة بحرية » .

« قوة الجيش تكمن في الانضباط الصارم والطاعة التامة لضباطه » .
أخيرا « ... انها عادة ، لدى الجنس البشري ، ان يفقد الانسان الثقة بأمل انتظره طويلا ويستخدم أسبابا قوية للثقة بما هو لا يميل اليه بالفعل » .

ويذكرنا توسيديد أيضا أنه لا جديد أو صحيح في نظرية الدومينو ، اذ يذكر نقلا عن السيبياد محاولاته في اقناع اهالي اسبارطة بأن يعودوا الى الحرب بعد هدنة نيسياس :

« ان دول صقليا مهددة بالانهيار اذا لم تهبوا لمساعدتها ، فرغم قـوة الصقليين بكامل رجالهم وتحصيناتهم ضد البحر فانهم غير قادرين على مواجهة السلاح الآثيني الموجود فعلا هناك ولكن اذا سقطت سيراكوزا فان هناك خطرا وشيكا عليكم ، ولا يمكن لاحد الادعاء بأن المسألة متعلقة بصقلية فقط . وسيكون الوضع مماثلا في البيلوبونيز ما لم تسرعوا بارسال القوات » .

وقال ايضا : « ان مفاوضات السلام اثر توقف العمليات الحربية هي دوما شاقة ومفتقرة الى الثقة . وفي تعليقه على المناقشات بين كورنثيا وكورسيرا قال : « كان الجواب الذي حصلوا عليه من الكورنثيين هو انه اذا سحبوا أسطولهم والبرابرة من ابيداموس عند ذلك يمكن ان تكون المفاوضات ممكنة . ولكن في الوقت الذي كانت فيه المدينة ما زالت محاصرة فان اللجوء الى التحكيم غير مقبول . فأجاب الكورسيريون بأنه اذا وافقت كورانثيا على سحب قواتها فانهم سيسحبون قواتهم » .

هذه هي الطريقة الصحيحة للاستفادة من التاريخ العسكري « ان اهم المواضيع التدريبية » ، كما قال الجنرال الاتحادي جوزف جونستون امام لجنة من الكونغرس عشية الحرب الاهلية « هو تعويد العسكري على القراءة الواعية » . ولم يكن يقصد بذلك مذكرات او تقارير المعارك ولم يخلط بين التاريخ مع الاحداث العسكرية البحتة ولم يقصر التاريخ العسكري على المعارك فقط ، اذ ان قيمة التاريخ وبالتالي التاريخ العسكري ليست الوقائع والاحداث التي يقدمها لنا ولا حتى المبادىء التي يبرزها ، بل قيمته هي بقدرته على اعطائنا نظرة حية الى داخل الماضي وتفهما افضل للحاضر .

ورغم ذلك فان الطلبة والعسكريين سواء بسواء يقعون غالبا في فخ التفتيش عن الدقة والدروس المحددة التي يعتبرون انها عندما يحفظونها جيدا ستقودهم الى النجاح في ساحة المعركة . هؤلاء الافراد يدعون رؤية حقائق أساسية في كل نموذج وناحية هامة في كل حالة مشابهة .

منذ عدة سنوات ظهر موضوع في مجلة للتاريخ الشعبي بعنوان مفر : « غرانت الاميركي يغزو فرنسة » وقد بدأ الكاتب مقاله بقوله : « لا شك مطلقا بأنه بين الـ ٤٨٩ ضابط ومساعديهم البالغ عددهم ٦١٤ (ضمون مجموعة رئيس هيئة الاركان ، والقيادة العليا للحلفاء) عام ١٩٤٤ كانت هناك اغلبية من الذين درسوا بعمق عملية فيكسبورغ الرائعة وان الخطة النهائية للغزو تحمل ملامح بارزة من التشابه ، نقطة بنقطة للخطة المطبقة من قبل الجيش الاتحادي تحت قيادة غرانت في عبوره لنهر الميسيسبي واحتلال مدينة فيكسبورغ الحصينة » .

ربما كان هناك البعض كهذا الكاتب ممن يجدون بلا وعي تشابها بالمقارنة السطحية بين العمليتين ، وان مقارنة القنال الانكليزي بنهر المسيسبي واقامة رأس جسر في منطقة النورماندي ثم الاندفاع نحو باريس الذي وجد الكاتب تشابها بينها وبين نظرية غرانت في تحركه نحو جاكسون ثم نحو فيكسبورغ لانه أقام بقواته رأس جسر جنوب نقطة حصينة فيدرالية . . . هذه المقارنة غير منطقية وان معركة النورماندي تختلف اختلافا جذريا عن الحرب الاهلية ، ولكن كم من القراء لافتقارهم الى المعلومات العسكرية ولجهلهم بالاعمال التاريخية ، تقبلوا ذلك ببساطة لانهم لم يفكروا مطلقا بمناقشة او رفض نظرية واهية كهذه ؟. الشيء الصحيح فقط في ذلك المقال هو ان القيادة فعلا كانت مشكلة من ٤٨٩ ضابطا و ٦١٤ رجلا . وحتى لو كان دوايت ايزنهاور مثله مثل الجنرال جورج باتون من المهتمين جدا بقراءة التاريخ العسكري ، فان هذه الطريقة ليست المناسبة للاستفادة من التاريخ العسكري . ورغم ان هذا التاريخ يساعد على تكوين قدرة على المحاكمة فانه نادرا ما يستطيع السماح لنا بتطبيق نسخة طبق الاصل عن معركة سابقة كما ذكر صاحب المقال في مقارنته انزال النورماندي بعملية غرانت .

« قوة الجيش تكمن في الانضباط الصارم والطاعة التامة لضباطه » . أخيرا « ... انها عادة ، لدى الجنس البشري ، ان يفقد الانسان الثقة بأمل انتظره طويلا ويستخدم أسبابا قوية للثقة بما هو لا يميل اليه بالفعل » .

ويذكرنا توسيديد أيضا أنه لا جديد أو صحيح في نظرية الدومينو ، اذ يذكر نقلا عن السيبياد محاولاته في اقناع اهالي اسبارطة بأن يعودوا الى الحرب بعد هدنة نيسياس :

« ان دول صقليا مهددة بالانهيار اذا لم تهبوا لمساعدتها ، فرغم قوة الصقليين بكامل رجالهم وتحصيناتهم ضد البحر فانهم غير قادرين على مواجهة السلاح الآثيني الموجود فعلا هناك ولكن اذا سقطت سيراكوزا فان هناك خطرا وشيكا عليكم ، ولا يمكن لاحد الادعاء بأن المسألة متعلقة بصقلية فقط . وسيكون الوضع مماثلا في البيلوبونيز ما لم تسرعوا بارسال القوات » .

وقال ايضا : « ان مفاوضات السلام اثر توقف العمليات الحربية هي دوما شاقة ومفتقرة الى الثقة . وفي تعليقه على المناقشات بين كورنثيا وكورسيرا قال : « كان الجواب الذي حصلوا عليه من الكورنثيين هو انه اذا سحبوا أسطولهم والبرابرة من ابيداموس عند ذلك يمكن ان تكون المفاوضات ممكنة . ولكن في الوقت الذي كانت فيه المدينة ما زالت محاصرة فان اللجوء الى التحكيم غير مقبول . فأجاب الكورسيريون بأنه اذا وافقت كورانثيا على سحب قواتها فانهم سيسحبون قواتهم » .

هذه هي الطريقة الصحيحة للاستفادة من التاريخ العسكري « ان اهم المواضيع التدريبية » ، كما قال الجنرال الاتحادي جوزف جونستون امام لجنة من الكونغرس عشية الحرب الاهلية « هو تعويد العسكري على القراءة الواعية » . ولم يكن يقصد بذلك مذكرات او تقارير المعارك ولم يخلط بين التاريخ مع الاحداث العسكرية البحتة ولم يقصر التاريخ العسكري على المعارك فقط ، اذ ان قيمة التاريخ وبالتالي التاريخ العسكري ليست الوقائع والاحداث التي يقدمها لنا ولا حتى المبادىء التي يبرزها ، بل قيمته هي بقدرته على اعطائنا نظرة حية الى داخل الماضي وتفهما افضل للحاضر .

١ ــ « ثبت أن القوة المتحركة عندما تعمل بتعاون وثيق مع الجيش عديمة الفعاليــة في العمليات الهجومية » . وكل من له اطلاع على معارك البريطانيين في الصحراء بين ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ يؤكد صحة هذه الملاحظة .

٢ ــ « عندما تستخدم هذه القوة بصورة مستقلة لضرب مواصلات العدو فانها أحيانا تقدم نتائج باهرة ... وان الالتفاف الواسع هو افضل من الضيق المدى » . بعد سقوط فرنسة عام ١٩٤٠ ودخول رومل الى شمال افريقيا ظهر واضحا مدى صحة هذه النظرية .

٣ ــ اخيرا عند مناقشته موضوع قطع خطوط المواصلات المعادية يستنتج ليدل هارت : « بصورة عامة كلما كانت عملية القطع قريبة من القوات كلما زادت فعاليتها ، واذا كانت اقرب الى القواعد التموينية تكون الفعالية اكبر . وفي حالة اخرى تكون الفعالية أكبر بكثير وتأثيرها أسرع اذا تمت العملية ضد قوات متحركة او اثناء تنفيذها لعملية عسكرية اكثر من تأثيرها على قوات ثابتة . هذا فيما اذا لم يكن هناك حواجز صعبة الاجتياز او عدو يتمتع باستقلالية وقدرة كافية على الاستغناء عن قواعده لفترة ما ، عند ذلك تكون الفعالية أكبر عند قطع مواصلات ابعد ما يمكن . مع الاخذ بعين الاعتبار بانه اذا كانت عملية القطع قريبة من القوات فان تأثيرها سينعكس على عقول واذهان الرجال انفسهم اما اذا كانت بعيدة في العمق فان تأثيرها سيكون رئيسيا على عقل القائد المعــادي » .

يمكن للطالب ان يتعلم الكثير اذن من تحليل بعض المعارك المستخرجة من صفحات التاريخ العسكري . ويقدم لنا الجنرال الالماني فريدرتش فون برنهاردي نموذجا لسوء الاستفادة من التاريخ . وهو في طليعة المؤلفين العسكريين الالمان في فترة الحرب العالمية الاولى ومن المحافظين الذين اعتقدوا حتى عام ١٩١٢ بأن هناك ما تزال امكانية كبرى بشن هجوم جبهوي ناجح على العدو رغم المدافع الرشاشة وسواها من الاسلحة الحديثة . وكانت نظريته الاساسية تقول بأن التحول الى تكتيك او استراتيجية اخرى لن يقود الى نتائج جيدة ،

وكان يسعى الى اقناع قرائه بهذه الحقيقة ، ولم يستند برنهاردي الى معركة فيكسبورغ بل الى هجوم غرانت على شاتانوغا . وقال ان قيام الجنرال الاتحادي بهجوم جبهوي ناجح تمكن من خرق كبد الجيش المعادي . « وكان الانتصار الرائع نتيجة هذه المعركة المخططة بهذا الشكل » .

الواقع ان معركة شاتانوغا لم يخطط لها مطلقا ولم تجري وفق التخطيط . فلم تكن لدى غرانت اية نية بالهجوم جبهيا ـ ولم يكن لدى الجنرال برنهاردي سوى معلومات سطحية حول ذلك ـ ولكنه خطط عوضا عن ذلك بالضرب بقوات الجنرال هوكر على احد الاجناب والقيام بهجوم بقوات شيرمن على الآخر ، اما القوات التي تمكنت وحدها من اجتياح قلب المواقع الكونفدرالية على وادي الميسوري كان مخططا لها ان تثبت القوات الكونفدرالية فقط .

لا شك ان الخطوط العامة لصورة المعركة التي أبرزها برنهاردي صحيحة او هي على الاقل صحيحة لدرجة انها تقنع القارىء العادي . وبرنهاردي نفسه كان مؤرخا جيدا اذ انه كضباط شاب قد عمل في فرع التاريخ العسكري في القيادة الالمانية واهتم بحروب فريدريك الكبير . ومع ذلك فان أي طالب اميركي مهتم بالتاريخ قادر على رؤية قلة الدقة فيما قاله برنهاردي عن تلك المعركة بل الخطأ اذ ان هجوم غرانت الجبهوي لم يحصل الا عندما فشلت العمليات على الاجنحة وقررت القوات ذاتيا صعود ومهاجمة التل . لقد نجح الهجوم ليس لان نظرية برنهاردي صحيحة بل لان القوات الكونفدرالية كانت ضعيفة جدا في هذا الاتجاه بعد ان تحركت الى الاجناب للتصدي للقوات المعادية المهاجمة هنــاك .

أما شاتانوغا فقد كانت بالفعل الشواذ الذي أثبت القاعدة ، وان كل نظرية تستند اليها تكون مرتكزة على اساس من الرمال . لو قرأ برنهاردي عن مالفرن هيل ، فريدريكسبورغ ، غيتيسبورغ ، كولد هاربور ، فرانكلين ونانشفيل لخرج باستنتاج مناقض تماما لما ذكره .

مرة اخرى نعود بذاكرتنا الى ملاحظة كلاوزفيتز التي ذكرها قبل ثمانين

عاما قبله : « من مثل هذا النوع من المعالجة الخفيفة والمتسرعة للتاريخ نستخرج المئات من النظريات الخاطئة وعليها نستند لبناء عقائد جديدة » .

هناك فرق واضح بين ليدل هارت وبرنهاردي فالاول سعى للتعلم عبر تحليل موضوعي لبعض المعارك في التاريخ والثاني كان يسعى لاثبات صحة نظرية تبناها مسبقا .

غالبا ما يسعى المؤرخ العسكري الى كلا الهدفين هذين . فعندما كتب ليدل هارت عن استخدام الدبابات في المستقبل في العشرينات فانه بلا شك تعلم من ابحاثه العميقة للمعارك المغولية التي جرت في القرن الثالث عشر اكثر بكثير مما تعلمه من الحروب الحديثة . فقد عرف من المغول بالاضافة الى الحقائق العامة التأثير الناجح لبعض التكتيكات والتنظيمات المدرعة . ويبدو لنا ذلك واضحا بمقارنتنا لجملتين مأخوذتين من كتاباته المبكرة ، وصفه للتكتيك المغولي عام ١٩٢٥ واقتراحاته حول الحرب الآلية التي كتبها بعد عامين .

كتب يقول : ان تشكيلة القتال لدى جنكيزخان كانت مزيجا من خمسة صفوف ، الفصائل تبتعد عن بعضها البعض بفرج كبيرة ، وقوات الصفين الاولين مدرعة بكاملها ومسلحة برماح وسيوف كما كانت خيولهم مدرعة . بكلمة اخرى كانت بمثابة الدبابات الثقيلة . الصفوف الثلاثة الاخيرة لم تكن ترتدي أي درع وكان سلاحها القوس والمقلاع ـ الهجوم المدرع الحديث يجب أن يتم بمزيج من الدبابات الخفيفة والثقيلة ـ .

ومن الصفوف الخلفية للقوات المغولية « كانت تدفع عناصر راكبة للمناوشة مع العدو او قوات خفيفة بمهمة تكبيد العدو بعض الخسائر أثناء تقدمه » (تستخدم الدبابات الخفيفة لتمهيد الطريق بجذبها لنيران العدو وجسها لمدى قوته) . « وفيما بعد عند اقتراب قوى الطرفين من بعضهما البعض تتقدم الصفوف الخلفية عبر الفرج الموجودة في الصفوف الاولى وتصلي العدو ضربة قاتلة بالسهام والمقاليع . ثم بعد ان تدب الفوضى في صفوف العدو تنسحب الى الوراء من بين الفرج تاركة للصفوف الاولى استثمار نتائج ضربتها . نموذج رائع للتعاون بين النار والصدمة » .

ويستنتج ليدل هارت في عام ١٩٢٧ من ذلك حول استخدام الارتال المدرعة ما يلي :

... عندما يتضح ضعف العدو تندفع الدبابات الخفيفة عبر الدفاعات المعادية متبوعة مباشرة بدبابات القتال . اما اذا كان العدو قويا على الدبابات الخفيفة ان تتوقف في موقع مناسب للرمي وتكون سدا ناريا جاهزة للتحرك في الوقت المناسب ، اما الدبابات الثقيلة فتتحرك عبر هذا السد الناري وتندفع باتجاه العدو واذا ما تعرضت لنيران أي سلاح مضاد تقوم الدبابات الخفيفة بتدميره بنيرانها ... وما ان تتخطى دبابات القتال النسق الاول من الاسلحة المضادة حتى تتحرك الدبابات الخفيفة وتتابع تقدمها عبر دبابات القتال لتكرر نفس الاسلوب . وبهذا يكون هجوم الدبابات عبارة عن عمليات متناوبة بين الحركة والنار . ويمكن للدبابات الخفيفة تبعا لكثافة النيران المعادية وظروف المعركة اما اتخاذ مواقع رمي مناسبة او التقدم والرمي كالطريقة المغولية ومن ثم الانسحاب قليلا الى الوراء حيث تتخذ مواقع رمي لها .

وهكذا نجد أن التاريخ قد أعطى للمنظر أسسا لافكاره . ولكن بعد أن اصبحت نظريات ليدل هارت ناضجة تحول الى التاريخ العام ليؤكد الدروس التي تعلمها هو من بعض المعارك الخاصة . فاستراتيجية « التقرب غير المباشر » التي تعتمد على اسس نابعة من عدد كبير من الحروب عبر التاريخ تبدو للقارىء المتابع لاعمال ليدل هارت انها كانت ناجحة جدا طيلة الفترات التاريخية السابقة .

والواقع هنا ان التاريخ لم يضف الى معلومات المؤلف سوى القليل . ولكن الفائدة الكبرى كانت بأنه سمح له بالحصول على شواهد تبرهن انه بنى نظريته على اسس فلسفية .

وقد اوضح ذلك ايضا الكونت فون شليفن رئيس اركان الجيش الالماني قبل الحرب العالمية الاولى . كانت المسألة التي تؤرقه كل ليلة هي كيف يخطط لهجوم ناجح على كلتا الجبهتين الفرنسية والروسية . وبدا له من الضروري التفوق على اعدائه كل بمفرده ، وان جغرافية وتخلف المجتمع الروسي تفرضان

عليه تركيز جهده أولا على فرنسة . ولكن كيف يمكن تحقيق نصر حاسم في المناطق المتاحة للغزو الالماني بوجود جبال الفوج والقلاع الحصينة في بلفور وتول وفردان ؟

وقد وجد الجواب على هذه التساؤلات في التاريخ ــ التاريخ القديم جدا . فخلال مطالعته للجزء الاول من كتاب هانس دلبروغ « تاريخ فن الحرب » أعجب شليفن بمعركة كاناي Cannae حيث حقق جيش هانيبال ، بعد ان أخلى الجبهة ، نصرا ساحقا على القوات الرومانية المتفوقة بمهاجمتها من كلا الجناحين . التطويق اذن كان المفتاح للنصر . والواقع ان خطة شليفن اعتمدت على اضعاف القوات الالمانية على طول الحدود المشتركة وايهـام الفرنسيين بأن الهجوم سيكون باتجاه اللورين في الوقت الذي كان الحجم الرئيسي للقوات الالمانية يتحرك عبر بلجيكا لضرب الفرنسيين على جناحهم الشمالي وتجميد القوات الفرنسية داخل الجيب المؤلف من جبال الالب السويسرية ونهر الراين. وما ان اكتشف هذا المفتاح حتى سعى شليفن الى الكشف عن اسرار القادة الكبـار . ونظرا لكتاباته المطولة عن معارك فريدريك الكبير ونابليون ومولتكه فقد لاحظ في كل نصر نتيجة مباشرة لمحاولات هؤلاء بالالتفاف على اعدائهم .

ورغم كافة هذه الوقائع أصر برنهاردي على سنده التاريخي لدعم نظريته الخـاصة .

هناك استخدام آخر ــ واستغلال ــ للتاريخ العسكري . علينا أن نتفهم بوضوح انه في حين توجد كتب تتضمن أبحاثا معدة للتعلم هناك كتب اخرى مكتوبة كواسطة للتدريس . وهذا صحيح بصورة خاصة في القرن التاسع عشر . فكتب السير باتريك ماك دوغال « نظرية الحرب » ، وكتاب السير ادوارد بروس هاملي « مبادىء الحرب مشروحة ومصورة » وكتاب ماتيو فورني ستيل « المعارك الاميركية » كلها استخدمت التاريخ لابراز نظريات الخرين .

ومؤلفات ستيل خير مثال على هذا النوع من الكتب . كان ستيل برتبة رائد عندما الف كتابه في فورت ليفنورث واعتمد هذا الكتاب في وست بوينت طيلة جيلين . ولكن آراءه في الاستراتيجية اشبه بالسلطة اذ ملأ صفحات

كتابه باستشهادات من اقوال معظم الكتاب العسكريين البارزين في القرن التاسع عشر . لهذا السبب لم يستطيع ان يقرر فيما اذا كان الهدف الاستراتيجي يجب ان يكون تدمير مدينة او تدمير القوات المعادية او انه هدف سياسي ، لماذا مثلا كانت مدينة ريتشهوند وجيش الجنرال لي هما هدف القوات الاتحادية عام ١٨٦٢ ، واصبحت قوات لي وحدها هي الهدف الحقيقي بعد عامين ، لماذا يقبل في صفحة من كتابه قول كولبار فون غولتز : « الهدف المباشر الذي يتوجب توجيه كافة القوى ضده هو الجيش المعادي » في حين انه في صفحة اخرى يقول بصراحة — وبلا تبصر — « ان مجال الاستراتيجية هو ارهاب الشعب المعادي اكثر مما هو ايقاع الهزيمة وتدمير قواته المسلحة » .

ان كتبا كهذه التي كانت السائدة في تدريس الطلبة العسكريين قبل الحرب العالمية الثانية ، لا تدرس التاريخ بل هي استاذا يستخدم التاريخ ليبرهن عن نظريات واسس مقبولة ومتبعة مسبقا . ان النظرية هي التي تقدم اسس المحاكمة التاريخية لاستراتيجية وتكتيك المعارك الاميركية . واذا لم تبرز مجموعة من الاسس — طالما ان كل فصل يبرز ناحية مختلفة عن سابقتها — فذلك يعود الى كون الجيش الاميركي نفسه لم يكن له عقيدة مميزة في تلك الايـام .

واذا نظرتم الى التأريخ الالماني لحرب البوير والحرب الروسية اليابانية ستجدون نفس الدروس المستخلصة من كل معركة ، لقد تجنب التاريخ الالماني دوما ابراز مساوىء المفهوم الالماني للحروب لذلك كان الانتصار الياباني في منشوريا مدعاة لشعور مشابه لشعور الاستاذ الذي شهد تفوق تلميذه ، وكان تدريب الجيش الياباني يجري باشراف الضباط الالمان ، فهل باستطاعة المؤرخ خاصة اذا كان ضابطا عاملا ان يقدم احكاما تاريخية تصفع العقيدة القتالية الرسمية ؟

الآن في قواتنا المسلحة وخاصة في فترة غروب حرب لاشعبية وغير ناجحة اتمنى من الضباط ان يشعروا بالحرية التامة في نقدهم للسياسات والعقائد . واني اعتقد انه مما يفوق طبيعة البشر ان نجد تشويها اكبر من الذي ساد

اوروبا حينما كانت مقسمة الى معسكرين مسلحين يملك كل منهما اعدادا من الجنود ليست لديهم اية خبرة قتالية ، وعندما كانت المشاعر القومية معتبرة كقوة توازي المسيحية .

عندما يدعى الى كتابة تاريخ رسمي خاصة التوثيق الرسمي لبعض المعارك التي خاضها جنوده يسعى المؤلف غالبا مدفوعا بأسباب عدة الى مجافاة الحقائق التاريخية . فالتأريخ الرسمي البريطاني للعمليات الحربية في الحرب العالمية الاولى نراه غالبا مشوها ليس بالضرورة من حيث الوقائع او التنظيم او وصف المعارك وانما في مجال تأويلها وتحليلها . وقد كتب عنها احد المنظرين المحترمين « الوقائع كلها صحيحة ولكن جو الحقيقة مفقود » فالعميد جيمس ادموند مؤلف معظم الاجزاء وناشر الباقي منها كان قد كلف اصلا « للكشف عن حقيقة ما حصل كي تكون مادة للدراسة ومنطلقا للتوجه بموجبها في المستقبل » . وقد اعترف لاخصائه : « اريد من شباب الجيش الذين سيشغلون وظائف كبرى فيما بعد ان يروا اخطاء اسلافهم انما دون ان اقول الكثير للجمهور » ثم اعترف في وقت لاحق : « لا يمكن للانسان ان يقول الحقيقة » . فالولاء للجيش كان دوما يقف حائلا دون ذلك ، وعندما وصل العميد ادموندز الى المجلدات الاخيرة سمح لسواه بكتابة محتويات النصوص في حين انه في مقدمته كناشر اهتم بكتابة ما يتعلق بآراء الاركان العامة البريطانية في ذلك الوقت .

ألف أحد زملائه جزءا عن معركة غاليبولي ولكن يبدو أن هذا أيضا لم يجرؤ على كتابة كل شيء . وعندما طلب احد الناشرين من العميد اسبينال اوكلندر في عام ١٩٣٥ تعليقه الشخصي على تلك المعركة اجابه هذا الاخير بلطف : « لا استطيع كتابة رواية غير رسمية دون ان أعبر عن قناعاتي الشخصية التي ستتعارض مع العديد مما قتله في الوثائق الرسمية ، واني اشعر ان هذا بالاضافة الى كونه عمل يفتقر الى الذوق والاحترام سيكون غير عادل بالنسبة للحكومة التي دفعت لي اجور كتابة التاريخ الرسمي » .

ويقول الجنرال السير ايان هاملتون القائد البريطاني في غاليبولي خلال

حديثه عن حرب سابقة : ... « يمكننا ان نرى الحقائق عارية تماما يوم المعركة بالذات ولكن ما ان يأتي صباح اليوم التالي حتى تكون هذه الحقائق وقد بدأت ترتدي ثيابها الرسمية » .

وهذا لا يعني ان هذه المشكلة قد اعترضت ايا من الوثائق التاريخية الرسمية الصادرة عن بلادنا حول الحرب العالمية الثانية . اذ انه تبعا للسيد مارتن بلومنسون مؤلف كتاب جديد عن حياة باتون : « .. أثبتت الدراسات التاريخية ان ما ورد في الوثائق الرسمية التي وضعها المؤرخون العسكريون قد كتبت بأمانة » . وقد أوضح العوامل التي قادته الى هذه القناعة بأن الذين قاموا بالعمل كانوا من المؤرخين المحترفين والمشهود بمقدرتهم ، والحرية التي منحت لهم بالوصول الى اية وثيقة وعدم خضوعهم لاية مراقبة او تعرض عملهم لاي حذف . ويستنتج بلومنسون : « عملنا بكامله رسمي ، ونظرا لطبيعته علينا كتابة التاريخ بأمانة والا لا يسعنا الا لوم أنفسنا » .

وقد صرح أحد المؤرخين البريطانيين المعروف بنظرته غير المتعاطفة مع حلفائه الاميركيين : « ان موقف السلطات الاميركية تجاه البحوث التاريخية لم يفق كل تقدير فحسب بل انه ايضا كان تحقيقا لاهم الآمال الهادفة الى خدمة الانسانية . لم تكن هذه السلطات تخشى الحقائق التاريخية » .

هناك نقطة اخرى في هذه السلسلة من الملاحظات . يخضع التاريخ العسكري الى ضغوط ومشاكل لا يتعرض لها أي تاريخ آخر . فالمنظر المهتم باكتشاف أفكار تؤيد موضوعا يهمه يستطيع تقليب صفحات التاريخ القديم حتى يجد أقوالا ذهبية تؤيده . وغالبا ما يسعى بعد ايجادها الى استغلال التاريخ لمساعدته في اقناع الاخرين ، وهذا ايضا ما يقود الى بعض التشويه . ان من يسعى الى اكتشاف قوالب جاهزة للحرب غالبا ما يقترب من التاريخ بشكل خاطىء ، اذ ان معرفته المسبقة لما يرغب بالعثور عليه يفصل الحقائق التاريخية لتتلاءم وافكاره المسبقة . وهذا ليس بالضرورة خاطئا ولا تقود هذه الطريقة حتما الى رؤية غير صائبة ، ولكن هذا ليس تاريخا .

عندما يمسك العسكري بالقلم يجد صعوبة ، ولاسباب عديدة مفهومة ،

في نسيان كون يده مدربة ايضا على مسك السيف . هناك سمعة يجب احترامها، وولاء لا يمكنه تجاهله حكومات عليه ارضاؤها . كما أن هناك مدنيون معارضون للحروب ويسعون الى اغماط حق الذين يخوضونها . ويمكن اعتبار الكتاب الجديد الذي ألفه السيد « فير » حول « غباء القادة غير العظماء »(١) من هذا النـوع .

يفتقد العديد من المؤرخين المدنيين — وانا شخصيا من ضمنهم — الى خبرات شخصيـة او معلومات تقنيـة ضرورية لكتابـة التاريخ العسكري . باستطاعتي متابعة تحركات الالوية والفرق خلال المعركة ولكني لعدم استخدامي المدفع بمشاعر الحنق ، فلا استطيع سوى الاعتماد على الارين لمعرفة الابعاد النفسية للمعركة . كما اني لست على اطلاق بالمعدات الحديثة لدرجة تكفي لان اكتب ما هو جدير بالقراءة .

ولكن هذا لايعتبر حاجزا في نظر الكثير من المؤرخينالعسكريين، فيتعرضون الى مثل هذه المواضيع لانها شعبية وتمس الجميع . كثيرا ما تطرح علينا اسئلة حول الموقف الحالي قد تربك حتى معاون وزير الدفاع .

يمكن الاشارة الى مشاكل اخرى لها علاقة بكتابة التاريخ العسكري . انه موضوع جديد وغالبا ما يكون بين ايدي رجال غير ناجحين . ومن السهل جدا تشويهه بسبب الاعتزاز القومي والحماس الزائد ودوافع اخرى . ان متطلبات التاريخ العسكري تفوق متطلبات اي تاريخ آخر ويبدو انه لا يمكن فصله عن الدروس كما لو ان الدروس يجب أن تبعد عن المؤرخ أو تجعل بعيدة عن الظروف الزمنية . يمكن للانسان ان يكتب عن حركة اجتماعية او تيار فكري او حدث سياسي او مسألة دبلوماسية دون ان ينتظر احد منه ان يستخلص دروسا يمكن تطبيقها من قبل المجتمع او الحكومة .

---

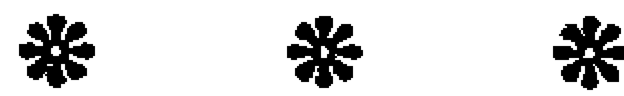
(1) Charles Fair, From the Jaws of Victory : A history of the Character, Causco and Consquencis of uilitary stupidity, from Crassus to Johnson and Westmorland (Now Yor- : Simon and Schuster 1971).

في عالمنا هذا وخاصة في مجتمعنا يعتمد الكثير على الناخب القادر على فهم المواضيع والاراء حولها . باستطاعة التاريخ مساعدتنا في فهم الاشياء بكثير من العمق والوضوح ، وذلك لان العديد من مشاكلنا الحالية التي تتطلب التدخل العسكري هي نوعا ما مشابهة لاحداث وردت في التاريخ العسكري وبالتالي اصبح هذا هاما سواء للعسكري منا او المدني .

انما ذلك يتطلب اشخاصا متطورين قادرين على فصل الشعير عن القمح . على الانسان على الاقل ان يتفهم ان ليس كل ما يقرأه في الكتب أو الصحف يمكن اعتباره حقيقة واقعة ، عليه ان يفتش بنفسه عن اجوبة لتساؤلاته كما عليه ان يتعلم كيف يقيم ما يقرأ .

المسألة الاساسية في الاعلام اليوم ليست على الارجح ما يمكن للحكومة حجبه عنا بل هي كيف نقيم المعلومات المختلفة والمعضلة والمتناقضة غالبا ، التي تصلنـا .

يمكن للتاريخ العسكري ان يقدم اهمية وفائدة متزايدة . ولكنه ايضا قد يستغل وحسنا يفعل من يتذكر قولا قديما لاحد الكتاب الالمان منذ ٢٠٠ سنة : « الكتاب ، حتى الجيد ، هو مرآة عندما ينظر اليها قرد لا يستطيع رؤية قديس » .



القِسْم الثّاني

القــوات المسلحة والمجتمــع

القوات المسلحة والمجتمع : بعض الفرضيات

تيودور روب

التبدل الثقافي ، التطور التكنولوجي وادارة الحرب في القرن السابع عشر

دانييل ر. بيفر

تعليق النــاشر :

اهتم « التاريخ العسكري الحديث » الذي وضعه مؤرخون مدنيون سواء في الولايات المتحدة الاميركية او خارجها منذ الحرب العالمية الثانية بالعلاقات المتبادلة بين القوات المسلحة والمجتمعات التي تخدمها . وقد اصبح موضوع هذه العلاقة هو « المحور الاساسي للتاريخ العسكري » لدرجة انها اصبحت المنطلق الاساسي لتعريف اية قوة مسلحة على « انها امتداد للمجتمع الذي افرزها » . وتبعا لذلك فان القوات المسلحة نادرا ما تكون اقوى من المجتمــع الذي افرزها ، كما وان مجتمعا مريضا لا يمكنه ان يفرز قوات مسلحة قوية .

وقد جعل المؤرخ البريطاني كودولي بارنيت ، وهو يتمتع بموهبة خاصة بين جيل المؤرخين العسكريين المشهورين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في دولة عرفت بانجابها محترفين اكفاء في هذا المجال ، من كتابه « حملة السيوف:

القيادة العليا في الحرب العالمية الاولى »(١) ، بحثا حول كيف امكن لاربع قادة اكفاء في الحرب العالمية الثانية ان يجسدوا قوة وضعف امتهم . الادميرال السير جون جليكو قاتل بسلاح متخلف ـ الاسطول البحري الملكي بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وضعفه من حيث شكل الهيكل والتسليح والتصفيح ـ لان البحرية البريطانية كانت امتدادا للمجتمع البريطاني ولان الضعف الكامن في المجتمع البريطاني الفكتوري كان لا بد وان ينعكس على البحرية ، ويقول بارنيت « لم يكن للصدف او سوء الحظ او سوء تنفيذ الضباط أي شأن فيما حدث لجليكو وللاسطول البحري الملكي في معركة جوتلند . فهذه المعركة لم تكن سوى جزء من عملية الانحلال التي بدأت حوالي عام ١٨٧٠ عندما نسي البريطانيون أن الحياة هي انعكاس للتطورات اليومية ، وان لا شيء يبقى على ما هو بل يتطور او يموت » . ويستنتج بارنيت « كانت جوتلند احدى المعارك الحرجة في التاريخ اذ حددت بداية المرحلة النهائية للقوة البريطانية العالمية وسيطرتها البحرية المطلقة التي انتهت عام ١٩٤٥ بأن تصبح البحرية البريطانية عبارة عن « قوة الصدمة ٧٧ » ضمن اطار الاسطول الاميركي في الباسيفيك وتحولت بريطانيا نفسها الى الحاجة الى العون الاقتصادي .

ولكن هذا الكلام المفجع والذي ربما كان تحليلا رائعا ، هو بنفس الوقت محدود نوعا ما . من المعروف ان ارنولد توينبي قد كتب عن انهيار الامبراطورية البيزنطية حوالي عام ١٠٠٠ ، رغم ان هذه الامبراطورية في الواقع استمرت اربعة قرون ونصف بعد ذلك ولكن توينبي يعتبر هذه الفترة وكانما لم تكن ، فهو يرى ان تعدد الامراض التي اصابتها في تلك الفترة تجعلها وكأنها قد انقرضت ، ولكنها رغم ذلك امكنها من مجتمع مريض خلق قوة عسكرية هائلة . فاذا كانت القوات المسلحة امتدادا للمجتمع الذي تخدمه ، واذا كان المجتمع المريض غير قادر على انجاب قوات مسلحة قوية فان المؤرخين العسكريين يجدون ما يناقض هذا

---

(1) The Swordbearers : Supreme Comm and in the First World War (Paper back edition, Bloomington : Indiana Universily Press, 1975).

الرأي لدى توينبي وعليهم اعادة النظر في العديد من الخبرات التاريخية ودروس عصور كثيرة .

وهكذا نعود الى فقر المعاني التاريخية . ان اعتبار القوات المسلحة امتدادا لمجتمعها شيء مفيد ،ان نضع التاريخ العسكري في اطار التاريخ الاجتماعي واخراجه من دائرة المعارك الفعلية البحتة ، هو اهم انجازات التاريخ الحديث للمجتمع . ولكن ، في مجال التاريخ يحمل كل تعميم خطر كامن فيه ، وان مقولة كون القوات المسلحة هي امتداد المجتمع هي تعميم تاريخي آخر يتطلب حذرا شديدا في تطبيقه وقد يقودنا الى التخبط والغموض .

في عام ١٩٧١ قام تيودور روب ، لصالح دورة الابعاد الجديد بدراسة اكثر عمقا للتداخل بين القوات المسلحة والمجتمعات انطلاقا من الدراسة المتعة للسيد ستانبسلاف اندريسكي : التنظيم العسكري والمجتمع (بيركلي — جامعة كاليفورنيا برس ١٩٦٨) واذا كانت مقولة كون القوات المسلحة انعكاس لمجتمعها مبسطة المفهوم فقد نجد هنا بداية فكرة مناقضة ولكن على القارىء ان يفهم بوضوح ان التناقض هو جزء من اسلوب البروفسور روب .

واننا هنا نجتاز مرحلة ملموسة من مجال التاريخ العسكري العالمي مع مؤلف اعتبر كتابه « الحرب في العصر الحديث »(١) منذ فترة طويلة مرجعا معتمدا للنظريات الكلاسيكية في هذا الموضوع كما ان البروفسور روب يعتبر جزءا من « التاريخ العسكري الحديث » منذ ان بدأ الاهتمام به .

وقد عمل في جامعة ديوك على اعداد وتخريج طلاب في التاريخ العسكري اكثر من اي شخص في الولايات المتحدة الاميركية .

وفي الفترة بين ١٩٧٢ — ١٩٧٣ كان اول الاساتذة الزائرين في دورة التاريخ العسكري في كارلايل باراكس .

---

(1) War in Modern World, (revised ed. New York Collier Books 1962).

القوات المسلحة والمجتمع

بعض الفرضيات

البروفسور تيودور روب

ليس هذا البحث سوى مساهمة في اضافة خبرة تاريخية وبعدا أعمق لما هو موجود فعلا من معلومات ومفاهيم .

تكمن فائدة التاريخ العسكري في مساهمته في توسيع مداركنا وليس لحل بعض الاحجيات . وقد تحول هذا التاريخ الى مخدر للعقول فذنب ذلك يقع على اسلوب الاستفادة منه . ان الوصف الذي اطلقه السير كيث هانكوك على التاريخ العسكري بأنه « مستودع خبرات » صحيح ومفيد في ايجاد حلول للمشاكل الاجتماعية ، اما في مجال الاستراتيجية والتكتيك فقد يقود الى كوارث .

وهناك أبحاثا موسعة أدت ببعض القادة ، مع الاسف ، الى الشعور بنشوة متزايدة كلما تعمقوا في هذا التاريخ ، اذ في الوقت الذي يمكن فيه ، كما لاحظ « بنديتو غروس » ، تحويل بعض خصائص الحقائق التاريخية الى مفاهيم عامة لا يجوز صياغة مفهوم عام استنادا الى حالة ملموسة(١) . وان اختيار جورج باتون قول نابليون : « كي تكون عسكريا ناجحا عليك قراءة التاريخ » ، بدلا من كلمة يوليبيوس « التاريخ هو أصدق معلم . . . في مجال العمل السياسي »(٢)، مثال واضح على ذلك . لان باتون هو نوع من القادة العاملين في المجال العسكري اساسا وهو مثله مثل شارل الثاني عشر السويدي او هوراثيو نلسون ، يشعر بالنشوة في خوض المعارك . في حين ان حليف باتون الفيكونت مونتغمري كان نوعا آخرا من الرجال أنعم الله عليه بالحذر والتحفظ .

لم تعرف مجتمعات الحلفاء قيادة افضل اذ تمتع كل من ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت باحترام كبير واعتبرا من القادة الكبار للشعوب ، ولكن تشرشل كديغول كان يشرب كثيرا من التاريخ . في حين ان روزفلت وايزنهاور فقد كانا يعرفان عنه اكثر بقليل مما يعرفه الجميع عن الاقتصاد .

ان ما نحتاجه للقيادة هو الفهم المنطقي للرجال ومشاعرهم وللتكتيك والتكنولوجيا « فالقوات المسلحه التي تعكس النواحي الاجتماعية والثقافية للمجتمع قد وجدت لتخدم وهي تمثل قوة وضعف الامة » . ولكن طالما ان الدولة والمجتمع والثقافة والامة لم تكن بعد سقوط روما متشابهة في الغرب او في روسيا حتى قيام الحروب الشعبية التي بدأت بالثورة الفرنسية والاميركية ، اسمحوا لي ان اطرح مفهومي الخاص للمساهمة العسكرية ، للطاعة العسكرية والترابط الاجتماعي (بدل العسكري) لتصنيف ستانيسلاف اندريسكي حول « التنظيم العسكري والمجتمع »(٣) منتقلا الى عصرنا بعد لمحة سريعة على الحروب الرومانية وحروب الغرب الاقطاعية .

لقد نوهنا سابقا بالخطر الكامن في الاعتماد على مثل هذه الحقائق التاريخية ، اذ ان قيمتها ، اذا اتبعنا اسلوب الاركان في تقدير الموقف ، تكمن في دفعنا الى رؤية كل مظهر بالشكل الذي دعاه كارل فون كلاوزفيتر « حرباء » الحرب ، التي تبدل من صفاتها في كل موقف ملموس ، كما تبدل من عنفها الاساسي ومن جوهرها ، تبعا لقانون الاحتمالات والحظ ، وان تدفع بالاداة السياسية التي ترتبط بها الى عالم الذكاء البحت(٤) .

وقد جاء في احدى مقولات كلاوزفيتر القليلة : « اذا شئنا ان نتغلب على خصمنا علينا ملاءمة جهدنا مع قدرته على الصمود الناجمة عن محصلة عاملين متلازمين : الوسائط المتوفرة لديه وقوة تصميمه . اما الاول فبالامكان تقديره اذ انه يعتمد اساسا على الارقام اما الثاني فهو تقريبي اذ يقاس بالابعاد والدوافع الكامنة وراءه ، وطالما ان حرب نابليون كانت في البدء ، وحيدة الجانب ثم ثنائية الجانب ، مشكلة امة بكاملها . فلم يعد لهذا العامل حدودا ملموسة بسبب مساهمة الشعب في المشاكل الكبرى للدولة وذلك نابع جزئيا من الثورة الفرنسية وجزئيا من الموقف العدائي الفرنسي تجاه كل الامم »(٥) .

وقد خشي كلاوزفيتر وسواه من المصلحين المحافظين البروسيين من ان تقود هذه الحروب الشعبية الى تدخل الشعب اكثر فأكثر في « المسائل الكبرى » الاخرى . وكان الانجاز السياسي الرئيسي لهؤلاء المصلحين المحافظين في القرن التاسع عشر هو دعوتهم للقومية الالمانية والليبرالية والثورة الاقتصادية. أما ثورية العلاقات بين التكنولوجيا والثقافة والعمل الحربي ، مع طرح مسائل عسكرية جديدة داخلية وعالمية وتقنية فقد كانت ظاهرة بريطانية بعيدة عن أيام كلاوزفيتر .

وهكذا نجد ان « القوات المسلحة والمجتمع » موضوع يمس جوانب عدة سأبدؤها انطلاقا من : ١ ــ ان في معالجة موضوع واسع او فترة طويلة من الزمن نجد في كافة التصنيفات التاريخيـــة والنظريات العامـــة نقاط ضعف اساسية ، ٢ ــ نظرا لتزايد قيمة العلاقة بين المجتمع والقوات المسلحة فان هذه الاخيرة اصبحت مرآة للدولة وللثقافة وللمجتمع وللامة اكثر من أي وقت مضى ، ٣ ــ ان التكنولوجيا كانت مفقودة في النظام العسكري قبل القرن العشرين ، ٤ ــ وسأخرج في النهاية بمجموعة من المقترحات او الفرضيات حول العلاقات التاريخية بين القوات المسلحة الاميركية والمجتمع ، بغية ابراز نقاط القوة والضعف في اكثر الدراسات شعبية حول « القوات المسلحة ... كمظهر هام في السياسة الاميركية » لصموئيل هاندينفتون « العسكري والدولة »(٦) .

الرومـــــــان

كانت روما دوما مصدرا لا يقدر بثمن للنظم العسكرية والاجتماعية اذ ان الانحطاط الخلقي والسياسي والعسكري هو الذي يفسر انهيارها . ويعكس الرومان الخبرة الغربية انطلاقا من نظرة اندريسكي الى العلاقة بين المجتمـــع والقوات المسلحة الوصفية الى درجة كبيرة (رأسمال يزيد من هذا الترابط ومرؤوسية العسكري ، والترابط العسكري) الى النظام الجمهوري (مـــع هوارسيوس وسنسيناتوس) الى الاحتراف الضيق خلال الحروب الاجتماعية والاهلية والامبراطورية التي انتهت في الغرب عام ٤٧٦ بعد الميلاد .

استولى الامبراطور جوستينيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥) وحلفاؤه من جديد على

افريقيا القرطاجنية واسبانيا وايطاليا وقضوا على بلاد فارس الساسانية ودفعوا ثمن ذلك اجتماعيا مما يساعد على تفسير النهضة الاسلامية في العصر التالي . وتحول النظام البيزنطي الى الترابط الوثيق بين القوات المسلحة والمجتمع حتى أمكن طرد العرب من القسطنطينية (٧١٧ ـ ٧١٨) ثم تحول هذا النظام الى النموذج الروماني الغربي للانحلال أي المرحلة التي يدعوها اندريسكي بالنظام الاقطاعي(٧) وفي حين ان هذا النموذج الذي اعتمده اندريسكي مفيد جدا اذ حول مركز القوة من العسكرية الى الترابط الاجتماعي مما أمكنه تفسير هذا الترابط الصعب عسكريا ـ اذ ان خضوع السلطة العسكرية العليا لا يتلاءم مع الترابط ـ الذي ادى الى نجاح القوات الاقطاعية الصغيرة باحراز النصر لان الترابط بين مستوى عسكري عال ومستوى اجتماعي أدنى منه لا يعطي أية فائدة . ويمكن عبر نفس المثال ايضاح تطور روما من الترابط العسكري ـ الاجتماعي حتى الحروب البونية (٢١٨ ـ ٢٠١ ق.م.) الى نظام الاحتراف العسكري للعمل عبر البحار خلال الحروب الاهلية واعادة التنظيم العسكري والسياسي الذي قام به أوغستان (٣١ ق.م ـ ٤١ ميلادية) الذي اعاد السلام وسمح بتبني مفهوم الترابط العسكري الاجتماعي .

وكانت الحروب الاهلية وأعمال العصيان والتوسع ثم الغزوات البربرية اللاحقة ، أقل اهمية من اللحمة الاجتماعية المتنامية التي انتهت بانتصار المسيحية .

ويلاحظ شيستر ستار الابن في كتابه « الحكومة والقانون » ان « المساهمة الرومانية البحتة كانت العامل الاهم اذ انها بمواقفها الانسانية تبعا لمفهوم التعاليم المسيحية ومحاولة تطبيقها عمليا ، حطمت ارضيتها الهشة » .

وفي حين نجد لدى اندريسكي في مراجعته لمراحل تناوب سيطرة العسكريين وسيطرة المجتمع وصفا غير مستقر فاننا نجد في التفسير الاخير ايضاحا لما حدث بعد ذلك عندما تحولت المجتمعات الاقطاعية البروسية والروسية الى مرحلة سيطرة المجتمع ثم السيطرة العسكرية (النظام الحديدي البروسي) الذي تحطم امام تجربة حرب كبرى ـ وقال السير جون موناش في عام ١٩٢٠ ، ان كلاوزفيتز كان قد ابدى تخوفه من ذلك ـ(١٠) .

وكان الحزب الوطني الاشتراكي الالماني والجيش يشكلان مجتمعا مترابطا متوازن القوى وقد ادى ضغط هذا الحزب ومرحلة التصنيع الشيوعية الى وجود جيش أحمر تحول من سيطرة مهتزة للعامل العسكري الى ترابط وثيق بين العاملين العسكري والمجتمع .

اشار كلاوزفيتز ، الذي لم يكن كلاسيكيا ، مرة واحدة في كتابه « في الحرب » الى روما التي كانت محط انظار جمهوريي القرن الثامن عشر : « كانت روما كبيرة بحلفائها اكثر من فتوحاتها . وعندما زاد انتشارها حتى جنوب ايطاليا بدأت فعلا كقوة فاتحة ، كانت قواها هائلة ولكنها لم تعد تشابه الجمهوريات القديمة ... فأصبحت وحيدة »(١١) .

كان بمقدور روما مع حلفائها ومستعمراتها ومعظم سكانها من الرومان الذين فقدوا جنسيتهم الرومانية واحتفظوا بحقوق المواطنية ، أن تعبىء ٧٥٠٠٠٠ رجل خلال الحرب البونية الثانية . وبلغ تعداد الرجال في عشرين او ثلاثة وعشرين فيلقا ، حوالي ٢٥٠ الفا ن مجموع السكان الذين بلغوا ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ أي نسبة ليست ببعيدة عن المقاييس الحديثة ١٠٪ من مجموع السكان في حرب أهلية . وسواء كان التوازي مقصودا ام لا فان شرح كلاوزفيتز لنجاح روما هو بوليبيان : « كان للرومان الاساس المناسب لوضع خططهم لقيادة العالم ، وكذلك امكانية كافية لتحقيق ذلك »(١٢) .

بوليبيوس بالاضافة الى هيرودوت ، هو مؤرخ قديم اعطى اهمية كبرى للتكنولوجيا . فقد ذكر بدقة المهارة في صناعة الاسلحة الرومانية وكيف ان انحناء القوس كان مثاليا ومتانة الرؤوس الحديدية للرماح وصلابة الدروع القادرة على الصمود ضد السيوف او البلطات الثقيلة . كما تحدث عن السرعة التي تمكن فيها الرومان من تبني الخيالة الثقيلة اليونانية عندما كانوا يضطرون لمقاتلة هذا الصنف من الخيالة : « الرومان اكثر من سواهم كانوا قادرين على تبديل اساليبهم وسريعين في تقليد اية طريقة افضل »(١٣) . ونحن نعلم انهم أخذوا عن البرابرة تقنية الصناعة الحديدية وكان فلاحوهم يعملون بأساليب أحدث وأقل خطرا في الاراضي الموبوءة بالملاريا من خصومهم القرطاجنيين

واليونانيين . وقد سمحت المسيرات الليلية وعمليات الاستطلاع الدقيقة والنظام الجيد للمسير الطويل بالتوغل داخل ارض العدو مباشرة نحو النقاط القوية المعادية . ولكن الثقة الزائدة التي قادتهم الى كمائن سببت لهم كوارث بحرية بعد انتصاراتهم الاولى في الحرب البونية الاولى .

لجأ الرومان الى القوة كحل لاية مشكلة وكانوا يعتبرون ان عليهم ان يحققوا حتما أهدافهم مهما كان الثمن ، وغالبا ما كانوا ينجحون بسبب تصميمهم ولكنهم عندما كانوا يصطدمون بالبحر او العوامل الجوية الاخرى كانوا يصابون بهزائم كبيرة . وقد تعرضوا لذلك عندما تخلوا عن قناعتهم بأن هناك قوى تجعل كل موسم مناسب لهم للسفر والابحار(١٤) .

كان الدستور القرطاجني قد تجاوز ذروة قوته عندما بلغ الدستور الروماني ذروته ، وبالتالي كان الشعب القرطاجني قد امتلك القسط الاكبر من القوة والسلطة في الوقت الذي كان « للمجلس » في روما اليد الطولى . ولكن بوليبيوس لم يركز كثيرا على هذا النموذج الاغريقي او على فكرة « ان الايطاليين هم متفوقون بطبيعتهم على الفينيقيين أو الشمال افريقين ، الذين يتمتعون بالقوة الجسدية ويتصفون بالشجاعة » ، ولكن ابرز « العادات » والتقاليد التي طورت هذه الصفات لدى الشباب وارست مفهوما موحدا لدى الشعب بكامله ، واذا كان الايمان القوي بالخرافات غير هام في مجتمع مثقف فانه الاسلوب الوحيد لكبح جماح الجماهير بواسطة اخافتهم بأفدح العواقب وتضخيم المراسم التي تبرز ذلك »(١٥) .

ولكن بوليبيوس (٢٠١ ــ ١٢١ قم) الاغريقي الخارج لم يكن مضطرا لكتابة تاريخا يمجد الاغريق فيه اما ليفي (٥٧ ق.م ــ ١٧ ميلادية) الذي كان يبشر بالفضائل الانسانية بعد حروب اهلية طويلة فقد وجد لها اهمية كبرى .

وعلى الرغم من ان هذا لا يمكن ان ينفصل عن واقع كون بوليبيوس قد احسن استقباله من قبل حلقة السيبيونيك قد أصبح مصدرنا الرئيسي بالنسبة للاحداث التي يصفها ، وتحليله لنهضة روما قريب الشبه

من تحليلنا . اما « ستار » فانه يرى ا ن التاريخ الروماني هو اسطورة تعكس الحقائق :

من مجتمع بسيط زراعي محافظ مرتكز على تقاليد عائلية عميقة الجذور ، محاط بالاعداء ... كان على هذا المجتمع ان يحارب بعنف وبصورة مستمرة وكانت الفضيلة هي التمتع بالشجاعة في القتال ، وكان التوسع الخارجي يتطلب وحدة وتذليل الصعاب الداخلية بتوجيهها نحو اعداء خارجين ... وقد دفعت الحاجات العسكرية للدولة بالارستقراطيين الى اتاحة المجال للعامة في بعض الاحيان . لقد انتصر الرومان بفضل كسبهم للحلفاء مع تقديم بعض التنازلات أحيانا بالاضافة الى تقطيع أوصال اعدائهم بزرع اسافين عبر وداخل مناطقهم : شق الطرق ، بناء المستعمرات في المواقع الهامة ، وكانت الدول المحتلة تخسر وسطيا ثلث اراضيها لصالح المستوطنين الرومان ، ولم يعف ذلك الدول المهزومة من العقوبات فكانت تقدم عددا من الرجال للعمل داخل الجيش الروماني مقابل عدم دفع ضرائب والاحتفاظ بنوع من الحكم الذاتي . ومما يلفت النظر رغبة روما بمنح مواطنيتها لرعايا هذه الدول ، وكان سكان ايطاليا اقل تطورا من سكان المدن التي حاولت أثينا جرهم الى الامبراطورية الايجية . وعلينا ان نعترف بقيمة الدفع التي اعطتها الليبرالية الرومانية . كما ان الطبيعة الصلبة الرومانية لها دور هام في تفسير ليس فقط التوسع والسيطرة الاولية انما ايضا السهولة النسبية التي كانت الشعوب تتقبل بها قوانينهم .

وقد ادت الحروب المتباعدة وعصيان العبيد ، وعدم الاستقرار في المدن والارياف بالاضافة الى الهزائم في بلاد الغول ، الى تحول الجيش الروماني نحو الاحتراف باشراف جايوس ماريوس (١٠٥ قم) . فيتطوع الرجال اعتبارا من سن السادسة عشرة . وكان بامكان القادة ان يحتفظوا بالمناطق التي احتلوها والاحتفاظ بمواطنيتهم وباستطاعتهم منحها لحلفائهم عند انتهاء خدماتهم . وكانت انتصاراتهم تعود عليهم بالجزية والارض والعبيد . ولكن الاحتراف العسكري والحروب الاهلية بين الحكومات الاستبدادية والانهيار الاقتصادي للفلاحين والرخاء لمالكي المزارع كلها كانت موقتة . ويلاحظ اندريسكي أن العامل الرئيسي :

كان في قوة الروابط بين الجنود ، وربما كان انحيازهم نتيجة لطول مدة الخدمة او لاسباب خارجية او بسبب سوق نوعية خاصة من الناحية النفسية او بسبب بقائهم فترة طويلة بعيدا عن الوطن او بسبب المحيط الثقافي المعادي.

وقد بدأت الثورات العسكرية في روما القديمة عندما اتصفت قواتها المسلحة بهذه المزايا .

ومن المحتمل ان يكون الفلاح الروماني المدعو للخدمة « جاهلا أو معاد سياسيا »(١٧) ولكنه بالتأكيد كان يكره البرابرة والاجانب بالاضافة الى العبيد من البرابرة والاجانب الذين كانوا سبب فقره .

وكان الجيش الروماني يبدو للاخرين وكأنه جيش من النمل لا يقاوم منطلق من مرتفعات ايطاليا الوسطى . انه يأخذ احيانا استراحة يحارب بعضه البعض خلالها او يحارب عبيده ولكنه يعود دوما للاستيلاء على اراضي جديدة وسوق العبيد ونهب الارزاق . وهكذا كان للبرابرة والمتمدينين « عدوا واحدا يخشونه ويفارون منه بسبب روحه الوطنية وتلاحمه القبلي ومهارته القتالية عندما يتطلب الموقف العسكري او السياسي ذلك »(١٨) .

حدد اوغسطوس حجم الجيش الروماني بخمس وعشرين فليقا أي ٣٠٠,٠٠٠ رجل مع الوحدات التابعة لها أي لا اكثر من حجمه خلال الحرب البونية الثانية وهذا الحجم اقل من عشر السكان . هذه القوة التي تمركزت بصورة دائمة على الحدود تزايدت الى ٣٥٠ الفا ثم ٤٠٠ الفا في عهد ماركوس اوروليوس (١٦١ – ١٨٠) . وكانت في ايام قسطنطين (٣٢٤ – ٣٣٧) الامبراطور المسيحي الاول حوالي ٢٠٠ الف من القوات الميدانية وحوالي ٣٥٠ الفا من القوات المحلية . وكان تعداد سكان الامبراطورية قد بلغ في عهد اوغسطوس بين ٥٠ – ٧٠ مليونا وبين ٥٠ – ١٠٠ مليون في عام ٢٥٠ و ٧٠ مليونا في عهد قسطنطين . وكان هناك نقص في التعبئة والسبب كما قيل انه انخفاض المستوى العام ليس مقنعا الا للدلالة على ان اعدادا متزايدة من الشرقيين اذ ان المناطق الغربية كانت متبرمة بالنظام الزراعي لمتوسطي الذي وصل اليها(١٩) وقد دفع برجال القبائل او كان يسمح لهم بالاقامة في المناطق المهجورة بسبب الطاعون او الجدب .

بعد ان تمركز الجيش على الحدود لم يعد بالامكان تبادل الصفات بين الرومان والبرابرة فأخذ كل منهم عن الآخر شيئا ما . وكانت الحدود ثابتة على طول نهري الراين والدانوب بالنسبة لرومانيا .

بعد ان خسر اوغسطوس ثلاث فيالق في غابة توتبورغر عام ٩ ميلادية بدأ خلفاؤه بالتوغل في الفيافي شمال البحر الاسود ، وفقدت روما سهولة احتلال المناطق وسوق العبيد . وتشكلت الخطوط الاولى من رجال القبائل الموالين للرومان وتحميهم من الخلف شبكه من الطرقات والبحر الاسود والقنـاة الانكليزية والقطع البحرية والدوريات النهرية واعداد متزايدة من الخيالـة والمشاة الراكبـة .

وفي الوقت الذي تزايدت الضغوط الخارجية على الحدود الشرقية كانت مقاومة الانهيار الاقتصادي في الغرب تضعف . ولكن قوات روما المحترفة حافظت على مرونتها وعلى مهارتها القتالية فزادت من تحصين العديد من المدن وقامت ببناء شبكة تحصينات القسطنطينية على مقربة من مناطق تحشد قوات الخيالة الثقيلة ذات الخيول الفارسية الثقيلة والاقواس والسيوف والرماح . وقـد ادت هزيمة الرومان في الشرق قرب ادريا نوبل عام ٣٨٧ الى تطوير فوري تقريبا للخيالة الرومانية .

وقد دفعت جحافل الغزو المؤلفة من ٨٠ ألفا لكامل قبيلة الفاندال الى عمق بلاد الغول واسبانيا وقرطاجة وفتحت لهم روما فنهبوها عام ٤٥٥ ، من قبل أرملة الامبراطور الغربي فالنتينيان الثالث .

في تلك الاثناء كان آتيلا قد انهزم او أخرج من ايطاليا من قبل البابا ليـو الاول . واغتال فالنتينان ايتيوس بيديه ثم قتل من قبل حارسين من حراس ايتيوس .

ولكن هذه الاحداث الجيبونية وعزل آخر امبراطور غربي من قبل قائد بربري آخر عام ٤٧٦ حددت مرحلة استعادة جوستينيان للمناطق الرومانيـة

التي يمكن بلوغها بسهولة عبر البحار والانزال النهري للخيالة الثقيلة . من الصعب جدا تقدير الحجم الكامل لهذه القوات . وقد قدرها ارشيبالد لويس في كتابه « القوة البحرية والتجارة عبر المتوسط بين عام ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ ميلادية » بحوالي ١٥ الف رجل استردوا شمال افريقيا وان حوالي ٢٥ الف ـ ٣٠ الف تمكنوا من دحر الدولة الاستروغوتية في ايطاليا ولا يمكن ان تكون القوات التي استردت اندلوسيا البعيدة اكبر من ذلك(٢٠) .

* * *

حروب القرون الوسطى المحدودة

يذكر والتر كوفارت في مؤلفه الرائع « زوزيموس أول مؤرخ لانهيار روما » انه : « طالما ان تاريخ الامبراطورية الرومانية قد كتب كقصة انهيار فان مجال احتمالات عدة لمواضيع قليلة . وتجلى ضعفه في عصر جوستينيان وفي بحثه عشر قرنا من ماركوس اوريليوس حتى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ » اعطى احتمالات عدة لمواضيع قليلة . وتجلى ضعفه في عصر جوستينيان وفي بحثه للقوات المسلحة الرومانية واسلوب احتفاظها بقدرتها ودراسته لاساليب بوليبيوس الذي حول الخزعبلات الى تعصب مسيحي لضمان الترابط الاجتماعي وزيادة متانتـه .

وطالما ان انهيارا مقارنا للولايات المتحدة يمكن ان يعزز جيبونيانا جديدا . ان الهجمات المبكرة للمسيحية على كامل المجتمع الاميركي قد يقود الى دفاعات جيبونية مماثلة للقوات الجماهيرية الشعبية في العصور الوسطى ضد اولئك الذين يخشون العودة الى قواتنا المحترفة كما كانت في مطلع القرن العشرين ، ويمكننا ان نلاحظ ان انهيارنا المقارن قد يكون مماثلا لاحد العوامل في الانهيار الروماني .

ان تبني التكنولوجيا الاميركية من قبل الدول القديمة والحديثة يقلل الفارق التكنولوجي بينهم وبيننا كما جرى ذلك في الماضي بين الفزاة الرومان وبين الحضارة التكنولوجية الناضحة في حوض المتوسط .

لم يكن الانهيار الاقتصادي الغربي خرافة ، ولم يكن بكامله ناجم عن عزوف الرومان عن المساهمة بالعمل(٢٢) على تجميع الانتاج اكثر من المساهمة في العمل بالارض والاعمال العامة والتحصينات . افتقر عالم البحر المتوسط الى قوة بحرية والى الاعلاف للحيوانات ، فأصبح كلاهما مجالا للاستثمار كما يقول لين وايت الابن انما بعد تطوير ثلاث مجالات من الزراعة ومفهوم القوة التكنولوجية التي تطورت في شمال غرب اوروبا في العصور الوسطى(٢٣) . كما ان الفرد تيير ماهان في نظريته المركنتيلية الجديدة حول القوة البحرية ابرز العلاقة بين النشاطات البحرية من تجارة والعمل والمستعمرات عبر البحار والاساطيل(٢٤) .

ان السلام الذي جلب الرخاء الى الاراضي الغربية الجديدة انذاك ، ادى الى الحد من التجارة الرومانية فور تمكن المستعمرين الرومان من الاكتفاء ذاتيا من المنتجات المحلية . ولم تكن تجارة المعادن تعتمد على الفاترات والنفط ولم تكن قد أنشئت مجموعات تجارية كبيرة كشركات سمك الاطلسي والعبيد والتبغ والطوابع التي ميزت مطلع العصر الحديث .

يقول بليني ذي الدر (٢٣ ـ ٧٩ م) ان صيادي الاسماك قد فقدوا اعمالهم وان البحر المتوسط قد خلا من الاسماك ، ولكن السبب الاساسي لانهيار التجارة الرومانية في الغرب كان الحد وبالتالي انهيار الزراعة والصناعة . وكانت السفن المصرية الحاملة للقمح الذي كان يغذي الشعب الروماني من مزارع الامبراطور الخاصة ، توجه الى القسطنطينيه اذ أن روما فقدت بعض سكانها .

الطقس الحار والرطب الذي دفع النظام الزراعي المتوسطي الى ما وراء حدوده الطبيعية وزاد الفقر وفيضانات الانهار والملاريا في الغرب في ضغط الشعوب البربرية . ثم استولى العرب والفايكنغ على ما تبقى من التجارة البحرية الغربية في القرن التاسع . فاستخدم الغربيون نهر البو والرون والراين وظهور الخيل والرجال والعربات لعبور جبال الالب في الاوقات اللطيفة المناخ . وفي القرنين العاشر والحادي عشر ساعد الفايكنغ الذين اعتنقوا المسيحية والنورمان التجارة الايطالية في السيطرة على غرب المتوسط وصقلية وعلى الطرق التي كان يسلكها الصليبيون الى الاراضي المقدسة بعد ان خسر البزنطيون الاناضول آخر قواعدهم بعد معركتهم ضد الاتراك السلاجقة في مانزيكرت عام ١٠٧١ .

لا شك ان النظام العسكري الغربي في مطلع واواخر العصور الوسطى ٥٠٠ ـ ١٣٠٠ وقبل أن يوضع حد لسيطرة الخيالة المدرعة ، كان يعتمد على الاقتصاد الزراعي المحلي . ولم تكن التحصينات سوى اسلوب لاستثمار القدرة غير المستخدمة في الزراعة في بعض الفصول ، للقيام باعمال عسكرية . واذا كانت هناك شكوك حول الوقت الذي استخدم فيه رماحو وايت فان الشك موجود ايضا في بعض الانظمة الاقطاعية حول سيادة المجتمع على العسكر او تساوي السلطة أو سيادة العسكري خلال الحملات الصليبيه الداخلية والخارجية .

وربما افادنا ذلك في ايضاح اسباب تفوق الكارولنجيين والنورمانديين والبزنطيين وحملات الجيوش الاقطاعية وكلها كانت تتصف بدرجة كبيرة من السيطرة على القوات المساحة وانظمة ادارية وهندسية فعالة .

ونجد في وصف جون بيلر لغزو النورمان على انكلترا عام ١٠٦٦ مقالا معبرا ومقنعا يمثل ذلك . فقد جمع وليم النورماندي بعض المغامرين من اللوردات اولمرتزقة من اماكن بعيدة بلغت جنوب ايطاليا فيما يمكن تسميته جيش محترف مشكل على عجل السيطرة فيه للسلطة الاجتماعية . وانزل هذا الجيش بواسطة ٤٥٠ — ٧٠٠ سفينة في نفس شهر ايلول الذي قام فيه هارالد حادراوا ملك النرويج الذي كان قد حارب النورمانديين فيما مضى في صقلية لاعتبار اياهم مرتزقة بيزنطيين ، بانزال قواته في شمالي انكلترا . وقد تمكن الملك هارولد الانكليزي من قتل وهزم هارالد في ستامفورد بريدج في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول ، بعد ان تمكن هذا الاخير من الانتصار على قوة محلية في العشرين من الشهر وسار ٢٥٠ ميلا خلال اسبوعين مع اتباعه عندما علم ان ويليم قد انزل قواته يوم ٢٨ ايلول . وكان هذا الاخير قد اقام قلعة خشبية ونهب المنطقة المحيطة بها ستنغ .

ويوضح بيلر الناشر « لفن الحرب في العصور الوسطى لشارل اومان » ان نتيجة المعركة لم تكن سوى احد امثلة اومان حول « تجنب او تسلق سفح تل او اجتياز ارض جرداء (٢٥) » ، كان لدى ويليم حوالي ٣ الاف خيال قادرين على القتال راجلين واربعة الاف من المشاة والف رام سهام في حين كان لدى هارولد حوالي ٢٠٠٠ من اتباعه وستة الاف من الميليشيا وعدد قليل من رماة السهام دون خيالة .

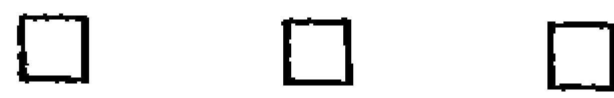
وقد اظهر لدى كلا الطرفين طاعة عسكرية وتعاون جيد . وقد ربح ويليم المعركة بهجوم جبهوي بعد ان بدأ بمعركة ثانوية اراد منها انزال الانكليز عن مرتفعاتهم ، فأخذ دوفر بدون حصار والتف حول لندن لقطع الامداد مما اقنع الانكليز ان المقاومة لن تثمر . ولم يكن في انكلترا الانكلو سكسونية سوى القليل من التحصينات . ففطاها النورمانديون بقلاع سريعة البناء من اللبن (طين وقش)،

كما كان يفعل الرومان في المناطق المحتلة . ان النتائج التي خرج منها بيلر من جولته الشاملة حول الوضع في انكلترا الانكلو ـ نورماندية حتى عام ١١٨٩ عندما انشأ ريتشارد الاول الحملة الصليبية الثالثة ، هي انه لم يكن في ذلك الوقت « احتكار للخدمة العسكرية من قبل الفرسان » وان « التمازج بين الحصان والارجل (السترة المؤلفة من الزرد ، والدرع المثلث والقبعة القمعية لم تكن كافية لخوض أي صراع) ورماة السهام والرماح كانت أكثر مرونة وقدرة على التلاؤم مع طبيعة الارض ووضع العدو من تلك الوحدات المؤلفة من خيالة فقط»(٢٦) . اي نوع او صنف يمكن ان يكون تابعا لنظام اقطاعي مؤلف من محترفين استبدلوا الخدمة العسكرية العمل بالارض .

اما اسباب انحطاط فرسان العصور الوسطى فهي مألوفة اكثر من سواها . فالقذائف الاشد قوة قادت الى تطوير الصفائح المدرعة مما ادى الى اضعاف رؤية الرجال والخيول فكانوا عرضة للسقوط في أي خندق . كما أن ثقل الدرع كان يصعب جدا عملية العودة الى ظهر الحصان لكل فارس يسقط عنه . وفي الوقت الذي كان فيه الملوك مشغولون بالحملات الصليبية ازدهرت المدن المحصنة والقلاع والمبادىء والصفات الاقطاعية .

وكان الهجوم الذي قام به الفرسان التونون على البولونيين التعبين في تانينورغ عام ١٤١٠ عبارة عن هجوم فردي على ملك البولونيين(٢٧) . واهم من ذلك فان عواصف القرن الرابع عشر والفيضانات والامراض فتحت عصرا جليديا صغيرا استمر حتى منتصف القرن التاسع عشر وأدت الى هجرة كاملة من بعض القرى من العين حتى اواسط اميركا وزادت بطلبات أوروبا الغربية للعمل وتخزين المؤن وساهمت في انتشار الاختراعات التي اخذت عن الاسلام ، بعد أن فتح المغول الاتصال المباشر بين اوروبا والشرق الاقصى حتى الصين . العديد من هذه المواد والمقتبسات والاختراعات كانت معروفة : كالشراع المثلث ، وطاحونة الهواء والبوصلة وبناء السدود السطحية الذي طبق فيما بعد في مرحلة نشوء هولندا الحديثة وتنظم شبكة دفاعية من القنوات المائية ، والبارود والصحافة المطبوعة ، لنمو التجارة وتدعيمها واقامة المدن الصناعية وسمحت لبعض الملوك بتشكيل جيوش دائمة من المرتزقة بهدف التصدي لاي غاز وتدمير اية قلعة

معادية . بعض هؤلاء الملوك الجدد كان يلقون الدعم من رجال الكنيسة والشعور الوطني والتجار والصناع ضد أي من النبلاء الذي يحاول العصيان رغم انها لم تكن كافية لمنع بعض النبلاء بسبب الفقر من الانضمام الى مرتزقة المدن او الى الملوك . ولكن المغزى التاريخي لهذه الفترة ان العصور الوسطى قد امتدت لفترة طويلة من الزمن ومساحات كبيرة من الارض لدرجة يمكن تصميمها على اي مجال .



القـادة العسكريين الكبـار

كانت الفكرة الاساسية من تنظيم القادة الاوروبية « كأمم مسلحة » عـام ١٩١٤ هي تهيئتها لخوض حروب شعبية كبرى ، لهذا تعرض قادتها العسكريين والسياسيين الى انتقادات مرة اذ فشلوا في تحقيق انتصارات سريعة كالتي بشر بها نابليون ومولتكه . ولا يزال العديد من المؤرخين تحت تأثير هذه الانتقادات .

ولا تزال وجهة نظر جورج كليمنصو بأن « الحرب اهم مـن ان تتـرك للجنرالات » تلقى صدى . ويقول جيوليو دوهي بأن القادة العسكريين لم يكونوا مخطئين فقط في تقديرهم « للفعالية الكبرى للاسلحة النارية » بل انهم اصبحوا يشكلون حلقة ضيقة من المحترفين « الاكفاء اسما ، والبعيدين عن نشاطـات وفعاليا الامة (٢٨) » . مثالي من الحرب العالمية الاولى عن القادة العسكريـين المحترفين الجنرال دوغلاس هيج الذي عين من قبل دافيد لويد جورج اول رجل من الشعب يعين رئيسا بريطانيا ويجهل تماما الامكانيات الفعلية لمثل هـؤلاء العسكريين وكذلك ارثوركوري وجون موناش ولكونه احد الاشخاص الذي يفضلون فناء مليون انسان على ان يعترفوا هم كقادة حتى لا نفهم بأنهم كانوا مخدوعين(٢٩) فقد اتهم كوري بأنه ذبح الكنديين عمدا ارضاء لصلف القيادة العليا البريطانية(٣٠)

وكانت قد اثيرت مسألة مشابهة لذلك في عام ١٨٩٠ . لم يرفع هنري فيليب بيتان الى رتبة اعلى قبل ١٩١٤ لانه كان لا يقر بعقيدة الاركان الفرنسية العليا حول الهجـوم السريع ضد نيران الاسلحة الحديثة ذات البارود غـير الدخاني . وفيما بعد ادعى كولمار فون درغولتز مؤلف كتاب « الامة المسلحة » بأنه لم يعين رئيسا لاركان القوات المسلحة الالمانية لان افكاره الدفاعية قـد تضعف الروح الهجومية لهذه القوات(٣١) . وقد ادت كافة المناقشات التـي دارت بين الانكلو ـ سكسونين الى مفاهيم اقتصادية جديدة ضد الحرب والى بعض الفرضيات الجديدة ـ نذكرها مع النظرة الاميركية للعلاقات بين القوات المسلحة والمجتمع ـ حول كيف يمكن للصناعة ان تؤثر على نظرة الشعب الـى الحـرب .

يذكر جون تيرين في كتابه « الجندي المثقف(٢٢) » ، في عام ١٩١٤ ان دوغلاس هيج كان يبلغ الخمسين من عمره وقد امضى ثلاث سنوات في اكسفورد قبل أن يتخرج من ساندهيرست ، وقد عين قائدا للحملة البريطانية في كانون الاول عام ١٩١٥ . اما كوري وعمره ٣٩ عاما فمن خريجي كلية ستارتكونا وهو سمسار من كولومبيا البريطانية ومدفعي من قوات الميليشيا . وكان قد انهى لتوه دورة ركن عام ١٩١٤ عندما استلم قيادة كتيبة مشاة ، وقاد فرقة خلال معارك السوم عام ١٩١٦ ، وكلف بقيادة الفيلق الكندي قبل اشتراكه في هجمات الصيف الفاشلة عام ١٩١٧ التي بسبب فشلها دعيت باشندال

اما موناش وعمره ٤٩ عاما فهو يحمل شهادات علمية في الهندسة المدنية والفنون والحقوق من ملبورن . وقد عمل في الميليشيا لمدة حوالي ثلاثين عاما قبل ان يستلم قيادة لواء مشاة اوسترالي ثم فرقة في تموز عام ١٩١٦ واخيرا قائدا للفيلق الاوسترالي في ايار ١٩١٨ . لم يكن لاي من هؤلاء الثلاثة اية دوافع او حوافز مهنية عسكرية . هيج كان خجولا وجامدا ، كوري مشغول الذهن بديونه السابقة اما موناش فهو رجل علم مهتم بتطبيق معلوماته العلمية على العمل الحربي .

وكان هيج وهو خيال ، ابطؤهم في الاستفاده من التكنولوجيا العسكرية، وكان اسير نظام يدعي بعدم ضرورة اطلاع القادة الكبار شخصيا على منطقة الهجوم او طبيعة العمليات التي كانوا يكلفون ضباطهم بتنفيذها(٢٣) . ويدعي تيرين ان هذا النظام قد فرض نفسه على كبار الضباط في كافة الجيوش (٢٤) ، وهذا صحيح . ولكن كوري قد زار فردان بعد معركة السوم عام ١٩١٦ ، في الوقت الذي كان فيه هيج تحت تأثير محاضرة يلقيها قائد فرنسي جديد هو الجنرال روبير نيفيل . وفي كافة الاحوال فان الخوف الدائم لديه بان يؤول اهتمامه الشخصي كعدم ثقة في اركانه جعلت اراءه جوفاء . لقد امضى شهر تشرين الاول من عام ١٩١٧ ، عندما اتخذ قراره بمتابعة الهجوم ، في زيارات سياسية وحضور محاضرات عالية المستوى . وفي ٩ تشرين الثاني عندما دعت الحاجة الى تعزيز الجبهة الايطالية مما ادى الى التغاضي عن هذه الخطة عدا دفع بعض الدبابات في كامبري حاول هيج مجاملة لوزير دفاعه اللورد

دربي القاء اللوم على قوات المستعمرات وخاصة الاوسترالية التي لا تعتبر نفسها جزءا من القوات المسلحة البريطانية بل حليفة لها ، مثلها مثل البرتغاليين وذلك ليس من الوجهة القتالية بل من حيث الاشراف الذاتي على نفسها والقناعة بأن السيد ويليم بيردوود قائدهم في الميدان(٢٥) .

وكانت وجهات نظر دربي حول الحليف الاوسترالي الذي منذ عام واحد فقط قد فقد ٢٣ الف رجل في فترة ٧ اسابيع في بوزيير بعد ان فقدت احدى الفرق ٥٥٣٣ رجلا في ليلة واحدة فيما دعته القيادة العامة « بعض الغارات الهامة » في فورميل والذي في فيلقي انزاك فقد ٨٢ الفا خلال خمسة اسابيع ، تعبر تماما عن حساسية ايزنهاور تجاه المشاعر الوطنية بعد حوالي ربع قرن .
كان تعداد السكان في الكومنولث الاوسترالي الجديد في عام ١٩١٤ يقدر بحوالي خمسة ملايين . وان ادعاء تيرين ان هيج قد نظر بمنظار جديد الى الانضباط الاوسترالي في اذار عام ١٩١٨ بعد ان كتب الى زوجته قائلا « اضطررنا الى حجز الاوستراليين في معسكرات نقاهة خاصة بهم لانهم كانوا يسببون مشاكل عند وجودهم مع رجالنا كما بدأوا يغرسون افكارا ثورية في رؤوسهم » .
وفي انتقاده لاسلوب بيردوود المعتمد على جدول يظهر ان نسبة الجنود المسجونين من المستعمرات الاخرى تبلغ ١ر٦ بالالف في حين ان نسبة الاوستراليين بلغت ٩ بالالف .

ربما تبدلت نظرة هيج عندما استخدم الفرق الاوسترالية مجزاة لتدقيق سير الهجوم الالماني في حين ان الكنديين رغم ميزاتهم العسكرية أصروا على التجانس ولم يشتركو في الهجوم الكبير(٢٦) .

ربما تبدلت نظرة هيج عندما استخدم الفرق الاوسترالية مجزأة لتدقيق
لكوري او — مع الجيوش البريطانية التي تبدلت بسرعة من الاقتصار على المحترفين الى التجنيد الواسع — الى نظرة مغايرة تجاه تصرفات الاوستراليين سواء على الخطوط الامامية او في المؤخرات ، تلك التصرفات التي كانت دوما مدعاة لتساؤلاته ، ولمعظم الضباط الانكليز(٢٧) . وكنتيجة لمثل سوء التفهم للطبيعة الاوسترالية في ذلك الوقت كتب موناش عام ١٩٢٠ أنه :

« وردت تعليقات عديدة وسخيفة حول انضباط الجندي الاوسترالي لان الغاية الاساسية من الانضباط قد أسيء فهمها فهي لا تعني التمجيد المستمر والمطلق لرؤسائهم او للتقاليد والمظاهر الخارجية انما تعتبر ان الطاعة هي الطريق الوحيد لعمل جماعي ناجح . الجندي الاوسترالي يكتسب مميزاته العسكرية لان ذكاءه علمه بأن الاسباب التي أعطيت له هي مقنعة وبالطرق والمؤسسات الديموقراطية ، كما علمته الاساليب التدريسية الحديثة ان يفكر ذاتيا ومن ثم تطبيق ما تعلمه في ممارساته العملية »(٣٨) .

كيف والحالة كهذه احتفظ هيج والاميرال السير جون جيليكو ــ اللذين اتصفا ببطء تفهمهما للتكتيكات الجديدة والتكنولوجيا ــ بثقة مرؤوسيهم من الانكليز والمارتين مثل كوري وموناش؟(٣٩) .

تدل مذكرات هيج التي كان يبثها متاعبه انه كان نبقا وحسن التصرف لم يزجر مطلقا أي رجل علنا . فاللباقة تبعا للسيد ايلي هاليفي في كتابه « تاريخ الشعب البريطاني في القرن التاسع عشر »(٤٠) أصبحت سببا آخرا أدى الى التبديـل الاجتماعي . ويضيف الكسي دو توكوفيـل في كتابـه « الديموقراطية في اميركا » أن حسن الضيافة على حدود الدول وهي شكل آخر من اللباقة ، قد لعبت دورا مماثلا في المجتمع وتطوره . واذا كان ايزنهاور قد عبر عن استيائه من باتون ومونتغمري في لغة انكلو ــ سكسونية خاصة فان مذكراته تعطينا وقائع سلبية عن كونه لم يكن يحب جون مونتر دالأس مطلقا .

وقد لاحظ المراقبون من خارج الجيش البريطاني وجود العديد من الضباط وصف الضباط الذين لم تكن خبراتهم مع أقل المستويات البريطانية تطـورا اجتماعيا تساعدهم في التعامل مع المنطق العمالي .

ولكن بيردوود وهيج لم يكونا البريطانيين الوحيدين النظاميين اللذين كانت قوات المستعمرات تكن لهم الاحترام . ونجد أن معظمهم قد تم انتقاؤهم من الوظائف التي كانوا يشغلونها قبل الحرب من قبل اللورد كيتشنر وهو قائد يتمتع بمقدرة خاصة في الحكم على الطبائع ويميل الانسان أحيانا الى تضخيم نتائج ما اعتبر في معظم الاحيان احدى اكبر الاخطاء ، اي قراره عام ١٩١٤ بانشاء

جيش جديد عوضا عن زيادة عدد المحترفين وكان ذلك بسبب كون معظم الضباط الصغار من طبقة متوسطة مثل كليمانت اتلي الذي يعرف اهمية اللباقة وكيفية مواجهة الطبقة العمالية وحساسياتها . وكما ذكرنا سابقا ان هذا النوع من الديموقراطية الذي نعبر عنه بكلمة « النبل يتطلب » كان اقوى انتشارا في الجيش البريطاني والجيش الفرنسي منها في الجيش الالماني الذي كان تحت تأثير التقاليد القديمة والجديد في « مساهمة الشعب في المسائل الكبرى للدولة »(٤٢) . موناش وهو يهودي تأثر جدا بضابط برتبة مقدم يدعى ليفي « الصهيوني النشط والمهتم جدا باقامة دولة يهودية في فلسطين ، وعضو في مجموعة التدريب الحديثة التي يرأسها السير ايفور ماكس وهو ايضا قائد « الفوردون هايلاندرز »(٤٣) .

ان التعقيد بين العوامل التي ترتبط بين المجتمع والقوات المسلحة في هذه الامثلة الثلاث في جيوش مختلفة ومجتمعات مختلفة واضحة جدا . كلهم قاتلوا جيدا رغم ان المساهمة الكندية كانت ادنى مردودا بسبب بعض الخلفيات التاريخية للكنديين الفرنسيين . واذا كانت درجات انتمائهم الى طبقات اجتماعية مختلفة فان المؤرخ يجد صعوبة كبرى في التفريق بينهم من حيث التعامل مع الافكار الثورية لدى الطبقة العمالية وحساسياتهم المرهفة . كلهم أظهروا ترابطا اجتماعيا عاليا رغم كون بريطانيا فقط قد طبقت اسلوب الخدمة الالزامية في حين ان كندا الفرنسية قد عبرت عن ارتباطها بالتصويت ضد هذا النظام في سبيل حرب بريطانية . اما الجنود الاوستراليين الذين بلغت نسبة الاصابات لديهم ٦٤٫٨ بالمئة في حين ان هذه النسبة بلغت لدى الكنديين ٤٩٫١ ٪ ولدى الانكليز ٤٧٫١ ٪ من المقاتلين ، فانهم صوتوا مع المشروع رغم انه يسيء الى روح التطوع(٤٤) .

القوات المسلحة ومظهر من الحياة الاميركية

خلال حوالي قرنين من الزمن أي منذ ان اعلنت الجمهورية الاميركيـة استقلالها مرت قواتها المسلحة عبر تبدلات عدة . فقد بدأت بسيطرة العامل العسكري او « القبلي » ولكن سرعان ما أجبر الكونغرس على وضع نظام خدمة ثبتت صلاحيته لدرجة ان جورج واشنطن ، تبعا لقول جون بالمر في كتابـه « اميركا المسلحة »(٤٥) ، اقترح الاقتصار على نواة من العسكريين المحترفين لقوات ميليشيا جيدة التدريب . ولكن كافة خلفائه عبر القرنين التاليين تحولوا الى الاهتمام بزيادة قوة وسيطرة العامل الاجتماعي على العسكري أي تدعيم قوة الميليشيا على شكل قوات حفظ أمن أو شرطة . وخلق الضباط المحترفون في كلا طرفي الحرب الاهلية جيوشا قوامها الاكبر عناصر متطوعة ومرتبطة بعلاقات جيدة مع المجتمع بتوازن عاملي العسكري والاجتماعي ، هذا اذا وافقنا على انه كان لدى الطرفين قناعة بقضيتهما وبالتالي امكنهما التغلب على كافة الشكوك التي كانت تثار حول الاهداف التي كانوا يقاتلون من اجلها . اما جيل ما بعد الحرب فقد عاد الى قوة عسكرية صغيرة محترفة والى نسبة قليلة من الميليشيا . ثم نجد انه في القرن العشرين تطلبت الظروف متطوعين بأعداد اكبر وتوازن اقوى بين روابط القوات المسلحة بالمجتمع ، وشاهدت مرحلة الحرب العالمية الثانية سيطرة العامل العسكري ثم عودة الى سيطرة المجتمع خلال الحرب الباردة واخيرا ضعف العامل العسكري والعودة الى القوات المسلحة المتطوعة فقط .

ان التوتر بين العسكريين المحترفين وقوات الميليشيا في القرن التاسع‌عشر كان لاسباب معقولة نوعا ما . ففي كتاب السيد ماركوس كونليف : « العسكريون والمدنيون : الروح العسكرية في اميركا »(٤٦) نجد فصولا عن « الارث المبهم ونتائجه » . « الروح العسكرية » المحترفون واللاشعبية « التدعيم » ، « الهواة : اللامبالاة والميشيا » . « المتطوعون الحماسيون » . ولكن الخصوم الثلاث التقليديون في المجتمع الاميركي كانوا يعملون بتنظيم جيد « الكويكر وجندي

البندقية والخيال » تتناسب مع التقسيمات الفكرية والاهواء والحساسية الى درجة أن أهملت الاول فنجد أن التناسب لدى الجنوب الابيض كان اكثر انسجاما . لذلك كان بعض جنود الشمال بعد احتكاكهم بالجو السائد في الجنوب يشعرون بأنهم أكثر انسجاما معه(٤٨) .

العسكريتارية كانت احدى صفات البروسية الليبرالية في القرن التاسع عشر وطبعتها الانكليز والاميركان على الجيوش المتطوعة في اوروبا القارية . لا يوجد تعريف للعسكريتارية في الموسوعة البريطانية ــ الكبرى لعام ١٩١١ . كما أهمل السيد جون موريهيد في مقاله عن هيجل ، فكرة هذا الاخيرة القائلة بأن الحروب الحديثة تبرز الغيرية ولا تقود الانسان الى كره اخيه الانسان رغم انه يركز على « مفهوم السيطرة الكامن في هذا التنظيم » والذي قاد هيجل الى الى الاعتقاد بأن « التداخل والترابط بين مختلف اجزاء الجسم السياسي هو مصدر لكل خير »(٤٩) .

اما المدافعون عن الحرب البريطانية الاميركية الكبرى فقد وجدوا ان العسكريتارية هي صفة تتميز بها المانيا ، ولكن اقتراحات ايموري اوبتون بعد الحرب الاهلية المتعلقة بالتدريب العسكري الاضافي ثم مقترحات رئاسة الاركان كانت قد هوجمت في حينها على انها بروسية جدا . كما نجد جذورا عميقة اميركية بريطانية في كتاب « الكويكرز » لمؤلفه كونليف في حين ان مخاوف توكفيل بأن النحو الذي لا يمكن تجنبه للديموقراطية سيقود الىالاستبداد والعسكريتارية ارتبطت بصورة تدريجية بمخاوف القرن العشرين اكثر مما كانت ستقود اليه أية حملة .

ولا يمكن فصل مخاوف توكفيل من البونابارتية عن مخاوفه على اميركا . فالسلم يسيء الى الجيوش الديموقراطية في حين ان الحرب والمشاعر الوطنية التي تثيرها تقدم لها مزايا تقودها الى النصر ، شريطة الا تهزم منذ البداية . ولا شيء يعادل حجم الغبطة والكبرياء في تفكير الشعب الديموقراطي التي تثيرها القوة العسكرية ، السمعة الكبيرة التي تكتسب فقط بالتضحية بالروح . لهذه الاسباب شعر توكفيل ان الحرب الطويلة الامد لا خطر منها على حرية البلاد

الديموقراطية ، فهي على الاقل قادرة على زيادة قوة الحكومات المدنية . ان الدفاع عن الديموقراطية يستند على مزايا الضباط وصف الضباط والافراد رغم كونهم غير متساوين دوما وفي كل الدول الديموقراطية . ان صف الضباط هم أسوأ ممثلين للروح السلمية والنظامية أما الجنود فهم الامثل ، فاذا كان المجتمع جاهلا وضعيفا فان الجنود قد يقادون من قبل قادتهم الى الضياع أما اذا كان المجتمع مثقفا ونشطا فانه قادر على ابقائهم في اطار النظام (٥٠) .

توفي توكفيل عام ١٨٥٩ عشية الحروب الاميركية الالمانية وانتصارات نوعين من الجيوش الشعبية . وخلال فترة السلام الطويلة اللاحقة ، ناقش توماس غرين البريطاني الليبرالي ، فكرة كون الرغبة العامة في البلاد الاكثر ديموقراطية أقل ميلا للصراع واقل رغبة بالحرب بل تفضل الوصول الى اتفاق فيما بينها عبر علاقات أقل حدة(٥١) . أما هربرت سينسر في كتابه « الداروينية الاجتماعية المعاصرة » فيعتقد أن تطور الديموقراطية والصناعة قد أدت بالفعل الى استقلالية فردية متعاظمة ، والى ضعف الثقة بالحكومات مع زيادة في الشعور الوطني .

وقد نجم عن انخفاض عدد الحروب في القرن التاسع عشر ، زيادة سيطرة الدولة ونمو الشعور الوطني رغم ان سبنسر كان يخشى تزايد الوطنية والاقطاعية في المانيا : وزيادة تسلحها ونشاطها الهجومي ومعاداتها للمناضلين الاجتماعيين والاشتراكيين ، بنفس المقدار الذي كان يخشى تطور المنظمات المدنية وانتشار افكارها ونظرياتها الاشتراكية(٥٢) .

ان التحليل الماركسي للعلاقات بين القوات المسلحة والمجتمع بشكلها المائع في اميركا وانكلترا ، هي مماثلة لجزء من الداروينية الاجتماعية التي كانت جزءا من الاسس النظرية للامبريالية الاميركية والبريطانية .

والعسكريتارية بالنسبة لكارل ليبنخت هي مظهر للوطنية والثقافة والفريزة الطبقية للدفاع عن النفس اكثر من اقوى الغرائز . وان التاريخ العسكري هو تاريخ تطور الانسان عبر العلاقات المتوترة والغيرة بين الامم والدول ، وايضا داخليا في الصراع الطبقي يتحقق نفس الاهداف(٥٣) .

وفي حين ان الدعم والتأييد المبكر الذي قدمه فريدريك انجلز للتدريب الاضافي الهادف الى تهيئة العمال للثورة القادمة لم يثر مخاوف المحافظين من الجيوش الشعبية التي لا يمكن الوثوق بها سياسيا ، فلم تستطع الاضرابات الاشتراكية العامة منع اندلاع الحرب عام ١٩١٤ . وان كون العمال قد قاتلوا جيدا عندما تطلبت المصلحة العامة يؤكد المطالب الشعبية والوطنية لبناء قوة عسكرية قادرة على ما دعاه موريس جانويتس « العسكريتارية المضادة » .

اذا كان الاميركيون قد اصبحوا « معارضين العسكريتارية » فلم يكن ذلك للاسباب التي ذكرها الفريد فاغتس في مؤلفه الضخم « تاريخ العسكريتارية : حقائق واحلام المهنة » عام ١٩٣٧ . ان هـذا العمـل هو وجهة نظـر المانـي منفي الى ماضي مفجع يفصل بين الاسلوب العسكري العلمي ، وعسكريتارية الطبقة والمعتقد والسلطة والعقيدة(٥٥) . وبعد عشرين سنة جاء كتاب هانتينجتون « العسكريتارية » وهو ليس سوى « الاسلوب العسكري » الذي شرحه فاغتس. وكانت الدوافع الاميركية لديه هي : التقنية الشعبية والاحتراف ، وهي تبعا للمؤسسة التي تتبناها ــ تحررية او محافظة ــ تؤدي الى علاقات متعاكسة بين القوة السياسية والاحتراف العسكري . ثم قادت الرومانسية التي يتصف بها هانتينجتون الى اصباغه على الجنود الاميركيين المحترفين بعض « الفضائل العسكرية » التي تمزج بين نظرة هوبزيان حول استمرارية الطبيعة الانسانية السيئة ، ورؤية هيجليان حول سيطرة المجتمع على الافراد كما في العصـور الوسطى وافكارها حول النظام الطبقي وفصل السلطات ، مع افكار « الدولة ــ الامة كأعلى شكل للتنظيم السياسي ، واستمرارية الرغبة في الحرب بين الامم والدول ، واهمية القوة في العلاقات الدولة »(٥٦) .

في حين ان هناك العديد من العسكريين الاميركيين المحترفين على ثقة بأن الداروينية الاجتماعية او الشعارات الامبريالية عبر ذلك العصر لا يمكن اعتبارها جزءا من فلسفة عامة سياسية وعسكرية ، وفي حين ان هناك مبررات اقتصادية تعارض الحرب وكان لها تأثيرا مماثلا تقريبا وجاذبا لا فلسفيا لبعض كبـار رجال الاعمال المتعصبين مثل اندرو كارينجي .

وقد وجدت هذه المبررات افضل تعبير لها في احصائيات رجل المال اليهودي الروسي ايفان بلوخ حول « مستقبل الحروب وعلاقاتها بالتقنية والاقتصاد والسياسة (١٨٩٨) » ، ذلك العمل الذي ساهم في اقناع القيصر نيقولا الثاني للدعوة الى « مؤتمر هيج الاول للسلام » . وقد تنبأ بلوخ بأن مستقبل الحرب هو جمود تكتيكي ستخلقه التكنولوجيا العسكرية والانهيار الاقتصادي والثورة السياسية والاجتماعية(٥٧) .

وكما قال كونليف لعصر أبكر : « الحرب فاجعة وهي للكويكر الممارس الضياع الاكبر »(٥٨) .

وفي عام ١٩١٠ نشر العالم النفسي الاميركي ويليم جيمس كتابا بعنوان « الاخلاق معادلة للحرب » قال فيه : « في حين ان الحرب الحديثة باهظة التكاليف لدرجة اننا نشعر انها افضل طريق للسلب ، فان الانسان المعاصر قد ورث كافة صفات اجداده البدائية ، فهل يمكن للانسان اكتساب الروح القتالية بدون الحرب ، بالتدريب على الخدمة الاجتماعية التي تتطلب نفس المستوى العالي من الشرف والغيرية ؟ »(٥٩) . ويذكر كونليف في مقدمته أن التورط الاميركي في الحرب الاهلية كان « مكثفا ولكنه سطحي » . وقد اصبح المجتمع الاميركي في الجيل التالي اكثر مدنية من حيث المظهر الخارجي عما كان في السابق ، بابطاله من رجال الصناعة اكثر فيهم بين القادة العسكريين(٦٠) .

في عام ١٩١٠ كان سكان المزارع العائلية المزدهرة في ديزني لاند ومين ستريتس كلهم من الكويكرز الممارسين وحملة البنادق الذين ما زالوا مقاتلين انما من اجل العالم المثالي : « الاحتلال السلمي ، والامانة والصدق والطيبة »(٩١) الذي نادى به سبنسر . واذا كانت ديزني لاند هي أميركا الرومانسية في مطلع القرن العشرين ، فان اميركا الحقيقة لم تكن سيئة او قاسية او عسكرية النزعة .

في الجزء الاخير من كتاب هانتينجتون « الطريق الرئيسي لشلالات هايلاند » عرضا لمجتمع بدون « وحدة مشتركة او وحدة هدف ، في ويست بوينت المثل العسكرية في احسن حالاتها ، في هايلاند الروح الاميركية في مكانها

العام . ويست بوينت جزيرة رمادية في بحر متعدد الالوان ، قطعة من سبارتا وسط بابل » . اذا كانت ديزني لاندرومانطيقية فان هايلاند مثل بابل على نهر الهدسون ككتلة من عدم التبصر . في عام ١٨٩٠ كان هناك اقل من اربعة الاف ضابط اميركي في الخدمة الفعلية ــ أي اكثر بقليل من طلبة ويست بوينت عام ١٩٧٠ ــ من عدد من السكان يبلغ ٦٣ مليون . وفي عام ١٩٣٨ ارتفع العدد الى حوالي ٢٧ ألفا ــ ربع عدد علماء الفيزياء واقل بستة الاف من تعداد طلبة « بين ستيت » عام ١٩٧٠ ــ من عدد من السكان يبلغ ١٣٠ مليون . هذا التجمع المهني القليل العدد يعود نجاحه لكونه كان مرتبطا بشكل وثيق بمبدأ براغماتي آلي . وكما ذكر هادنجتون سابقا كان عليه ان يعوض عن العدد برؤية الحرب « كعلم مستقل وممارستها هي الهدف الاساسي للقوات المسلحة »(٦٢) .

وان الحملات الاميركية في الحرب العالمية الثانية تعكس العقلية الشوفينية كحملة البنادق وبراغماتية الكويكرز ومفهوم الشرف لدى الفرسان . لقد نفذ الجندي الاميركي المحترف ما اراد له مجتمعه ان يفعل مثله مثل اي عسكري محترف في التاريخ . وقد كوفيء بعض الجنود بمناصب عليا في البلاد ولكن سيادة ماك ارثر على اليابان ومشروع جورج مارشال لانعاش اوروبا ، ورئاسة ايزنهاور كانعكاس للعسكريتارية الوجدانية كما عرفها فاغتس ليس سوى تشويه للتاريخ ، واذا كان حتى عام ١٩٦٥ ــ عام السلام في تلك السنوات العشر ــ كان هناك ٣٥٠ الف ضابطا في الخدمة الفعلية لعدد من السكان يبلغ ١٩٥ مليونا واذا كانت اجهزتهم تحصل على نسبة من الميزانية الفيدرالية لم يسبق لها مثيل في التاريخ في زمن السلم ، كل ذلك ليس سوى « الانعكاس العسكري » لعالم القوة الذي دفع الى هذا الموقف بمنطق السياسة الدولية وانغمس فيها بسبب العواطف الشعبية والمثل اعليا .

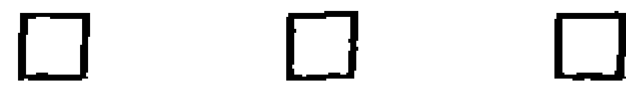
هل سيقود التطور التاريخي لقواتنا المسلحة كمظهر هام من مظاهر المجتمع والثقافة الاميركية ، الى امكانية التزامها في المستقبل ؟. فرضيتي الاولى حول هذه النقطة هي اننا في خطر كبير من « الردة السلمية » في عالم يحتوي

على اناس لا يريدون لنا الخير اكثر منهم عسكريين وجدانيين . ان قوه الحركات الفاشية الاوروبية في فترة ما بين الحروب نابعة من كونها مدنية في اساسها . الكويكرية هي أميركية مثلها مثل الشوفينية . ان المساهمة المباشرة الواضحة للقوات المسلحة في مجتمعنا كانت نسبيا مؤقتة طيلة قرن « الامان الحر » بين عام ١٨١٥ وحتى عام ١٩١٤ — وان مساهمة الجيش في تمدين برابرتنا واراضيهم والدعم البحري للتجارة مع المناطق المتخلفة التي تدنت كثيراً من حيث الاهمية كان علينا اعادة اكتشافها من قبل باحثين مثل فرانسيس بروشا ودون ريكيه الابن . هذا يظهر كيف اصبحت هذه المساهمات مفيدة للجيل الثاني أو الثالث من فلاحي ديزني لاند ، أو للمهاجرين الذين ملأوا مدننا . وان لجوء رجال الغرب الى اولادهم قد يكون بسبب الذوق الشعبي اكثر منه تقدير عميق لقواتنا المسلحة ومساهمتها في مجتمعنا وثقافتنا . فرضيتي الثانية مستندة الى هاتنتجتون . ان ميزانيتنا الفدرالية السنوية ومعاركها ليست سوى تمثيلية صراع المحامين ، بين ممثلي الشعب والمطالب الشعبية للخدمات العامة . في الخامس عشر من نيسان خيمت أرواح رجال الضرائب البريطانيين وبارونات سكك الحديد ودافعي الضرائب في وول ستريت على شوارع منطقة كولومبيا . وتصبح واشنطن مدينة المرح عندما تقدم المال الخاصة وجهاز السياسيين المحليين . والعمل غير المباشر يتم عبر صناع الاسلحة أو متعهدي المنشآت العسكرية وينظم له دعاية واسعة ولكن الانسان يتساءل فيما اذا كان المدخول الضخم المشترك مع كل وحدة سياسية في البلاد سيضعف الضغوط الموجهة من قبل الهيئات المدنية ، وهي ليست بالضرورة سلمية ، لصالح تفضيل الخدمات العامة على الحاجات الدفاعية .

ثالثا . ان حملات النصف الاول من هذا القرن كانت ترافقها مخاوف مضخمة حول مؤامرات وعصيان . وقد اقامت قواتنا المسلحة فترة طويلة عبر البحار تزيد عن ربع قرن . وان الانفصال الجسدي لنكثير من المؤسسات العسكرية ومطاليبها عن الوطن قد يقود الى رد فعل ماكارثي على كل من الهيئتين العسكرية والمدنية واهدافهما . والنظريات حول هزيمتنا أو انتصارنا في فيتنام — في الجو العام السائد حاليا فان كل ميزة قد تكون سيئة بالنسبة للبعض —

قد تكون رومانسية مثل سيناريو « السبعة ايام في أيار » ولكن مثل هذه النظريات والسيناريو لن تخفض قتامة هذا الجو . الخوف من التوسع بجيش مرتزق اسود جاري استغلاله على نطاق واسع فان العمل العسكري والتنافس كان عاملا فيما يبدو وكأنه صراع قديم بين الابيض والاسود ذلك أحدى المسائل الناجمة عن التكوين العرفي الثقافي للقوات المسلحة .

فرضيتي الاخيرة حول المنابع المحتملة للالتزام في القوات المسلحة من المجتمع هي اشد قتامة واكثر عمومية . هل ان الاسلحة المطلقة قد أمنت الخلاص الكافي من التهديد للمدني اقل بقليل من ما فعله أولئك المهاجمين في ايضاحهم للفرق بين الكره والخوف والتي يبدو ان المدنيين نظروا اليها كقاعدة تمثل كيف يؤمن العسكريون أمن المدنيين ؟. ألا يمكن للجنود والمدنيين الاحتجاج على كل شيء بالتمسك ببعض البساطة التي يوفرها الكنديون عيد متحرك لا يمكن ايقافه ببضع معادلات رياضية واعمال علمية ؟.



الخــــــلاصة

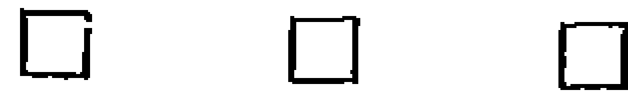
نموذجي الخاص عن التاريخ العسكري يركز على متغيراته السياسية والعسكرية والتنظيمية والتكنولوجية . وان نظرية اندريسكي حول العلاقة بين القوات المسلحة والمجتمع تتعلق بالقسم الاوسط من نموذجي . طالما ان الترابط العسكري لديه يعتمد الى هذه الدرجة من الطاعة ، فاني أبدله الى ترابط اجتماعي وأضعه بعد السياسة ضمن تعريف أوسع شمولا . واني بجعل التكنولوجيا في المكان الاول والاخير من التعريف فانه يصبح سداسي العناصر قادر على تقديم امكانية أقل خطرا من التعريف السابق لدراسة التاريخ .

التكنولوجيا في الاول تستخدم عامة مثل استخدام الطعام والعتاد، والقدرة، ووسائل النقــل المستخدمة والزراعــة والصناعة الحديثة لاهداف اجتماعية مثل الحرب . أما الهيئات الاجتماعية ، وهي ايضا هامة في تاريخ التكنولوجيا ، فهي ايضا عامل سياسي . المواطنون الرومان او الاميركان مثلا كانوا متفوقين في انتاج الطعام اكثر من جيرانهم البرابرة في حين ان ليبرالية مجتمعهم وتنظيماتهم السياسية سمحت لهم باستخدام افضل للاغذية الموجودة لاهداف عسكريه ، وكذلك بالنسبة للعتاد والقدرة وطرق المواصلات . وكان الرومان ايضا افضل من الدولة ــ المدنية السابقة او الامبراطوريات لان رغبتهم بالتوسع في مواطنيتهم تحولت الى مستوى عال في مجال المشاركة السياسية وامتدادها على مناطق واسعــة .

ان عامل المساهمة العسكرية لدى اندريسكي التي يمكن قياسها احصائيا، وعوامل الطاعة العسكرية .. لا تحتاج الى شرح اوسع . ومع الترابط المستخدم في المفهوم المدني اكثر من العسكري يمكن للانسان ان يرى كيف ان نظاما سياسيا مرافقا لدعم ضعيف اجتماعي وعسكري وطاعة عسكرية متينة قد يصبح غير مستقر الى درجة قيام ثورات داخلية عندما تتطلب الحرب مساهمة عسكرية عاليــة ، او كيف انه مع تدني التكنولوجيا لدى الرومان ــ نسبة الى جوارهم ــ

تمكنوا من المحافظة على تنظيم سياسي متين وطاعة عسكرية عالية المستوى وانضباطا بالاستفادة من الروابط الاجتماعية التي اكتسبوها من النظام الجمهوري المبكر . وهذا سبب شعور الاميركيين بأن السياسة الديموقراطية قد تكون خطرة على الحياة العسكرية . ولكن التكنولوجيا هي على المدى القصير محايدة سياسيا . وان الاستفادة منها قد يكون عاملا قويا في نجاح نظام استبدادي عندما يركز هذا النظام جهوده على استخدام التكنولوجيا لاهداف تكتيكية . وهذا ما اعنيه في ذكر التكنولوجيا من جديد في نهاية تعريفي .

في عصر الحرب التكنولوجية ، والاسلحة المطلقة ونظام انخلاص العام هذا العنصر الاخير أي استخدام التكنولوجيا المتطورة لاهداف عسكرية تكتيكية ، قد يكون اكثر اهمية من المعنى الاول لها .



المراجـــع

١ ــ بنيدتو كروس : المادية التاريخية والاقتصاد لكارل ماركس (لندن ــ لاتيمر ١٩١٤) .

٢ ــ بوليبيوس « التاريخ » (نيويورك ١٩٦٦) .

٣ ــ ستانيسلاف اندريسكي : « التنظيم العسكري والمجتمع » (جامعة كاليفورنيا ١٩٦٨) .

٤ ــ كارل فون كلاوزفيتز ، في الحرب (نيويورك ١٩٤٣) .

٥ ــ نفس المصدر اعلاه .

٦ ــ صاموئيل هانتنجتون « الجندي والدولة : نظريات وسياسات العلاقات بين المدني والعسكري » (جامعة هارفورد ١٩٥٧) .

٧ ــ اندريسكي ــ التنظيم العسكري والمجتمع .

٨ ــ شيستر ستار : « بروز روما كقائدة للعالم الغربي » (جامعة كورين ١٩٥٣) .

٩ ــ اندريسكي التنظيم العسكري والمجتمع .

١٠ــ جون موناش : « الانتصارات الاوسترالية في فرنسا عام ١٩١٨ » (لندن ٩١٢٠) .

١١ــ كلاوزفيتز ، في الحرب ، بيتر باريت « التدريب ، السياسة والحرب في حياة كلاوزفيتز » مذكرات حول تاريخ الافكار (١٩٦٨) .

١٢ــ بولبيوس التاريخ .

١٣ــ المصدر السابق .

١٤ــ المصدر السابق .

١٦ــ ستار ، بروز روما .

١٧ـ اندريسكي التنظيم العسكري والمجتمع .

١٨ـ ستيوارت ببكوت : « اوروبا القديمة منذ بداية الزراعة حتى الكلاسيكية القديمة » (شيكاغو ، علاء الدين ، ١٩٦٥) .

١٩ـ ارثور بوك « نقص القدرة البشرية وسقوط الامبراطورية الرومانية » (جامعة ميتشيغان ١٩٥٥) .

٢٠ـ ارشيبالد لويس « القوى البحرية والتجارة في البحر المتوسط » (جامعة برنستون ١٩٥١) .

٢١ـ والتر كوفار « زوسيموس ، المؤرخ الاول لانهيار روما » (المجلة التاريخية الاميركية ، نيسان ١٩٧١) .

٢٢ـ روبرت لوبيز « ولادة اوروبا » (نيويورك ١٩٦٦) .

٢٣ـ لين وايت « التكنولوجيا في العصور الوسطى والتبدلات الاجتماعية » (اوكسفورد كلاروندون برس ١٩٦٢) .

٢٤ـ الفرد ماهان « تأثير القوى البحرية على التاريخ » ١٦٦٠ ـ ١٧٨٣ (بوسطن ليتل براون وشركاه ١٨٩٠) .

٢٥ـ جون بيلر ، « الحرب في بريطانيا » ١٠٦٦ ـ ١١٨٩ (أيتاكا ، جامعة كورنيل ١٩٦٦) كما ان المؤلف راجع ونشر كتاب اومان المنشور عام ١٨٩٨ . ولنفس المؤلف « الحرب في أوروبا الاقطاعية » (ايتاكا جامعة كورنيل ١٩٧١) .

٢٦ـ بيلر ـ الحرب في بريطانيا .

٢٧ـ جيوفري ايفانز « تاننبورغ ١٤١٠ ـ ١٩١٤ » (هاديسبورغ ستاكبول بوكس ١٩٧١) .

٢٨ـ جيوليو دوهي « السيطرة على الجو » ترجمة دينو فيراري (لنـدن فابر وفابر ١٩٤٣) .

٢٩ـ دافيد جورج « الحرب ، مذكرات دافيد لويد جورج » (لنـدن : نيكلسون دواتسن ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦) .

٣٠ـ هيرج اورغارت « ارثر كوري : سير كندي كبير » (توررنتو ماكميلان ١٩٣٠) . سيحل محله دراسة حديثة بقلم هيات من جامعة تورونتو الغربية .

٣١ـ تيودور روب « الحرب في العالم الحديث » (نيويورك كولير بوك ١٩٦٢).

٣٢ـ دوغلاس هيج ، الجندي المثقف (لندن ، هتشيسون ١٩٦٣) ، العنوان الاميركي للكتاب هو : « وسام النصر » (فيلادلفيا ليبنكوت ١٩٦٣) تيرين .

٣٣ـ جورج « مذكرات الحرب » .

٣٤ـ تيرين « وسام النصر » .

٣٥ـ دوغلاس هيج : « الاوراق الخاصة لدوغلاس هيج ١٩١٤ ـ ١٩١٩ » ، روبرت بليك (لندن : آير وسبوتيسوود ١٩٥٢) .

٣٦ـ تيرين « وسام النصر » .

٣٧ـ المصدر أعلاه .

٣٨ـ موناش « الانتصارات الاوسترالية » .

٣٩ـ هيات « السير ارثور كوري في باسشندال » .

٤٠ـ ايلي هاليفي « تاريخ الشعب الانكليزي في القرن التاسع عشر » (لندن بن ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢) .

٤١ـ اليكسي دو توكفيل « الديموقراطية في اميركا » ترجمة هنري ريفز ٤ أجزاء (لندن ساندرز واوتلي ١٨٣٥ ـ ١٨٤٠) .

٤٢ـ انظر افكار الماريشال لويتي المذكورة لدى روب « الحرب في العصر الحديث » .

٤٣ـ جون موناش « رسائل الحرب للجنرال موناش » كوتلاك (سادني انجوس وروبرتسون ١٩٣٥) .

٤٤ـ شارل بين « انزاس الى اميان : تاريخ مختصر للصراع الاوسترالي في الحرب العالمية الاولى » (كامبرا ، ذكرى الحرب الاولى ، ١٩٤٦) .

٤٥ـ جون بالمر « أميركا المسلحة » ، خبرة الولايات المتحدة بالمنظمة العسكرية (نيو هافن ، جامعة ييل ١٩٤١) .

٤٦ـ ماركوس كونليف « العسكريون والمدنيون » الروح القتالية في أميركا ١٧٧٥ ـ ١٨٦٥ (بوسطن ، ليتل ، براون ١٩٦٨) .

٤٧ـ جون فرانكلين « الجنوب المكافح ١٨٠٠ ـ ١٨٦١ » (كامبردج بلكناب برس في جامعة هارفورد ١٩٥٦) .

٤٨ـ كونليف العسكريون والمدنيون .

٤٩ـ الموسوعة البريطانيـــة .

٥٠ـ توكفيل « الديموقراطية في اميركا » .

٥١ـ توماس غرين « مبادىء الواجب السياسي » (لندن ١٨٩٠) .

٥٢ـ هربرت سبنسر « مبادىء علم الاجتماع » (نيويورك ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧) .

٥٣ـ كارل ليبنخت « العسكريتاريا » (نيويورك هيوباش ١٩١٧) .

٥٤ـ موريس جانوويتش « العسكرية الجديدة : نماذج متبدلة حول حقائق المهنة » (نيويورك : راسل ساج ١٩٦٤) .

٥٥ـ الفرد فاغتس « تاريخ العسكريتارية : أحلام وحقائق المهنة » (نيويورك ـ نورثون ١٩٣٧) .

٥٦ـ هانتنجتون « العسكري والدولة » .

٥٧ـ ايفان بلوك « مستقبل الحرب وتقنيتها ، واقتصادها وعلاقاتها السياسية »: هل الحرب مستحيلة حاليا ؟ (بوسطن ، ليتل براون ١٩٠٣) .

٥٨- كونليف « العسكريون والمدنيون » .

٥٩- ليون برانسوم وجورج غوتالز : « الحرب : دراسات من علم النفس ، وعلم الانسان ، وعلم الاجتماع » (نيويورك ، بازيك بوكس ١٩٦٤) .

٦٠- كونليف « العسكريون والمدنيون » .

٦١- سبنسر « مبادىء علم الاجتماع » .

٦٢- هانتنجتون « العسكري والدولة » .

التبدل الثقافي والتطور التكنولوجي
وادارة الحرب في القرن السابع عشر

دانييل بيفر

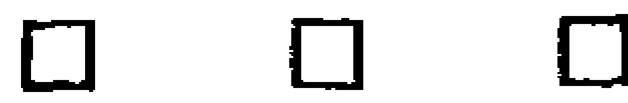
تعليق الناشر :

أحد العوامل التي تعقد المعادلة بين القوات المسلحة والمجتمعات هي التكنولوجيا . كوروللي بارنيت في عرضه لجوتلاند كرمز لانخفاض القوة البريطانية في القرن العشرين يقول ان تدني التكنولوجيا البريطانية هي السبب المباشر لضعف الاسطول البحري الملكي الذي ظهر بوضوح مفجع في معركة ٣١ ايار من عام ١٩١٦ . ولكن للتكنولوجيا سبل محيرة في مجال لا حتمية التدني بنفس النسبة في التدني الاجتماعي للدولة ، وهذا يذكرنا بالتاريخ البيزنطي لكونه تاريخ امبراطورية مريضة تمتلك اسرار النار الاغريقية التي كانت احد الاسباب الرئيسية لقدرتها العسكرية .

لا شك ان دور التكنولوجيا الحاسم في العمليات الحربية قد ظهر منذ بضعة قرون فقط . وقد كتب دانييل بيفر حول المرحلة الاولى من تسارع التبدلات التكنولوجية التي هي من مميزات العصر الحديث ، في القرن السابع عشر ويعلق على تأثير اول تسارع للتبدل التكنولوجي على الثقافة المعاصرة بشكل عام وعلى الحرب كمظهر للثقافة . كان على البروفسور بيفر ان يحضر بحثه عام ١٩٧١ بامكانيات اقل من حيث المصادر السابقة مما اتيح للبروفسور روب عندما وضع البحث السابق . لان تاريخ التكنولوجيا بدأ منذ فترة بسيطة جدا نسبيا بالبروز كفرع معترف به من قبل المؤرخين المحترفين ، وحتى ايامنا هذه لا يزال تاريخ التكنولوجيا مهملا ، عدا بعض الاستثناء ، حتى من قبل

المؤرخين العسكريين . اما الاستثناء فيقتصر على عمل ضخم في مكتبة التاريخ وهو « الحرب والتطور الانساني » لجون نيف : وهي دراسة حول النهضة المدنية الصناعية . (كامبردج : مطابع جامعة هارفارد ١٩٥٠) . ولكن التاريخ العسكري كما يكتب عادة يعالج وسائل الحرب بدرجة اقل مما ننتظر ونتوقع .

البروفسور بيفر من جامعة سنسيناتي هو احد المؤرخين العسكريين الاحداث ، لانه بدأ بالتاريخ العسكري للولايات المتحدة الاميركية ، وان بحثه الحالي يقدم صورة أخرى للصفة الدولية لهذا الحقل من الدراسة . ولقد تعامل أولا مع الحرب تبعا للتكنولوجيا ثم مع الثقافة ككل عندما كتب عن الحرب الاولى للانتاج الصناعي الكثيف في « نيوتن بيكر والجهد الحربي الاميركي ١٩١٧ ــ ١٩١٩ » (لنكولن منشورات جامعة نبراسكا ١٩٦٦) .



((كي تفهم عليك أولا أن توحد))

البير كامو

أحد أهم المواضيع في أيامنا هذه هو اعادة بعض السيطرة على العنف الدولي . في الواقع ان انسان القرن العشرين الذي تعذب كثيرا نتيجة الحرب الشاملة وجد في هذه المشكلة تحديا للقرار . ولكن وجود العنف وكون العنف المنظم والموجه المتجسد في المؤسسات الاجتماعية يدعى حربا ، فانه يصبح جزءا من تاريخ الحضارة(١) . والتاريخ ليس دراسة لتصاعد ثابت للعنف اذ كانت هناك اوقات تدنى فيها مستوى العنف بسرعة . ان ديناميكية التصاعد قد درست جيدا(٢) . في حين ان تدني العنف لم يحظى بمثل هذا الاهتمام . فهل هناك بعض المظاهر الثقافية التي يمكنها في بعض الازمنة او الامكنة ان تدنى مستوى الحروب بدل تصعيدها ؟(٣) . وان وجدت كيف نفسر هذه التبدلات الشبه منتظمة ؟ فترة اخرى ، فترة مشابهة للتي نحياها نحن ، القرن السابع عشر تقدم لنا فرصة دراسة كلا المظهرين التصعيد كما حدث في حرب الثلاثين عاما (١٦١٨ — ١٦٤٨) وما نتج عنها من تدني العنف باتجاه الحرب المحدودة في القرن الثامن عشر(٤) .

هذا النوع من التساؤلات لم تعد تسمح لنا بتفسيرات مبسطة . حتى ان احدى الدراسات الاولية مثلا ترجع مبدأ تدني مستوى العنف بعد عام ١٦٤٨ الى حرب الثلاثين عاما(٥) ، ويبدو على الاغلب ان الخوف من الحرب قد مر عبر عودة بطيئة لظهور مجموعة من القيم التي جمعت بين المجتمعات الاوروبية مما ادى الى ان تصبح الخلافات العقائدية والدينية التي جعلت من اوروبا طيلة قرن ونصف معسكرا حربيا مؤلفا من أمم منقسمة على نفسها ، بلا معنى . فأعيد تأليف المجتمعات في غربي اوروبا واتضح لرجال ذلك العصر ان هذا

قد حصل فعلا(٦) . خلال الثورة الدينية في فرنسا في القرن السادس عشر كتب « بليز دو ونت لوك » وهو ماريشال الملك : « في مواجهة العدو كافة المزايا جيدة ومن جهتي ــ وليغفر لي الله ــ لو تمكنت من دعوة شياطين جهنم لتحطيم رؤوس عدو يسعى لتحطيم راسي ، لفعلت ذلك من صميم قلبي »(٧) . كما حلل توماس هوبنر في كتاباته أثناء الحرب الاهلية الانكليزية التأثير النفسي لجيل العنف ، بطريقة كلاسيكية قال :

« ... ان القوانين الطبيعية كالعدل ، والانصاف ، والتواضع ، والرحمة والفعل بالآخرين ما تفعله لنفسك دون خوف من بعض القوى المراقبة لك ، كل ذلك مخالف لعواطفنا الطبيعية التي تدفعنا الى العنف ، والكبرياء والانتقام الخ . وان الاتفاقيات بدون سيف ليست سوى كلاما ولا قوة لها لضمان أمن الانسان مطلقا »(٨) .

ولكن بعد اكثر بقليل من مئة عام حوالي نهاية فترة استقرار نسبي في اوروبا كتب المؤرخ الانكليزي ادوار جيبون :

« .. يمكن للفيلسوف ان يسمح لنفسه بتوسيع نظرته وان يعتبر اوروبا كجمهورية كبيرة واحدة حيث بلغ فيها مختلف السكان نفس المستوى تقريبا من التهذيب والثقافة ، سيثابر ميزان القوى على التأرجح وان استقرارنا الذاتي او الممالك المجاورة سيكون على التوالي راسخا او مهزوزا ، ولكن هذه الاحداث القاسية لن تستطيع التأثير على سعادتنا العامة ، ان نظام الفنون ، والقوانين واساليب التصرف التي منحتنا ميزة كبرى على باقي البشر ، الاوروبيون ومستعمراتهم ... في السلم ان تطور المعارف والصناعة يتسارع بتزايد عدد الخصوم النشطين . أما في الحرب فان القوة الاوروبية تمارس بمضامين اكثر اعتدالا وغير حاسمة(٩) .

وكما وصف هوبز لحظة واحدة من الزمن كما لو كانت ظرفا عالميا هكذا جيبون عشية الثورة الفرنسية القى نظرة الى مئة سنة خلت معتقدا انه يستشف المستقبل ايضا . ولم يكن يعلم انه كان يصف فترة مميزة حيث

خلقت قوى المجتمع توازنا مؤقتا في اوروبا الغربية وثقافتها لن تعود الى الظهور لعدة اجيال لاحقة .

ان قصة كيفية ظهور هذا التوازن الاجتماعي وكيف تحولت المدينة السماوية اللاتينية خلال قرنين الى ما دعاه كارل بيكر الى المدينة السماوية لفلاسفة القرن الثامن عشر فهذا يتعلق بالعلافة بين التكنولوجيا والتنظيم العسكري الداخلي والافكار وتدخلها في الانظمة الادارية التي تماسكت فيما بينها حتى الصدمة المدمرة الناجمة عن الثورة الفرنسية .

مع بداية القرن السابع عشر كانت التكنولوجيا اللازمة للصناعة الحربية متوفرة ، فالمخرطة والمثقب والمطرقة المنزلقة وسواها كانت قد اخترعت فعلا ، ورغم انه لم يكن قد تم اكتشاف قدرة حركية مرضية فان دواليب الهواء ودواليب الماء ، والمكبس كانت كلها موجودة لمساعدة وزيادة قدرة العضلات الانسانية والجهد الحيواني . وكما ان البارود والاسلحة الصاروخية قد زادت مدى الانسان فان الرياح والمياه زادت قدرة وقوة الانسان . ورغم ان الصناعات المعدنية لم تكن مفهومة بعد بشكل تام الا انها كانت كافية لصناعة الحديد والنحاس اللازمة لصناعة الاسلحة الصغيرة والمدفعية(١٠) .

وادى ادخال الاسلحة الصاروخية وتبني البارود الى تقديم فرصة فريدة للدول الناشئة باحتكار صناعتها . وان الاحتكار الملكي لصناعة الاسلحة وخاصة المدفعية عندما ترتبط مع بروز الجيوش الدائمة يوضح تطور تعاظم قوة الملكية الطابع المميز للقرن السابع عشر .

مثل هذه المحاولات لم تكن جديدة ، ولكن خلال القرن السابع عشر فقد اصبحت اكثر فعالية(١١) . في فرنسا وتحت سلطة مكسيميليان دو بيتون دوق سولي اكبر وزراء هنري الرابع ، فان محاولات اقامة صناعة البارود ، والمتفجرات وقطع المدفعية كانت ناجحة الى درجة كبيرة . وقد نص قانون ١٠٦١ على ان حق صناعة المتفجرات والبارود يعود للسلطة تماما كحق سك النقود . وقد أسندت ادارة الصناعة الملكية للمتفجرات والبارود الى « المعلم الاكبر للمدفعية » وقد شغل هذا المركز الدوق سولي بنفسه في الفترة بين

عام ١٥٩٩ حتى عام ١٦١٠ (١٢) . ورغم بعض الزيادة في صناعة البارود الفردية غير الشرعية خلال فترة « الفروند » فان الاشراف الملكي عليها لم يهن لحظة واحدة . في عام ١٦٦٣ اصدر لويس الرابع عشر أمرا يؤكد على القرارات السابقة وتمكن المعلم المدفعي الاول أثناء فترة حكمه عبر التنظيم الاداري المحسن من الاشراف التام على صناعة الذخائر .

ولم تصبح صناعة البارود في انكلترا ذات اهميـة تذكر ـ حتى حكم اليزابيث الثانية . في الستينات من القرن السادس عشر تركز احتكار صناعة البارود في أيدي جورج ايفلين وحتى عام ١٦٢٥ بقي احتكارها بأيدي خلفائـه الاغنياء ميدل سيكس ، وخلال فترة حكم شارل الاول بدأ هذا الاحتكار يتصدع حتى عام ١٦٤١ حيث سمح مجلس النواب باطلاق حرية صناعة البارود (١٣) . وبذلك كانت الرقابة على صناعة الذخيرة في بريطانيا في نهاية القرن السابع عشر مختلفة تماما عنها في فرنسا حيث كانت تحت الاشراف الملكي منذ البداية حتى النهاية . تبنت الحكومة البريطانية حرية الاقتصاد الفردي وبالتالي فشـل الملوك الانكليز باحتكار صناعة البارود ومسكها بأيديهم . وكان الجهاز الاداري منظما في انكلترا بشكل جيد مما سمح بضمان وصول الذخائر المناسبة للجيوش الملكية انما عبر التعاون مع المتعهدين الخارجين لا عن طريق الاحتكار .

وقد طرأ تحسن ملموس على الاسلحة قبل عام ١٦٧٥ ، فحلت البندقية ذات القادح محل العاملة باشعال الفتيل وظهر الى الوجود نظام مدفعي يشمل مدافع خفيفة وميدانية وخاصة بالحصار ، وتوحدت العيارات الى درجة ما ، وظهرت الطلقات الكاملة لكلا الاسلحة الخفيفة والمدفعية ، واخيرا تطورت الحربة ذات السوار . ولكن التطور الفعلي لصناعة الاسلحة الخفيفة والمدفعية كـان جديا ولكنه بطيء ، اذ كان التكديس يجري لتأمين مخزون بالاسلحة بدلا مـن سرعة الانتاج . بعد ثبات شكل البندقية ذات القادح سواء مع الحربة ذات السوار او المركبة لم يطرأ هناك اي تبدل يذكر للاسلحة الخفيفة طيلة حوالي قرن من الزمن . وكان الجندي يحمل نفس الاسطوانة الحديدية ذات سرعة الرمي المنخفضة في عام ١٧٩٠ كالتي كانت مستخدمة عام ١٦٩٠ . ووصلت المدفعيـة الى نفس المستوى التكنولوجي (١٤) . ونتيجة لذلك وطالما كان الاعتناء والصيانة

مقبولة ، كدست الاسلحة في المستودعات الملكية لعشرات السنين وكان بالامكان تسليحها للقوات دون ان يعدل ذلك امر يؤثر على العمليات الحربية . وعندما سلح الجيش الفرنسي بالحربة ذات السوار في مطلع ١٦٩٠ خزنت كافة البنادق التي لم يدخلها التحسين . وفي عام ١٧٠٣ بيعت الى الحكومة الاسبانية بكميات كبيرة مع الحراب المركبة وقد استخدمت بفعالية من قبل الجيش الاسباني من عام ١٧٠٣ حتى عام ١٧١٠(١٥) .

وقد برزت العلاقة بين التكنولوجيا والتكتيك بابهى مظاهرها في مجال تنظيم واستخدام المشاة . فخفت نسبة الجوالة الى الرماة في حين زادت نسبة المدفعية . وعدل التشكيل الاسباني الثقيل من قبل السويديين الى وحدات اصغر واكثر مرونة ، « الكتيبة » ومن قبل الفرنسيين فقط « الفوج » . وتطلب الرمي بالرشقات الذي يؤمن اقصى فائدة من الرمي بالبندقية ذات الجف الملس ، تدريبا اكبر بكثير من السابق حيث لم يكن يطلب من الجندي سوى التسديد في الاتجاه الصحيح خلال هجوم الجوالة . وكان الاعتقاد السائد انه يلزم ثلاث سنوات على الاقل لتدريب جندي المشاة على التكتيك الخطي الجديد : اي الاسلوب المعقد للتحرك من الرتل الى تشكيلة القتال ومن نسق القتال الى المربع للوقاية من الخيالة ثم العودة من جديد الى الرتل . وان نظام تبادل الرشقات على مسافة اقل من ٧٥ خطوة كما في بلنهايم عام ١٧٠٤ او نونتونوا عام ١٧٤٥ لم يفرض خلال بضعة اشهر . وهكذا اصبح الجنود اقل استهلاكا بالذخائر مما كانوا عليه خلال حرب الثلاثين عاما (١٦) .

وقد نمت القدرة التكنولوجية والتنظيمية ، على ايقاع خسائر اكبر ، خلال القرن السابع عشر . كانت الجيوش عام ١٧٠٠ اكبر مما كانت عليه عام ١٦٣٠ ، ولكن روح التصميم تدنت . لقد ذكرت سابقا ان كلفة التدريب وتجهيز جيش ما لعبت دورا في ذلك . كما ان طبيعة الضابط الجديد كانت ايضا مؤثرة . فالجيش الدائم الجديد افسح مجالا لانتماء طبقة النبلاء القدامى اليه . اذ ان فعاليتهم العسكرية كخيالة ثقيلة قد دمرت بنيران البارود ، وقوتهم السياسية تحطمت بسبب اتساع الدولة ، لذلك وجد الكثيرون مكانا لهم

كضباط في خدمة الملك . وكانت مدارس الضباط حيث يدرس التكتيك الجديد موجودة سواء في فرنسا او في بروسيا قبل نهاية القرن الثامن عشر . وقد اظهرت المناورات السنوية درجة استيعاب الدروس المتلقاه . وعبر أوروبا الغربية كلها ساد تكتيك واحد وحتى القيم نفسها كانت تغرس في نفوس الارستوقراطيين الشبان . وبدأت تظهر اخوة السلاح الاوروبية وعادت الى الظهور الفروسية انما بشكل اعم .

ويمكن اعتبار فن الحصار الذي وضعه سيفاستيان لوبريسنر دو فوبان نموذجا للحرب الحديثة . كالنبوءة الدينية للمصليين المانتيين ، منظما كمسألة هندسية حقق فوبان بفن الحصار الذي وضعه ضمان النجاح مع الاقلال بعدد الخسائر بين كافة المحاربين . وما وضعه احد المؤرخين « بلوحات اوكليد » بدا قويا لدرجة ان لويس الرابع عشر في سبيل الاقتصاد العسكري بدل قوانين الحصار ليسمح للقائد ان يستسلم بشرف بعد ان يتم خرق صغير في جدار قلعة ما وبعد ان تم صد هجوم واحد . لقد اصبحت الحرب علمية مقادة بشبكة من القواعد ونظام دقيق كالتقرب الهندسي لحصار فوبان(٧١) .

ان اهمية الافكار القانونية والنظامية لرجل القرن السابع عشر كانت نواة الموضوع . واصبحت حقائق الطبيعة اكثر بعدا عن علم اللاهوت كحقل من البحث . وقد جسد فرانسيس بيكون هذه الروح الجديدة المسيطرة عندما كتب في « نومنيم اورنمانوم » :

... ان الموضوع المطروح ليس حبا بالظهور بل انه العمل الحقيقي ومصير الجنس البشري وكل القوى العملية اذ ان الانسان ليس سوى خادم ومعبر عن الطبيعة . وان ما يفعله وما يعرفه هو فقط ما لاحظه من النظام الطبيعي في الواقع الملموس او الفكر ، وهو لا يعرف شيئا اكثر من ذلك وبالتالي لا يستطيع فعل اي شيء . لا ن سلسلة الاسباب لا يمكن تحطيمها من قبل أية قوة ، ولا يمكن قيادة وتوجيه الطبيعة الا بالانصياع لها . وهكذا يتجمع التوامان المعرفة الانسانية والقوة الانسانية في قدرة موحدة ، وان فشل كل عملية سببه جهل هذه الاشياء ..(١٨) .

ويكرر ديكارت في خطابه من « الطريقة » اهتمامات بيكون بالنتائج العملية والبراغمانية للبحث العلمي :

... رغم ان افكاري تعجبني فاني اعتقد ان اخرين اهم ايضا افكارهم التي قد تعجبهم اكثر . ولكن ما ان اصل الى مبادىء عامة تتعلق بالفيزياء وعندما ابدأ بالتحقق منها في عدة جزئيات ، والاحظ كم هي مختلفة عن المبادىء المتعارف عليها ، فاني أؤمن بأنه ليس باستطاعتي الاحتفاظ بها دون الاساءة للقانـون الذي يجبرنا على اكتساب قدر استطاعتنا من الصالح العام للناس ، لانهـا اظهرت لي انه بالامكان بلوغ المعرفة المفيدة للحياة ، وانه بـدلا من الفلسفـة الانتقائية التي نتعلمها في المدارس يمكن ايجاد فلسفة عمنية التي بواسطتهـا وبمعرفة قوة وعمل النار والماء والهواء والنجوم والسماوات وكافة الاجسـام الاخرى المحيطة بها كمنفصلة كما نعلم ، من مختلف التجارة والصناعة التـي يمارسها صناعنا ، يمكننا بنفس الاسلوب ان نضعها لصالـح كافـة انـواع الاستخدام التي وضعت من اجلها وبهذا نجعل انفسنا ، سـادة ومالكـي الطبيعة (١٩) .

انطلاقا من روح البحث هذه التي اتصف بها رجال ذلك العصر ظهـرت قناعة بأنه بامكان الانسان تطوير اساليب تقنية ووسائل للسيطرة على الطبيعة، وهذا موقف جديد سيؤثر حتما على الثقة بالنفس واشارة روح الجماعـة التي لم تكن معروفة حتى انهيار السلطة اللاتينية في العصور الوسطى . كي نـرى العالم ونفهمه عبر المنطق الانساني بدلا من الايمان . ان نراه خاضعا لقوانين ممكن اكتشافها واذا لم نستطيع السيطرة عليها ... كل ذلك ادى الى موجة من الثقة بالطبقة المتعلمة من المجتمع المقسم بالصراعات الدينية والمحطم نتيجة الحروب التي كانت تدمر بدون تمييز .

وبدات الاراء حول القوانين العالمية تنعكس على الوحدة المتعاظمة بـين الدول . وفي منتصف العصر بدت بوادر بروز اوروبا انطلاقا من بعض القوانين الداخلية المفهومة . حتى اثناء اقسى الصراعات الدينية التي جرت في العصر السابق كان هناك تنافس بين النظام والفوضى المسايرة لانهيار مجتمعـات

القرون الوسطى . فقد قيدت القوى المحلية للبارونات في انكلترا أثناء فترة حكم التودور ، وبرزت نماذج من الادارة المركزية خاصة في التجارة والاعمال البحرية (٢٠) . وقد تجنب السويديون النتائج الاسوأ للاقطاعية المحلية واستقلالها ، كما ان جيش جوستاف ادولف الذي دخل المانيا قد انشيء عن طريق التطوع وكان تموينه يتم بواسطة جهاز اداري مركزي(٢١) .

وكان اللوفر في باريس وهو مقر القيادة الحربية الفرنسية يجسد هذه النظرة الجديدة وكذلك فرساي . وكان المركيز دو لوفوا مستشارا للتاج فيما يتعلق بالشؤون العسكرية بالاضافة الى كونه المدير الاداري للقوات المسلحة . وكما نظم جون باتيست كولبير وشجع الصناعيين والتجار والطبقات الاقتصادية في فرنسا فان وزير الحربية نظم الشؤون العسكرية . وعند وفاة لوفوا عام ١٦٩١ كانت وزارة الحربية الفرنسية تضم خمسة مكاتب يرأس كل منها مساعد وزير وتحتفظ بأرشيف ضخم (٢٢) .

وطبق اسلوب مماثل لذلك في انكلترا . وعين اول سكرتير عسكري من قبل شارل الثاني وكان انذاك في المنفى . وعندما عادت الملكية تحول هذا المنصب موقتا من السكرتير العسكري الى القائد العام للجيش . وخلال حكم الملكة آن (١٧٠٢ ــ ١٧١٤ ؟ غير اسم المنصب واصبح « وزير الحربية » ويرتبط بالتاج مباشرة . وفي ايام الاداري القدير السير روبرت وولبول اصبح قناة ومرجعا لكافة المسائل المتعلقة بالنواحي المدنية والعسكرية في الوطن ، ووضعت القوانين لتنظيم العلاقة بينها(٢٣) .

ومن اوضح الامثلة التي توضح السعي الى تحديد اثار الحرب كان ظهور القوانين الحربية في الجيوش الاوروبية . ففي عام ١٧٠٠ فرقت هذه القوانين بشكل واضح بين المقاتل وغير المقاتل ونصت بوضوح على كيفية معاملة الضباط الاسرى وفرضت العقوبات على النهب والسلب (٢٤) . ومع نهاية القرن السابع عشر كان لدى الحكام الاوروبيين جيوشا دائمة ومنظمة . وانشأت الحكومات صناعة الاسلحة واشرفت على التموين بالسلاح والارزاق والالبسة والخيام والافران الميدانية لقواتها المسلحة . وساهم الاشراف

الاداري ، رغم كونه قليل الفعالية وكثير الفساد تبعا للمقاييس الحديثة ، في زيادة فعالية الجيوش في الميدان .

الحجر الاساسي الذي جمع بين قوس العقائد والادارة كان مفهـوم « قانون الامم » الذي نسق العلاقات بين الحكام . فقد شهد القـرن السابع عشر صراعا بين الحقوقيين ومسائل النظام الدولي دون وجود ايمان ديني . وقد ادى هذا المسعى اخيرا الى ما دعاه القانوني الشهير في القرن الثامن عشر ايمريخ دو فاتيل « القانون المتطوع للامم » وهو اذ ينكر وجود سلطة اعلى من الدولة يقول :« بسبب فقدان الحكم يجب اللجوء الى القوانين التي تنظـم الحروب » . وتتضمن هذه الفكرة العديد من الفوائد الموجهة الى الاقلال مـن العنف . وكان الاعتدال هو الهدف المحوري :

. . . يمكن الا تكون معاهدة السلام اكثر من اتفاق ، حيث تطبق القوانين بدقة وتحترم العدالة بشكل يحصل فيه كل طرف على ما يرجوه والا لا يمكن حلول السلام طالما وجدت رغبة باستمرارية الحرب حتى تدمير احد الاطراف . وبما انه مهما كانت درجة الحق في هدفنا وقضيتنا ، نحن نسعى لاعـادة السلام وعلينا توجيه كافة الجهود نحو هذا الهدف ، فلا بد ان نجد وضعا ينفق عليه الطرفان اذ يؤمن لكليهما ما يصبو اليه وان نضع حدا لكافة الخلافات باتفـاق عادل بقدر ما تسمح الظروف بذلك . في مثل هذا الاتفاق لا ضرورة لاتخـاذ قرارات تتناقض مع اهداف الحرب ولا وضع حد للخلافات التي ادت الـى هذا الصراع ولا حكم بالادانة على اي طرف ـــ اذ لن يقبلها احد ـــ بل ينظـم انفاق يحقق لكل طرف بعض من مطاليبه (٢٥) » .

في عـام ١٩٥٦ اصدر ميشيل روبرتس من جامعة كوينز ـــ بلفاست ـــ دراسة قيمة حول العلاقة بين التكنولوجيا والتكتيك بعنوان « الثورة العسكرية ١٥٦٠ ـــ ١٦٦٠ » . وفيها اظهر روح العصر التي تجسدت في النظام الصارم والمهارة الميكانيكية المتطورة التي كان يتطلبها تكتيك الصفوف الذي حطم الميـل المتوارث نحو الحكومات المستبدة . « لم يكن صدفة ان لويس الثالث عشر كان مولعا الى درجة كبيرة بالمسابقات ، ولم تكن نزوة شخصية تلك التي قادت

لويس الرابع عشر الى صك وسام على احد وجهيه صورته في استعراض عسكري وعلى الوجه الآخر مشهدا يظهره وهو يعدل وضع جندي في آخر الصف . ان التناسق والنظام في العرض او حث للويس الرابع عشر ومعاصريه بالنموذج الذي يوضح ان الحياة والفن متماثلان ويجب ان يتطابقان . ودخلت الخطوات الموزونة التي اتصفت بها افواج مارتينيت من جديد الى المعزوفات الملكية(٢٦) » .

كانت الحياة العسكرية مثلها مثل نشوء الملكية المطلقة جزءا فقط من الاسلوب المنظم الذي ميز ذلك العصر . ويصف كتاب « مبادىء نيوتن » الذي نشر عام ١٦٨٧ نموذجا للنظام المحدد بالقوانين الطبيعية . لقد رفض نيوتن حتى التدخل الالهي في نظامه ، وقد هزىء بمعاصريه الارتوذكسيين الذين يعتقدون بأن « آلة الصنع الالهية هي غير كاملة لدرجة أنه مضطر لتنظيفها والسعي عبر تدخل رائع تصليحها كما يفصل صانع الساعات(٢٧) » .

كان نظام نيوتن جزءا من الظاهرة الثقافية التي اعادت صياغة مفهوم المجتمع ومجموعة القيم التي يشترك بها كافة قادة اوروبا والتي تسعى الى الاقلال من مصائب الحرب . وكانت الجغرافيا اكثر من اية قيمة روحية هي المخرج . ومن هذه القيم المشتركة برزت حسب تعبير كلاوزفيتز « الحرب المحدودة » بدلا من « الحرب الشاملة » . وقد وضحت الوحدة الجديدة بافضل مظاهرها لدى الكسندر بوب الذي نشر قصيدة عام ١٧٣٠ بعنوان « ايساكوس نيوتونوس » .

« ... الطبيعة والقوانين الطبيعية مستلقية »

ساكنـة في الظلام ...

... قال الرب ... ليكن نيوتن
... فأصبح كل شيء ... ضياء[82]

ان فكرة المجتمع مثلها مثل معظم الافكار الكبيرة التي تحرك الانسان ، لا تحتاج الى تعريف دقيق . فاذا كان المجتمع موجودا فان الانسان يسعى لاعتباره ابديا ، واذا لم يكن لذلك فان وجوده يبدو مستحيلا على الادراك . رجال منتصف القرن الثامن عشر كانوا جزءا من عصر هائج وواثق من نفسه ولم يكن بامكانهم الاعتقاد باحتمال انتهائه . فلا نيوتن ولا هويز او جيبون ولا حتى الكسندر بوب كان بامكانهم النظر من خلف الزاوية نحو المستقبل كتاريخ . لم يكن باستطاعة احد ان يتنبأ باحتمال دمار المجتمع كما جرى مع الثورة الفرنسية . مثلنا جميعا حاولوا تجميد الزمن ووضع لافتة عليه « ابدي » ولكن التاريخ ديناميكي ، متحرك . وقد وصف هذا الفارق بيننا وبينهم رجل معتدل انذاك « بليز باسكاله » بقوله :

.. لا شيء يقف امامنا . هذه الدولة لنا بصورة طبيعية ، ومع ذلك نحن لا نميل اليها كثيرا : نحرق انفسنا لايجاد ارض صلبة قاعدة ثابتة نهائية لنبني عليها برجا يرتفع حتى اللانهاية ، ولكن الاساس بكامله يتشقق تحتنا والارض تفتح اعماقها لتقودنا الى الهوة(٢٩) .

المراجـــــع

ان الفكرة الاساسية لهذا البحث مستوحاة من دراسة اثنين من ابرز مؤرخي عصرنا هما كلارك (الحرب اولمجتمع في القرن السابع عشر) كامبروج انكلترا منشورات جامعة كمبروج ١٩٥٨) وجون نيف « الحرب وتطـور الانسانية » (كالمبردج منشورات جامعة هارفارد ١٩٥٠) . اذ ان عملهما قد اثار مواضيع اساسية حول الحرب والثقافة ويتطلب دراسة اعمق من قبل اي شخص مهتم بالدور التاريخي للعنف الاجتماعي .

١ ــ مفهوم الحرب كمؤسسة تمدنية مأخوذ عـن كوينسي رايت دراسة في الحرب (شيكاغو منشورات جامعة شيكاغو ١٩٧٢) .

٢ ــ افضل مقال لدراسة « التأثير المتصاعد » تعتمد على المؤلفات الخاصة بالحرب العالمية الاولى . انظر مثلا : فرتيز فيشر « الاهداف الالمانية في الحرب العالمية الاولى » (نيويورك نورتو ١٩٦٧) . وكذلك ريمون آرون « عصر الحرب الشاملة » (غارون سيتي دابل داي ١٩٥٤) وارنوماير « الديناميكية والثورة المضادة في اوروبا ١٨٧٠ ــ ١٩٥٦ » تحليـــل (نيويورك ، هاربر وروي ١٩٧١ ؟ .

٣ ــ بالثقافة اعني ابعد بكثير من وحدة اللغة والقرب الجغرافي انما اعني مجموعة من القيم وصفها بيتريم سوروكن في « سوسيولوجية ثـورة » (فيلادلفيا : ليبنسكون ١٩٢٥) التي تشكل رباطا تقافيا واخلاقيا يربط بين المجتمعات ببعضها البعض ضمن اطار ثقافة موحدة .

٤ ــ بتصريف الحرب المحدودة اعني المحدودة من حيث الاهداف والجارية بين عناصر معينة مختارة مع المجتمع ضد عناصر مماثلة معادية . والمفهوم

لا علاقة له بحجم الخسائر . ولا مبرر يدعونا للقناعة بأن نسبة الاصابات في المعارك كانت اقل في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ - ١٧١٣) عنها في حرب الثلاثين عاما ، انما عدد الاصابات بين غير المقاتلين قد خف بشكل كبير .

٥ - دافيد مالاند « اوروبا في القرن السابع عشر » (نيويورك سان مارتن ١٩٦٦) .

٦ - لقد قبلت وصف الجالية لدى كاهلر « البرج والهاوية ... دراسة حول تطور الانسان » (نيويورك فايكنغ ١٩٦٧) الذي يقول : « الجاليات تضع التقاليد ، انها الارض ، الارض المتحولة دوما والتي يجد فيها الانسان جذوره . والواقع انه اذا كانت نفسية كل انسان تصل لعمقها حتى مطلع الحياة فانها عميقة عمق الحياة نفسها » .

٧ - الفيكونت مونتغمري في العلمين . « تاريخ الحرب » (كليفلاند العام ١٩٦٨) .

٨ - توماس هوبز « ليفياتان » . (روبرت لاسكوت نيويورك راندوم ١٩٤٧) .

٩ - طوللر « ادارة الحرب » ١٧٨٩ - ١٩٦١ (نيوبرانسويك راتجرز منشورات الجامعة ١٩٦١) .

١٠- لويس مومفورد « التقنية والمدنية » (نيويورك هاركورت برايس ١٩٣٤ ؟.

١١- جون نيف « الصناعة والدولة في فرنسا وانكلترا ١٥٤٠ - ١٦٤٠) (فيلادليفنا - الجمعية الفلسفية الاميركية ١٩٤٠) .

١٢- نيف المصدر السابق .

١٣- نيف المصدر السابق .

١٤- في وصف التكنولوجيا والتكتيك في القرن السابع عشر انظر تيودور دوب « الحرب في العالم المعاصر » (نيويورك كوايير ١٩٦٢) . ولير مونتروز « الحرب عبر العصور » (نيويورك هاربر ١٩٦٠) .

١٥ـ هنري كامن « حرب الوراثة الاسبانية ١٧٠٠ ـ ١٧١٥ » بلومنغتون : منشورات جامعة انديانا ١٩٦٩ .

١٦ـ جون وولف « لويس الرابع عشر » (نيويورك نورتون ١٩٦٨) مثلا : لويس الرابع عشر صوت لصالح حياة جنوده في مناسبات عدة في مجالسه الخاصة والعامة رغم كونه مهتم بالمال كاهتمامه بالارواح .

١٧ـ روب المصدر السابق . مناقشة فوبان وفرنسا القرن السابع عشر انظر هنري غويرلك « فوبان تأثير العلم على الحرب » ولدى ادوارد ايرل « صانعو الاستراتيجية الحديثة » (برلستون ١٩٤٣) .

١٨ـ فريدريك كليم : « تاريخ التكنولوجيا الغربية » (نيويورك سكريبنز

١٩ـ كليم : المصدر السابق .

٢٠ـ حول البحرية الانكليزية والاعمال التجارية انظر ويليامسن « عصر دريك » نيويورك : (بارنز ونوبل ١٩٦٠ ؟ وغاريت ماتنغلي « الارمادا » (بوسطن هوجتون ميفلين ١٩٥٩) وكونيرز ريد « لورد بورلي والملكة اليزابيت » (نيويورك كنوف ١٩٦٠) .

٢١ـ افضل دراسة حول غوستافوس ادولفوس لدى ميشيل روبرتس « غوستانوس ادولفوس : تاريخ السويد ١٦١١ ـ ١٦٣٢ » نيويورك لونغمان غرين ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ انظر أيضا ووديجوود « حرب الثلاثين عاما » (لندن جوناتان كيب ١٩٣٨) .

٢٢ـ غويرلاك « نوبان » .

٢٣ـ الميجور سكولير : « جيوش الملكة آن » (اوكسفورد كلاروندون ١٩٦٦) .

٢٤ـ نموذج عن المواضع المعاصرة حول الحرب انظر المصدر السابق .

٢٥ـ مونلد « ادارة الحرب » .

٢٦ـ ميشيل روبرتس « الثورة العسكرية ١٥٦٠ ـ ١٦٦٠ » ولدى دافيد

ـ الستون « الجنود والدولة العلاقات المدنية العسكرية في اوروبا المعاصرة» (بوسطن ـ هيث ـ ١٩٦٦) .

٢٧ـ دولف « تاريخ العلوم ، التكنولوجيا والفلسفة في القرن السادس عشر والسابع عشر » (نيويورك ماكميلان ١٩٣٥) .

٢٨ـ هاوارد لويري وويلم ثورب . انتولوجية الشعر الانكليزي (نيويورك ـ منشورات جامعة اوكسفورد ١٩٥٦ ؟ .

٢٩ـ كاهلر « البرج والهاوية » .

الامن الوطني والقيادة العسكريـــة

١ ـ سياسة الامن الوطني الفرنسي ١٨٧١ ـ ١٩٣٩ ، رينشارد شالينير •

٢ ـ خبرة الجيش الياباني ، الفين توكس •

٣ ـ مشاكل القيادة العليا في الحرب الاهلية الاميركية ، وارن هاسلر •

٤ ـ القيادة الاميركية والقادة في الحرب العالمية الاولى ، ادوارد كوفمان •

تعليــــق الناشـــــر

من بين مجموعة الاعتبارات التي ثارت بين الجندي ومجتمعة نصل الى المسائل الاكثر تحديدا والمتعلقة بالاشراف المدني على القيادة العسكرية ومن المسح الشامل لازمنة واماكن عدة الى دراسة محددة للامة ـ الدولة .

لاسباب واضحة نجد ان القسم الاعظم من التاريخ العسكري الحديث بعد الحرب العالمية الثانية اهتم بالعلاقة بين الجندي والدولة في المانيا حيث ولدت السيطرة الحديثة للدولة من قبل العسكري اي ما ندعوه بالعسكريتارية . حتى قبل الصراع العالمي الثاني في القرن العشرين ومع الخوف من المزيج بين فعالية وعدوانية النظام الالماني المرتبط بدولة المانية عدوانية ، بدأ المؤرخ الالماني الكبير « غيرهارد ريتر » وهو في طليعة المؤرخين العسكريين ، في كتابة دراسته الضخمة حول العسكرية الالمانية وثابر على عمله في وسط الحرب وانهاها بألمانيا المجزأة اثر الحرب وهي بعنوان : « المسألة العسكرية في المانيا » ، ٤ مجلدات ، بعد الحرب العالمية الثانية درست العسكريتارية الالمانية من قبل مؤرخين قديرين من دول اخرى خاصة من قبل المؤرخ البريطاني جون ويلر بنيت في كتابه « نميسيس القوة : الجيش الالماني والسياسة ١٩١٨ ـ ١٩٤٥ » (نيويورك سانت مارتن ١٩٥٤) ، والاميركي غوردون كريغ في « السياسة والجيش البروسي ١٦٤٠ ـ ١٩٤٥ (نيويورك ـ منشورات جامعة اوكسفورد ١٩٥٦) .

وربما كان هذا هو جزئيا سبب عدم تعرض اي من المحاضرين في دورة الابعاد الجديدة الى المانيا اذ أن المسألة العسكرية الالمانية قد عولجت بشكل مفصل جدا في المؤلفات التي ذكرتها وسواها .

ولكن فرنسا لعبت دورا رئيسيا مستقلا مماثلا للدور الالماني في صياغة

اطار النتائج المعاصرة المتعلقة بالسيطرة العسكرية سواء على الدولة داخليا او على علاقاتها مع العالم الخارجي . فالثورة الفرنسية عممت مفهوم الامة المسلحة وخلقت الجيش الجماهيري الديموقراطي . وهذا الجيش الجماهيري بدوره بدأ باخراج الحرب من حدودها الضيقة كما كانت في القرن الثامن عشر ، وتفريقها بين القوات القليلة العدد المؤلفة من جنود محترفين قليلي الاحتكاك بالمدنيين والجيش الحديث الذي يضم الجميع . وكان البروسيون لا يزالون يحتقرون قوة الجيش الجماهيري وفعاليته تجاه فعالية الضباط المحترفين المؤهلين على الاسس الحديثة هذا التأهيل الذي يتجسد في الامكانيات الكامنة في الاركان العامة . وضمن هذا الاطار ، ومع ذلك ، فان الاركان العامة البروسية مارست هيمنة ليس فقط على الجيش البروسي انما على الدولة ككل ايضا ، وأصبحت كدولة داخل الدولة ، تعتمد عليها الدولة المدنية لدرجة ان كل أزمة كانت تعطي استقلالية اكبر للجهاز العسكري عن الدولة المدنية التي هي من المفروض تابعة لها . هذا المزيج البروسي للقوى الذي ادى الى هزيمة فرنسا في حرب ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ قاد معظم دول القارة الاوروبية الى الشعور بأنها ولدفاعها الذاتي عليها ان تطبق نظاما مماثلا لبروسيا أي مزيج من الجيش الجماهيري والقيادة المطلقة للاركان العامة هذا المزيج الذي اصبح رهيبا بعد تحول بروسيا الى الامبراطورية الالمانية .

وشعرت فرنسا خاصة ان عليها أن تتبنى التدابير العسكرية البروسية نظرا لكونها العدو القديم لالمانيا في محاولتها للسيطرة على السياسة الاوروبية وكذلك لاستعادة سمعتها التي فقدتها في الهزيمة المذلة عام ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ وعلى أمل أن تتمكن يوما ما من الاخذ بالثأر . ولكن عقيدة الثورة الديموقراطية في القرن الثامن عشر لم يكن لها مطلقا أية جذور في بروسيا ، فهناك كان الجيش الجماهيري الذي تم تبنيه بعد الثورة الفرنسية ديموقراطيا فقط من حيث جماهيريته لا من حيث عقائده ومبادىء الاشراف عليه . في حين انه في فرنسا على النقيض من ذلك فان الثورة الديموقراطية التي قامت في القرن الثامن عشر تركت آثارا عميقة ودائمة على الشعور الوطني ، رغم ان مبادئها لم تكن مقبولة من قبل مجموع الشعب . ونتيجة لذلك فان الجهد الذي بذل في فرنسا لتطبيق

اسلوب المنظمات العسكرية البروسية في دولة ديموقراطية خلقت أشكالا من التوتر أدت الى نسف الاستقرار الداخلي والامن الخارجي خاصة ضد بروسيا وتطلعاتها .

ان تاريخ هذه الاوضاع غير المستقرة هو جـزء مرتبط بفرنسا نفسها ولكنه ايضا يوضح دور المشاكل التي فرضتها الهيمنة العسكرية البروسية على القوى الكبرى .

في عام ١٩٧١ عندما أعيدت قراءة التاريخ وجرى تحليلها والتعليق عنها من قبل ريتشارد شالينير من جامعة برنستون كان ذلك مثال آخر عن النظرة العالمية للمؤرخين العسكريين الجـدد . ونجد ذلك في مؤلفاته : « الاميرالات والجنرالات والسياسة الاميركية الخارجة ١٨٩٨ ــ ١٩١٨ » (برنستون : منشورات جامعة برنستون ١٩٧٣) ، والنظرية الفرنسية للامة المسلحة ١٨٦٦ ــ ١٨٣٩ (نيويورك راس ١٩٥٥) .

سياسة الامــن الوطني الفرنسية

١٨٧١ ــ ١٩٣٩

ريتشارد شالينر

حيثما بدأت بمناقشة سياسة الامن الوطني عليك فورا الانتقال الى ما ابعد من الاعتبارات العسكرية . الواقع ان اهم واجب لكل من يحاضر حول موضوع كهذا ، ان يسعى الى ايضاح وجـود مجموعة كبيرة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدخل في اطار تحديد سياسة الامن الوطني لاية دولة . وهذا هو بالواقع هدفي الخاص لاني أعتقد عن قناعة بأن التاريخ العسكري قد يصبح موضوعا حيويا فقط عندما يتجاوز الدراسات الاستراتيجية والتكتيكية الصرفة ليشمل العديد من العوامل غير العسكرية التي لها علاقة به .

موضوعنا اليوم هو سياسة الامن الوطني الفرنسية بين منتصف القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية . وهو من ناحية ، موضوع سهل المعالجة لان الامن الفرنسي يدور حول موضوع واحد واضح : وهـو بالتحديد دفاع فرنسا ضد ما دعته « العدو الطبيعي » المانيا . وهذا يعطينا امكانية للتركيز على ناحية واحدة غالبا ما تكون مفقودة في البلاد الاخرى . مثلا ان التوتر الذي نجده في سياسة الامن الوطني الاميركي ليست واحـدة بين اولئك الذين يركزون على المصالح في الشرق الاقصى وبين الذين يفضلون الاهتمام بأوروبا . كما لا يمكن الاحاطة بعدد الخلافات الموجودة في وجهـات نظر الجيش البري والاسطول كما هي في الولايات المتحدة الاميركية . فالقـوى البحرية في بلادنا منذ مطلع القرن العشرين كانت على الدوام لها اتجاهات نحو الشرق الاقصى اكثر مما لدى القوى البرية . اما في فرنسا فان القوى البحرية

كانت على الدوام مساعدة للقوى البرية المتمركزة في القارة توحدها سياسة أمنية واحدة هي الدفاع عن الامة ضد الخطر الالماني .

دعونا نحلل واقع كون سياسة الامن الوطني الفرنسية كانت موجهة على الدوام نحو الاتجاه البري . صحيح بلا شك ان الفرنسيين مثلهم مثل الامم الاوروبية الاخرى حاولوا بناء امبراطورية عبر البحار في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر .

وهناك العديد من الكتب التي تبحث في الامبريالية الاوروبية والخلافات التي كبرت بسبب التوسع الاوروبي في افريقيا واسيا . وكان الفرنسيون متورطين في ذلك التحرك وبينهم بالطبع عدد من المتحمسين لمزيد من التوسع ويرد الى ذهننا فورا السيد « جول فيري » الذي كان مؤمنا عن قناعة بقضية الامبراطورية . ولكن عدد الرجال الذين شاركوا فيري في حماسه هذا كانوا محدودي العدد وسرعان ما طلب اليهم مجلس النواب الى التقيد بالنظام عندما بدت آراؤهم حول المغامرات عبر البحار تهدد المصالح الامنية الفرنسية في القارة الاوروبية . وعندما حدث الشرخ ــ مثلا حادث فاشودا الذي هدد بصدام انكليزي ــ فرنسي فوق النيل الاعلى ــ كان الفرنسيون اكثر من سواهم من الاوروبيين ، مهيئين للتضحية بالمصالح الاستعمارية اذا كانت تهدد أمنهم في اوروبا . وبنفس الوقت كان هناك ميل قوي في فرنسا للنظر الى المستعمرات من حيث ما يمكنها تقديمه من قوة لامن القارة الاوروبية . فمثلا عندما بحثت فرنسا مسألة تطويع الافارقة في قواتها المسلحة تركز اهتمامها حول ايجاد الطرق التي تؤمن استخدام القوات السوداء في حرب اوروبية ضد عدو من القارة .

هذا التقليد القاري كان قويا ومستمرا وابعد من ذلك له تطبيقات بعيدة المدى . في عام ١٩٤٠ بينما كان الالمان يضغطون بجيوشهم باتجاه باريس استمر القادة العسكريون الفرنسيون في تفكيرهم حول الامن والحرب بالمفهوم القاري لدرجة ان فكرة متابعة القتال انطلاقا من شمالي افريقيا كانت غريبة جدا ولا تقليدية لجذب اهتمامهم . ان فكرة الانطلاق نحو شمالي افريقيا كانت غير مقبولة . الواقع انه لم يحدث اي تبدل في هذه الفترة حتى فترة ما بعد

الحرب العالمية الثانية أي مع التورط الفرنسي في الهند الصينية والجزائر بدأت تظهر آفاق استعمارية أكثر وضوحا ، عند ذلك فقط بدأ العالم الاستعماري يفرض نفسه على القـارة .

الخطوط العامة الاساسية لسياسة الامن نوطني الفرنسيه ثابت بشكل ملحوظ منذ عام ١٨٦٠ وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية . ونقطة الانطلاق المنطقيـة هي فترة الحرب النمسوية البروسية عـام ١٨٦٦ عندما اكتشف الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث ، ان فرنسة هي في سبيل فقدان موقعها المسيطر على القارة الاوروبية . في بداية ذلك الصراع كان نابليون واثقا بأنه رغم نتائجها ستستمر فرنسة في الحفاظ على ميزان القوى في أوروبا . ولكن عندما اجتاحت قوات بروسيا بسمارك النمسويين بأقل من ستة أسابيع كان على نابليون ان يعي فقدان فرنسة دورها الطبيعي بين القوى العسكريـة الاوروبية .

هذه هي نقطة الانطلاق الحقيقية لمسألة الامن الفرنسي الحديث . فحتى ذلك الحين كان الفرنسيون شعبا قادرا على تصدير من قواتها العسكرية بالاضافة الى تأثيرها السياسي والعقائدي عبر اوروبا وكشاهد على ذلك الموقف الفرنسي ايام لويس الرابع عشر او نابليون الاول . ولكن الموقف قد تبدل حاليا وبسرعة وبشكل مزعج . فعلى الحدود الشرقية الفرنسيه بزغت دولة المانية موحدة تمتلك ليس فقط مؤسسة عسكرية هائلة بل كانت تتميز بعدد اكبر من السكان وقدرة صناعية اضخم .

المسألة بالنسبة لفرنسة كانت ، كيف تتلاءم مـع هـذا الموقف الجديد والخطير . أي نوع من الامن الوطني يجب على السياسة اتباعه لمواجهة الموقف الدولي الجديد والموقف العسكري الذي يواجهها ؟ الواقع ان نابليون الثالث لم يتمكن مطلقا من ايجاد مخرج لهذا الموقف ولا حتى أوجد حلولا عملية لها . لقد قام ببعض الاصلاحات العسكرية غير الفعالة ولكنه اساء استخدام اوراقه السياسية واستمع الى نصائح سيئة من جنرالاته . وفي عام ١٨٧٠ هزمت جيوشه بنفس ايقاع تشتيت الجيوش النمساويه مما ادى الى انهيار نظامه وتبعا لذلك برزت الجمهورية الثالثة من رماد الامبراطورية الثانية .

وقد نفذت الجمهورية الجديدة سلسلة من الاصلاحات العسكرية الجذرية اعتبارا من عام ١٨٧٠ . وقد عكسبت هذه الاصلاحات الاهتمام ليس فقط بكون المانيا الراهنة دولة موحدة بل ايضا هي امة ذات موارد اقتصادية تفتقر اليها فرنسة واكثر عددا بالسكان أي مصدرا اغنى للقوات المسلحة من حيث القدرة البشرية .

ومع ذلك مال القادة الفرنسيون ، سواء منهم العسكريين أم المدنيين الذين نفذوا هذه الاصلاحات ، الى الاعتقاد بأن مسألة الامن الوطني واضحه وسهلة الحل نسبيا ومجالها الاول هو عسكري .

الاصلاح العسكري الاساسي ، قانون عام ١٨٧٢ الذي ارسى نظام الخدمة الالزامية كان هو نفسه ثمرة ثلاث عوامل رئيسية . أولا أجمع كافة الفرنسيين على ان الدرس الاساسي المكتسب من حرب ١٨٧٠ـ ١٨٧١ هو فشل فرنسة في تنظيم قواها البشرية بشكل فعال . كما وافقت كافة الاحزاب السياسية سواء منها المحافظة او الليبيرالية على ان الجيش المحترف قد فشل وبالتالي كان احد الاصلاحات الرئيسية هو تأسيس جيش جماهيري بواسطة الخدمة العسكرية الالزامية . ففي سبيل مصلحة الامن الوطني على جميع الشبان الفرنسيين ان يخدموا الزاميا في القوات المسلحة . وهذا ايضا يفرض ضرورة حذو الجيش الفرنسي الجديد ولو جزئيا حذو النموذج البروسي الناجح ، اذ انه من المتفق عليه ان الاسباب الرئيسية للنجاح الالماني عام ١٨٧٠ كان بسبب استفادة الجيش البروسي من المجندين الالزاميين . ثانيا مع حدث الجمهورية الثالثة جرى بعث لتقليد المواطن ـ المقاتل النابع من مفهوم « الامة المسلحة » . فالفرنسيون قد اخترعوا هذا المفهوم اثناء الثورة الفرنسية ثم بعد عام ١٧٩٢ انتشرت القوة الفرنسية الممثلة بجيوش الثورة المكونة من المجندين ، في كافة انحاء اوروبا ، ولكن حتى عام ١٨١٥ كان الشعب الفرنسي قد اكتفى من أمجاد الحروب النابوليونية . ورغبت البورجوازية التي سيطرت على السلطة في الفترة اللاحقة لعام ١٨١٥ أن تجنب أولادها الخدمة العسكرية فصوتت لصالح انشاء قوة عسكرية محترفة . ولكن بعد عام ١٨٧١ عادت الى الحياة من جديد

التقاليد الثورية ، فلم يكن هناك فشل الجيش المحترف فقط بل ايضا اسلوب المقاومة الذي جسده جيش غامبيتا الجمهوري بعد هزيمة الجيش النظامي .

العامل الثالث وهو لا يقل اهمية ، فقد بدأ المنظرون العسكريون الفرنسيون يرددون انه طالما ان كافة حروب المستقبل ستكون جماهيرية وشاملة فلا بد أن تخاض من قبل جيوش جماهيرية . وبعد ان كان الفرنسيون يكنون احتراما كبيرا لجوميني اكتشفوا كلاوزفيتز وفسروا كلامه على ان اوروبا قد دخلت عصر الحروب الجماهيرية .

وفوق ذلك كله تعتبر السبعينات من القرن التاسع عشر فترة تجديد شباب الجيوش . فقد اكتسب الجيش قوة لم يعرفها منذ سنوات ـ بفضل عودة ابناء العائلات المسؤولة الى فئة الضباط ـ ولم يتوقف الاصلاح العسكري عند قوانين الخدمة الالزامية ، اذ كانت هناك قناعة اخرى بأن هزيمة عام ١٨٧٠ يمكن ان تكون بسبب فشل نظام الاركان ، وقلة عدد الضباط المدربين ، وخاصة لفشل تنظيم الخطوط الفرنسية الحديدية لصالح الحرب . لذلك أعيد تنظيم المدارس العسكرية في السبعينات ووضع تنظيم جديد للاركان وخصصت فئة كاملة من هذه الاركان للعمل في وضع خطط مفصلة للتعبئة التي تهدف الى الاستثمار الكامل والى اقصى حد لمرونة شبكة الخطوط الحديدية الفرنسية .

الواقع انه لم يكن هناك اي حل لمسألة الامن الوطني في فترة ما بعد عام ١٨٧٠ فرنسي الاساس . فقد كان النموذج البروسي قويا ومؤثرا لدرجة ان كافة الامم الاوروبية فيما عدا بريطانيا العظمى بالطبع ، بنت انظمتها للامن الوطني على اساس الخدمة الالزامية والجيش الجماهيري . وتحركت اوروبا بكاملها نحو عصر أيقنت فيه كل أمة بأن أمنها يعتمد على توفر أقصى عدد من الرجال تحت السلاح في وقت التعبئة العامة . وقد طورت كل من الدول الكبرى خطط التعبئة الخاصة بها بما يؤمن لها أقصى سرعة في دعوة الاحتياط وانضمامه الى الجيش وانتشاره في ساحة القتال . ومع ذلك كانت كافة الخطط تستند الى فكرة ان نتيجة الحروب ستقرر ـ وبسرعة ـ في معارك كبيرة بين هذه الكتل المؤلفة من المدعوين للخدمة ، مما يجعل الامن الوطني

عسكري فقط . وهذا يعني انه لا المنظرين العسكريين ولا الاركان العامة أعطوا أية أهمية للمظاهر الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى السياسية للحرب ، وقد عرِّف الامن الوطني بتعبير الجيوش الكبيرة وخطط مفصلة للتعبئة والنصر أو الهزيمة في ساحة القتال .

ومع ذلك لم يكن اسلوب بناء نظام الامن الوطني الفرنسي بعد عام ١٨٧٠ بالبساطة التي يمكن ان يبدو فيها . أولا كان هناك صراع سياسي مستمر بين أولئك الذين يرغبون بشكل أكثر ديموقراطية في التجنيد الالزامي والذين يقاومون هذه الميول الليبرالية . فالمحافظون لا يمانعون بالخدمة الالزامية ولكنهم يريدونها لمدة خمس سنوات ــ وهذا يعني العديد من المزايا الخاصة بأقل حجم ممكن من الواجبات وحتى اعضاء اولاد الموسرين منها . ويدعون انه من حيث المبادىء العسكرية فان المواطن ــ العسكري والاحتياط المدعو الى الخدمة الفعلية لا يمكن الاعتماد عليهم في القتال . في حين يناسبون اتباع سياسة الدفاع العسكري السلبي وهم يفتقرون الى الروح الهجومية ــ الاندفاع الحيوي كما دعوه ــ كما انهم عسكريا ادنى مستوى من الافراد الموجودين تحت السلاح لفترة طويلة . في حين أصر الجمهوريون والليبراليون بحماس مماثل على ان فترة الخدمة الالزامية يجب ان تكون اقل ومتساوية للجميع واقل ما يمكن من الاستثناءات . وحجتهم في ذلك ان الدولة نفسها اصبحت ديموقراطية لذلك لا بد للمؤسسات الفرنسية من ان تصبح كذلك . وباختصار يجب ان يكون الجيش مرآة للمجتمع الجمهوري وبالتالي يجب التمسك بأمانة بمبدأ المساواة . والمواطن ــ العسكري في نظر الليبراليين يمتلك مزايا يفتقدها المحترفون او الذين يخدمون لمدة خمس سنوات .

ويكمن وراء هذا النقاش المتواصل دافع سياسي . راهن المحافظون على التجنيد الطويل المدة ــ خمس سنوات ــ لشعورهم لان هذا النظام سيكون اداة وطنية اكثر وثوقا ضد السياسة الالمانية الخارجية واكثر من ذلك فان المجند الذي رسخت فيه العقيدة والنظام خلال هذه الفترة الطويلة من التدريب يصبح مهيأ لاطاعة الاوامر اذا صدرت له للتدخل في الشؤون الداخلية لوضع حد لاي عصيان او اضراب او فوضى سياسية . أما الليبراليون من جهة اخرى فهم

يعتقدون ان جيشا مؤلفا من المواطنين – العسكر ، جيشا من مجندين لفترة قصيرة ، هو ضمانة ضد اي سيطرة عسكرية . الجمهوريون الفرنسيون من جهتهم ، خشية منهم من الجنود المحترفين والميول المفترضة لدى الضباط للتعاون مع اليمين السياسي ، كانوا يعتقدون بأن جيشا ديموقراطيا هو ضروري للتصدي لاي تدخل عسكري في الشؤون الداخلية . وكل من له الصبر الكافي لقراءة العدد اللامتناهي من صفحات الجدال الذي دار في مجلس النواب حول قانون خدمة العلم في عام ١٨٧٢ و ١٨٨٩ و ١٩٠٥ و ١٩١٣ يكون معذورا اذا اصبح في وقت ما ميالا الى الاعتقاد بأن هذه المسائل السياسية كانت هي المواضيع التي نوقشت وان مسألة الفعالية العسكرية كانت في احسن الاحتمالات في الدرجة الثانية من الاهتمام .

في اواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بدت قضية دريفوس تأكيد للجمهوريين وحلفاؤهم بأن العسكرية بالتعاون مع المؤيدين الكاثوليك واليمين تشكل حلفا لنسف الجمهورية نفسها وعندما نجح اخيرا مؤيدو الكابتن الفريد دريفوس طرحوا فورا مشروعا يهدف الى ديموقراطية الخدمة العسكرية ، وتعديل مدة الخدمة الالزامية من ثلاث سنوات الى سنتين وفوق ذلك كله وضعوا تحفظات ضد الضباط المتهمين بميول معادية للجمهورية . الواقع يمكن القول بأن الجمهوريين الناصحين دفعوا برنامجهم ببراعة فائقة ادت الى تدني معنويات الجيش والى اصابة الامن الوطني الفرنسي بالضعف لفترة ما .

هناك كتب عديدة حول فترة دريفوس تصف الصورة القائمة للصراع بين الليبراليين والمحافظين حول كسب ولاء الجيش مما ادى في كثير من الاحيان بوضع الجيش على شفير القيام بانقلاب . وقد انقذت الجمهورية بفضل انضمام مؤيديها الى الجماهير ضد محاولات العسكريين المحافظين استلام السلطة . ولكن هذا التفسير ليس معبرا تماما ويمكن بسهولة تبيان بطلاقة لو تعمقنا بالدراسة . وكما اوضح العديد من المؤلفات الحديثة ان الجيش الفرنسي ، وخاصة طبقة الضباط ، كانوا تحت تأثير الايمان بأن هو « الصامت

الاكبر » . اي إنه الخادم الصامت والمطيع للدولة ، تعود على اطاعة القـادة والحكومة التي يخدمها .

وان هذا الولاء الايجابي والهادف ، وهو نفسه نتيجة نمو الاحتراف في الخدمة العسكرية ، قد ارسى جذورا حتى قبل الجمهورية الثالثة . ودون ان يكونوا مؤيدين لمنطق الجمهوريين لاحظ العديد من البورجوازيين الفرنسيين ذلك خاصة عندما وجدوا ان الجيش يمكن الاعتماد عليه عندما تستخدمه الحكومة في الصراع العمالي . واكثر من ذلك فان ولاء الجيش لم يزج فـي قضية دريفوس نفسها . فان مفهوم الولاء الايجابي والهادف كان متبنا لدرجة انه كما في وصية بولانجيه التي حدثت قبل بضعة سنوات اطلق بعض الضباط القلائل صيحة التدخل العسكري في السياسة ولم يجدوا لها اي صدى في المراتب العسكرية . الواقع لم يمض زمن طويل على اطلاق سراح الكابتـين دريفوس قبل سعي الجمهوريين انفسهم بدفن آخر عظام القضية وصياغـة سلمهم الخاص مع الجيش . اذ مع دخول فرنسة القرن العشرين اكتشف الجمهوريون الوسط انهم يخشون الجنرالات اقل من الاشتراكيين . ونظرا لكون الاشتراكيين كانوا يضعون رأسمالا سياسيا كبيرا على الظلم الـذي احـاق بالكابتن دريفوس تحرك الجمهوريون لاعادة العلاقات الجيدة مع الجيش .

وهكذا نجد أن قضية دريفوس الشهيرة لم تكن مظهرا لعدم ولاء الجيش بل على العكس دليلا على ولائه . ولكنها باعتقادي تمثل احدى النقاط الاساسية لهذا البحث : تحديداً ، ان لا تاريخ الجيش الفرنسي ولا تاريخ سياسة الامن الوطني الفرنسية قابل للفصل عن الاساليب السياسية الدقيقة للجمهوريـة الثالثـة .

تعتمد السياسة الامنية الفرنسية ، كما رأينا ، على خلق جيش جماهيري مؤلف من المجندين . وقد تدعمت بنظام التحالفات الدولية الذي بدأ يكبـر وينمو في اوروبا في السنوات العشر التي اعقبت الحرب الفرنسية ــ البروسية . وقد كتبت مؤلفات عدة حول نظام الاحلاف الذي بدأ بالحلف النمساوي ــ الالماني عام ١٨٧٩ والتي بلغ ذروته في العشر الاول من القرن العشرين بالاتفاق

الثلاثي بين فرنسة وبريطانيا وروسيا في مواجهة الحلف الثلاثي بين المانيا ـ النمسا ـ هنغاريا وايطاليا . وهذا النظام اكثر تعقيدا من امكانية تحليله في اطار هذا البحث ، اذ ان بحثا جديا له يجب ان يتضمن ، مثلا ، الاثار الجانبية غير الملحوظة للاحلاف الخاصة والمدى الذي يمكن العامل الاقتصادي اكثر من العامل العسكري ان يلعبه (كما في الاتفاق الفرنسي الروسي) ، والبحث فيما اذا كان الحلف عمليا مصدر قوة او سببا لضعف كل طرف . ولكن كل هذه الاعتبارات تبقى خارج مجال بحثنا هذا ، لذلك دعونا نبقى في اطار بعض الملاحظات حول العلاقة بين نظام الاحلاف الاوروبية والامن الوطني الفرنسي .

معظم الكتب التي بحثت في نظام الاحلاف ركزت على النقاش حول مدى مسؤولية هذا النظام في التسبب باندلاع الحرب العالمية الاولى . أي هل كانت حرب ١٩١٤ النتيجة الحتمية لتنافس الاحلاف وجمودها مما قاد الى الحرب بدل ضمان الامن ، وهل كانت الاحلاف مركبا لعدم الشعور بالامن مما قاد الى الحرب ؟. معظم المؤرخين يوافقون على هذا الاستنتاج . ولكن في المدة الاخيرة خرج عدد من الكتاب فكرة مقنعة نوعا ما تقول بأن تمتع اوروبا تحت ظل الاحلاف بسلام دام مدة اربعين عاما يعتبر انجازا هاما اذا اخذنا بعين الاعتبار الايقاع الذي كان سائدا للحروب الاوروبية . وان حجتهم الاكثر وزنا هي انه ليست الاحلاف التي كانت قائمة هي التي سببت حرب ١٩١٤ بل التبدل الطارىء على ميزان القوى والقوة النسبية لبعض الامم التي لم تستطع التلاؤم مع نظام الاحلاف القائم .

ومع ذلك هناك نتائج عدة تبدو غير واضحة . أولا ان هذه الاحلاف كانت جزءا من الانظمة العسكرية الصارمة في الدول المشتركة . ولا شك انها كانت في الاصل احلافا عسكرية وتدعو الموقعين الى تجهيز عدد معين من القوات خلال فترة محددة بعد اعلان التعبئة ، وبالطبع كانت الجيوش الوطنية اطارا لاستيعاب المدعوين للخدمة ولتنفيذ مخططات التعبئة وهي مقيدة حرفيا بجداول تحركات قطارات السكك الحديدية . وكانت ادارة عملية نقل الجيش الجماهيري الى الجبهة منظمة بشكل دقيق مما يعني عمليا ان التعبئة قضاها الحرب .

وكانت التعقيدات بشكل انه ما ان يصدر الامر بالتعبئة العام حتى يصبح من المستحيل عمليا الغاءه او ايقافه او تحويله . بالاضافة الى هذه العوامل هناك حقيقة كون هذه الاحلاف مقيدة ومترابطة فما ان تعلن احدى الدول المتحالفة التعبئة حتى تضطر الدول الاخرى الى العمل مثلها وهذا العمل بدوره يؤدي الى رد فعل لدى الاعداء . وخلال ليلة واحدة تدور عجلات الآله بكاملها .

ان فقدان المرونة في نظام الامن الوطني هذا يمكن ايضافة بامثلة عدة . مثلا الخطة الالمانية الشهيرة في حرب ١٩١٤ « خطة شليفن » . لقد وضعت هذه الخطة بشكل مفصل بهدف تجنب وقوع المانيا في موقف تضطر فيه لخوض الحرب على جبهتين . فهي تدعو الى حشد الجيش الالماني في الغرب ثم بعد اجتياح بلجيكا وتركيز الجهد الرئيسي الالماني على الجناح الايمن ، تحطيم الفرنسيين وقبل كل شيء التغلب على الجيش الفرنسي قبل اتمام عملية التعبئة الفرنسية والروسية البطيئة . وكل شيء على التوقيت ، التوقيت الدقيق ، التوقيت الذي لا يتيح اي خيار . وقد هزمت فرنسة خلال بضعة اسابيع وقبل ان تتمكن روسيا من وضع ملايينها التي لا تحصى على الجبهة الالمانية الشرقية . ان الفكرة التي سيطرت على القادة العسكريين الالمان وعلى سياسييهم هي انه اذا حدث اي تأخير — سواء تأخير دبلوماسي او عسكري — فان الجيش الالماني سيجد نفسه في وسط فرنسة في حين تتقدم الجحافل الروسية دونما اية مقاومة من الشرق . وكانت خطة شليفن وفكرتها هاجس الدبلوماسية الالمانية طيلة العشر سنوات التي سبقت اندلاع الحرب . اذ ان الدبلوماسيين الالمان كانوا يعرفون جيدا ان خطة بلادهم العسكرية الوحيدة مبنية على اساس غزو بلجيكا فورا بالجزء الاكبر من القوات الالمانية المسلحة ومن ثم ايقاع الهزيمة بفرنسة قبل ان تتمكن روسيا حتى من البدء بالحرب . لذلك عندما وقعت ازمة صيف عام ١٩١٤ شعر الالمان انهم لن يستطيعوا تحمل رفاهية انتظار سير تطور الاحداث واللعب بورقة الزمن وفوق ذلك كله ترك الوقت الكافي لروسيا لاعلان التعبئة اولا . وبالفعل عندما تبين ان القيصر كان اول من استدعى قواته ، لم يكن من وجهة النظر الالمانية ، اي خيار سوى البدء

بالتنفيذ الفوري . وكان منطق خطة شليفين يفضي بالتعبئة العامة قبل ان يتمكن الروس من القضاء على الجدول الزمني الالماني .

ولكن الروس انفسهم ضحية تخطيط جامد مماثل . فكافة خطط التعبئة التي وضعها القيصر كانت تدعو الى حشد جيوشه بآن واحد ضد المانيا والدولة النمساوية ـ المجرية . واسوأ من ذلك لم تكن هناك اية خطة بديلة ، حتى ولا فكرة خطة للحشد تجاه جبهة واحدة دون الاخرى . ولكن في عام ١٩١٤ اراد القيصر اولا ان يحشد قواته تجاه النمسا فقط . وبغية الاحتفاظ بهامش للمناورة السياسية مع المانيا رغب بترك الامور مائعة عسكريا على الجبهة الالمانية ، فتبين له ان ذلك مستحيل فالاركان العامة الروسية لم تضع في اعتبارها مطلقا احتمال شن حرب ضد عدو واحد من القوى المركزية ، ولذلك لم يكن بالامكان تحقيق فكرة القيصر اذ لم يكن لديها اية خطة بديلة لتلك التي تنص على الحشد على كلتا الجبهتين الالمانية والنمساوية وهذا ما تم بالفعل . ولكن كما رأينا كانت التعبئة الروسية تعتبر تهديدا غير محتمل بالنسبة لالمانيا، لانها قد تقضي على الخطة الحربية الالمانية الوحيدة . لذلك اعلنت المانيا التعبئة العامة ودارت العجلات . وفي صيف عام ١٩١٤ دوى هدير المدافع لان اوروبا بكاملها كانت تطبق انظمة امن وطني تفتقر الى المرونة والى اي خيار بديل متى اتخذت الخطوة الاولى .

من جهة اخرى تدعمت فكرة الصراع بسبب الشعور العام بتقبل الحرب . فقبل عام ١٩١٤ كانت الامم الاوروبية تنظر الى الحرب كوسيلة مقبولة لحل المسائل السياسية بالاضافة الى رسوخ الاعتقاد لدى معظم دول اوروبا بما في ذلك فرنسة ، بان الحرب التي تخوضها جيوش كثيفة العدد من القوات ستكون حاسمة وقصيرة الامد ، ورأي الخبراء انه لا يمكن لاية حرب ان تدوم اكثر من ستة اشهر كحد اقصى . ثم ان معظم القادة الاوروبيين العسكريين كانت لهم ثقة كبيرة بالقدرات الهجومية لجيوشهم . اما لدى الفرنسيين فقد بلغت هذه الثقة اقصى مدى لها . وطور منظرهم الاول الكولونيل لوازد دوغراندميزون مفهوم « الهجوم الجريء » ورسخ لديه ايمان بأن الروح الهجومية الموجودة

لدى القوات الفرنسية ستؤدي حتما الى النصر والتغلب على كافة انواع الاسلحة النارية ، وقد عارض رجال مثل غراندميزون فكرة تطوير مدفعية ثقيلة لانها تعيق مرونة القوات المهاجمة وتغذي العقيدة الخاطئة القائلة بان القدرة النارية هي اكثر اهمية من الروح الهجومية والاندفاع النشيط .

من جهة اخرى توقع الاوروبيون ايضا ان اية حرب شاملة ستكون قصيرة اذ لا يمكن ، باعتقادهم ، لاي نظام سياسي او اقتصادي في اية دولة تحمل امتداد الصراع لفترة طويلة ، وقد تصوروا انهيار للجبهة الداخلية ما لم تنتهي الحرب على الجبهات بسرعة ، لم يكن من الممكن تصور متابعة العمل في اجهزة الدولة في الوقت الذي يتواجد فيه الملايين من شبابها في خطوط القتال . وهذا الوضع بمنطق عكسي زاد في تدعيم القناعة بأن لا بد من ان تكون الحرب قصيرة الامد . ولا بد من التنويه الى ان بعض الكتاب قد دعوا الى تنظيم اقتصاد الدولة ليتلاءم مع الحرب ، ولكن دراساتهم تركزت على التدابير التمهيدية الواجب القيام بها قبل الحرب والهادفة بالدرجة الاولى الى توفير الجهود اللازمة لدعم عمليات التعبئة الاولية والتحضير للمعركة الاولى . وقد قامت الدولة بذلك فعلا ضمن اطار الحرب القصيرة ولم تعطى اهمية للتعبئة الاقتصادية لحرب قد تمتد شهورا وسنوات . وقد كان لدى الفرنسيين خططا قيمة للاستخدام العسكري لشبكة السكك الحديدية ولكنها كلها مركزة على الاسراع بالتعبئة ودفع الاعتدة الى ساحات القتال ، وكانت هذه الخطط تنص على ضرورة الانتهاء من هذا العمل بكامله خلال فترة تسعين يوما . ومتى انتهت هذه الشهور الثلاثة ينبغي على عمال السكك الحديدية ترك اعمالهم والالتحاق بافواجهم في الجبهة . وبالتوازي كانت هناك خططا مكثفة حول زيادة انتاج المدافع والقنابل فور اندلاع الحرب . ولكن حتما هذه الخطط كانت موضوعة على اساس التسعين يوما وعمليا تهدف الى زيادة مخزون الاسلحة اللازمة للمعارك الاولى من الحرب تلك المعارك التي ستقرر نتيجة هذه الحرب . ومرة اخرى مع انقضاء مدة التسعين يوما يترك العمال مصانعهم ويلتحقون بأفواجهم في الجبهة .

لم يكن هناك اي نظام امن في اية دولة اوروبية في عام ١٩١٤ مهيأ لتلك الحرب التي دارت وراء « المارن » . لم تقدر أي منها ان اسلحة حروب القرن العشرين تمنح الدفاع قوة كبيرة ، لم تتخيل اي منها ان الدولة قادرة على كفاية نفسها بل على زيادة قدراتها وسيطرتها على المواطنين وعلى مواردها ، كما لم يتنبأ احد ان مفتاح النصر المحتمل سيكون في التعبئة الاقتصادية والصناعية لكافة موارد الدولة بهدف انتاج كميات كبيرة من العتاد اللازم للآلة الحربية الحديثة .

بعد عام ١٩١٨ اهتمت سياسة الامن الوطني الفرنسية بتلك النواحي التي اهملتها سابقا والتي لم تكن مقبولة قبل اربع سنوات . وفوق ذلك فان ما تعلمه الفرنسيون من الحرب العالمية الاولى هو انه لا امل لهم بالتصدي بمفردهم لالمانيا بعد استردادها لقدرتها العسكرية . هذا الادراك كان نقطة الانطلاق لكافة سياسات الامن الوطني . فاذا تمكنت المانيا من التهرب من قيود بنود معاهدة فرساي ، وقد اصبح ذلك واضحا للفرنسيين ، انه لا أمل هناك لفرنسة بتخلفها الصناعي والاقتصادي والبشري بالقضاء على القوة الالمانية . وكان هذا الوعي يتطلب تطبيقات لكلتي السياسيتين الفرنستيين الخارجية والعسكرية . في الوقت الذي وضعت فيه معاهدة فرساي سعى الفرنسيون لادراكهم هذا الواقع الى جعلها تعرض سلما قاسيا « يبقي المانيا ضعيفة » . في العشرينيات كانت هذه المعاهدة سببا للسياسة الوطنية المحافظة التي قادت الى احتلال الروهر والاصرار الذي أبداه التصلبون على صرورة عدم السماح لالمانيا بالتهرب من التزاماتها في معاهدة فرساي .

وقادت ايضا ، في المجال الدبلوماسي ، الى القناعة بأن الامن لا يمكن ان يكون مضمونا بالفعل الا في اطار حلف يضم فرنسة وبريطانية والولايات المتحدة الاميركية . وعندما فشلت فرنسة بالحصول على موافقة اميركا على ذلك اتجهت نحو فكرة حلف وقائي فرنسي ــ انكليزي وقد عملت لتحقيقه طيلة العشرينيات . ولكن كل من فرنسة وبريطانية كانت تعمل على موجة مختلفة الطول . ففي الوقت الذي كان فيه ريمون بوانكارية والوطنيون الفرنسيون يدعون الى

معاملة المانيا بالشدة يعتقد البريطانيون بأن الازدهار الاقتصادي والسياسي لاوروبا يعتمد على استرداد المانيا لعافيتها الاقتصادية وحيويتها السياسية كجمهورية فيمار . ونظرا لان الاختلافات بين فرنسة ــ وبريطانية حول المانيا كانت حادة ودقيقة فانهما لم تستطيعا الوصول الا الى بعض التفاهم مما ادى الى عدم قيام اي اتفاق امني فرنسي بريطاني . وقد قام الفرنسيون ضمن اطار محاولاتهم اللانهائية في التفتيش عن سياسة للامن الوطني ، بتطوير سلسلة من التحالفات مع دول اوروبا الشرقية الحديثة ، مثل بولونيا والتشيك والرومان . وفي العشرينيات عندما كانت المانيا ضعيفة بدت هذه الاحلاف ذات اهمية كبرى وساهمت في ايهام الفرنسيين بأنهم ارسوا قواعد نظام فعال . ولكن في الثلاثينات عندما استردت روسيا قوتها وتولى هتلر السلطة في المانيا ، انهارت هذه المنظومة الفرنسية . الواقع انها تهدمت تماما امام اول ضغط تعرضت له .

وقد بدت فرنسة للعالم الخارجي ، في العشرينيات ، كدولة عسكرية . فسياستها المعادية لالمانيا واحتلالها لمنطقة الروهر ومحاولاتها المستمرة لبناء نظام الحلف الشرقي ، كل هذا اقنع الالوف اثر الالوف من الاميركيين والبريطانيين بانها ذات طبيعة عسكرية اذا لم نقل عدوانية ، وغير راغبة في الاتفاق اللازم لاعادة المانيا الى العالم الغربي . ويمكن القول بأن هذه السياسة الفرنسية ساعدت في خلق انطباع واسع الانتشار في بريطانيا واميركا بأن هتلر كان يحاول فقط تصحيح الاساءات التي فرضت على المانيا . بل اكثر من ذلك قادت هذه السياسة الفرنسية الى زيادة الشرخ بين الفرنسيين والانكليز في مجال التعامل مع المانيا . ولم تقض فقط على احتمال انشاء حلف امني فرنسي ــ بريطاني بل جعلته مستحيلا وحالت دون توحيد سياسة البلدين تجاه المانيا . وفيما يلي بعض جذور اسباب الحرب العالمية الثانية : عجز الدولتين المنتصرتين في الحرب العالمية الاولى من العمل بصورة مشتركة في الفترة بين ١٩١٩ ــ ١٩٣٩ . فعندما عجزت الدولتان اللتان كانتا تمسكان باقوى وسائل المحافظة على السلام والمحافظة على روح اتفاقية فرساي وحل المسألة الالمانية كانت النتيجة انهيار ــ معاهدة فرساي واندلاع الحرب العالمية الثانية .

الدرس الثاني الذي استخلصه الفرنسيون من خبراتهم بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ هو ان الحرب قد اصبحت شاملة وان الخطط اللازمة لخوض مثل هذه الحرب يجب ان تعد قبل سنوات عدة من اندلاعها . وان الامن الوطني يتطلب بعدم السماح بمفاجأة الوطن وهو غير مستعد للحرب الشاملة كما جرى في حرب ١٩١٤ . لذلك بذل الفرنسيون في العشرينيات ـ ولم يكونوا وحيدين ـ جهودا كبيرة في تحضير الخطط اللازمة لتنفيذ التعبئة العامة في زمن السلم . ونظرا لاعتقادهم بأن حروب المستقبل ستكون تكرارا للشكل الذي دارت فيه حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ فانهم وضعوا كافة التشريعات اللازمة والمفصلة لتغطية كافة المظاهر المحتملة للتعبئة الاقتصادية والمالية والطاقة البشرية لخوض حرب استنزاف .

وقد تلقى مخططوا الاركان العامة دعما اكبر من الجهات غير العسكرية . فقد وضعوا لائحة بعنوان ضخم : « نفقات تنظيم الامة زمن الحرب » . مبدئيا في اواسط العشرينيات لقيت طلباتهم دعما قويا . فقد ساندتها كافة الاحزاب السياسية (عدا الشيوعيين الذين كانوا اقلية صغيرة في مجلس النواب ؟ . وقد انضم الاشتراكيون الى المحافظين في حماس وطني في هذا التأييد الاجماعي . ولكن الامور انطلقت من البداية بصورة خاطئة . فالطبقة الصناعية يساندها بعض السياسيين المحافظين بدات ترأودها افكار اخرى حول محاولات « الاشتراكيين » للحد من الارباح في زمن الحرب ، بفرض قيود على الاسعار وتحديدها والحد من استثمار رؤوس الاموال ، فبدأوا باقتراح يدعو الى ضرورة اخضاع كل قرار الى لجنة لدراسته . قبل مدة طويله من انضمام الاشتراكيين الى المحافظين وجد الاشتراكيون انفسهم تحت نيران الحركة العمالية الفرنسية وعلى رأسها الاتحاد العام للعمال الذي يعارض أي قيد على الاجور مع اصراره على زيادة الاشراف على راسمال المال وعلى الصناعة كي لا يستفاد من الحرب لزيادة الارباح . وكانت النتيجة النهائية لهذه الاوضاع ان الحماس الذي رافق بداية طرح القوانين قد بهت . وفي نهاية العشرينات دفنت المقترحات بهدوء في ادراج لجنة تشريعية حيث نامت لمدة عشر سنوات كاملة . ولم ترى النور الا في عام ١٩٣٨ عندما ضربت ازمة ميونيخ اوروبا وفرنسة ، عند ذلك بعثت

حية منجأة وعرضت من قبل اللجنة على مجلس النواب وصوت عليهما واصبحت قانونـا .

ولكن هذا بدوره خلق مسائل جديدة للامن الفرنسي . اذ انه في عـام ١٩٣٨ تصرف المشرعون كرد فعل على ازمة واقعة . فلم يطرحوا التساؤلات الصحيحة والضرورية ، بل انهم حتى لم يحاولوا التحقق من كون قانون محضر منذ عشر سنوات مازال صالحا لحل المسائل التي تعترض فرنسة في ذلـك الوقت . كل ما فعلوه انهم نفضوا الغبار عنه وصدقوا عليه وأعادوه الى مكانه . وان بعض المشاكل الفرنسية ـ لا كلها بلا شك ـ المتعلقة بالانتاج الحربـي ليعود الى هذا السبب . فمثلا في عـام ١٩٣٦ و ١٩٣٧ أمم الفرنسيون صناعة السلاح . وقد اوضح مؤيدوا التأميم ان هذا التدبير يهدف الى دفع الانتـاج الحربي الى أقصى طاقته تحضيرا للحرب التي بدأت تلوح في الافق . ولكن الواقع ان معظم الضغط الدافع نحو تأميم الصناعة الحربية جاء من اليسار الفرنسي الذي اراد ضمان عدم وجود اية صناعة حربية خاصة تستفيد من الحرب . وكان التشريع الفرنسي جزءا من حركة منظمة ضد ما سمي « بتجار الموت » الذي كانت سائدة ايضا في بريطانيا واميركا . هذا هو الدافع الاساسي للتأميم اكثر منه تنظيم الصناعة الحربية لصالح الامن الوطني .

ومن نافلة القول ان العديد من هذه الملاحظات تبدو متناقضة . فان موضوع الانتاج الحربي الفرنسي ـ اي كم انتجت من دبابات وطائرات ، والنقص الكائن في القوى الجوية والمدرعة ـ قد ادى الى تناقض كبير . فقد دعت كل من حكومة فيشي والجمهورية الرابعة الى تشكيل محاكم علنية والى التحقيق وايجاد المذنب او المسؤول عن النقص في السلاح الفرنسي وليس غريبا ان نجد عدوا كبيرا من القادة السياسيين الفرنسيين الذين خدموا حكومات الجبهـة الشعبية بعد عام ١٩٣٦ كانوا يردون دوما وعن قناعة بأن خطة التعبئة الصناعية التي وضعوها قد سارت بشكل جيد تماما . وهم يدعون ان هزيمة عام ١٩٤٠ لم تكن نتيجة لخطأ السياسيين بسبب عدم تأمينهم العتاد اللازم بل بسبب فشل القادة العسكريين في تفهم اسلوب القتال في الحروب المدرعة . وفي مواجهة

هذا الرأي نجد فئة لا تقل ثقة برأيها مؤلفة من مجموعة من المحافظين مع بعض الحلفاء من صنوف العسكريين تدعى بأن النقص في الاعداد بدأ مع الاصلاحات الاجتماعية التي قامت بها الجبهة الشعبية ، مثل التأميم وخاصة اسبوع الثماني والاربعين ساعة . هذه الاصلاحات برأي المحافظين قد اضعفت الانتاج الى درجة انه في عام ١٩٣٩ لم تكن فرنسة مستعدة لدورها الحربي . لا مجال هنا للخروج نتيجة لهذه الخلافات في الراي حتى لو افترضنا جدلا انه بالامكان ذلك . ومع فان ميزان الوقائع يميل لصالح رجال الجبهة الشعبية لا الى جانب خصومهم من المحافظين . ففي عام ١٩٤٠ كان لدى فرنسة عددا من الدبابات مماثل لعدد الدبابات الالمانية كما ان النقص الذي كان موجودا في عدد الطائرات لم يكن كبيرا . الخطأ كان في اسلوب استخدامها وفي انواع الدبابات والطائرات التي طلب العسكريون صناعتها . الفشل الحقيقي كان في العقيدة العسكرية الفرنسية .

العامل الثالث اثر على سياسة الامن الوطني الفرنسي في سنوات ما بين الحربين كانت الرغبة الشعبية الواسعة التي عبر عنها في العشرينات وهي الاقلال من مدة الخدمة العسكرية . ونتيجة لذلك صدر قانون في عام ١٩٢٨ بتعديل هذه المدة من سنتين الى سنة واحدة . وقد ساعد امكانية هذا التعديل واقع كون الجيش الالماني بموجب معاهدة فرساي قد زال من الوجود الى حد كبير فقد اصبح كما تذكرون محدودا بمئة الف متطوع وهذا العدد كان يبدو حتى لاشد المتشائمين الفرنسيين لا يشكل خطرا مباشرا . ومع ذلك هناك اسباب اهم منه ادت الى الاقلال من الخدمة .

فلقد افترض العديد من الكتاب كما ورد اعلاه ، بأن اية حرب مقبلة ستكون حرب خنادق كما جرى بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، وحيث يكون فيها الدفاع دورا اكبر من الهجوم . وفي مثل هذه الحالة سيتوفر الوقت الكافي لتنظيم القوى الدفاعية الفرنسية وتعبئة كافة الموارد الوطنية . كما نجم عن هذه القناعات ان « الجيش الدفاعي » ـ اي الجيش المكون من عدد قليل نسبيا من المتطوعين وقسمه الاكبر من المجندين لمدة سنة واحدة ـ قادر على التمسك

بالخطوط في الوقت الذي يدعى فيه الاحتياط وتدار فية عجلة الصناعة بشكل اسرع . هذه القناعة بأن خبرة حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ستكون نموذجا للحرب المقبلة تقود تلقائيا الى القبول بتخفيف مدة الخدمة الالزامية . وقد تحول الجيش الفعلي ضمن قانون تحديد خدمة العلم لسنة واحدة فقط الى اكثر بقليل من قوة تدريب واجبها الرئيسي التدريب العسكري السنوي لدفعة جديدة من المجندين .

وكان بناء خط ماجينو مرتبط ارتباطا وثيقا مع تشريع عام ١٩٢٨ . فهذا الخط الشهير (او على الاصح غير الشهير) المبني من تحصينات أسمنتية على امتداد الجبهة الفرنسية الشرقية الاكثر تعرضا . الواقع ان اقتصار الخدمة الالزامية على سنة واحدة لم يكن ليقبل لولا القرار الذي اتخذ باقامة هذا الخط. ففي الوقت الذي قبلت فيه الاركان العامة فكرة دفاع نصف ثابت حيث يمكن فيه لقوات من المجندين الذين يمضون سنة واحدة في الجيش ، حماية الوطن ، فانها ايضا كانت على قناعة تامة بأن الامن الوطني يتطلب اقامة شبكة تحصينات تدعم الدفاع وفوق ذلك تؤمن الوقت الكافي لاجراءات التعبئة التامة القوات الاحتياطية .

وقد تعرض خط ماجينو الى انتقادات لاذعة على مدى السنين . ولكن اذا اخذنا بعين الاعتبار الزمن الذي انشيء فيه ونظرنا اليه ضمن اطار المعطيات التي كانت متوفرة في العشرينات ومطلع الثلاثينيات لو جدنا بعض المنطق في انشائه . فلم يكن الهدف من بناء خط ماجينو أن يلعب دور جدار الصين وعزل فرنسة باحكام عن باقي انحاء اوروبا . بل غايته فقط محصورة بتعزيز الدفاع ـ والتصدي لاي هجوم الماني مباشر وبذلك منح الامة الوقت اللازم لتعبئة جهازها الدفاعي الكامل . اما الصعوبات فقد نشأت في السنوات اللاحقة ـ في الثلاثينيات ـ عندما بدأ القادة السياسيون والعسكريون بعكس المفاهيم السابقة . فقد اخذوا يدعون انه بوجود خط ماجينو لا ضرورة لمتابعة الاصلاحات او اجراء اي تبديل في الموقف العسكري الفرنسي . وقد انتشرت مثل هذه الاراء واسعا واصبح بامكان المرء انذاك ان يسمع : « طالما لدينا خط

ماجينو لحمايتنا فلا حاجة بنا لزيادة مدة الخدمة الالزامية ، او زيادة عدد الدبابات وانشاء فوق مدرعة الخ .. الخ » . وهذا يعني انه مع مرور الايام اصبح وجود خط ماجينو مبررا للجمود العسكري ولمحاربة التجديد . بل اكثر من ذلك فان وجود هذا الخط زاد في الميل لدى الفرنسيين الى النظر الى الحرب بمفهوم الدفاع والثبات .

على كل حال ، في مطلع الثلاثينيات كان الفرنسيون قد انشأوا نظاما للامن الوطني مستندا الى مبادىء هي معاكسة تماما لتلك التي كانت سائدة في عام ١٩١٤ . ولكن هذا النظام الجديد كان ايضا يفتقر الى المرونة وثبت عجزه عن التصدي للازمات وللحرب الشاملة .

في عام ١٩٣٦ واجه الفرنسيون اول تحد الماني حقيقي لمبادىء فرساي ، عندما تحرك هتلر الى داخل اراضي الراين . من المعروف اليوم ان هتلر انذاك حرك بضعة افواج قليلة فقط انذاك وهذا من وجهة النظر العسكرية البحتة كان عملا يتصف بالمقامرة والخدعة . اما ما حدث في باريس فكان كالتالي : اعلم قادة الجيوش الفرنسية مجلس الوزراء بأن القوات المسلحة الفرنسية غير منظمة لتنفيذ عملية سريعة داخل اراض الراين وهي عاجزة في المدى القريب عن تنفيذ عملية جراحية . الواقع ان القيادة العليا اقترحت ان اي رد عسكري فرنسي يتطلب اجراءات تعادل التعبئة العامة .واسوأ من ذلك فقد رسمت القيادة العسكرية صورة ووضعت سيناريو يفيد بأن اية عملية فرنسية في اراضي الراين ستقود الى حرب خنادق مماثلة لحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . بكلمة اخرى عندما استشير القادة العسكريون الفرنسيون حول اراضي الراين لم يستطيعوا تقديم أي اقتراح سوى اعلان التعبئة العامة ، ولم يتمكنوا من الالتزام بتنفيذ رد سريع واعترافوا بان مغامرة عسكرية قد تنقلب الى حرب خنادق ثابتة . اما الحكومة التي كانت موجودة عام ١٩٣٦ فهي تتميز بنظام تسيير الامور ورئيس للوزراء يشرف على الامور السياسية حتى الانتخابات العامة في حزيران . لذلك فليس من المستغرب ان هذه الحكومة عند تلقيها مثل هذه الاجوبة قررت عدم القيام بأي عمل .

بالامكان ايجاد أمثلة مشابهة عديدة ولكن حادثة اراضي الراين هي الابرز لانها تظهر الحدود التي فرضتها نظام الامن الوطني الموجه نحو الدفاع الذي وضعه الفرنسيون . وقد ادى هذا الحادث ايضا الى مزيد من الرضوخ . اذ لم تمض فترة بسيطة حتى بدأ اليمين الفرنسي يقول بأنه طالما ان الامة الفرنسية لا تملك جيشا قادرا على التصدي للسياسة الالمانية فعليها ان تتبع سياسة خارجية متناسبة وموقفها العسكري اي سياسة هادفة الى تهدئة هتلر وأكثر تلاؤما مع التحركات الالمانية المقبلة .

ورغم ذلك ليس من العدل ان نلقي كافة الاخطاء على عاتق العسكريين وعقليتهم الدفاعية . اذ ان الزعماء السياسيين الفرنسيين في الثلاثينات قد وافقوا على هذا النظام العسكري وابدوا تأييدا لنفس النظريات حول الاعمال الحربية . من السهل جدا ايراد سلسلة من المواقف التي تفوق المبررات التي قدمها القادة العسكريون حول مزايا الدفاع اوردها الزعماء السياسيون . وحتى فترة ازمة ميونيخ قال ادوار دالادييه رئيس الوزراء الفرنسي لزملائه ان خبرة الحرب الاهلية الاسبانية قد برهنت بوضوح على ان بضعة جنود مسلحين بمدافع رشاشة قادرين على الصمود تجاه هجوم معاد قوي حتى لو كانت القوات المهاجمة معززة بالمدرعات . ولم يعارض افكار العسكريين والسياسيين هذه سوى بضعة افراد وكان ابرزهم شارل دوغول . ففي منتصف الثلاثينيات طرح دوغول مفهومه الخاص حول المبادىء العسكرية في كتيب صغير عنوان « نحو جيش محترف » وطالب فيه بتنظيم جديد كامل للقوات المسلحة ، وكان هذا الكتاب دعوة لفرنسة للتخلي عن الصيغة الدفاعية التي يعتمد عليها دفاعها الوطني . ودافع عن انشاء جيش محترف مزود بفرق مدرعة وقوة جوية ، وقوة ضاربة ذات قدرة وحركية وفعالية لخوض حرب هجومية .

الى أي مدى كان دوغول نبيا بدون كرامة في وطنه الخاص ؟. يبرز أمامنا استنتاجات : الاول كان دوغول متحمسا رجلا ذي قضية محاميا يرفض اي انتقاص لفكرته حول القوة الضاربة الهجوميه . ولم يكن من الصعب على قادة الجيش الفرنسي تأليف كتب وكتابة المقالات يظهرون فيها بأنهم على النقيض

من دوغول قد اخذوا بعين الاعتبار الضرورات الاساسية لاقامة نظام عسكري متوازن وكان من الخطورة بمكان تفضيل أي عامل من عوامل الدفاع الوطني مثل القوى الجوية او المدرعة . في حين ان دوغول يراهن بكل قواه مطالبا فرنسة بالمراهنة بكافة اسهمها على حل وحيد الجانب وفشل في تفهم الحاجة الى قوى متوازنة . ولكن فوق ذلك كله فان السبب الرئيسي لفشل دوغول كان باصراره على تبديل المجندين أي المواطنين ـ العسكر بقوات محترفة فقط . ودوغول التكنوقراطي التفكير يؤكد دوما ان الاسلحة الحديثة قد أصبحت معقدة ومتطورة لدرجة ان المجندين المساقين للخدمة لفترة قصيرة من الزمن لا يستطيعون استخدامها بفعالة . والمتطوعون فقط الذين وهبوا حياتهم للجيش هم القادرون على اكتساب الخبرات اللازمة . ولكن كانت هناك استحالة في كسب دعم سياسي لفكرة الجيش المحترف في فرنسة الجمهورية . فقد نظر القادة السياسيون الفرنسيون الى هذا الاقتراح كشيء لا يمكن حتى التفكير به واعتقدوا بأن دعمه يعادل الانتحار السياسي .

وفي عام ١٩٣٧ طرح رجل فرنسي مرموق بول رينو افكار دوغول على مجلس النواب ، ولكن النقاش الذي دار حول الموضوع أكد هذه النقطة ولم تجر عمليا أية مناقشة لاقتراحات دوغول وآرائه حول دور القوى الجوية والمدرعة . فكل ما جرى هو تركيز الجدل حول المتطلبات السياسية للجيش المحترف ومن رفض كل متحدث الى آخر للفكرة لانها لا ديموقراطية وغريبة عن التقاليد الجمهورية . والسبب الاساسي لفشل دوغول كان بسبب ربطه عربة القوى الجوية ـ والمدرعة بفكرة الجيش المحترف وهذه الفكرة ببساطة غير مقبولة .

اخيرا ان سياسة الامن الوطني التي اتبعتها فرنسة خلال الثلاثينات لا يمكن فصلها عن التاريخ السياسي المعقد والمر احيانا في تلك الفترة . ان فشل سياسة الامن الوطني الفرنسية عام ١٩٤٠ يعود الى درجة كبيرة التطورات السياسية الداخلية .

اولا كان هناك تحول بارز في الدور التقليدي للاحزاب السياسية المسيطرة. فحتى الثلاثينات كان اقوى المدافعين عن الجيش واقوى محامي سياسة الامن

الوطني القوية العداء للالمان ، هم المحافظون والوطنيون . ولكن هذه المجموعة اخذت تعدل اراءها بين ١٩٣٤ ــ ١٩٣٦ فالمحافظون وحتى تجمعات الوسط السياسية بدأوا يخشون من فوضى اشتراكية داخلية ومن احتمال حدوث تبدل اشتراكي واقتصادي جذري . واصيبوا بذعر حقيقي ايام الاضطرابات التي جرت في باريس خلال شهر شباط من عام ١٩٣٤ ، وانتشار العداء الى المصانع وفوق ذلك كله بروز الجبهة الشعبية ــ تحالف اليسار الفرنسي الذي يضم الشيوعيين ــ وعندما سجلت الجبهة الشعبية انتصاراً كاسحا في انتخابات ربيع عام ١٩٣٦ تحول الخوف الى ذعر قاتل . وبدأ المحافظون والوطنيون ينظرون الى ادولف هتلر ليس كعدو لفرنسة بل على النقيض من ذلك كمدافع عن الطبقة الوسطى والمبادىء المحافظة ضد تعاظم القوة البلشفية . وكان اكثر شعارات المحافظين تعبيرا وتطرفا هو « نفضل هتلر على ليون بلوم » .

لا شك والحالة هذه ان تحولت افكار المحافظين الفرنسيين حول السياسة الخارجية ، فتخلوا عن آرائهم التقليدية المعادية لالمانيا وبدأوا بالدفاع عن أفكار جديدة تدعو الى التهدئة . وتحركوا بثقة رثبات باتجاه ايجاد نوع من التفاهم مع هتلر ، واستخدموا في سبيل ذلك الاوضاع العسكرية ، واخذوا يبرزون اتجاه فرنسة الدفاعي وعجز القوات المسلحة الفرنسية ــ عندما عاد الالمان الى اراضي الراين وبدأوا باقامة خط سيغفريد ــ عن دعم حلفائها الشرقيين او المثابرة على اتباع سياسة معادية لالمانيا . واكدوا ان الواقعية تفرض اتباع سياسة خارجية تهدف الى المهادنة وهذا يتلاءم مع الوضع العسكري الفرنسي . وواضح ان وراء هذه المبررات تكمن اهتمامات داخليـــة وخوف من الجبهة الشعبية واحتمال وضعها فرنسة على طريق الاشتراكية .

هذا الانقلاب في الادوار يساعدنا في شرح سبب تحرك فرنسة بشـــكل يفتقر الى الثقة نحو الوضع الدولي الذي اعقب عام ١٩٣٦ فسياسة المهادنة كانت احدى نتائج مسألة اكبر هي شل المجتمع بالخلافات السياسية . وقـــد اصيبت بالضعف كلتا السياستين الخارجية والامــن الوطني بسبب هـــذه الخلافات الداخلية التي لم تنحل .

والعامل الهام الآخر الذي هز السياسة الفرنسية في مجال الامن الوطني

كان ازدياد اللامبالاة في صفوف الضباط في فترة الثلاثينات . وهذا موضوع معقد وهناك خطورة كبيرة في معالجته بشكل جامد . ولكن في فترة ما قبل عام ١٩١٤ كان الجيش الفرنسي موال بشكل مطلق للجمهورية وكان يفتخر بكونه المدافع المطيع والصامت عن الدولة بغض النظر عن النظام السياسي القائم في تلك الفترة . ومع ذلك فان هذا الموقف نفسه بدأ بالتبدل في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . فقد انزعج الضباط كثيرا بسبب التخفيض الهائل في ميزانية الدفاع وبفضيحة ستافيسكي المشينة (التي اظهرت أن عددا كبيرا من الرسميين ذوي سمعة سيئة) وبسبب الاضطرابات التي جرت في باريس عام ١٩٣٤ . وقد قاد وصول الجبهة الشعبية الى السلطة الى زيادة عدم الولاء وتسييس عناصر هامة في الجهاز العسكري . لا شك بأن الجمهورية الثالثة كانت ما زالت قوية بشكل كاف لتعيين ضابط موال بحماس مثل موريس غاملان على رأس الجيوش الفرنسية وتدعمه في موقعه . وغاملان هو بالفعل النموذج المثالي لرجل المؤسسات والمدافع عن النظام ضد كافة الهجمات . ولكن غاملان لم يكن الممثل الحقيقي للروح السياسية للضباط وخاصة لذوي المراتب العليا . فمن ورائه كان البيتانيون وجماعة مكسيم ويغان وضباط كبار آخرين الذين لم يكونوا على ثقة من النظام القائم في باريس فقط بل بدأوا ينتقدون الجمهورية الثالثة نفسها . وقد ظهر التزامهم بوضوح في حزيران عام ١٩٤٠ عندما دحرت الجيوش الفرنسية امام قوات الصاعقة الهتلرية . وجاء قرارهم بالاستسلام على انسجام تام مع أفكارهم السياسية وخاصة عدم ولائهم للجمهورية الثالثة . وعندما دافع بيتان وويغان عن فكرة الاستسلام ورفضهما متابعة القتال انطلاقا من شمالي افريقيا كانت آراؤهما نابعة من قناعتهما بأن التفاهم مع النظام الهتلري الجديد سيؤدي حتما الى اعادة الصفات الخلقية ، ويقدم ضمانات ضد الشيوعيين واليساريين الذين بنظر هؤلاء الضباط قد لغموا الجمهورية .

وقد اصبح عدم ولاء عناصر هامة من ضباط الجيش الفرنسي قاعدة اساسية في التاريخ العسكري الفرنسي بعد عام ١٩٤٠ . فالواقع انه ليس بامكان أي امرىء كتابة التاريخ العسكري للجيش الفرنسي بعد عام ١٩٤٠

دون ان يركز على موضوع جديد وبارز هو مدى ولاء الجيش للدولة . وبالفعل ان التاريخ الحقيقي للجمهورية الرابعة والخامسة يدور حول مثل هذه المواضيع كغضب الضباط الذين شعروا بالاهانة بسبب هزيمتهم في الهند الصينية او حركة الكولونيالات في الجزائر التي هيأت للقضاء على الدولة لتجنب منح الاستقلال للجزائر .

هذا كله يعيدنا الى الفكرة الاساسية من هذه المحاضرة وهي أن سياسة الامن الوطني الفرنسية تدرس ضمن اطار المظاهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها . انني شخصيا متأثر جدا بكتاب مارك بلوخ « هزيمة مستغربة » وهو دراسة عن الاخطاء التي وقعت في عام ١٩٤٠ وهو بنظري بحث كلاسيكي لهذا النوع من التحليل الشامل . بلوخ كان مؤرخا محترفا ــ الواقع انه من افضل من كتب عن القرون الوسطى في ايامه ــ ولكنه خدم كضابط اركان في كلتا الحربين العالميتين . وقد ألف كتابه المذكور اعلاه بتسرع وبعد بضعة اشهر فقط من استسلام فرنسة ؟ لذلك فهو عمل أولي شخصي الى درجة كبيرة يحتوي غالبا على سرد واقعي اشهود عيان . وفيه أقسى نقد للاركان العامة الفرنسية اذ يقول ان فشل القادة الفرنسيين في معارك عام ١٩٣٩ ــ ١٩٤٠ يعود الى كونهم وضعوا خططهم على اساس ايقاع العمليات في عام ١٩١٤ ونظموا تحركاتهم استنادا الى سرعة جندي المشاة . ويضيف بلوخ بأنهم كانوا ثقافيا ونفسيا غير مؤهلين لفهم حقيقة الحرب الصاعقة . وكان بلوخ اول الكتاب الذين التقطوا روح ما اصبح حاليا شائعا : ان تطور الاسلحة بعد عام ١٩١٨ ادخل ثورة في الحروب اذ ضغطت الزمن والمسافة . وكان في طليعة الذين صوروا الصدمة النفسية ــ الصدمة التي تشل الحركة ــ للضباط الذين يجدون انفسهم فجأة منغمسين في موقف عسكري غير متوقع ويفتقرون الى التهيئة العلمية للتصدي له .

معظم القراء يتوقفون عند هذه النقطة ولا يتابعون القراءة ، في حين ان بلوخ اكثر حذرا كمؤرخ من ان يقنع بأنه قد قدم شرحا كاملا للكارثة الفرنسية العسكرية بابرازه فشل الاركان العامة الفرنسية فقط . لذلك نجد ان القسم الثاني من كتابه « هزيمة مستغربة » هو نقد عميق للمجتمع الذي عاشت فيه

هذه الاركان واخصة القناعات التي سيطرت على الطبقة السياسية المسيطرة وعلى المجموعات الاقتصادية . وقد اظهر عدم رغبة الطبقات الوسطى بدعم الاقتصاد الداخلي والتبدلات الاجتماعية التي كانت ضرورية لجعل فرنسة أمة حيوية . وكان حكمه النهائي ان فرنسة نتيجة التحليل الكامل قد أقدمت عام ١٩٤٠ على الانتحار اذ ان مسؤولية الهزيمة تقع على رأس كل فرنسي وليس فقط على عاتق عدد قليل من ضباط الاركان الذين سيطرت عليهم افكارا متخلفة حول أساليب خوض حرب حديثة .

يبدو لي ان المشكلة الاساسية في الامن الوطني الفرنسي خلال الحربين تكمن في انها كانت غارقة في تفاصيل تنظيمية شكلية وتورطها وتمسكها ببعض نماذج التفكير حول طبيعة الحرب . وفي كلتي الحالتين كانت الانظمة الفرنسية تفتقر الى المرونة . لقد كان الفرنسيون ببساطة مرتاحين لقناعاتهم وعلى ثقة تامة بأنهم تعلموا دروسا من خبرات الحروب السابقة . ومع ذلك ربما يتوجب علينا نحن الاميركيون الا نقسو في نقدنا .

فالاميركيون يعتقدون بأن للفرنسيين سجلا عسكريا محزنا في السنوات الاخيرة وانه بامكان اميركا بشكل او بآخر تحقيق نتائج افضل منهم . ومع ذلك كان الفرنسيون في عام ١٩٤٠ اول من واجه الحرب الصاعقة ، و لادليل مطلقا يؤكد لنا انه لو تعرضت دولا أخرى لموقف مماثل كانت ستتصرف بشكل انجح او اكثر عبقرية . الواقع ان هناك خطورة في افتراض ان عدم الاهلية والاستعداد الفرنسي يقدم الفرصة للبرهان على الشجاعة الاميركية . منذ سنوات عدة ساهمت في ادارة مشروعا تاريخيا شفهيا في برنستون حيث سجلنا فيه مذكرات الرجال الذين عرفوا او عملوا مع جون فوستر دالاس . وطالما ان الفيتنام كانت الموضوع الاساسي للسياسة الاميركية ، فكان من الطبيعي ان نطرح اسئلة حول الكيفية التي وجدت اميركا نفسها وقد زجت في الهند الصينية في فترة ايزنهاور ــ دالاس . لقد صادفت شخصيا عدة ضباط اميركيين على قناعة تامة بأن الفرنسيين خسروا معاركهم في فيتنام وكان بامكانهم تجنب الهزيمة في ديان بيان فو لو استمعوا الى النصائح العسكرية الاميركية . لقد كان واضحا لي بأن هؤلاء الضباط الاميركان يشعرون بأن الفيتناميين الشماليين

والفيتكونغ قد نجحوا ليس بسبب جهودهم بل نتيجة الجهل الفرنسي . وهم على قناعة تامة بأن الاميركيين اذا ومتى زجوا في المعركة لن يرتكبوا أخطاء مماثلة . الواقع ان تاريخ التورط الاميركي في فيتنام اذا لم يقدم لنا اي درس ، فهو درس عملي للاخطار التي يمكن ان نتعرض لها لو حاولنا النظر الى عموميات الفشل العسكري الفرنسي ولو اقتصرنا على افكار جامدة حول الدروس المكتسبة من الخبرة العسكرية الفرنسية .

المصـــــادر :

بغية الاطلاع على مزيد من التفاصيل حول النقاط التي اثيرت في هـذا البحث انظر كتابي « النظرية الفرنسية حول الامة المسلحة ١٨٦٦ – ١٩٣٩ » (نيويورك ، راسل ، ١٩٥٥) .

ان افضل الدراسات بالانكليزية حول الجيش الفرنسي هي كتاب « الجيش الفرنسي : تاريخ عسكري – سياسي » لمؤلفه بول ماري دولا غورس . (نيويورك برازيلر ، ١٩٦٣) . وكتاب « جيش الجمهورية : دور الجيش في التطـور السياسي في فرنسة ١٨٧١ – ١٩١٤ » لمؤلفه دافيد رالستون (كامبردج ، ١٩٦٧) .

أما بالفرنسية فان افضل تحليل هو « المجتمع العسكري في فرنسة المعاصرة » لمؤلفه راؤول جيراردیه (باريس ، بلون ، ١٩٥٣) .

وافضل دراسة حول ولاء الضباط النظام الجمهوري هي التي وضعها فيليب بانكويكتز « ماكسيم ويغان والعلاقات المدنية – العسكرية في فرنسة » (كامبردج ، منشورات جامعة هارفورد ١٩٦٧) .

– التقلبات السياسية في منتصف واواخر الثلاثينات نجد افضل شرح لها لدى شارل ميكـو « اليمين الفرنسي والمانيا النازيـة ١٩٣٣ – ١٩٣٩ » (كامبردج – منشورات جامعة ديوك ١٩٤٣) .

– حول السياسة الخارجيه الفرنسية في العشرينات انظر مقالي « وزارة الخارجيـة الفرنسية : عصر فيليب بيرتولو لـدى غوردون وكريغ وفيلكس

جيلبرت ــ و « الدبلومماسيون » (برنستون ، منشورات جامعة برنستون ١٩٥٣) .

ــ حول الاستسلام في عــام ١٩٤٠ انظــر مقالي « الجمهورية الثالثــة والجنرالات : زيارة جديدة لحفار القبور » وذلك في كتاب « الحرب الشاملة والحرب الباردة » (كولومبوس : منشورات جامعة يوستيت ١٩٦١) .

ــ لقد تمت ترجمة خطط شارل ديغول حول الجيش المدرع المحترف في كتاب بعنوان « جيش المستقبل » (لندن هتشنسون ١٩٤٠) في حين هناك ترجمة الانكليزية لكتاب مارك بلوخ بعنوان « الهزيمة المستغربة : سرد للوقائع كتب عام ١٩٤٠ » (نيويورك ، نورثون ١٩٦٨) .

خبــرات الجيش اليابانـــي

ألفين د. كوكس

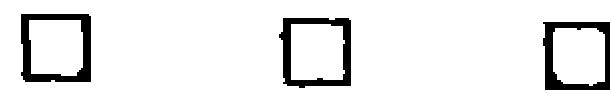
آخــر ايام طبقة الساموراي

مقدمة الناشر :

عرض صموئيل هانتنجتون في دراسته القيمة ، « الجندي والدولة نظرية وسياسة العلاقات المدنية ــ العسكرية » (كامبردج منشورات جامعة هارفارد ١٩٥٧ ؟ بأن مسألة العلاقات بين المدنيين والعسكريين في اليابان لم تكن مماثلة لتلك التي تميزت بها القوى الغربية الكبرى بعد نمو الاحتراف العسكـري البروسي وانما كانت فريدة بنوعها . ففي الامبراطورية اليابانيــة لم يجــد « هانتنجتون » أي تطور حقيقي لمهنة العسكري بالمفهوم الغربي . فالضابط الياباني لم يكن محترفا تقوده الصفات المميزة للاحتراف كما في الغــرب او اي نوع آخر مثل الخبرة المكتسبة او المسؤولية تجاه الامة بكاملها او روح القطعة . لقد تبنت اليابان فقط القشرة الخارجية للمهنة العسكرية الغربية . ولم يكن الضابط الياباني الامبراطوري جنديا محترفا بل محاربا ــ « مقاتــلا يز جنفسه في الاعمال العنيفة لا رئيسا يدير عملية استخدام العنف من قبــل الآخرين ، وكان هذا مبدأ تقليديا لا احترافا (ص ١٢٦) . ونظرا لعدم كــون الضباط اليابانيين عسكريين محترفين بالمفهوم الغربي يعتقد هانتنجتون أن التوتر الذي ساد في الغرب بين العسكري والمدني لم يجد له مكانا في الامبراطورية اليابانية . بل ان رمز المحارب الذي كان اساس العسكرية اليابانية هو بنفس الوقت العقيدة اليابانية الوطنية ــ وهو البوشيدو ــ ويرى هانتنجتون ان اليابان اتبعت طريقا مختلفة الى الهزيمة العسكرية عن تلك التي سلكتها المانيا عــام ١٩١٨ وعام ١٩٤٥ او فرنسة عام ١٩٤٠ .

وقد كتب الفين كوكس من جامعة سان ديغوستيت الكثير عن التاريخ العسكري الياباني بما في ذلك عددا كبيرا من المقالات وكذلك « كونمان » : الجيش الياباني في حرب الباسيفيك (بالتعاون مع هياشي سابورو) كوانتيكو : الاتحاد البحري ١٩٥٩) .

في محاضرته عام ١٩٧٣ لم يتحدى كوكس مباشرة تفسير هانتنجتون ولكن فرضيته حول العلاقات بين الجندي والدولة في اليابان كانت اقل اختلافا عن النموذج الاوروبي مما جاء لدى هانتنجتون . ففي حين يعترف كوكس بأن الاركان العامة الامبراطورية « تحمل تشابها ظاهريا للنموذج الغربي » فانه يتحدث هنا عن وحدة مختلف الخدمات المسلحة لا أسس الاحتراف العسكري والقيم العسكرية او العلاقات المدنية العسكرية . في اطار هذه الاسس يقول كوكس بأن اليابان تقدم لنا مواضيع دراسية مماثلة لكافة القوى العصرية الكبرى .



خبـــرة الجيش اليابانـــي

منذ مئة وعشرين عاما قام الكومودور ماتيو بيري بزيارة اليابان ، وكانت البلاد ما تزال تحت الاشراف الموقت لشغون جزاليسيموس اقطاعي من عائلة توكوغادا ، الذي كان يدير البلاد من ييدو (طوكيو حاليا) ظاهريــا باســم الامبراطور . وكان هذا الاخير مقيما على مئات الاميال من كيوتو في عجــز مذهب ولم يكن هناك جيش وطني بل قوات محلية تابعة لطبقة الملاك الكبار « الديميو » الذين يعرف اتباعهم العسكريون باسم «الساموراي» او «البوشي». وكان هؤلاء القادة المحاربون الذين سيطروا على المجتمع الياباني لمدة سبعــة قرون وصول سفن بيري السوداء الى خليج اوراغا .

وكان ما يزال سائدا عصر المدافع النحاسية التي تلقم من الفوهة والسيوف التي تحمل باليدين معا والخناجر . لم يشعر بيري بأي انطباع خاص عنــد رؤيته للعسكريين اليابانيين . فقد بدت له سيوف الساموراي اكثر ملاءمة للاستعراض منها « للاستخدام » ومتخلفة الصناعة ، اما فيما يتعلق بالخمسة الاف جندي ياباني الموجودين على الساحل فقد كانوا يفتقرون الى النظـام تمامــا :

... لم تبد عليهم درجة عالية من النظام ، وان كان سلاح الجنــود وعتادهم مقبولا من حيث الجودة . ولباسهم قريب الشبه جدا من اللبــاس الياباني العادي . ويتألف سلاحهم من السيوف والرماح . في النسق الامامــي يقف المشاة وقاذفي النبال والرماحة ، في حين ان القسم الاكبر من الخيالة كان في الخلف . هذه القوات بسروجها الفنية تمثل على الاقل مشهدا جميلا .

وبصورة عامة قدر بيري أن رجاله الثلاثماية من المشاة البحرية وسيقيين وضباط رغم كونهم ليسوا من طوال القامة فقد بدوا اقوياء ذوي اجســاد قوية بشكل يتعارض مع اليابانيين القصار القامة وذوي المظهر الانثوي .

القادة اليابانيون المطلعون على الامور كانوا على وعي بضعف الامــة . وكما

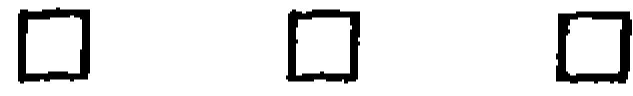
افاد احد المسؤولين في الشرطة اليابانية عند وصول مجموعة الانزال الاميركية « نحن نعلم اننا لا نستطيع السيطرة على هذا الشعب . وعلينا ان نكظم غيظنا . » اهم ما يلاحظ لدى الشعب هو الخوف فقدروا حجم القوات الموجودة على ظهر السفن الاميركية العشرة بمئة الف رجل وبذلك امكن للكومودور بيري توقيع المعاهدة ، وبعد وقت قصير وصل القنصل غير المرغوب به «تاونسند هاديس». وبعد حوالي عشرة اعوام عندما حاول المتحمسون اليابانيون في القلاع الحصينة « شيمونوسيكي » وكاغوشيما التصدي للسفن الحربية الاجنبية ، ذاقوا طعم التكنولوجيا الحربية الغربية عن طريق الفتحات التي احدثتها قنابل المدفعية البريطانية وتحول خوفهم من الاجانب الى مباراة مهنية .

كان ذلك في عصر « باكوماتسو » او في نهاية عصر الاقطاع . وعندما اسلم آخر « شوغون » سلطاته المدنية بسرور الى الامبراطور اليانع الذي لم يبلغ العشرين بدأ العصر المعروف عادة بعصر « ميجي الاصلاحي » . وكان الشعار الذي يقود المحدثين اليابانيين (وقد رفعوه كشعارات كرروها كثيرا كما تفعل الجمهوريات الشعبية حاليا) هو القوة العسكرية والازدهار الوطني. وكما وصفه « ياماكاتا اريتومو » الاب المؤسس للجيش الياباني منذ عام ١٨٧١ : ... بهدف اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد احتمال التوسع الروسي نحو الجنوب علينا زيادة اسلحتنا كما يجب ان نولي الجيش الافضلية على مختلف انواع السياسة الاخرى » . ويرى المؤرخون اليابانيون في هذا المفهوم المبكر لمهمة الجيش « الدعوة الرائدة لتوحيد كامل المجتمع الياباني في اطار المبادىء العسكرية » . وكان « ياماكاتا » واضحا بهذا المعنى :

« .. ان سياسة منفتحة وتقدمية لا تعني ببساطة موانىء مفتوحة ومكاسب تجارية . بل انها تعني ايضا ان على اليابان ان تزيد من سمعتها الوطنية ، بغية الحفاظ على موقع محترم ومستقل بين القوى الاخرى ... ... واني ارى ان أهم واولى الاعمال يجب ان تصب على زيادة قدراتنا الدفاعية كي نتمكن من حماية الوطن والمحافظة على استقلاله التام ... ورغم ان هذه الرغبة تتطلب كميات كبيرة من الاموال وزيادة اعباء الشعب فانها مسؤولية الجميع . ان الفقر الناجم عن المصروفات العسكرية الاضافية قد يبدو كارثة

وطنية في الوقت الحاضر ولكنه في النهاية هو الاسلوب الوحيد لضمان رفاهنا الوطني اذ ان ما كان يجب فعله خلال المئة سنة الماضية علينا الان ان نفعله خلال السنوات العشر القادمة ... » .

واعطيت الافضلية الاولى لتركيز وتدعيم النظام السياسي وتصفية « الساموراي » المعتبرة ظاهريا كالنخبة العسكرية والاجتماعية والاقتصادية . وكان ذلك عملا خطرا اذ انه في الاشهر الاولى من الصراع بين القوات الموالية للعرش وتلك التابعة لنظام « الشوكونات » ، كان بامكان الامبراطور الاشراف المباشر فقط على مجموعة صغيرة من ثلاثماية مقاتل انتخبت من الطبقة الادنى من وسط محيط من حوالي ٤٠٠ الف ساموراي فقدوا املاكهم ومزاياهم . وفي تلك الظروف كانت مهمة حكومة ميجي ممكنة التنفيذ بالمزاودة والتشجيع والضمانات المالية اكثر من التهديد المكشوف .



التنظيــــم العســــكري

من الناحية التنظيمية كانت الحكومة في السنتين الاولتين من عهد«ميجي» تدار من قبل مستشاري الدولة ، ثم ونظرا لزيادة تعقـد الجهـاز الاداري وتشعبه وتنوع اختصاصاته جرى تعديل على هذا النظام مرات عدة . ففي المجال العسكري اصبحت ادارة البحرية والجيش منوطة بمكتـب الدفـاع العسكري ثم في حزيران ١٨٦٨ دعيت ادارة المسائل العسكرية . وفي العـام التالي شكلت ادارات حكومية بما فيها وزارة النواحي العسكرية تشرف عـلى القوات المسلحة البرية والاسطول البحري .

وفي عام ١٨٧١ اسس مكتب اركان القوات المسلحة حسب النمـوذج الفرنسي « مهمة المشاركة بالمهام السرية والتخطيط وجمع الخرائط ونواحي اخرى ... » (لم يكن جهاز مماثل للاسطول حتى عام ١٨٨٧) وكان مديـر هذا المكتب برتبة نائب وزير وتحت الاشراف المباشر للوزير المختص . وبالتالي رتبة مدير هذا المكتب عقيدا او اعلى في حين رتبة الوزير لواء او اعلى .

وكان هذا النظام اي تعيين عسكريين فقط في هذه المناصب وادخالهـم في الطبقة الحاكمة يهدف الى اعطاء الافضلية للفعالية العسكرية .

وعلى الرغم من الاسس الاجتماعية والمساواة بين الطبقات عملت حكومـة ميجي على تأسيس وابراز مؤسسة عسكرية وطنية موحـدة . وحلت الجيوش التي كانت تابعة للامراء الاقطاعيين وتم الاستيلاء على القلاع والقصور . وشكل حرس امبراطوري من الطبقات الكبرى وعززت حاميات طوكيو واوزاكا وخصصت قوة عسكرية لكل من الشمال الشرقي وكيوشو . ورغم اننا نتحدث عن عشرة آلاف جندي فقط فان هذه القوة كانت تمثل الخطوة الرئيسية الكبرى نحو جيش وطني دائم . لم يسبق ذلك مطلقا ان حدد عدد القوات المفروض وجودهـا داخل حاميات المدن « بهدف حماية الامن والمحافظة على النظام الاجتماعي » . وقد رافق هذه الاصلاحات في التنظيم العسكري نقل القوة العسكرية الى ايدي حكومة امبراطورية جديدة .

ومن احد اهم الاصلاحات العسكرية كان وضع قانون خدمة العلم عام ١٨٧٣ وقال مخططو حكومة ميجي : « علينا أولا أن نهيء أنفسنا لمواجهة المصاعب المدنية ثم فيما بعد نستعد لمواجهة اي غزو خارجي » . وكان على اليابانيين ان يكملوا نظامهم العسكري القديم بافضل ما لدى الغرب في هذا المجال من خبرات بغية التصدي للمطالب الوطنية بجيش واسطول فعاليين . ومن بين العديدمن الاعتبارات وجدوا ان نظام الخدمة الالزامية بالنسبة لحكومة مكبلة بالاعباء ، اقل تكلفة من انشاء جيش دائم محترف مكون من الساموراي القدامى .

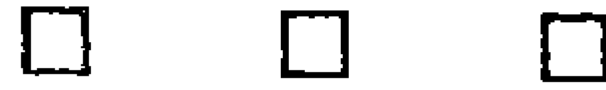
وقد فرض اول قانون مأخوذ عن الفرنسيين ، الخدمة على من هم بين ١٧ ـ ٤٠ عاما ولمدة ثلاث سنوات اعتبارا وسن العشرين واربع في صفوف الاحتياط . ولكن بتأثير من الالمان عدل هذا القانون في عام ١٨٨٩ وشمل هذا التعديل سواء المفهوم العام او من الخدمة فاصبحت ثلاث سنوات تدريب واربعة سنوات احتياط درجة اولى وخمس سنوات درجة ثانية اما الرجال بين سن ١٧ و ٤٠ سنة الذين لم يدخلوا الخدمة الالزامية او الاحتياط فيدخلون في ملاك المليشيا (لاسباب صحية) .

ثم اعتبارا من عام ١٨٧٣ قسمت البلاد الى ستة مناطق في كل منها حامية عسكرية تعدادها ٤٠ الفا زمن السلم و ٧٠ الفا زمن الحرب ، مع لواء مشاة في كل من حاميات طوكيو ، سنداي ، ناغووا ، اوزاكا هيروشيما ، كوماموتو . وهذا ما يجعل تعداد الجيش النظامي في زمن الحرب يبلغ ٤٠٠ الف وهو حتما يزيد عن الحاجة « للقضاء على أي شغب مدني قد يحدث نتيجة لعدم رضى من تبقى من الطبقة الاقطاعية واتباعها » .

وبدأ الجيش يتطلع الى الوقت الذي لا يكتفي فيه بتخزين ذخائره وعتاده بل انتاجها بنفسه .

تبقى الخدمة الالزامية العسكرية مفتاح قوة الجيش الياباني ، رغم عدم الارتياح الذي ابدته بعض الجهات لها . اذ لا شك ان الخدمة الالزامية تلغي وراثة نخبة « البوشيدو » التي كانت تتميز بنظامها الخلقي الفريد والمهارة

الفردية التي يتمتع بها عناصرها . ولكن هذا القانون قد اثبت جدراته في تحويل الولاء الطبقي الى مشاعر وطنية عامة للامــة بكاملها ، ويرع واضعو قانــون خدمــة العلم انه سيؤدي الى جعل الجيش جامعة كبيرة للمدنيين والعسكريين. لذلك اصبح الجيش الياباني عاملا فعالا في محاربة الامية والتدريب على المهارات الخاصة وترسيخ العقائد الدينية والمشاعر الوطنية مع تركيزها على « الزهــو واللباقــة » .



تخصص الوظائـف العسكريـة

في شهر شباط من عام ١٨٧٢ قسمت وزارة النواحي العسكرية الى وزارة الجيش (او الحربية) ووزارة البحرية . وتبعا لذلك كان لا بد وان تفصل الاركان والوظائف القيادية عن الاعمال الادارية . وكخطوة اولى انشىء في عام ١٨٧٤ مكتب الاركان ووضع خارج ملاك وزارة الحرب ، وبتأثير من المؤسسات العسكرية الالمانية والتنظيمات الادارية شكلت السلطات اليابانية هيئة اركان عامة مستقلة (سانبو هونبو) في اواخر عام ١٨٧٨ مؤكده وجود سلسلتين من القيادة ادارية وعملياتية . ويشترك رئيس هيئة الاركان العامة بالمهام السرية للمجلس العسكري اي مساعدة العرش في المهام السرية الهامة في المجلس العملياتي الامبراطوري . عمليا تنظيم الاوامر الامبراطورية (التي تتطلب دوما تصديقا) وتسبقها توجيهات توضيحية لا يلزمها تصديق الامبراطور تضعها الاركان العامة للجيش .

واصبحت الاركان العامة للجيش منذ ذلك الحين مسؤولة عن وضع الخطط والاستراتيجية ولكن كان لها أثرا سياسيا أبعد من ذلك . اذ أن رئيس الاركان العامة للجيش كمستشار عسكري رئيسي للامبراطور في هذا المجال هو مستقل عن وزير الحربية واعلى مستوى منه .

عندما رفع ياما غاتا (ربما كان الاصح ان نقول عين نفسه) من وزير الحربية الى رئيس لهيئة الاركان العامة وجلب مجموعة من الضباط ذوي الرتب والخبرة ، اعلى من وزير الحربية الجديد . وبكلمة اخرى في تلك الايام الاولى كانت تعطى اهمية اكبر لتوازن القوى بين اتباع « الشوشو » و « الساتسوما » من الفعالية والكفاءة وحدها . وقد ادت هذه التدابير الى اخراج مهام القيادة العسكرية من اطار امكانية الاشراف السياسي للحكومة عليها . الواقع ان سبب فصل الاركان العامة للجيش عن وزير الحربية ووضع رئيسها تحت امرة الامبراطور مباشرة في سلسلة القيادة كان لتجنب تدخل الحكومة المدنية في المسائل المتعلقة بالدفاع الوطني والاستراتيجية العسكرية .

وبارتباط وثيق مع هذه الخطوة الاولى كان وضع ملاك ومنح سلطات واسعة لجهاز عسكري مستقل مسؤول عن التدريب والتفتيش .

في عـام ١٨٧٩ شكلت هيئة للمراقبة ، واعتبارا من عام ١٨٨٨ كان عـلى رئيسها وهو برتبة فريق ان يقدم تقارير الى العرش مباشرة . في عام ١٨٩٨ بدلت تسميتها ودعيت هيئة التدريب العسكري وكلف بها مؤقتا وزير الحربية ولكن بعد عام ١٩٠٠ اعيدت بصورة دائمة الى اشراف الامبراطور مباشرة .

وهكذا نجد انه على اعلى المستويات في الجيش الياباني كانـت وزارة الحربية مكلفة بالاشراف الاداري ، ورئيسا لهيئة الاركان مسؤول مباشرة تجاه العرش كمستشار عسكري ، ومفتشيه عامة للتدريب العسكري كما دعيت في حينه . وشكل رؤساء هذه الوظائف الثلاث الهامة ثلاثيا قويا جدا عرف باسم « الثلاثـة الكبار » في الجيش .

عندما الفت اول وزارة يابانية في عام ١٨٨٥ اصبح وزير الحربية وزير حكومة ممثلا للجيش (او محتلا للجيش في الحكومة) . وفي تلـك الاثنـاء ومع التطور التدريجي للقوى البحرية وضع المكتب البحري ضمن جهـاز الاركان العامـة للجيش اعتبارا من عام ١٨٨٦ . وفي تنظيم عام ١٨٨٨ انشأت اركانا خاصة بالبحرية ولكن نظرا لكون المواضيع البحرية كانت بسيطة نسبيا فقـد الحقت هذه الاركان البحرية بوزارة البحرية وبقيت سلطة رئيس هيئة الاركان العامة المسؤولة عن كافة القوات الامبراطورية . واخيرا في عشيـة الحـرب العينية اليابانية في ايار عام ١٨٩٣ وضعت الاركان البحرية تحت الاشـراف المباشر للامبراطور واصبحت متساوية مع الاركان العامة للجيش .

الغى الجيش نظام الحاميات القديم في عام ١٨٨٨ لصالح ست مقاطعات فرقية وفرقة من الحرس الامبراطوري (اعتبارا من عام ١٨٩١) ويقود كل فرقة فريق . وكان التبرير الرسمي لهذه التبديلات انها تمت بسبب احتمال قيـام عمليات عبر البحار وخاصة بسبب توتر العلاقات مع الصين اعتبارا من الاحداث التي جرت في سيؤول عام ١٨٨٢ .

الجيش الامبراطـوري

ساهمت العلاقة القائمة بين العرش ومختلف الادارات على ندعيم النظام الحكومي الامبراطوري . وقد وضعت عدة أسس تربط السلطات العسكريـة والقيادة العليا بالامبراطـور ممـا جعـل بالامكان تسميـة الجيش « بجيش الامبراطور » . منها المادة الاولى من نظام الخدمة العسكرية لعام ١٨٧٩ التـي تنص على ان الجيش الامبراطوري مسؤول مسؤولية مباشرة تجاه الامبراطور. كما ان التوجيهات الامبراطورية الشهيرة للجنود والبحارة عام ١٨٨٢ تنص على ما يـلي :

« ... ان القيادة العليا لقواتنا هي في ايدينا ، ونحن رغم الثقـة التي نمنحها للقادة المرؤوسين فان السلطة الكاملة تبقى لنا شخصيا ولن نفـوض بها احـدا ... » ايها الجنود والبحارة نحن قائدكم الاعلى . وستكون علاقاتنا معكم وثيقة جدا عندما نعتمد عليكم كأطرافنا وتنظرون الينا كرأس لكم . وعلى المرؤوسين أن يعتبروا اوامر قادتهم وكأنها صادرة مباشرة عنا .

.. وتبعا لدستور عام ١٨٨٩ فان السلطة « المقدسة والمطلقة » هي التي تحدد تنظيم القوات المسلحة وكذلك توضعها وانتشارها في زمن السلم وتملك السلطة الكاملة لاعلان الحرب وتوقيع معاهدات الصلح او السلام . وقد عبـر عن المظاهر القانونية لهذه الصلاحيات بجملة : « الامتيازات المستقلة للقيـاذة العليـا » و « امتيازات الادارة العسكرية » . ومع ذلك في التطبيق العملي كما يوضح البروفسور فوكوشيما شينكو :

« ... لم يقبل افراد القوات المسلحة الاعتراف بأية قيود دستوريـة على الامبراطور وبالتالي كانوا عاجزين عن فهم مثل هذه النظريـات كالتفريق بين نوعين من صلاحيات الامبراطور وهم يؤمنون بأن القرارات الحكوميـة التي اكتسبت قدرتها التنفيذية من الامتيازات الامبراطورية كقائد اعلى يجب ان تتلى دون تعليق . اما اذا نفذت التوجيهات كما ورد فهذا يعني أن رغبـة

القوات المسلحة يمثلها اولئك الذين يساعدون الامبراطور في تنفيذه لصلاحيات القائد الاعلى وهم بالتالي اصبحوا عمليا في موقف السلطة العليا التي تفرض رغباتها على الدولة » .

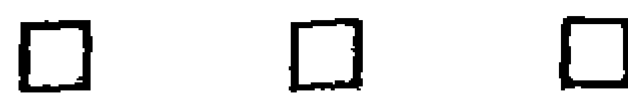
السبب الرئيسي لهذا الانتقاد نابع من واقع كون الوثائق الحكومية يعاد توقيعها من قبل رئيس الوزراء وكل وزير حسب مسؤولياته . في حين ان الاوامر العسكرية الصادرة عن القيادة العليا لا تحتاج الى اي تصديق وبالتالي تمثل اوامر مطلقة صادرة عن الامبراطور كقائد اعلى . ومنذ عام ١٨٨٦ ايضا كانت العضوية في العائلة الامبراطورية تؤهل لمنصب رئيس الاركان العامة .

اهم مظهر لثنائية القيادة اليابانية ينبغ من كون انتقاء الاعضاء العسكريين والبحريين في الحكومة اي وزير الحربية ووزير البحرية يجب ان يكونا ضباطا عاملين او ضباطا قادة فعليين . ورغم ان هذا التحفظ قد عدل منذ ١٩١٤ واصبح بالامكان انتقاء هؤلاء الوزراء من الضباط الاحتياطيين او المتقاعدين فان هذا التدبير لم يلجىء اليه مطلقا . واخيرا فان متطلبات الخدمة الفعلية القديمة قد قيدت بعد احداث ١٩٣٦ . ونتيجة لذلك خاض العسكريون معركة حياة او موت للاشراف على مصير الوزارات حتى في الحالات التي لا علاقة للقوات المسلحة فيها . وكما جاء في قول احد النقاد : كان بامكان وزير واحد نسف حكومة يشكل فيها أقلية لا تزيد عن صوت واحد .

لم تشعر القوات المسلحة مطلقا بأي ضيم لكونها جيشا خاصا بالامبراطور ، جزئيا لاسباب تاريخية ولكن السبب الاهم هو « انه طالما ان الحرب والقضايا العسكرية تتم من قبل الامبراطور فهي تعتبر مقدسه وان معارضتها او التحدث عن السلام يعتبر فورا نقدا للامبراطور نفسه رغم انه كان من المسموح التحدث عن سلام الاحتلال الذي يتم عبر الحرب » . وبربط كافة الرتب بالعظمة الالهية فقد اصبح من الممكن تطلب الطاعة العمياء والصوفية . وكما أفتى المستشارون في مذكرة لهم عام ١٨٨١ : « ... يمكن ان يقال ان ابن السماء هو جزاليسيموس القوات في الميدان وان اعضاء القوات المسلحة هم اسنان ومخالب البيت

الملكي ، لذلك فان على اولئك الذين هم اعضاء في القوات المسلحة واجب محبة وطنهم بكل قلوبهم وان يكونوا اوفياء وموالين لسيدهم العظيم » .

ولتحقيق هذه الاهداف خضعت القوات المسلحة اليابانية الى تدريب روحي مكثف او كما سماه احد المعلقين : التربية النفسية ، وان حياة التدريب لا يجوز اهمالها حتى أثناء النوم . كما ان كافة الكتب التدريبية كانت تذكر كافة القراء بأن الامبراطور « يجب اتباعه كما لو كانوا أبناءه » . وعن الامبراطور قوله : « الامة بكاملها هي عائلتنا وكل انش من بلادنا هو منزلنا » . وحتى أدنى الجنود رتبة كان يرى الوجود الواقعي للامبراطور في علم كتيبته والترديد اليومي لوصايا الجنود والبحارة مع التوجه باتجاه القصر الامبراطوري في أي مكان يقف فيه ، وفي اوامر كافة رؤسائه اعتبارا من صف الضباط والى الاعلى . وفي كانون الثاني عام ١٩٧٢ لاحظنا تطبيقا ممتعا لحيوية هذا الشعور بالمسؤولية بين الجندي والعرش عندما وجد آخر المقاتلين اليبانيين حيا في غويام (الرقيب « يوكوا » وعمره ٥٦ عاما) وكانت معظم أجزاء بندقيته القديمة صدأة ولكنه حافظ بأمانة على الشعار الامبراطوري الملصق على الاخمص بتلميعه طيلة ثمانية وعشرين عاما ، أمضاها متواريا في ادغال الجزيرة .



التدريب العسكري :

موضوع المستشارين الاجانب

منذ السنوات الاخيرة الشوغونات كان واضحا بأن المستوى الياباني في المهارات العسكرية والعلوم والتكنولوجيا لا تضاهي الجيوش والاساطيل الغربية. وقد اتخذت تدابير عدة مع الالمان والانكليز والفرنسيين خاصة لتزويد اليابان ليس فقط بالقوانين بل مساعدتها بالتدريب ايضا . وفي مطلع عام ١٨٦٧ وصلت بعثة فرنسية برئاسة ضابط برتبة كابتن لتدريب حوالي ٢٥٠ طالبا عسكريا من المشاة والمدفعية والخيالة في مدرسة حربية جديدة قرب يوكوهاما . وسرعان ما انتقلت ساحة التدريب الى منطقة طوكيو ، ولكن الفرنسيين قد أخطأوا الانتقاء اذ اختاروا الشوغونات الذين كانوا على وشك الصراع مع التاج . وبعد سنة وثمانية اشهر فقط ومنها ستة اشهر فقط خصصت للتدريب الفعلي كان على البعثة الفرنسية ان تغادر اليابان .

مع تدعيم النظام الامبراطوري الجديد وجدت السلطات اليابانية نفسها ايضا مضطرة للتفتيش عن مستشارين عسكريين اجانب . ووقع صراع داخلي بين انصار الفرنسيين وانصار الاسلوب البروسي . وفي تلك الفترة انتقلت الكلية العسكرية التي انشئت في كيوتو الى اوساكا تحت الاشراف الامبراطوري. وحتى عام ١٨٧٠ كان اكثر من ٤٠٠ طالب يتدربون فيها وفق الاسلوب الفرنسي الذي وضعته بعثة ١٨٦٧ ــ ١٨٦٨ . ومما يدعو للسخرية انه بعد شهر واحد من انهزام الجيش الفرنسي امام الجيش البروسي في سيدان اعلنت الحكومة اليابانية عن تبنيها النظام العسكري الفرنسي . وقد برهن ارنست بريسيسن انه بما يشبه الاسطورة تحول اليابانيون الى النظام الالماني بعد هزيمة الفرنسيين عام ١٨٧٠ ، ولم يتم التعاقد مع اي مدرب الماني من قبل اليابان حتى عام ١٨٨٥

وقد جلب المقدم شارل انطوان ماركوري (استبدل فيما بعد بشارل مونييه) فريقا عسكريا فرنسيا الى اليابان عام ١٨٧٢ . وكانت مدرسة

التدريب قد انتقلت الى طوكيو من اوساكا وتحت الاشراف الفرنسي بدأت كلية عسكرية واحدة (شيكان غاكو) بالعمل اعتبارا من عام ١٨٧٥ . وقد ارسل اوائل المتخرجين للدراسة في خارج البلاد ، وفي عام ١٨٨٠ كان هناك ٤٤ ضابطا في اوروبا . وقد بدأ التأثير الفرنسي ـ حتى في سان سير اليابانية ـ يبهت بعد الخبرة الميدانية المريرة التي تعرضت لها الحكومة اثناء قضائها على عصيان جرى عام ١٨٧٧ ومع ذلك مددت عقود الفرنسيين حتى عام ١٨٨٠ .

ومع انخفاض سمعة البعثة الفرنسية ارتفعت الاسهم الالمانية خاصة عندما عاد بعض الضباط اليابانيين من دراستهم في برلين وجلبوا معهم توصيات حماسية وانطباعات حول تفوق الجيش الالماني . وفي عام ١٨٨٥ تم التعاقد مع الميجر « كليمينز ويلهلم جاكوب ميكيل » لتدريب وارشاد الاركان العامة . وكان تأسيس كلية الجيش الحربية في عام ١٨٨٣ سببا في انخفاض اهمية الكلية العسكرية التي اسسها الفرنسيون . اذ انه بالنسبة لخريجي الكلية الحربية كانت الطريق مفتوحة نحو اعلى المراتب واكثر المراكز اهمية ، وكان اولئك الذين يحملون شارة التخرج من هذه الكلية نخبة ضباط الجيش . وقد منح الامبراطور نفسه بعض المكافآت (بما فيها السيف الامبراطوري) للمتفوقين من طلابها .

وقد مدد عقد ميكيل لمدة سنة ثانية ثم ثالثة حتى عام ١٨٨٨ . وقد تم اختيار ضابطا المانيا آخرا في عام ١٨٨٦ . وعلى الرغم من وجود اربع مدربين فرنسيين حتى ذلك الوقت في اليابان بعد عام ١٨٨٤ فانهم لم يكلفوا بالتدريب مطلقا .

وقد تم الغاء معظم آثار التعاليم والنصائح الفرنسية عندما صدر قانون خدمة العلم الجديد عام ١٨٨٩ . « لقد غزت الافكار الالمانية عقول الجيش الياباني » . ولكن اليابانيين بدأوا يتعبون من الخلافات السياسية والدبلوماسية التي يثيرها وجود الضباط الاوروبيين الخصوم . وقد تم استدعاء الضباط الفرنسيين من قبل حكومتهم في اواخر عام ١٨٨٨ ، ولم يمدد عقد خليفة ميكيل الذي انتهى بعد سنتين أي في عام ١٨٩٠ . ونظرا لاعتقاد فرنسة بأن الجيش

الياباني سيستغني عن كافة المستشارين العسكريين الاجانب فقد استدعت ملحقها العسكري المركز الوحيد في اليابان الذي شغله طيلة عشر سنوات الكابتن الكسندر يوغويين . ولكن اليابانيين فاجأوا الفرنسيين بتعاقدهم مع ضابط الماني آخر للعمل في كلية الجيش الحربية . وقد بقي حتى عام ١٨٩٤ عشية الحرب الصينية ــ اليابانية ، في الوقت الذي انتهى فيه تحويل الجيش الياباني الى النموذج الالماني .

وعلى الرغم من ان اليابانيين قد احسنوا الاستفادة من التدريب العسكري في حروبهم ضد الصين وروسيا فانهم احرقوا اصابعهم في فترة التدخل الثلاثي عندما انضمت المانيا الى فرنسة وروسيا لاجبار اليابان على تقديم تنازلات هامة في جنوبي منشوريا . منذ ذلك الحين قرر الجيش الياباني ارسال مزيد من الضباط للدراسة في الخارج وعدم التعاقد مع أي ضابط اجنبي بعد ذلك التدريب في اليابان . ولم يجر أي تعاقد مع مستشارين اوروبيين حتى عام ١٩١٨ عندما دعيت بعثة فرنسية لتنظيم القوى الجوية العسكرية اليابانية .

لقد نفذ الفرنسيون اعمالا عديدة لليابان في القرن التاسع عشر من تدريب طلاب الضباط الى عروض المدفعية الي تطوير الصناعة الحربية . ومع ذلك فان معظم اعمالهم الطليعية قد نسيت مع وصول المستشارين الالمان . بالنسبة لليابانيين « لقد حلت المعرفة العملية والتنفيذ الوافي مكان النظريات والمظاهر » . ومن بين اكثر المساهمات المقدرة للمدربين الالمان كانت المناقشات والآراء حول المسائل الادارية الفعالة والتدريب الجيد لضباط الاركان العامة والاسلوب المنظم للتفتيش والتنظيم الفرقي وأدخال دراسة التاريخ العسكري وتحضير خطط الدفاع الوطني والتأكيد على التعبئة الشاملة مع الاستخدام الاقصى للخطوط الحديدية . ولا يوجد شهادة افضل للتأثير الذي اوقعه الالمان على الجيش الياباني الا بالتذكير بأن الامبراطور ميجي بنفسه قد جاء الى الكليـــة الحربية واستمع الى محاضرة لمدة ساعة كاملة القاها الميجر ميكيل باللغـــة الالمانيـــة .

وضــع مهمــة وطنيــة

في عصر الامبراطور ميجي لم يكن لدى اليابان اية خطة ابستراتيجية للحرب ضد عدو قوي . اذ ان المفهوم الاولي للدفاع الوطني كان مائعا لدرجة ان اليابان بالكاد تتوقع القيام بمعركة دفاعية على اراضيها الخاصة فيما اذا تعرضت للغزو . ولكن اعتبارا من عام ١٨٧١ وضع ياماغاتا ومعاونوه سياسة تستهدف التحول التدريجي في القدرة العسكرية من الاهتمامات الداخلية الى الخارجية . وطالما « ان الافضلية في الدفاع الوطني هي موجهة ضد سياسات روسيا القيصرية المتعلقة بالشرق الاقصى » ، فقد اصبحت روسيا العدو الوطني المحتمل الاول بالنسبة لليابان . وعندما يلوح هذا الخصم القوى عند « المدخل الشمالي » يجب اعطاءه الافضلية الاولى بين اهتماماتنا . وقد اصبحت هذه السياسة اساس كل تخطيط عسكري ياباني تجاه القارة الاسيوية ووجهت آراء الاركان العامة للجيش طيلة الـ ٧٥ عاما التي تلت ذلك .

واول ذكر في التاريخ الياباني الحديث لتحرك قوات عسكرية خارج البلاد جرى زمن الازمة الكورية الاولى عام ١٨٧٢ . ولكن هذه الحملة المقترحة لم تنفذ عمليا لاسباب داخلية وذرائعية . وقد ابحرت حملة صغيرة الى تايوان عام ١٨٧٤ للقضاء على بعض الحيوانات . اما الحرب الصينية ــ اليابانية ١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ فقد كانت اولى الحروب اليابانية الكبيرة والعصرية اذ زجت فيها حوالي ٢٤٠ الف رجل وكافة سفنها الحربية تقريبا . وقد تحقق الانتصار الياباني بعد ثمانية اشهر بثمن زهيد نسبيا ولكن الاذلال الذي اوقعه التدخل الثلاثي قاد الى مضاعفة عدد الفرق (حتى ثلاثة عشر فرقة) . واشترك ثلاثون الف ياباني في عملية القضاء على ثورة البوكسير عام ١٩٠٠ . ونظرا لسمعتها الجيدة وجدت اليابان ترحيبا من بريطانيا للتحالف عام ١٩٠٢ اذ ان كلتا الدولتين كانتا تعتبران روسيا عدوا محتملا .

وكانت الحرب الروسيه ــ اليابانية عام ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ هي العماد بالنار لليابان . فقد استمرت المعارك طيلة عام ونصف العام وتطلبت زج

١٫٢٤٠٫٠٠٠ مقاتل (أي ٦٪ من مجموع الذكور من السكان) وكلفت ١١٥٫٠٠٠ اصابة وبليون ونصف ين . وتطلبت تجهيز ما يعادل اثنتي عشر فرقة لتعزيز الثلاث عشر فرقة التي كانت متوفرة وقد زجت بكاملها في القتال وقد اصبحت ١٩ فرقة في عام ١٩٠٧ . ولكن الاهم من ذلك انه برزت ضرورة وضع اسس سياسة دفاع وطني طويلة الامد . وقد تم تحقيق ذلك واقعيا خلال عام ١٩٠٦ وعام ١٩٠٧ .

واعتبرت روسيا العدو البري الاول خاصة وانها بلا شك ستسعى للثأر لحرب ١٩٠٥ . وكانت فرنسا حليفة لروسيا . والعدو الثاني الرئيسي للوطن كانت الولايات المتحدة الاميركية . ومنذ ذلك الحين تحولت السياسة اليابانية من الدفاع الى الهجوم اذ ان الاسطول الروسي قد دمر في مياه الشرق الاقصى واصبح لليابان رأس جسر في اسيا . وقد توسعت المناطق المحتلة من منشوريا بعد ان ضمت اليابان اليها كوريا بكاملها عام ١٩١٠ .

بعد تدهور العلاقات الصينية ــ اليابانية اثر تقديم اليابان لائحة تتضمن ٢١ مطلبا من الصين في عام ١٩١٥ ، اصبحت الصين احد المواضيع الرئيسية في خطط العمليات الحربية السنوية للجيش الياباني الامبراطوري . عمليا لم تجر القوات المسلحة اليابانية أي تعديل في خططها للدفاع الوطني ولم تضمن وثائقها أي تنويه لعمليات محتملة ضد الصين طيله الوقت الذي كان فيه في رئاسة الوزارة رجل مدني هو « اوكوما شيجينوبو ١٩١٤ ــ ١٩١٦ » خوفا من تسربها . وعندما حل الجنرال تيروشي ماساكاتا (١٩١٦ ــ ١٩١٨) محل اوكوما بدأت القوات المسلحة اليابانية بالتبديلات العسكرية المناسبة للوضع الجديد ــ أي في عام ١٩١٧ ــ .

المشاركة اليابانية في الحرب العالمية الاولى كانت من الناحية العسكرية ، لا تذكر ، رغم ان حملة سيبيريا التي تبعتها قد برهنت على كونها ورطة لا مثيل لها . ولكن من وجهة النظر اليابانية تميزت تلك الفتره بتبدلات هامة على الساحة الدولية : انهيار الحكم القيصري الروسي وولادة الاتحاد السوفياتي ، والنمو الهائل للنفوذ الاميركي في الشرق الاقصى ترافقه علاقات سيئة بين اليابان واميركا

مثلا محاولات ابعاد اليابانيين عن الولايات المتحدة ، وعن الحرب التجارية والتنافس البحري . وتبعا لذلك عدل ترتيب الأعداء المحتملين في عام ١٩١٨ وجاءت الولايات المتحدة بالمرتبة الاولى يليها الاتحاد السوفياتي واخيرا الصين . وكان استيلاء الاسطول البحري الياباني على الفيليبين لحرمان الاسطول الاميركي من قواعده المتقدمة في المحيط الباسيفيكي الغربي قد ادخلت في خطة العمليات الحربية اليابانية منذ عام ١٩١٨ .

ونظرا لكون الاتحاد السوفياتي لا يبدي أي نشاط في الوقت الحاضر فقد اصبحت الولايات المتحدة الأميركية المشكلة اليابانية الاولى والاساسية منذ مطلع ١٩٢٠ . لم يكن اهتمام الجيش الياباني بالعمليات المضادة للولايات المتحدة كبيرا بقدر اهتمام الاسطول الياباني بها لان هذا الجيش لم يكن يتوقع اعمالا حربية برية في المستقبل القريب . فلو تقرر غزو الفيليبيين كانت فكرة الجيش الياباني مبنية على اساس عملية تمتد خمسا وسبعين يوما لسبق الاسطول الاميركي . وفي عام ١٩٢٣ ادخلت في خطط العمليات فكرة الاستيلاء على غوبام .

وعلى الرغم من عدم اجراء أي تعديل على السياسة الاستراتيجية الهجومية اليابانية فيما بعد ، فان الجيش الياباني اعتبارا من عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ بدأ يولي الاتحاد السوفياتي اهتماما جديا كعدو رئيسي . اذ ان زيادة قوة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاقصى سيعرض حتما للخطر التطلعات الوطنية اليابانية في القارة الاسيوية . وتعزز الشعور اكثر من أي وقت مضى بأن اراضي منشوريا — ستكون ساحة القتال للجيش الياباني سواء في الخط الامامي للأمن الوطني والى الغرب البعيد حتى بحيرة بايكال في سيبيريا .

اثر حادثة منشوريا عام ١٩٣١ — ١٩٣٢ التي دفعت بمسؤوليات الدفاع اليابانية حتى الحدود المباشرة لسيبيريا السوفياتيه ومنغوليا ، اصبحت روسيا تشغل المرتبة الاولى في اهتمامات الدفاع الوطني . مع العلم انه وجد اشخاص من خارج حلقات الجيش الياباني الامبراطوري رأوا في هذا التحول محاولة هادفة الى تحويل القسم الاعظم من الميزانية لصالح الجيش الياباني ، اذ ان هذا الجيش كان يخشى ان تحصل البحرية اليابانية على حصة الاسد من

الميزانية لو بقيت الولايات المتحدة الاميركية تحتل المرتبة الاولى في تعداد اعـداء الوطن .

وعندما اندلعت حرب الباسيفيك عام ١٩٤١ كانت السياسة اليابانية المبنية على اساس العمليات الهجومية ما تزال قائمة . وان كانت الخطط العملياتية الموجهة ضد البريطانيين لم تضف اليها الا في عام ١٩٣٩ ، وضد الهولنديين في عام ١٩٤١ . أثناء ذلك بالطبع كان الجيش الياباني قد تورط في الصين منذ عام ١٩٣٧ . وعندما وقع « الحادث الصيني » لم تكن الاركان العامة اليابانية تنوي زج اكثر من احدى عشر فرقة على البر الرئيسي للصين أو كحد اقصى خمس عشرة فرقة هذا فيما اذا استدعيت قوات احتياطية . ومع ذلك في نهاية عام ١٩٣٧ وجد اليابانيون انفسهم مضطرين الى زج ١٦ فرقة اي حوالي ٧٠٠ الف مقاتل اي ما يعادل كافة القوات المسلحة العاملة انذاك . وفي نهاية عام ١٩٣٩ بلغ تعداد الفرق اليابانية المشتبكة في البر الصيني ثلاث وعشرين بالاضافة الى ثمان وعشرين لواء (أي حوالي ١٤ فرقة اضافية) وفرقة جوية كاملة . وارتفع عدد القوات الى ٨٥٠ الفا . وبقي هذا المستوى من حجم القوات حتى عام ١٩٤٣ عندما بدأ الانتقال الى مسارح عمليات اخرى تحت الضغط العسكري الاميركي . ومع ذلك عندما انهت الحرب عام ١٩٤٥ كانت الحملة العسكرية اليابانية في الصين اكبر قوة يابانية موجودة خارج البلاد ومجموعها ١٫٠٥٠٫٠٠٠ ضابط وجندي (أي ١٩٪ من كامل حجم الجيش الامبراطوري الياباني) ، منها ست وعشرون فرقة (١٥٪ من المجموع) بالاضافة الى فرقة دبابات (٢٥٪) وفرقة جوية (٧٪) أي أن ٦٤٫٠٠٠ رجل من الجيش الامبراطوري الياباني كان يعمل في الصين .

الحجم الكامل للجيش الياباني عند نهاية الحرب كان ١٦٩ فرقة مشاة اربع فرق دبابات وخمسة عشر فرقة جوية تضم ٩ الاف طائرة وبلغ عـدد المقاتلين ٥٫٥٠٠٫٠٠٠ في القـوات البريـة (حوالي نصفها داخـل البـلاد) و ١٫٨٦٣٫٠٠٠ في القوى البحرية . هذا الحجم من القوات العسكرية المشتركة في المعارك يزداد كبرا في نظر المراقب اذا اخذ بعين الاعتبار حجم القـوات المسلحة اليابانية في السنوات الاولى من عصر الامبراطور ميجي : ففي عام ١٨٧٢ كانت القوات المسلحة الوطنية تضم ١٧٫٠٩٦ عسكريا عاملا و ٢٦٤١ بحارا .

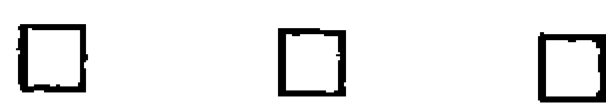
تنظيــم القيادة العليــا

في حين كان نظام القيادة والاشراف ممتازا بل رائعا خلال السنوات العشر الاولى التي اعقبت اصلاحات ميجي فانفا في عهد كلا الامبراطورين اللذين جاءا بعده تميزت بعدم الاهلية والعجز والتخطيط والتوجيه الفاشلين . الجهاز الفعال الوحيد الذي بقي يعمل على مستوى عال كان هيئة الاركان العـامة الامبراطورية (ديهونيه) . وكانت قد انشئت لاول مرة بمهمة الاشراف على الحرب الصينية اليابانية ومن ثم للاشراف على الحرب اليابانية الروسية ثم لم يعد تشكيلها حتى اعلنت حالة الطوارىء (جيهين) في عام ١٩٣٧ ومنذ ذلك الوقت استمرت في عملها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وتبعا للانظمة المرعية كان على رؤساء الاركان (الجيش والبحرية) ان يرأس كل منهما اجتماعا لضباطه بانتظار انعقاد المجلس الحربي الذي يدعو اليه الامبراطور ليقدم لسموه نصائحه حول العمليات وشرح التعاون بين القوات البرية والبحرية بغيــة الحصول على افضل النتائج خلال التنفيذ .

هناك تشابه ظاهري بين الاركان الامبراطورية والتنظيم الغربي للهيئات المماثلة ـــ وتنبع ميزاتها ومساوئها من كونها لا تعمل كوحدة متكاملة بل كقيادتين منفصلتين . لم يكن الامبراطور « شووا » مطلقا ذو عقلية عسكرية كما كان الامبراطور ميجي وبالتالي لم يكن يحضر مطلقا أيا من مؤتمرات هيئة القوات البرية او القوات البحرية ، فكانت كل منهما تضع خططها الخاصة المنفصلة وفي الاجتماعات المشتركة لكلتا الهيئتين كان يتم التنسيق بينهما ويتم التفاهم على التفاصيل ولكن ما ان ينهي هذا الاجتماع حتى تصدر كل منهما اوامرها الخاصة وغالبا ما تكون متنافرة . وقد قيل ان هذا النظام قد قاد الى الازدواجية واختلاف الاراء وتبادل الاتهامات في الوقت الذي كانت كل هيئة تسير في طريقها الخــاص .

أما ادارة الحرب لكونها تشمل السياسة العليا والاستراتيجية فلم تكن

ابدا من اختصاص هذه الهيئة التي انشئت اساسا للعمل بالمسائل العسكرية وهي بالتالي مؤلفة من عسكريين فقط . وكانت هيئة الاركان الامبراطورية هذه لافتقارها الى ضباط معينين بصورة دائمة (كان كافة عناصرها تبعا لوظائفهم) كما وصفها الكولونيل « ايفادا مازازومي » : « مجموعة ظل » ولكن رغم كل هذه النواقص فان هذه الهيئة قد نفذت عملها بشكل جيد في مجال ادارة الحرب وكانت اهم منجزاتها هو اشتراكها وان كان بشكل غير رسمي ولكن بفعالية في مؤتمرات التنسيق بين الحكومة والاركان العامة (دايهون اي سيفو ريزاكو كيجي) الذي شكل منذ احياء هيئة الاركان في نوفمبر ١٩٣٧ .



اعتبـارات اداريــة

انطلق موقف الجيش الامبراطوري الياباني تجاه النواحي الادارية ، انطلاقة خاطئة منذ الايام الاولى لانشاء المؤسسة العسكرية الجديدة للدفـاع الوطني . في الماضي حوالي عام ١٨٨٥ عندما كان المستشار الالماني ميكيل يحاضر في الكلية الحربية :

... استخدم تعبير « القيادة العسكرية » في معناه الواسع مركزا على خطوط المواصلات ومسائل الامداد والتموين في العمليات الواسعة ، اذ لم يكن للتعبير الالماني « الاداري » ما يعادله في اللغة اليابانية . وقد تطلب ذلك من المترجم جهدا كبيرا لنقل مضمون هذا المفهوم . الوضع البدائي لتنظيم الامداد يمكن أخذه من حادث جرى خلال تمرين للاركان نفذ تحت اشراف ميكيل . فقد كلف اثنين من طلابه (ضابطين برتبة كابتن) بمهمة الاشراف على عمليات الامداد ... فنجحا فعلا في تأمين امداد القوات بكميات هائلة من الخـوخ المكدوس .

وقد لقبهما ميكيل بالاطفـال .

لا شك ان الجيش الياباني بعد عشرات السنين من الخبرة اصبح لديه تنظيم اداري متطور يشمل النقل والمواصلات والامداد الميداني والقضايـا التموينية والمالية الخ . ولكن حتى نهاية الحرب كان التخطيط الاداري في الجيش الياباني ضعيفا زمنيا . وقد قال احد ضباط هيئة اركان الجنرال (ياماشيتا تومويوكي) :

« غالبا ما يجد الضباط اليابانيون العاملين في الاركان النواحي الادارية مملة ومكروهة لذلك يتهربون منها » .

ويضيف الكولونيل (هياشي سابورو) قائلا : « ان القيادة العليا لم تهضم التطوير الملحوظ للقدرة المادية في الحرب الحديثة ولكنها بدلا من ذلك تابعت النظر بتقدير كبير الى تفوق الروح القتالية » .

الاستطلاع والعمليــات

بين فروع هيئة الاركان العامة للجيش كان المكتب الاول (العمليــات) يأتي بالدرجة الاولى من حيث الاهمية . ونظرا لانه ـ في الجيوش الاخرى ـ للاستطلاع والادارة نفس الاهمية التي للعمليات فلا بد في هذا المجال من بعض التعليقات المتصلة بنظرة الجيش الياباني لهذه الناحية .

بتأثير من التقليـد البروسي ـ الالماني القـديم تشكل مفهوم الجيش الامبراطوري الياباني « بالتوجه مباشرة نحو صوت المدفعية المعادية » . أي بكلمة اخرى « المهمة » يجب ان تفوق تقديرات الاستطلاع قيمة . وقد ترسخت عادة لدى ضباط الميدان تدفعهم لاتخاذ قرارات متسرعة نسبيا بدلا من تمضية وقت طويل في امعان النظر ودراسة كل موقف . وكان هناك ميل لمعالجة معلومات الاستطلاع بخفة وحتى عدم اعطائها قيمة كبرى . نظريا كان لكافـة فروع الاركان دورا متساويا من حيث القيمة في مرحلة اتخاذ القرار مع احتفاظ رئيس هيئة اركان الجيش بصلاحية اتخاذ القرار النهائي يساعده معاونه عند الضرورة . ولكن عمليا كانت الافضلية تعطى لمقترحات رئيس فرع العمليات وقد أكد معظم قادة الجيش الامبراطوري الياباني القدامى بأن هذا التقييم كان مبالغا فيه . فقد ورد في كتاب الجنرال (سوجياما) « يوم الجنرالات » مثلا (الفترة الحرجة ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤) ان رئيس هيئة الاركان العامة كان من الناحية العملية « رجل آلي » أما القوة الحقيقية فكانت في ايدي المكتب الاول .

ويعلق الكولونيل هياشي على ذلك بقوله : هذا المكتب بتوجيهاته الخاصة المتعلقة بسرية القيادة العليا طبق سياسة على درجة عالية من السرية وعمل كقانون قائم بذاته مع رضاء ذاتي مبالغ به . وهذا الرأي مشترك بين الذين عملوا في فروع اركان القيادة العامة للجيش الامبراطوري الياباني انه عندما اندلعت نيران حرب الباسيفيكي صدرت الاوامر بزج القوة الرئيسية فيها ، من قبل المكتب الاول وتوصياته .

وهناك مجموعة من الاسباب التي يمكن ذكرها تبريرا لهذه النظرة : تاريخية واستراتيجية ، وبشرية ، واقتصادية ، ولكن اضافة اليها كان هناك العامل النفسي : اذ ان مفهوم النقاش والسلبية كان ينسب دوما لغير العسكريين في حين ان المواقف الايجابية والهجومية كانت اكثر اعتبارا وغالبا ما تنتصر عبر الاسلوب المتبع لاتخاذ القرارات خاصة بعد اندلاع حادث الصين عام ١٩٣٧ . وقياسا على ذلك فان خبراء الاستطلاع في عملهم لجمع وتقييم المعلومات عن العدو ونظرتهم التي يغلب عليها التشاؤم غالبا ، جعلهم في صف السلبيين .

تاريخيا كان للمخابرات اليابانية دوما دورا ثانويا حتى الحرب العالمية الاولى . وكان عملها منهجيا ، من غير اثارة بطيئا ولكنه موثوق . بعد الحرب العالمية الاولى بدأت الاستخبارات اليابانية تبدي نشاطا واسع الابعاد ، يختلف عن الاسلوب الجاف القديم . واستعيض عن اسلوب الاعتماد على تجميع المعلومات عن العدو وتقدير قوته بأسلوب آخر وصف « بالمغامر والخطر » . ولكن انطلاقا من العامل النفسي الاساسي السائد فان الجهود السرية التي كانت تبذلها الاستخبارات ومن ثم تقدم نتائجها الى المكتب الاول كان ضباط العمليات يعلقون عليها قائلين : « كل ما باستطاعة ضابط اركان الاستخبارات معرفته فان ضابط العمليات يعرفه حتما وبدقة اكبر . وقد قال لي احد الضباط الذين قابلتهم من الجيش الامبراطوري الياباني : « ببساطة لم يكن باستطاعة الاستخبارات اليابانية فهم وبالتالي تقدير ابعاد قوة اعدائنا من الدول الكبرى الذين كانوا يعملون بشكل منظم وجذري وبكثافة كبيرة » .

وباعتقادي ان من اسباب فشل الاستخبارات اليابانية تقييمها للوحدات انطلاقا من نظرة يابانية فقط : « فالمنطق الياباني لم يتمكن من تفهم المستوى فوق العادي (المتفوق) للتفكير السوفياتي والاميركي » . ونظرا لكون اليابانيين بطبيعتهم رجال جزر شديدي الترتيب فانهم اعطوا اهمية كبرى للنواحي الصغيرة واحيانا التافهة في كل موضوع يدرسونه وكانوا يعتبرون انه من المفروغ منه ان يفعل عدوهم الشيء نفسه . ولكن هذا العدو لم يجاريهم في ذلك . ومما يؤكد عدم كفاءة الاستخبارات اليابانية ما قام به قائد جيش

الجنوب عـام ١٩٤٢ ودون موافقـة القيادة العامة في طوكيو بدمجـه فرع الاستخبارات بفرع العمليات اثر انتهاء العمليات الناجمة للمرحلة الاولى من حملة الباسيفيك على اساس ان اركان الاستخبارات قد فقدوا سبب وجودهم .

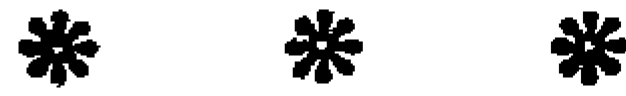
هذا التدني في واجبات فرع الاستخبارات وسط حرب واسعة النطاق يؤكدها واقع ان فرع مخابرات جيش الجنوب لم يعود الى ممارسة عمله الا في شباط عام ١٩٤٤ .

سبب أخير يمكن اضافته لشرح القيمة المتدنية للاستخبارات في الجيش الامبراطوري الياباني : ميل الجيش الى احتقار الصفات القتالية لدى عـدو حاربوا ضده مرات عديدة وبنجاح منذ عام ١٨٩٤ ـ الصين . وقد اعترف رؤساء اركان الجيش بأن مواقف القيادة العامة تجاه الصين تميزت بالتفاؤل والاحتقار بصفة عامة . وكان رد فعل احد رؤساء فروع الاركان في طوكيو مثلا ، على الاخبار الواردة حول الانتفاضة العسكرية الخطرة على جسر ماركوبولو في بكين عام ١٩٣٧ بأن أعلم رئيسه هاتفيا بأنه قد وقع « حادث مسل » . وفيما بعد قام احد الضباط بزيارة اركان الجيش وانتقد الاركان المركزية لمعارضتها ارسال القوات الى الصين : « انتم لا تعرفون من هم الصينيون » كان جواب رئيس الفرع : « لذلك فانكم ترفعون اصواتكم بهذه الآراء السلبية بالاستناد الى هذه الاحداث ولكني اقول لك ان كافة هذه الاوضاع ستستقر فور انزال قوات رمزية يابانية على الشاطىء الصيني » .

هذا المفهوم بأن الصين « لا قيمة لها » كان عاما لدى كافة الاوساط الحكومية اليابانية والرأي العام الياباني وكذلك في الجيش . وقال لي احد قادة الجيش الامبراطوري الياباني كيف ان كتيبة واحدة بقوة ٣٥٠٠.. جندي قوي تصدت لثلاث فرق صينية بقيادة جنرال خلال هجوم « سوشو » عام ١٩٣٨ « وجعلت منها قطعا من اللحم » . ورغم ان احصاء الخسائر تؤكد اقواله فان على المرء ان يعترف بوجود قسم كبير من الثقة اليابانية المفرطة بقوتها ومؤشرا هاما يدل على هزيمة الصين يعتمد على الاقلال من قيمة الامكانيات الصينية في تقديرات اليابان العامة .

وهذا يعكس سبب النظرة المماثلة التي نظرت بها اليابان الى كافة اعدائها أي سوء التقدير والاحتقار بما في ذلك تجاه روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية وخاصة تجاه امكانيات هذه القوى .

وقد علق أحد الضباط في الجيش الامبراطوري الياباني بعد الحرب قائلا : « الصفة السائدة لدى اليابانيين كانت بعدم اهتمامهم بالاستخبارات وهناك مثل صيني يقول : اذا عرفت عدوك وعرفت نفسك امكنك ربح مئات المعارك ... وكنا دوما نقاتل بدون معلومات كافية » .



أين ذهب كافـة كبار قادة الجيش الامبراطوري الياباني

التاريخ العسكري في الدول الغربية مليء بالقادة الكبار الفرنسيين والالمان والاميركيين والبريطانيين والروس ، اما ما يتعلق بالقادة اليابان فلا يوجد في أحسن الاحتمالات سوى بعض التنويهات البسيطة ومعظمها عن الفترة بين الثلاثينات والاربعينات ومعظمها يتعلق بالفظائع المرتكبة من قبل جيش اليابان الامبراطوري .

نجد أسباب ذلك جزئيا في واقع انه بعد الحرب اليابانية الروسية الظافرة توجهت كافة الخبرات المكتسبة من قبل الجيش الياباني ضد الصينيين الذين كانوا كما رأينا أعلاه معتبرين في مستوى متدني في نظر اليابانيين انفسهم ويفتقرون الى الاسلحة الحديثة . احدث خبرة قتالية اكتسبها اليابانيون من معارك ضد روسيا كانت في معركة « شانكوفنك » عام ١٩٣٨ وهي محدودة وفي « نومونهان » عام ١٩٣٩ التي كانت كارثة ادت الى فقدان قادة في الجـانب الياباني . وكان خسارة « مانشوكوو » عام ١٩٤٥ في غير موقعها .

ان انجازات (باماشيتا) وبدرجة ادنى (هوما ماسارو) في مطلع حرب الباسيفيك غابت وراء ذل عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وقد ادى الجهد الواسع النطاق لغزو الهند عام ١٩٤٤ الى كارثة رهيبة والنجاح الذي حققه القائد (موتاغوشي رينيا) الى اضافة رصيد ضعيف لسمعة الجيش الياباني . في حين ان العديد من القادة اليابانيين الاكفاء لم تتح لهم الفرصة لاظهار مهارتهم وسعة خيالهم في دفاعهم المحدود عن الجزر المحصنة في الغرب والجنوب الغربي من الباسيفيك .

وبشكل عام كانت الخبرة القتالية الميدانية للجيش الامبراطوري الياباني متوافقة من حيث المقياس . اذ نظرا لافتقار هذا الجيش الى خبرة معارك متنوعة خلال الحرب العالمية الاولى ولافتقاره الى القدرة على تقييم الحقائق المتعلقة

بالميزانية والموارد ، فقد مال الجيش الياباني الى « التفكير الضيق الافق » وتوقع ان يتفوق عدديا بشكل كبير . فقد قال احد قادة الميدان مثلا ان الاميركيين والروس يستخدمون المدفعية كالرشاشات في حين ان الجيش الامبراطوري الياباني يستخدم مدفعيته كرذاذ المطر بالمقارنة .

وهناك ناحية اخرى تفسر التباين بين وجهات النظر الجامدة المكتسبة من الطبيعة الخاصة للحرب مع الصين وبين المتطلبات المفروض توفرها في معركة سيبيريا وهي منطقة فقيرة بالطرقات والخطوط الحديدية . ومع ذلك فان الجيش الياباني بخلاف اعدائه الفرنسيين والبولونيين (بين سواهم) في الثلاثينات كان يتحرك على الخيول فقط اذ ان صناعة العربات اليابانية قبل الحرب كانت بعيدة جدا عن بلوغ مستوى الصناعة الغربية ولم يستطع جيش كوانتونغ مثلا فهم كيف يستطيع الجيش الروسي تحريك الفوافل عبر مئات من الاميال في الاراضي المنغولية الخالية من الطرقات لامداد جيش جوكوف في عام ١٩٣٩ بالعتاد الحربي والمواد التموينية بواسطة مئات والاف العربات العسكرية لا بالعشرات . ومن جديد على المرء ان يستذكر ان الاراضي اليابانية نفسها غير ملائمة لتحركات او لمفهوم المناورات الواسعة النطاق لوحدات ميكانيكية او آلية . فهناك القليل من السهول ، ٨٥ بالمئة من البلاد هي ارض غير قابلة للزراعة (أي فيها تراب قليل كاف لزراعة الرز) ، ومعظم الاراضي الريفية تتصف بحقول الارز وخطوط ضيقة وجسور ضعيفة .

هذا واحد من الاسباب غير المعروفة عن سبب السعادة التي شعر بها الجيش الياباني لاستيلائه على منطقة منشوريا من الصين عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ . الضباط الذين خدموا في جيش كوانتونغ لم ينسوا مطلقا الاراضي المنبسطة الواسعة هناك . لقد ذكرت احد العقداء الذين قابلتهم بقصة من « ليالي العرب » حيث يمكن للمرء ان يملك ما يستطيع قطعه سيرا على اقدامه خلال يوم واحد . واصبحت مخيمات الجيش الامبراطوري الياباني ضخمة لدرجة ان الحساء يصبح باردا عندما تصل الى نهاية المطعم . حتى مخططات بناء براكات الجيش قد اختلفت عنها في اليابان نفسها ، طالما توفرت مساحات أوسع للبناء في منشوريا .

ولكن لم تكن المساحة هي كل ما احتاجه القادة وبقي الجيش الياباني مفتقرا الى المدرعات والعربات والطائرات . اكبر قوة التي تمكنت اليابان من جمعها في المسرح الصيني كان تسع فرق مشاة ونصف للتحرك ضد « هانكاو » عام ١٩٣٨ . لقد طرحت بعض الاراء على مستوى القيادة حول أمكانية اتباع تنظيم فيالق على اساس خبرة الجيوش الاوروبية خلال الحرب العالمية الثانية وقد وضعت رئاسة هيئة اركان الجيش ـ فرع العمليات مخطط لانشاء عشرين فيلقا ولكن الفكرة قد استبعدت لانها غير عملية وغير قابلة للتنفيذ .

* * *

بعض الاستنتاجات

سـواء بالتفضيل او بالضرورة عكس الجيش الياباني ايضـا مـيراث « الساموراي » بتمجيده قيمة الانسان ونفضيله على السلاح وكذلك روح « ياماتو » — وكلاهما لعب دوره ولكن دون ان يتناسب ذلك مع المعطيـات التكنولوجية لجيوش القرن العشرين ، في هذا المجال فان الاستهلاك الكبير والباهظ الذي كلفته تعبوية القذائف البشرية (الانسان القنبلة) ضد مرتفعات ٢٠٣ في بورت ارثور عام ١٩٠٥ كانت راسخة في خيال طلاب الكليات والمعاهد العسكرية وكلية الاركان . ضد حوالي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ عربة مدرعة روسية وبعض الدبابات في معارك نومونثان عام ١٩٣٩ زج جيش كوانتونغ كل قواتـه المدرعة التي تبلغ خمسة وثمانين دبابة متوسطة وخفيفة . ولم تعوض زجاجات مولوتوف وحشوات ساتشيل الفرق . وقد وافق هياشي على ان الجيش الياباني لم يتقدم الى ما ابعد من فهم القدرة النارية على مستوى الحرب الروسية اليابانيـة .

بعيدا عن المظاهر الملموسة للخبرات الحديثة للجيش الامبراطوري الياباني ينبغي ملاحظة واقع ان النموذج الياباني للضابط القائد مغلف بنظام دقيق من الاقدمية ، كان من عدة وجوه ، رجل فريد من نوعه .

كان يفترض ان يتجنب افضل جنرال الدخول في التفاصيل واتبـاع اسلوب عدم التورط في تقليد قديم يقول بأن السكوت كان فعلا من ذهب . موقف بطولي مثل هذا يفترض على الاقل تشجيع لكل رأي يعرضه الاعلى حتى بدون مناقشة ومع ذلك فان تخطيط الجيش الامبراطوري الياباني شق طريقه نحو الاعلى لا نحو الاسفل وقد كان للضباط المتوسطي الرتب (شوكين شوكو) نفوذا على القيادة مع فقدان كل علاقة متبادلة مع رتبهم العسكرية المتواضعـة .

المصـــادر :

لقد استمعت الى اشرطة التسجيل الخاصة بي التي سجلتها عبر مقابلات شخصية مع الضباط السابقين في جيش اليابان الامبراطوري ، وتصفحت سلسلة من التقارير الرسمية للتاريخ الحربي في فرع التاريخ العسكري في وزارة الدفاع اليابانية باللغة اليابانية ، والوثائق التي نشرتها شركة ميزوزو شوبو ، والكتب والمقالات التي كتبها المؤلفون اليابان مثل : فوكوشيما شينكو ، هتوري تاكوشيرو ، ايوابوشي تاتسور ، ايزو كيميو ، ماساو ، مارسوشيتا يوشيو ، موراكامي هيو ، اوهتاني كيجيرو ، سميا ميكيو ، تاكاهاشي كونيتاو ، تاناكا روكيشي ، تزوكوبا هيسابورو وياماموتو كاتسو نوسوكو .

الاصول العسكرية درست من قبل جيمس كرولي بالانكليزية « من الباب المغلق الى الامبراطوريـــة : تشكيل المؤسسة العسكرية في عهـــد الامبراطور ميجي » . اصدار بانارد وسيبرمن وهارويتان . القيادة اليابانية المعاصرة : التحول والتبدل . (توكسون العالم والعصرنة : قضية ياماغاتا اريتومو ... ماربوس وجنسون . ـ تبدل المواقف اليابانية تجاه العصرنة (برنستون : منشورات جامعة برنستون ١٩٦٥) .

العسكري ـ روبرت وارد ودانسكوارت دوستوف . العصرنة السياسية في اليابان وتركيا (برنستون ـ منشورات جامعة برنستون ١٩٦٤) .

ياماغاتا اريتيمو وبزوغ اليابان الحديثة ١٨٣٨ ـ ١٩٢٢ (كامبردج : منشورات جامعة هارفورد ١٩٧١) .

هيمان كوبلين « الجيش الحديث في مطلع يابان ميجي » .

هيربرت نورمان « العسكري والفلاح في اليابان ، اصول خدمة العلم الالزامية » (نيويورك معهد العلاقات الباسيفيكية ١٩٤٣) .

ارنست بريسيسن : « قبل العدوان : الاوروبيون يجهزون الجيش الياباني » (توكسون : منشورات جامعة اريزونا ١٩٦٥) .

أما فيما يتعلق بالمظاهر المعاصرة انظر مقالات : « تأثير الاستنزاف على المجهود الحربي الوطني : خبرة الجيش الياباني في الصين ١٩٣٧ – ١٩٣٨ » . (مجلة الشؤون العسكرية ت١ ١٩٦٨) . « القيادة العليا والجيش الميداني : جيش كوانتونغ وحادث نومونهان ١٩٣٩ » (مجلة الشؤون العسكرية ت١ ١٩٦٩) . « عام النمر » اليابان داخليا وخارجيا ١٩٣٧ – ١٩٣٨ (طوكيو الشرق والغرب ١٩٦٤) .

وهناك مواضيع متخصصة هامة قد لقيت اهتمام روبرت هال : شوشين ، مُثل أمة مهزومة . (نيويورك ، مدرسة المعلمين ، جامعة كولومبيا ١٩٤٩) .

ييل ماكسون : « الاشراف على السياسة الخارجية اليابانية : دراسة الخلافات المدنية – العسكرية » ١٩٣٠ – ١٩٤٥ (بركلي منشورات جامعة كاليفورنيا ١٩٥٧) .

المصدر الرئيسي للمعلومات التي طرحتها حول القيادة في الجيش الامبراطوري الياباني من « الجنرال مافيريك من امبراطورية اليابان » (الفريق ساتو كوتوكو في كوهيما ١٩٤٤) مجلة الجيش العدد ١٢ السنة ١٥ . « صفات القيادة العسكرية اليابانية : قضية سويتاكا كامبزو » مجلة التاريخ الاسيوي رقم ١ سنة ٢ – ١٩٦٨ – ارثر سوينسون « اربعة من الساموراي : رباعي من القادة العسكريين اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية » (لندن هتشنسن ١٩٦٨) .

ولمسح شامل انظر هياشي سابورو بالتعاون معي المترجم بعنوان « كوغان : الجيش الياباني في حرب الباسيفيك » . (كوانتيكو : جمعية البحارة ١٩٥٩) . ومتوفر ايضا بالانكليزية كتاب تاكاتا ياسوما وهو قديم ولكنه قيم : « نظام الخدمة الالزامية في اليابان » (اوغاوا غوتارو ، نيويورك منشورات جامعة كولومبيا ١٩٢١) .

هناك عدد قليل من الكتاب الاميركيين والبريطانيين الذين تعرضوا القادة اليابانيين ، ولقد كتبت شخصيا مقالين حول قادة القادة غير المعروفين احدهما عن سويتاكا كاميزو والثاني عن ساتو كوتوكو الذي قاد فرقة في معركة كوهيما – امفال عام ١٩٤٤ .

وقد كتب الصحفي جون بوتر حول خدمة يامشيتا في كتابه « حياة وموت جنرال ياباني » (نيويورك ، المطبعة الاميركية الجديدة ١٩٦٢) . وهناك آخرون مثل ريل وكين وورثي اللذان ركزا اهتمامهما على فترة محاكمات جرائم الحرب .

ان كتاب « أربعة من الساموراي » لارثر سوينسون رغم عنوانه غير المعبر يعتبر افضل كتاب بحث بالانكليزية مواضيع الجنرالات اليابانيين في الحرب العالمية الثانية . وكونه قد خدم في جنوب شرق اسيا فقد ركز سوينسون على بورما والفيليبين والقادة الاربعة الذين كانوا موضوع دراسته هم : ماتاغوشي ، هوندا مازاكي ، هوما ، وياماشيتا .

أما جولتي عبر المؤرخين اليابانيين المحاضرين فقد دلتني على ان اكثر القادة اليابانيين ذكرا هو « ياماشيتا » وهوما وأحيانا ماتاغوشي ونادرا هوندا لم يرد ذكره مطلقا .

وينصح العديد من المؤلفين اليابانيين بأسماء اضافية اخرى مثل « انامي كوريشيكا » (آخر وزير للحربية) « اوشيجيما تاتسوكوما » (من اوكيناوا) « كوريبياشي تادرنيشي » (من ايوجيما) وطبعا « توجو هيديكي » . ولكنهم ايضا يحيون على الاقل ذكرى مأثرة عسكرية وهي ان الفريق « ميازاكي شيجيسابورو هو جندي هادىء » . ميازاكي قاتل بمهارة كقائد فوج في جيهول وكقائد لواء في نومونهان وكقائد فرقة في بورما وحتى النهاية .

ومن المفيد للطلبة العسكريين في كلية القيادة الاطلاع على حياة قادة الجيش الامبراطوري الياباني في النصر والهزيمة .

هناك لائحة طويلة حيث يمكن الانتقاء من عهد الامبراطور ميجي حتى عام ١٩٤٥ كان في الجيش الياباني ١٣٤ جنرالا و ١٧ فيلد مارشال في حين انه كان لدى البحرية ٧٦ ادميرالا و ١٣ اميرال أسطول . في نهاية الحرب وجد ٢١ جنرالا ومارشالا و ٤٨٤ فريق و ١٠٩٦ لواء من مجموع ١٦٠١ من الضباط الامراء ــ العاملين والاحتياط والمتقاعدين المدعوين . وكما قال سوينسون : « من الصعوبة وصفهم بالسوء فقط » بعد ثلاثين عاما من انهاء حرب الباسيفيك .

مشاكل القيادة العليا في الحرب الاهلية الاميركية

وارن هاسلر الابن

مقدمة الناشر :

كانت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الاميركية من بين القوى العظمى في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين التي لم تتعرض لكامل قساوة المسائل المدنية والعسكرية المنتشرة لتطبيقها الاسلوب العسكري البروسي المحترف والعلاقات المدنية العسكرية التي رافقت هذا الوضع في القارة . وقد اشتركت هاتين القوتين في اتباع التقاليد الانكليزية من حيث عدم الثقة بالعسكرية وكذلك بالحذر من المؤسسات العسكرية مما كون لديهما حماية ضد استقلالية العسكرية البروسية وتطلعاتها . واكثر من ذلك انقذت كلتاهما بسبب موقعهما الجغرافي من ضرورة الاحتفاظ بجيوش كبيرة عدا طبعا زمن الحرب . ولكن بعد الانتصارات البروسية عام ١٨٧٠ — ١٨٧١ فقد قامت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية بتعديل خدمة الضباط وتحويلها الى منظمة ضباطا محترفين على النموذج البروسي ، واسسوا اركانات عامة منقولة نوعا ما عن النموذج البروسي ، ولكن تاريخها وأمنها حفظتها من اخطار بروز دولة عسكرية داخل الدولة .

أو على الاقل كان هذا صحيحا زمن السلم . وفي أزمة الحرب الكبرى عام ١٩١٤ — ١٩١٨ حتى بريطانيا اعتمدت على قادتها العسكريين ومنحتهم استقلالا شبه كامل في الاشراف على الامكانيات القومية لخوض الحرب وهذا يعني انه خلال الحرب العالمية الاولى كامل الدخل القومي والقدرة القومية — حتى فشل العسكريين في تعويض ذلك بكسب انتصارات هامة مما دفع السياسيين المدنيين بقيادة دافيد لويد جورج الى اعادة قيادة الدفة السياسية للبلاد الى ايدي المدنيين تدريجيا . واذا كانت الولايات المتحدة الاميركية قد

بقيت بعيدة بشكل كاف عن نطاق الصراعات الدولية عبر الدورة الكاملة لنهوض وانهيار النظام البروسي بتهربها الدائم من اتباع الاسلوب البروسي المدني — العسكري ومع الحرب العالمية الثانية وزوال العسكرية البروسية يمكن القول بأن الولايات المتحدة قد طورت نموذجا عسكريا خاصا بها .

منذ عام ١٩٤٠ شعرت الولايات المتحدة باضطرارها للاحتفاظ بجيش كبير وشعرت بأنها غير آمنة عسكريا ـ مصدرين هامين لتأثير عسكري هام على طبيعة الامة ـ الدولة . ومع ذلك لم يحصل العسكريون الاميركيون على أي استقلال او شكلوا دولة ضمن دولة بالصفات التي تميزت بها الدوله البروسية وباقي القوى الاوروبية بعد عام ١٨٧٠ . ولكن في كتابه « تاريخ العسكريتارية ، المدني والعسكري » يعترف المهاجر الالماني الفرد فاغننس ان العسكريتارية يمكن ان تكون مدنية تماما كما تكون عسكرية وانه يمكن ان يكتسب القادة المدنيون صفاتعسكرية تجعل منالدولة عسكرية النظام رغم بقاء الاداة العسكرية تحت سيطرة المدنيين وفي ظل قيادة تعمل في ظروف الازمات العسكرية وبالتالي امسكت بالقدرة العسكرية لمدة طويلة فان اغراء اللجوء الى الحلول العسكرية يصبح قويا جدا ويتغلب على الخيارات الاخرى المفتوحة امامها ، وقد عرفت الولايات المتحدة الاميركية هذا النوع من العسكرية المدنية . وابعد من ذلك فان اختلاط الادوار المدنية والعسكرية وتشابك السياسة الوطنية بالاستراتيجية العسكرية كالوضع الذي ساد في الولايات المتحدة الاميركية خلال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة قد يقود الى نموذج جديد من العسكريتارية الاميركية .

ان مدى عسكرة السياسة الاميركية منذ الحرب العالمية الثانية اصبح مشكلة تقتضي منا التفكير بها ، وان النموذج الاميركي الذي بلغناه يجب الا ننظر اليه كواقع مطلق . احدى النواحي المهمة فيما يتعلق بالنموذج الاميركي هو نمو القوى الصانعة للحرب في محيط رئاسة الجمهورية ، مستقلة عن قيود الكونغرس ، متعاونة مع ميل لدى الرؤساء بالنظر الى المشاكل من ناحيـة عسكرية نتيجة الاغراء الكامن في كونهم يقودون قوة عسكرية كبيره ولاعتقادهم بأن القوة هي الوسيلةالجاهزة لحل اية مشكلة . وفي مثل هذه الظروف فان

هذا المدني ، القائد الاعلى للقوات المسلحة الذي نص على وجوده الدستور نفسه كأحد وسائل ضمان الاشراف المدني على العسكري ، يمكن ان يصبح مصدرا او سببا لعسكرة السياسة القومية الاميركية .

لقد ظهرت استقلالية رئيس الجمهورية الاميركية في النواحي العسكرية خلال الحرب الاهلية الاميركية . وكان الرئيس ابراهام لنكولن سواء اخطأ أم أصاب ، أول من أعطى للرئاسة هذه السلطة الامبراطورية .

هنا في محاضرات الابعاد الجديدة للتاريخ العسكري لعام ١٩٧١ أعاد أحد المؤرخين المهتمين بالحرب الأهلية النظر في نظام القيادة الاميركي وخاصة سلطة رئيس الجمهورية كقائد اعلى للقوات المسلحة في تلك الفترة . وان السيد وارن هسلر من جامعة بنسلفانيا قد ألف : « جورج ماك ليلان : درع الاتحاد » وكذلك « رئيس الجمهورية كقائد أعلى » . وفي عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ كان الثاني بين الاساتذة الزائرين لقاعدة ليفنورت .

* * *

الحرب الاهلية الاميركية ومشاكل القيادة العليا

لعب الكونغرس خلال الحرب الثورية الاميركية دورا كل من السلطة التشريعية والتنفيذية في قيادته لحرب الاستقلال . وكان هذا التدبير متخلفا وسيئا وبالتالي لم يقدم اية فائدة للجنرال جورج واشنطن القائد العام للقوات الاميركية القارية(١) .

وكان قد شكل مجلس حربي في حزيران عام ١٧٧٦ يعينه الكونغرس وقد تألف في البدء من اعضاء مدنيين وكان القليلون منهم فقط يفهمون في المسائل الحربية ، ثم فيما بعد وخلال الصراع اضيف عدد من العسكريين الى هذا المجلس . ولم تشكل وزارة الحربية الا في عام ١٧٨١ وعين لهذا المنصب الجنرال بنجامان لنكولن(٢) .

وقد قام كلا الكونغرس والمجلس بادارة الحرب وبشكل غير فعال . وقد منح الجنرال واشنطن مرتين صلاحيات ديكتاتورية لمدة ستة اشهر في كل منها وذلك خلال الازمات(٣) . وقد كان هذا الفرجيني مثالا لامعا لشخص يقبل تحمل كافة المسؤوليات التي يلقيها الكونغرس على كاهله وقدرته على تنفيذها دون ان يسهو عن مبدأ سيادة المظهر المدني على المظهر العسكري . ولم يستطع اي شخص في تاريخنا الاميركي أن يجاريه في تصرفاته وانجازاته . لقد كان فعلا شخصا صالحا لكل الفصول خلال فترة الصراع لتحقيق الاستقلال(٤) .

كما لعب جورج واشنطن دورا هاما في وضع الدستور الفدرالي . وخلال أشهر الاختبار في ظل الخلافات السائدة في فيلادلفيا أثناء صيف عام ١٧٨٧ الطويل الذي ربما كان اهم موضوع واجهه الآباء المؤسسين كان الموضوع المعقد للعلاقة الواجب ايجادها بين الجهاز التنفيذي الممثل بشخص رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية والجهاز التشريعي الممثل بكونغرس الولايات المتحدة . وكان اهم وأخطر موضوع هو القدرة الواجب منحها للقوات المسلحة الجديدة(٥) .

وكان ما صدر عن الآباء هو ما دعي بفقرة « القائد العام » في الدستور الاميركي . وقد جاء في نصها ببساطة « يكون رئيس الجمهورية هو القائد العام للجيش والبحرية الاميركية وميليشيات عدة دول عندما تستدعى للخدمة الفعلية في الولايات المتحدة الاميركية »(٦) . لم يكن هناك أي تفصيل . كما اعطى الدستور للكونغرس حق اعلان الحرب وانشاء وتقوية الجيوش ولكنه أضاف انه من واجب رئيس الجمهورية ادارة الحرب والاشراف وقيادة القوات المسلحة للجمهورية في السلم والحرب . هذا النص الذي وضعه الآباء المؤسسون يهدف الى ضمان الاشراف المدني على الجهات العسكرية وبنفس الوقت ضمان وحدة القيادة(٧) .

وهكذا في مطلع التاريخ الجديد للامة كدولة مستقلة ظهرت سيطرة المدني على العسكري وفق مضمون النص المسمى بفقرة القائد العام وأن السياسة الاميركية في نفس الوقت الذي نصت على ايجاد نظام عسكري عند الضرورة فانها لم تتبنى نظام العسكريتارية(٨) . فكانت البحرية والجيش وكالات لدى القوى المدنية لذلك نظمت وشكلت بموجب هذه الفكرة ولم تكن نهائية بحد ذاتها .

وهناك عدة لجان من التي وضعت الدستور افادت بأنه يجب ان يكون لرئيس الجمهورية ــ القائد العام ــ سلطة فعلية لقيادة القوات بصورة مباشرة في المعارك . ولكن الاكثرية الساحقة من الآباء المؤسسين قالوا بأن رئيس الجهاز التنفيذي بامكانه اذا شاء ان يقود شخصيا القوات في المعركة البرية او القطع البحرية في البحار رغم ان معظم القائلين بذلك يعتقدون بأن ذلك سيكون صعبا على رئيس الجمهورية(٩) .

وقد منح الدستور لرئيس الجهاز التنفيذي صلاحية انشاء اجهزة مدنية وعسكرية . وقد احتفظ رئيس الجمهورية بحقه في تبديل قراراته في أي وقت وتبديل القادة او التدخل المباشر في تفاصيل القيادة . أي بكلمة اخرى سحب الصلاحيات الممنوحة من قبله الى مرؤوسيه في أي وقت يشاء او بالاشراف على كيفية تنفيذهم لتعليماته . ومع تطور الجهاز التنفيذي في الحكومة

ألفدرالية عين وزير للحربية ثم فيما بعد وزير خاص لكل من البحرية والقوى الجوية ووزير للدفاع . وكان وزير الحربية هو المندوب الرسمي للرئيس مهمته الاشراف على ادارة المؤسسة العسكرية للجمهورية وكانت التعليمات والاوامر الصادرة عنه تعتبر وكأنها صادرة عن رئيس الجمهورية وهي بالتالي ملزمة الجميع استنادا للصلاحيات الممنوحة له بموجب الدستور(١٠) .

ثم سرعان ما دعي أعلى الضباط رتبة ـ القائد العام ـ للجيش مما جعله في موقع المرؤوس المباشر للرئيس يلي وزير الحربية مباشرة فطرح تساؤل هل يمكن لثلاثة اشخاص قيادة نفس القوات وبنفس الوقت فجاء الجواب واضحا وصريحا : لا يمكن ان يكون هناك سوى قائد واحد وكل شخص عداه هو مرؤوس . وهذا يعني أن كلا من وزير الحربية والقائد العام ليس سوى مرؤوس ولا يقود الجيش . تماما كما يمكن ان يوجد عدد كبير من الضباط الكبار يخضع كل منهم لمن سبقه بالرتبة ومع ذلك يعمل كل منهم وفق التوجيهات التي يتلقاها من السلطة الاعلى ومن الرئيس ولكنهم يعتبرون كالقائد العام كل ضمن نطاق عمله(١١) .

وما زالت حتى الآن القناعة الدستورية بان القيادة أكثر من الاشراف هي من صلب مهام الرئيس وبهذا زادت العلاقة بين الرئيس التنفيذي ووزير الحربية والقائد العام . فتبعا للدستور فان الوزير هو منصب سياسي في حين ان منصب القائد العام هو عسكري اما رئيس الجمهورية فهو يشكل منصبا سياسيا عسكريا . وقد يبدو من الطبيعي أن يكون أكثر عسكريه من حيث الوظيفة نظرا لواجباته كممثل لمصالح الوزارة أكثر من الرئيس نفسه الذي تمتد مسؤولياته لتشمل مجالا أوسع . ولكن الدستور قد عكس هذه العلاقة جزئيا فأصبحت طريقة القيادة غامضة نوعا ما . وبقي التساؤل طيلة عشرات السنين حول سلسلة القيادة هل هي تمر صاعدة عبر الوزير المدني ـ السياسي الى رئيس الجمهورية او انه في الواقع لا وجود لسلسلتين من السلطة نابعة من الرئيس : سلسلة قيادية ممتدة مباشرة الى اعلى العسكريين المحترفين رتبة وسلسلة سياسية ادارية موجهة نحو الوزير(١٢) .

ويدور جزء كبير من التاريخ العسكري الاميركي حول هذا الموضوع . فالقائد العام (الذي سمي فيما بعد رئيس الاركان) حاول بسط سلطته على النواحي الادارية والعسكرية ضمن ادارته وكذلك ضمان وجود اتصال مباشر بينه وبين القائد العام ، في حين حاول الوزير جعل مرؤوسيه العسكريين يقدمون تقاريرهم له مباشرة مع احتفاظه باتصال مباشر مع رئيس الجمهورية . وقد أثبت تاريخنا انه كان من الصعب جدا على كل من القائد او الوزير أن يحقق نجاحا تاما لمسعاه . وقد صرح صموئيل هانتنجتون : « لا بد وان يتعرض الوزير للخروج من وزارته ليحل محله شخصا عسكريا قادرا على التنبؤ بالنواحي العسكرية والادارية ، او ان يحاول اعطاء النواحي العسكرية الى قائد محترف له اتصال مباشر مع الرئيس »(١٢) .

لا شك انه كان هناك بعض الوزراء النابغين الذين استطاعوا وبكفاءة التغلب على كافة الصعوبات والاشراف على كلتي الناحيتين العسكرية والادارية بشكل مباشر وبصورة جيدة .

* * *

ولكن كيف يمكن لقدرة رئيس الجمهورية كقائد عـــام أن تتطــور ؟

وقد خشي كثيرون مثل « جون كوينسي ادامز » من اتساع الصلاحيات الممنوحة لرئيس الجهاز التنفيذي كقائد عام . ففي زمن الحرب ونظرا للتطورات التي مرت على الرئاسة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فقد اصبح لدى الرئيس التنفيذي بعض الخبرات حول كيفية تنفيذه لمهامه وسلطته كقائد عام واتضح أن هذه الخبرة تنطبق أيضا على حالة السلم « حتى في ظل التوتر الناجم عن العلاقات السيئة » ، كما قال « كلارنس بردهال » وعلى الرغم من كافة الازعاجات والانتقادات للسياسة التنفيذية فان الكونغرس تلكأ جدا في نفي صلاحية الرئيس كقائد عام في ارسال او الاحتفاظ بالجيش والاسطول خارج البلاد او الادعاء لنفسه بصلاحية الاشراف بنفسه على ذلك »(١٤) .

وباختصار يحتل رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة الاميركية موقعـاً مستقلا ويتمتع بسلطات القيادة دون ان يخضع لاية قيود تشريعيه او قضائية . كما ان اشرافه على الوزراء المدنيين والعسكريين هو اشراف كامل . وبالفعـل لو لم يكن يتمتع بهذه السلطة لما كان بالامكان للعنصر المدني ان يحتفظ بحق الاشراف على العسكري في بلادنا .

ويتمتع القائد العام بالقدرة ــ رغم الاحتجاجات المحتملة من الكونغرس ــ على ارسال القوات المسلحة الى أي مكان وتنفيذ اية مهمة . ويمكن استخدام هذه الصلاحيات القيادية في مختلف الاصعدة : فبامكان الرئيس التنفيذي طبعا توزيع القوات المسلحة الاميركية خلال الحرب وفق ما يراه مناسبا ولتنفيذ ايـة مهمة يحددها لها ، وكذلك تعيين الضباط القادة وان ينهي الصراع بالشكل الملائم . أما خلال فترة السلم فانه يستطيع ارسال السفن الحربيه الى داخل المياه المتنازع عليها كما فعل فرانكلين روزفلت في الاشهر التي سبقت معركـة بيرل هاربور بهدف القيام بالدوريات المضادة للغواصات الالمانية ، او تحريك

القوات كما يراه ملائما مثلما فعل وودرو ويلسن عام ٩١١٦ عندما ارسل الجنرال جون بيرشنغ الى داخل المكسيك على رأس قوات أميركية في مطاردة ساخنة لمعاقبة عصابة بانشوفيلا . ويمكن أيضا لرئيس الجمهورية أن يأمر القوات بالدخول الى احدى الولايات الاميركية بطلب من رئيس او حاكم الولاية بغية فرض تطبيق القانون والمحافظة على الامن العام كما فعل ويلسن في كولورادو عام ١٩١٤ في فترة ما سمي « بالحرب » بين عمال المناجم وأصحاب هذه المناجم . اضافة الى ذلك فان باستطاعة القائد العام ان يكلف الجيش بالحفاظ على تطبيق نصوص قانون الولايات المتحدة الاميركية كما فعل غروفر كليفلاند في شيكاغو عام ١٨٩٤ أثناء « اضراب بولمان »(١٥) .

وفي كافة الاحوال وكما اقترح ارنست ماي :

« ... لا شك ان فقرة القائد العام في الدستور كانت قد وضعت بهدف ضمان الاشراف على القوات المسلحة من قبل المسؤولين السياسيين والقصد منها التأكيد على ان من واجب رئيس الجهاز التنفيذي الاميركي اتخاذ القرارات كتلك التي اتخذها مارلبورو لصالح الملكة آن . فما أن أعلنت الحرب حتى كان عليه ان يقرر أين ومتى يجب ان تجري المعارك . وهو رغم كونه مدنيا كان عليه الاختيار بين المسارح الرئيسية والثانوية . كان عليه تحمل مسؤولية تعيين القادة المكلفين بالاشراف المباشر على العمليات في كل من هذه المسارح وبنفس الوقت ان يتناسب اختيارهم والمهام المكلفين بتنفيذها . وبكلمة اخرى كان متوقعا منه ان يتخذ قرارات فيما يتعلق بالافضليات والقادة »(١٦) .

بعد هذه النظرة السريعة الى تشكيل وطبيعة نص المادة المتعلقة بالقائد العام ، دعونا نلقي نظرة الآن على التطور والتحدي والمدى الذي بلغته كل هذه القوى الهامة الموكولة للرئاسة الاميركية مع اعطاء اهمية خاصة لفترة الحرب الاهلية لانها احدى اهم احرج الاختبارات التي مرت بها الجمهورية .

لحسن الحظ كان اول رئيس للجمهورية الاميركية الرئيس المجرب وذو الخبرة جورج واشنطن ، وهو رجل ذو صفات عالية ويتمتع بحكمة كبيرة وبالتالي يمكن الاعتماد عليه في التطوير الدقيق لقدرات القائد العام في شخص رئيس

الجهاز التنفيذي . وهو قد اكتسب خبرة واسعة وابلى بلاء جيدا خلال قيادته البارعة لعدد من الحملات ضد الهنود وفي دعوته للميليشيا خلال « عصيان الويسكي » وكذلك حماسه لقيادة القوات في الازمات ومواقفه الشجاعة ضد الحرب غير الحكيمة مع القوى الاوروبية . لقد نادى بانشاء جيش اثناء السلم بالاضافة الى اقامة مؤسسة بحرية ملائمة وكان بذلك رجل الدولة العملي . باختصار كانت تركته اشبه بأمر أعلى بل أسمى الاوامر ، وكان مثاله كأول قائد عام للامة في ظل الدستور لا تقدر بثمن(١٧) .

لم يكن جيمس ماديسون بنفس المستوى من الفعالية كرئيس للجمهورية أثناء حرب عام ١٨١٢ . وغالبا ما كان يبدو مرتبكا في خضم تعدد مسؤولياته كقائد عام ولم يتصرف بحكمة في علاقاته مع وزيريه الحربيين او مع القادة الكبار في ساحات القتال . كما أنه لم يحسن الاختيار بصورة عامة ، سواء فيما يتعلق بالمسؤولين المدنيين او العسكريين . أما جيمس ك. بولك فقد كان أحسن تصرفا كرئيس للجمهورية خلال الحرب المكسيكية في منتصف الاربعينات من القرن التاسع عشر ، رغم ان سياسته الحزبية القومية قد اضعفت المجهود القومي الحزبي جنوبي الحدود وشمالها . وقد صادفت بولك أيضا بعض المتاعب في محاولاته لوضع نظام قيادي بينه وبين وزير الحربية ووزير البحرية وكذلك مع الضباط القادة سواء في الميدان او في واشنطن نفسها . ولكن بولك كان اقوى كقائد عام من ماديسون وقد أثبت ، على الرغم من بعض الهنات والصعوبات، أن بامكان رئيس الجمهورية « ادارة الحرب » انطلاقا من السلطات الممنوحة لـه(١٨) .

وعلى الرغم من ذلك بقيت العلاقات بين وزير الحربية والقائد العام متوترة غالبا حتى الحرب الاهلية مثل ما حدث بين الوزير جفرسون دينس والقائد العام وينفيلد سكوت(١٩) . هل باستطاعة الحكومات الكونفدرالية قيادة العمليات بفعالية في فترة الحرب الصعبة كما في الستينات من القرن التاسع عشر ؟ وكما سنرى احدهما يستطيع (رغم بعض خيبة الامل) والآخر لا يستطيع . ولا شك ان الشخصية الذاتية لها الدور الاكبر في النتائج .

ألرجل الطويل القامة ، النشط ، القادم من البراري لانقاذ الاتحاد كان مجهولا في الشمال من حيث خبرته التنفيذية وتجربته العسكرية وفنيلون هم من توقعوا منه النجاح في مركزه الفخري كقائد عام للامة ، في حين أن ابراهام لنكولن قد اختير كقائد في حرب الصقر الاسود المقدرة عام ١٨٣٢ ، وقد اعترضته انذاك صعوبات جمة في فرض النظام على سرية المتطوعين القادمين من أيلينوا . وعندما كان بعض جنوده يحتسون الخمرة كان انكولن يوقف ويجبر على ارتداء سيف خشبي طيلة عدة ايام ــ رمز الفشل للضابط الذي يفشل في فرض الانضباط على رجاله ــ وفي مناسبة أخرى أطلق النار من مدفع داخل المعسكر وألقي القبض عليه من جديد . لم يصادف مرة واحدة عدوه ولم يشترك في قتال فعلي . لذلك كان فيما بعد يستصغر دوما دوره في حرب الصقر الاسود(٢٠).

اعتقدت كل من الحكومة الاتحادية والكونفدرالية ان الحرب ستكون قصيرة الامد ومحدودة ، ولكن هذه الحرب تحولت الى حرب شاملة مدمرة الى حد كبير وارتفعت نسبة الاصابات فيها عاليا واتصفت بالقساوة والعنف . أما انجازات لنكولن كقائد عام فقد أتت من حسن التصرف انما بدون خبرة واحيانا خبرة مشوشة في عام ١٨٦١ وعام ١٨٦٢ ثم كقائد حربي على درجة كبيرة من المهارة عام ١٨٦٤ . وقد كبر بشكل ملوظ من حيث الكفاءة كما من حيث ادارة حرب أخوية دموية . وقد أتت رئاسة الجمهورية عام ١٨٦٤ كمثال جيد على نظرية كلاوزفيتز التي تقول بأن النجاح بالاعمال العسكرية ليس دليلا كافيا ليكون قائدا عاما مدنيا انما تخلق « طبيعة متميزة بالتفوق الذهني وقوة الشكيمة » وهي مزايا ممتازة(٢١) .

وكان الجهد المركز والوحيد الذي بذله لنكولن لتثقيف نفسه فيما يتعلق بمبادىء الحرب ، هو عند وصوله الى واشنطن وجد في مكتبة الكونغرس كتابا من تأليف « ويجر هاليك » يتحدث فيه عن فن وعلم الحرب ودرسه جيدا . وقد لاحظ لنكولن بسرعة استحالة استمرارية الحرب المحدودة ، وانه كي ينتصر على الشمال ان يغزو كامل الجنوب ، وليس فقط احتلال جزء واسع من اراضيه وتحطيم جيوشه ، بل تحطيم ارادة المقاومة الموجودة لدى شعوب

الكونفدرالية . وكان احيانا خلال استشارته لوزرائه ، وغالبا دون شكليات الرئاسة ، يضع الخطط الاستراتيجية وغالبا يضع بعض النصائح ويدير العمليات التكتيكية . وقد وجد لنكولن صعوبة في التعامل مع العديد من جنرالاته ولكنه مع ذلك كان في معظم الاحيان يتصل بهم متجاوزا وزير الدفاع او القائد العام . ونظرا لعدم الحصول على انتصارات باهرة التي كان يتوقعها من المعارك الفدرالية بدأ يشك بل فقد الثقة بمهارة كبار رجاله العسكريين . واعتقد انه بامكانه التفوق عليهم وكان احيانا ينجح في ذلك(٢٢) .

اكبر مشكلة اعترضت القائد العام كانت اختيار قادة شماليين اكفاء قادرين على تحقيق الانجازات التي كان يرغبها . لقد تعرض لنكولن الى انتقادات ظالمة لانه اختار جنرالات سياسيين مثل « ناتانئيل بانكس » و « جون ماك كليرفون » و « بنجامان بوتلر » . وغالبا ما كانوا يفشلون . ولكن الفائدة البعيدة المدى التي نجمت عن اختياره لبعض الجنرالات السياسيين وكانوا غالبا من الحزب الديموقراطي المعارض ، قد اعطت ثمارها في ارساء اسس جبهة وطنية وخدمت الوحدة(٢٣) .

وقد لعب رئيس الجمهورية دورا رائعا عندما اصبح الانقسام حقيقة واقعة ، اذ بدعم بسيط من اعضاء وزارته اصدر أوامره بتوجيه الحملات لنجدة ومساعدة حصن بيكنز وحصن سومتر . وعندما تعرض هذا الحصن الاخير للقصف استدعى ٧٥ الف رجل من الميليشيا لمدة ثلاثة اشهر (وبعد فترة بسيطة استدعى عشرة الاف اخرين) وفرض حصارا بحريا على الحكومات الكونفدرالية. وأوعز لوزير المالية بتخصيص مليوني دولار لتغطية نفقات القوات المستدعاة للخدمة (وهي مهمة الكونفرس) . وكانت هذه الاعمال بلا شك تتميز بالجرأة وبعد النظر من قبل قائد عام يتعامل مع احداث سياسية عسكرية للمرة الاولى . وقد رفض هذا الرجل القادم من سبرنغفيلد دعوة الكونفرس الى جلسة استثنائية حتى ٤ حزيران عام ١٨٦١ حيث عرض على اعضائه الاحداث كأمر واقع . وعندما اجتمع الكونفرس وافق كافة الاعضاء على منح لنكولن كافة الصلاحيات التي كان يمارسها في الواقع ، في مجال استخدام القوة ، والتي دعيت « بالصلاحيات الحربية »(٢٤) .

وابعد من ذلك ، فقد علّق ، رغم معارضة وزير العدل السيد « روجر تاني » ، قانون التوقيف وسمح بالحجز الفوري وتشكيل المحاكم الميدانية العسكرية الذي ادى الى سجن مايعادل ٢٠ ألف شخص دون ان يتمتعوا بحقوقهم الدستورية . وقد استمر في اجراءاته الزجرية هذه فيما يتعلق بأملاك المواطنين الخاصة والاستيلاء عليها . وقد اخضع المسافرين من والى دول أجنبية الى قيود جديدة لجوازات السفر . بالاضافة الى ذلك اظهر لجنرالاته من هو القائد الفعلي . وعندما اصدر كل من الجنرال جون فريمون ودافيد هنتر بمبادرة منهما بعض المطالب لتوسيع صلاحياتهما داخل ادارتيهما ، رفض لنكولن ذلك فورا وعزلهما .(٢٥) .

وفي حين كان لنكولن يتمسك بقوة بصلاحياته كقائد عام كان الرئيس جفرسون ديفيس في الجانب الكونفدرالي لا يقتصر فقط على التقيد ببعض الحدود التي فرضها على نفسه انما ايضا في علاقاته مع اعضاء الكونغرس الجنوبيين والحكام وكان يبدي ميلا خطرا لرجل يملك السلطة التنفيذية لامة تستند اساسا على الحقوق الدولية وقد تعرض الجانب الاداري من اعمال الرئيس ديفيس الى نقد شديد مما أضر به كثيرا(٢٦) .

ربما كان بسبب التدريب الذي اتبعه في وست بوينت خلال الحرب المكسيكية وكونه شغل وظيفة وزيرا الحربية في عهد فرانكلين بيرس ظن ديفيس انه جوهرة بين القادة العسكريين . ولا شك انه لشعر بسعادة أكبر ولصادف نجاحا افضل لو بقي وزيرا للحربية الفيدرالية . وقد عين لا أقل من خمسة وزراء للحربية خلال الحرب . من بينهم كان جورج راندولف وجيمس سيدون فقط يتمتعان بكفاءة . في حين ان لودوا وولكر وجودا بنجامان كانا ولاسباب عدة غير صالحين لهذا المنصب الرفيع ، أما جون بريكنريدج فلم يبق في منصبه سوى فترة بسيطة (بضعة اسابيع) لا تكفي للحكم على أمكانياته . وهكذا يظهر لنا ان ديفيس تصرف كرئيس الجمهورية وكوزير للحربية بآن واحد ، وبنفس الوقت قائدا عاما ولم يعين روبرت لي في منصب القائد العام الا في عام ١٨٦٥ (شباط) لكافة الجيوش الكونفدرالية اذ لم يكن في الدول الكونفدرالية منصبا كهذا في ذلك الوقت(٢٧) .

لم يحقق الرئيس ديفيس انجازات قيمة في المجالات الحيوية مثل الاستراتيجية الكبرى . وبسبب عجزه عن توزيع السلطات بشكل سليم فانه وجد نفسه تائها في التفصيلات الدقيقة ولم يستطع ابدا انشاء هيكلا تنظيميا لجهاز قيادة للحكومة الكونفدرالية ليكون صالحا لعملها . وكقائد عام كان فاشلا الى حد كبير . ورغم عدم نكران المزايا التي يتمتع بها الرئيس ديفيس ومنها المتميزة فانه غرق بتسرعه وتناقضاته ؛ وان افتقاره الى اللباقة وبعد النظر والتناسق الداخلي وغروره الزائد وحساسيته الزائد تجاه النقد(٢٨) .

ونعود الى الجانب الفدرالي ، لنجد انه خلال التسعة اشهر الاولى كان لنكولن متضايقا من قبل وزير الحربية السياسي البنسلفاني الكبير « سيمون كاميرون » الذي أظهر مباداة ضعيفة في ممارسته لواجباته(٢٩) وكذلك من عدم الكفاءة الذهنية والجسدية للقائد العام وينفلد سكوت البالغ من العمر ٧٥ عاما(٣٠) . لذلك أمسك القائد الاعلى بالسلطة من الناحية العسكرية . وفي تموز عام ١٨٦١ رغم الاحتجاج المستمر من قبل الجنرالات أمر جيش ارفن ماك دوويل بالتقدم نحو بول ران حيث اصيب بهزيمة . عند ذلك وعز الرئيس باحلال جورج ماك كليلان الشاب مكان ماك دوويل . وعندما فشل ماك كليلان وسكوت في تنسيق العمل بينهما قبل لنكولن استقالة عملاق الحروب الثلاثة وعين ماك كليلان ذي الاربع والثلاثين عاما قائدا عاما لكافة الجيوش الاتحادية . وعندما اصيب « ماك الصغير » بالتيفوئيد قام الرئيس التنفيذي المتحمس الهجوم المبكر عمل على « حسب قوله » استعارة جيش البوتوماك فاستدعى المجلس الحربي الى البيت الابيض ومعهم الوزراء والقادة الثانويين . وقد أدى هذا التصرف بالجنرال ماك كليلان الى مغادرة فراشه بسرعة(٣١) .

وعندما اصبحت ادارة كاميرون الفاشلة واضحة للجميع في عام ١٨٦١ عزله لنكولن ووضع مكانه ادوين ستانتون الديناميكي ولكنه محدود التفكير ، الذي كان على الاقل اكثر فعالية كمدير للادارة الحربية من سلفه وان كان اقل كفاءة منه في الاعمال العسكرية(٣٢) ــ رغم كونه كرئيس مدني لكافة هؤلاء الرجال باللباس العسكري ، فانه كان من حقه وصلاحياته ان يفعل ذلك في حال موافقة الرئيس على ذلك) .

وعندما كان ماك كليلان يستعد لشن هجوم غير ناضج التحضير في فيرجينيا في مطلع ١٨٦٢ اصدر القائد الاعلى سلسلة من الاوامر العامة والخاصة باسم الرئاسة التي فرضت على ماك كليلان ليس فقط الهدف الاستراتيجي بل حتى التوصيات التكتيكية التي عليه تطبيقها اثناء العمليات . وقد ذهبت احتجاجات الجنرال ادراج الرياح . وقد اعترف لنكولن فيما بعد بأن هذه الاوامر الحربية كانت كلها خاطئة . ولكن عندما حاول ماك الصغير ممارسة صلاحياته في المعارك طرده الرئيس من وظيفته كقائد عام وحاول الرئيس بالتعاون مع وزير الحربية ستانتون لمدة حوالي اربعة اشهر ان يشغل ويمارس بنفسه هذه المهمة ولكنه لم ينجح كثيرا . ففي حين لم يستطع احد معارضة رئيس الجهاز التنفيذي جديا بصلاحياته كقائد عام او التدخل في عمله فان قيادة لنكولن تعرضت لمنافسة جدية وحكمته لتحد كبير . ومع ذلك تابع التدخل بشكل واسع ومفجع في عمليات ماك كليلان(٢٣) .

وفي الوقت الذي كانت فيه معارك ماك كليلان في شبه الجزيرة مستمرة في ربيع عام ١٨٦٢ سافر الرئيس الى حصن مونرو في هامبتون رودز ولشعوره بالضيق من التأخير الحاصل القى بقبعته العالية الى الارض وارسل بنفسه حملة صغيرة عبر المياه وساعدت في اعادة احتلال نورفولك التي كانت القوات الكونفدرالية قد احتلتها على كل حال . عند ذلك ارسل سفنا حربية عبر نهر جيمس لنجدة ماك كليلان(٢٤) . وعند عودته الى مكتبه في واشنطن حاول لنكولن القيام بعمليات تكتيكية ضد ستون وول جاكسون في وادي شيناندووا ، بواسطة اللاسلكي ، انما في هذه المرة ايضا لم يصادف نجاحا كبيرا(٢٥) . وقال المعلق العسكري الناجح ايمري اوبتون « في كل دولة انقذ دولتك » ، وان عدم كفاءة الرجال غير المحترفين في قيادة الجيوش يمكن ان تكون مقبولة كاقتراح ذاتي(٢٦) .

ولكن على مسرح العمليات الغربي حيث لدى القائد العام جنرالات يشغلون مناصب عالية من سن مبكرة امثال غرانت ووليم شرمان وجورج توماس ووليم روزكرانس فان النصر يصبح مضمونا . وقد بقي لنكولن بعيدا عن تفاصيل

معارك وادي الميسيسبي ودعم جنرالات الغرب هؤلاء بقوة(٣٧) . ولسوء حظ الفكرة الاتحادية فانه فشل في تقديم مساندة مماثلة والابتعاد عن الدخول في التفاصيل لجنرالات الشرق لترك المجال لبروز كفاءتهم مثل ماك كليلان وجورج ميد .

ابتداء من اواخر عام ١٨٦١ بدأ القائد العام وكبار القادة العسكريين الديموقراطيين المحافظين يتضايقون جدا عندما أصر الكونغرس على حشر نفسه في جهود ادارة الحرب وألف لجنة مشتركة لادارة الحرب . وقد استدعت مجموعة الاقلية في هذه اللجنة التي يسيطر عليها الجمهوريون الراديكاليون بعض الجنرالات ووضعتهم تحت حمايتها وشجعتهم على افشال المعارك سرا ومن ثم توجيه النقد الى اخوانهم الضباط من المحافظين . وقد حاولت اللجنة ايضا توريط لنكولن نفسه ودفعه الى خوض معارك حربية اكثر قذارة . ولكن هذه اللجنة لم تحقق الا نجاحا ضئيلا في مسعاها هذا اذ ان لنكولن كان مصمما على البقاء مستقلا قدر الامكان في دوره كقائد عام(٣٨) .

ومع ذلك برهن رئيس الجمهورية على أن عليه تعلم الكثير عندما في صيف عام ١٨٦٢ عين هاليك قائدا عاما وهذا الاخير معروف بعدم كفاءته . ثم اصر على سحب جيش ماك كليلان من ضواحي ريشموند الى جبهة واشنطن . والاسوأ ان ماك كليلان كان قد خاض معركة متواصلة حتى ذلك الحين . وقد اضيف الى هذه الفوضى : الاختيار عديم الفائدة والميئوس منه جون بوب من قبل لنكولن وهاليك لقيادة القسم الرئيسي من الجيش الفدرالي في الشرق . وسرعان ما دخر بوب امام لي في مناساس الثانية في اواخر اب عام ١٨٦٢(٣٩) .

وقد واجه لنكولن أزمة كبيرة عندما اتبع لي انتصاره بغزو الشمال . وكان رد رئيس الجمهورية الاتحادي نوعا من الوحي الذي يهبط على الكبار من القادة ــ كما بدا لمرات عدة خلال الحرب ــ عندما اتخذ قرارا شجاعا بتعيين ماك كليلان كقائد لجيش البوتوماك رغم الاعتراض الذي أبداه وزراؤه بالاجماع تقريبا(٤٠) . وقد اثبت ماك كليلان ان ثقة رئيس الجهاز التنفيذي كانت في محلها بتحقيقه على الاقل نصرا استراتيجيا في انتيتام في ايلول ١٨٦٢

باجباره « لي » على مغادرة ساحة المعركة ـ وقتل وجرح عدد كبير من رجال الكونغرس الفيدراليين ـ تاركا غـزو الاراضي الاتحاديـه وانسحب الى فرجينيا(٤١) .

ورغم ذلك عندما اوضح ماك كليلان انه غير قادر على مطاردة « لي » فورا ثارت لدى الرئيس من جديد شكوكا جدية حوله . اذ بالاضافة الى التساؤلات حول نوايا ماك كليلان ومهارته كانت الانتخابات قد اقتربت . ورغم انه لم يوجد رجل وطني اتحادي كالجنرال ماك كليلان فقد اعتقد لنكولن ـ بغير حق هذه المرة ايضا ـ بأن الجنرال كان يلعب لعبة غير نظيفة . وبالتالي امر القائد الاعلى بعزله من منصبه في مطلع تشرين الثاني وعين محله المتعجرف امبروز بوونسايد الذي لم يكن كفؤا حتى لقيادة فيلق(٤٢) . مما لا شك فيه ان نوايا الرئيس كانت جيدة وقد شعر بأنه اذ يفعل ذلك ففي صالح الاتحـاد ومجهوده الحربي ، ولكنه كان ابعد ما يكون عن الحكم الجيد على الرجـال العسكريين طيلة النصف الاول من الحرب .

اظهر بورنسايد في مطلع فترة توليه القيادة اندفاعا اكثر مما اظهر سلفـه ولكنه سرعان ما اندفع الى هزيمة مفجعة في منتصف كانون الاول . وبنتيجة ذلك فاقت نسبة الهروب من جيش التوتوماك كل نسبة معروفة في كانون الثاني عـام ١٨٧٣ وكان على القائد الاعلى مرة اخرى ان يعزل القائـد ويفتش عـن سـواه (٤٣) .

وقد وقع اختياره في نهاية كانون الاول على « فايتنغ جو » (جو المقاتل) « هوكـر » وهو قائد فيلق لامع ولكنه كان ذي لسان لاذع . فلم يفم ففط بفضح الضباط الاخرين ـ بما في ذلك بورنسايد وماك كيلان ـ انما برهن على انه قادر على لعب دور سياسي ، اذ اتصل بالراديكاليين في الكونغرس الذين شتجعوه كأحد رجالهم(٤٤) . وعند تعينه كان القائد العام قد وجه له رسالة مستغربـة يقـول فيهـا :

... اعتقد انه من الافضل لك ان تعلم بان هناك بعض النواحي التـي اجدها فيك ولا ترضيني .

واعتقد انه في فترة قيادة الجيش من قبل الجنرال بورنسايد اطلقت العنان لطامحك وخلقت له اكبر حجم ممكن من الصعوبات وبذلك ارتكبت اساءة كبيرة البلاد وكذلك لاحد اكثر الضباط شرفا وقدرا . لقد سمعت بشكل لا يدع للشك مكانا انك قلت مؤخرا بأن كل من الجيش والحكومة بحاجة لديكتاتور . وبالطبع ليس لهذا السبب انما رغما عن ذلك عينتك قائدا . والجنرالات الذين يحققون النجاح هم فقط القادرين على ان يصبحوا ديكتاتور . وما اطلبه منك الآن هو نجاح عسكري وسأجازف بمواجهة الديكتاتورية (٤٥) .

وكما علق المؤرخ « ادوار شاننغ » على هذه الرسالة : « انها لرسالة غير طبيعية كتبت لشخص يكلف بمهام منصب هام ، وتحمل في طياتها الاسباب الكافية التي كانت كافية لعدم الموافقة على هذا الاختيار »(٤٦) . وقد علق هوكر عليها بقوله : « انه يتحدث الي وكأنه والدي ، لن ارد على هذه الرسالة قبل أن أحقق له نصرا كبيرا »(٤٧) .

ولكنه في « شانسيللورفيل » في مطلع أيار عام ١٨٦٣ تكبد هوكر هزيمة منكرة . وقد تابع الجنرال « لي » بعدها تقدمه في الشهر التالي نحو الشمال في غزوته الثانية ، مخترقا الطريق بدون ان يصادف اية مقاومة باتجاه قلب جنوبي بنسلفانيا . ويظهر ان رئيس الجمهورية قد قرر ان المعركة الكبيرة التالية يجب الا تخاض من قبل هوكر فقد تدخل كل من الرئيس وستانتون وهاليك في المعركة حتى على المستوى التكتيكي منذ مراحلها الاولى الى درجة ان « جو المقاتل » وجد نفسه مضطرا الى تقديم استقالته التي قبلت بشكل فوري(٤٨) . عند ذلك في احرج ساعة اختار لنكولن « جورج غوردون ميد » القوي والذي يمكن الاعتماد عليه لقيادة جيش البوتوماك واعطاه حرية كاملة في العمل . وقد اعتقد رئيس الجهاز التنفيذي بأن الجنرال البنسلفاني سوف يقاتل بصورة افضل على ارض اجداده (٤٩) .

وقد عبر عن ذلك المؤرخ راندال ببساطة « لقد صمم « ميد » بقبوله الاسباب الرائعة التي ذكرها الرئيس على تحمل مسؤولياته وتنفيذها بشكل رائع لم يسبقه في ذلك التاريخ الاميركي سوى واشنطن » (٥٠) وقد جابه الازمة

بتحقيق نصر كبير في معركة اساسية في كيتسبورغ في مطلع تموز واجبر « لي » على الانسحاب الى فرجينيا . ولكن عندما انسحب القائد الاشيب عبر البوتوماك سالما فقد الرئيس أعصابه وصب جام غضبه على الجنرال « ميد » لانه سمح بذلك (٥١) . وفي ثورة من الغضب قدم ميد استقالته اذ شعر وعن حق ان هذا النقد المرير لا مبرر له . ولكن لنكولن وقد هدأت ثائرته رفض هـذه الاستقالة واحتفظ بالجنرال ميد في منصبه القيادي في الوقت الراهن (٥٢) .

في مطلع عام ١٨٦٤ اعاد الكونغرس الى النظام رتبة الفريق (وهي رتبـة لم يحملها أي ضابط منذ جورج واشنطن) وقد رقى لنكولن الجنرال غرانت الى هذه الرتبة وعينه قائدا عاما بدلا من « هاليك » الفاشل . وقد عـين هذا الاخير رئيسا لاركان غرانت في اركان الجيوش في واشنطن حيث اظهر كفاءة كضابط اتصال بين القائد العام المدني ووزير الحربية من جهة وغرانت وقادة الجيوش من جهة اخرى . باختصار وضع رئيس الجمهورية نظاما حديثا للقيادة وكان ذلك احد افضل انجازاته(٥٣) .

خلافا للثمانية عشر شهرا الاولى من الحرب ، عندما اصر لنكولن مثلا على معرفة تفاصيل معظم خطط ماك كليلان وكان احيانا يتدخل ببعض التفاصيل التكتيكية ويفرض آراءه على قادته ، فان رئيس الجمهورية منذ مطلع عـام ١٨٦٤ اعطى للفريق غرانت استقلالا واسعا وصلاحيات كبيرة . وفي حين بقـي الجنرال « ميد » رسميا على رأس جيش البوتوماك ، فقد وضع غرانت رئيس اركانه مع هذا الجيش وكان في الواقع يقود الجيش . ولم يبق لميد ان يقـوم سوى بدور لا يزيد سوى قليلا عن دور ضابط منفذ(٥٤) . وكان غرانت يـردد بشيء من التضخيم : « قال لي رئيس الجمهورية انه لا يرغب بمعرفة ما انوي فعله .. .ولم اعرض خططي لا على الرئيس ولا على وزير الدفاع او للجنرال هاليك » (٥٥) .

ولكن رغم كل ذلك ففي الوقت الذي سمح به القائد العام لغرانت بالعمل بحرية واسعة فانه لم يكف عن البقاء على اطلاع تام على النواحي العسكريـة

طيلة الاربعة عشر شهراً من الحرب وكان يصر دوما على اشعار غرانت بأنه هو نفس الرئيس موجودا على رأس النظام العسكري الفدرالي(٥٦) .

وعندما ظهرت لدى غرانت نوايا الاجتماع بالجنرال « لي » في مطلع عام ١٨٦٥ للتباحث حول استسلام الجيش الكونفدرالي وما يتبع ذلك وبخه رئيس الجهاز التنفيذي بحدة . وقد تلقى غرانت البرقية التالية من الوزير ستانتون التي املاها عليه لنكولن شخصيا : « لقد كلفني الرئيس بأن اقول لك انه يرغب منك عدم عقد اي اجتماع مع الجنرال لي الا بخصوص استسلام جيش الجنرال لي او فيما يتعلق بمسائل عسكرية على مستوى ضيق . وقد اوصاني بأن اقول لك بأنه ليس لك أن تقرر أو تناقش أو تجتمع لبحث أي موضوع سياسي . اذ ان مسائل كهذه يرغب الرئيس الاحتفاظ بها بين يديه ، وانه لا يريد ان يعرضها على اي مؤتمر عسكري او اي اتفاق »(٥٧) .

ومع هذه القيادة العليا الاتحادية الفعالة التي اثبتت صلاحيتها ومع القوات الجنوبية التي نتف ريشها بقتال استنزاف لدرجة ان القليل من الدعم بقي متوفرا لديها استسلم كل من جيش الجنرال لي وجوزيف جونستون في نيسان ١٨٦٥ لكل من غرانت وشرمان على التتالي . وعلى ضوء الملاحظة العنيفة التي وجهها القائد العام للجنرال غرانت التي يذكره فيها بعدم زج نفسه في المسائل السياسية فانه من الاهمية بمكان ان لنكولن قد وافق حاليا على بعض فقرات من اتفاقية السلام التي كان الجنرال لي مستعدا لقبولها من غرانت والتي على اساسها استسلم جيشه في شمالي فرجينيا . ولا شك ان غرانت في هذا الموضوع قد تجاوز اطار صلاحياته . هذا المعنى انهام مرتبط بتلك الكلمات التي تتضمنتها وثيقة الاستسلام التاريخية ، خاصة بالنسبة للسياسات المرة لرجال الكونغرس الراديكاليين خلال سنوات اعادة البناء التالية :

... يعطي الضباط الكونفدراليون كلمتهم الشخصية بعدم حمل السلاح ضد حكومة الولايات المتحدة حتى يتم التبادل بشكل صحيح وكل قائد سرية او قائد فوج يوقع وعدا مشابها باسم رجاله ... وبعد ان تم ذلك يسمح لكل ضابط وكل رجل بالعودة الى منزله على الا يتعرض لاية مضايقة من قبل

سلطات الولايات المتحدة طالما حافظوا على كلمتهم وعلى القوانين السارية المفعول حيثما يقيمون »(٥٨) .

الواقع انه لم يكن لا للجنرال غرانت ولا للرئيس صلاحية تجاوز الادارات والضباط ورجال الكونغرس وايقاف ازعاج اولئك الذين عارضوا الحكومة الفدرالية والدستور خاصة المدنيين الموظفين الكبار الكونفدرالية والضباط العسكريين . ومع ذلك فان براعة رئيس الجهاز التنفيذي امكنته من التغلب على السيطرة المدنية لدرجة انه قبل ذلك العرض غير الطبيعي الذي قدمه غرانت للجنرال لي والكونفدراليين(٥٩) بدون خبث وبمحبة للجميع » .

وفي الفترة النهائية من عملية استسلام الكونفدراليين في ربيع عام ١٨٦٥، كان لدى ابراهام لنكولن تلك الخبرة والمهارة الواسعة في دوره كرئيس جمهورية وكقائد عام مما امكنه ان يترك لخلفائه وراثة من الصعب جدا مجاراتها ولا يمكن التفوق عليها (٦٠) . ويقول ستاتون ان رجل البراري قد اغتيل واصبح الآن ملكا للعصور (٦١) .

المراجـــع :

القيادة الاميركية والقادة في الحرب العاليـة الاولـى

١ ـ جوزف برناردو واوجين بيكون : السياسة العسكرية الاميركية ، وتطورها منذ عام ١٧٧٥ (هاديسبورغ ، ستاكبول ١٩٥٥) .

٢ ـ شونسي فورد : مذكرات الكونفرس ١٧٧٤ ـ ١٧٨٩ (واشنطن ـ المطبعة الحكومية الرسمية ١٩٠٣) .

٣ ـ ايمري ابتون : السياسة العسكرية للولايات (واشنطن المطبعة الحكومية الرسمية ١٩١٢) .

٤ ـ دوغلاس ساوثهول فريمان : جورج واشنطن ، ٧ اجزاء (نيويورك سكربنير ١٩٤٨ ـ ١٩٥٧) .

٥ ـ وارين هاسلر الابن : الرئيس كقائد اعلى (مينلو بارك كاليفورنيا اديسون ويسلي ١٩٧١) .

٦ ـ دستور الولايات المتحدة .

٧ ـ لويس سميث : الديموقراطية الاميركية والقوة العسكرية (شيكاغو ـ منشورات جامعة شيكاغو ١٩٥١) .

٨ ـ الفرد فاغتنس : تاريخ العسكريتارية : المدنية والعسكرية . (نيويورك مريديان ١٩٥٩) .

٩ ـ صموئيل هانتنجتون : الجندي والدولة . نظريات وسياسيتي العلاقات المدنية العسكرية في الحرب الاهلية (كالمبردج منشورات جامعة هارفورد ١٩٥٧) .

١٠ـ جيمس فراي : الحرتقات العسكرية نيويورك برنتانو ١٨٨٩ .

١١ـ المصدر اعلاه : هاسلر الرئيس والقائد العام .

١٢ـ هانتنجتون الجندي والدولة .

١٣ـ المصدر السابق .

١٤ـ كلارنس برهادل القوى الحربية للسلطة التنفيذية في الولايات المتحدة (اوربانا ـ منشورات جامعة ايلنيوا ١٩٢١) .

١٥ـ هاسلر الرئيس كقائد عام .

١٦ـ ارنست ماي : القرار الوحيد . القائد كقائد عام (نيويورك برازيلير ١٩٦٠).

١٧ـ فديمان : جورج واشنطن .

١٨ـ هاسلر الرئيس والقائد العام .

١٩ـ شارل وينسلو اليوت وينفلد سكوت : الجندي والانسان (نيويورك ماك ميلان ١٩٣٧) .

٢٠ـ بنجامان توماس : ابراهام لنكولن . سيرته (نيويورك كنوف ١٩٥٢) .

٢١ـ كارل فون كلاوزفيتز : في الحرب ترجمة ساتبجس جولز (نيويورك ، راندوم هاوس ١٩٤٣) .

٢٢ـ ت . هاري ويليمز : لنكولن وجنرالاته . (نيويورك كنوف ١٩٥٢) .

٢٣ـ فريد هارفي هارنجتون « السياسيون المقاتلون » : اللواء بانكس فيلادلفيا. منشورات جامعة بنسلفانيا ١٩٤٨) .

٢٤ـ راندال ودافيد دونالد : الحرب الاهلية واعادة البناء (بوسطن ـ هيث ١٩٦١) .

٢٥ــ المصدر السابق .

٢٦ــ كليمون اياتون : تاريخ الكونفدرالية الجنوبية . (نيويورك ماكميلان ١٩٥٤) .

٢٧ــ فرانك فانديفر . ريبيل براس : اسلوب القيادة الكونفدرالية (باتون دوج، منشورات جامعة لويزيانا ١٩٥٦) .

٢٨ــ ريمبرنت باتريك : جفرسون دينيس ومجلسه (باتون روج منشورات جامعة لويزيانا ١٩٤٤) .

٢٩ــ هادفارد مينيلي : ادارة الحرب ١٨٦١ دراسة في التعبئة والادارة (نيويورك منشورات جامعة كولومبيا ١٩٢٨) .

٣٠ــ ويليم راسل : مذكراتي الشمال والجنوب (بوسطن برنهام ١٨٦٣) .

٣١ــ وارين هاسلر : القادة الشبان لجيش البوتوماك باتون روج منشورات جامعة لويزيانا ١٩٦٢) .

٣٢ــ مالك كلور : ابرهام لنكولن والرجال اثناء الحرب (فيلادلفيا تايم ١٨٩٢) جون مورس مذكرات جدعون ويلز (بوسطن ١٩١١) هوج ماك كولاش الرجال والمقاييس خلال نصف قرن (نيويورك سكريبز ١٨٨٩) تيدور يبس وراندال : مذكرات اوردفيل براوننغ (سبرنغفياو ١٩٢٥ ــ ١٩٣٣).

٣٣ــ وارين هسلر : الجنرال جورج ماك كليلان درع الاتحاد (١٩٥٧ .

٣٤ــ جوزف كار : عمليات عام ١٨٦١ حصن مونرو (١٨٨٤) .

٣٥ــ كولن بالار : عبقرية لنكولن العسكرية (كليفلاند ١٩٥٢) .

٣٦ــ اوبتوف : السياسة العسكرية للولايات المتحدة .

٣٧ــ جون فيسك : وادي المسيسبي في الحرب الاهلية (١٩٠٠) .

٣٨ــ لجنة حول ادارة الحرب : تقارير ١٨٦٣ .

٣٩ــ هسلر : الرئيس كقائد عام .

٤٠ــ حرب العصاة . واشنطن المطبعة الرسمية (١٨٨٠ ــ ١٩٠١) .

٤١ــ فرنسيس بالفري ١٨٨٢ .

٤٢ــ هسلر الجنرال جورج ماك كليلان .

٤٣ــ هسلر قادة جيش البوتوماك .

٤٤ــ والترهبر : جوهوكر المقاتل انديانا بولبس ١٩٤٤ .

٤٥ــ وثائق رسمية مجموعة رقم ٤٠ .

٤٦ــ ادوارد شاننغ : تاريخ الولايات المتحدة (نيويورك ١٩٠٥ ــ ١٩٢٥) .

٤٧ــ جون نيكولاي وجون هاي : ابرهام لنكولن ، تاريخ نيويورك ١٨٩٠ .

٤٨ ــ س س و مجموعة رقم ١٥٠ ــ ١٥٠ لعام ١٨٦٥ .

٤٩ــ جورج غورهام : الحياة والخدمة العامة لادوين ستانتون ١٨٩٩ .

٥٠ــ راندال : لنكولن الرئيس نيويورك ١٩٤٥ .

٥١ــ الان ثورن وايك رايس : عن ابرهام لنكولن نيويورك ١٨٨٦ .

٥٢ــ او ــ آر مجموعة رقم ٤٣ .

٥٣ــ هاري ويليامز : الاميركيون في الحرب : تطور العسكرية الاميركيه ١٩٦٠ .

٥٤ــ جورج اغازيس : اركان ميد (١٨٦٣ ــ ١٨٦٥) .

٥٥ــ غرانت مذكرات خاصة .

٥٦ــ ويليامف لنكولن وجنرالاته .

٥٧ــ ستانتون الى غرانت ١٨٦٥ ــ ٥٨ ــ ب و ل .

٥٩ــ نيكولا وهاي ابراهام لنكولن .

٦٠ــ فريد ريك موريس : رجال الدولة والجنود في الحرب الاهلية ١٩٢٦ .

٦١ــ نيكولا وهاي ابرهام لنكولن .

القيـادة الاميركيـة والقـادة في الحرب العالميـة الاولى

ادوار م. كوفمان

تعليق الناشر :

على امتداد قرن كامل اي منذ نهاية حرب عام ١٨١٢ وحتى التدخل الاميركي في الحرب العالمية الاولى لم تضطر القوات المسلحة الاميركية الى القتال ضد اي جيش من جيوش القوى الكبرى .

والتاريخ العسكري الاميركي المعاصر سواء بمظاهره العملياتية أو تعقداته المدنية يبدأ اساسا مع الحرب العالمية الاولى بدخول الولايات المتحدة في الاحلاف الرئيسية . . وكان هذا بالنسبة للقادة العسكريين الاميركيين وتحولهم من الادارة الى القيادة الفعلية لقوات محاربة عليها مواجهة جنود دولة كبرى كألمانيا ، تحديا هائلا عليهم مجابهته كجنود دولة عظمى ، فبدأوا بتحضير انفسهم من الناحية التنظيمية والثقافية على الاقل عبر أصلاحات « اليهوروت » في مطلع القرن العشرين التي اوجدت الاركان العامة وبلورت انظمة الكليات الحربية بافتتاح كلية الحرب . ولكن في السادس من نيسان عام ١٩١٧ كانت القوات المسلحة الاميركية بعيدة جدا عن مستوى القوات المسلحة للدول الكبرى الاوروبية او اي مستوى آخر ما عدا لحسن الحظ في كفاءة ضباطها المحترفين النجيدين . كيف واجه هؤلاء الضباط تحدي التحول من جيش للامن الى قوات مسلحة كبرى نجده في محاضرة القاها عام ١٩٧٣ « ادوارد نوفمان » من جامعة وبسكنسون . وفي الفترة التي القى فيها هذه المحاضرة كان يعمل على وضع كتاب يعطي معلومات اوسع حول هذا الموضوع بعنوان : دراسة اجتماعية للقوات المسلحة الاميركية في فترة تحولها من جيش قديم الى جيش

حديث . وكان قد سبق له أن نشر كتابين حول المجهود الحربي الاميركي في عام ١٩١٧ ــ ١٩١٨ . « حد السيف » : اعمال وخدمات بيتون مارش (ماديسون، منشورات جامعة ويسكنسون ١٩٦٦) وكذلك « الحرب بهدف انهاء كافة الحروب » : الخبرة العسكرية الاميركية في فترة الحرب العالمية الاولى (نيويورك، منشورات جامعة اوكسفورد ١٩٦٨) .

القيادة والقادة الاميركيين خلال الحرب العالمية الاولى

ادوارد كوفمان

يعتبر اليوم الثالث عشر من ايلول افضل الايام للتحدث عن القادة الاميركيين خلال الحرب العالمية الاولى . فهذا اليوم يصادف التاريخ الرسمي لولادة احد كبار الجنرالات الاميركان الذي شارك في تلك الحرب ويعرفه جيدا معظم الناس هو الجنرال « جون بيرشننغ » . وأن تعبير « التاريخ الرسمي » قد يكون مفيدا اذ ان احد احدث مؤرخي سيرة الجنرال بيرشننغ وهو دونالد سمث قد اكتشف أن هذا التاريخ غير صحيح . ويبدو ان القائد العام للجيوش قد كذب حول سنه اذ بدل يوم ميلاده من ١٣ كانون الثاني الى ١٣ ايلول كي يتمكن من الانتساب الى الكلية الحربية .

كان تعداد الجيش النظامي الاميركي يبلغ حوالي ١٢٧ر٥٠٠ رجل (بمافي ذلك ٥ر٧٩١ ضابطا) فقط عندما دخلت الولايات المتحدة الاميركية الحرب العالمية الاولى في نيسان ١٩١٧ . كان جيش صغير نسبة الى الجيوش الضخمة المتحاربة ولم يكن في الولايات المتحدة خدمة الزامية ،ولا قوات احتياطية او نظام مقبول للتعبئة يسمح لها بدعوة قوات جديدة بالسرعة الكافية . ومع ذلك كان هذا الجيش في عام ١٩١٧ اكبر بخمس مرات من الجيش الصغير ذي ٢٥٠٠٠ رجل الذي دخله معظم الضباط ، الذي خاضوا الحرب العالمية الاولى ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر .

كانت خبرة الحرب الاهلية مسيطرة على افكار وحياة الجيش خلال الفترة الاولى من الحرب العالمية الاولى وعلى ضباطه . الذين منهم تخرجوا من ويست بونيت في السبعينات والثمانينات كانوا مهيئين للشهرة . فالمدراء بين ١٨٧٦ و ١٨٨٩ كانوا من اشهر القادة الاتحاديين جون شوفيلد ، اوليفر هاوارد ، ويسلي ويت جون بارك حتى الزائرون كانوا اكثر شهرة .

يذكر جورج دنكان ألـد زملاء الجنرال بيرشنغ في المدرسة عام ١٨٨٦ وقائد احدى الفرق في عام ١٩١٨ :

... كثيرا ما كنا نشاهد في ويست بونيت الجنرال غرانت وشيرمان وشيريدان وكانوا يأتون لزيارة اصدقائهم او لشحن جو « بالاماثر » الخاص بهم .

وقد كانت رؤية هؤلاء العسكريين الكبار مدعاة لاثارة الوحي لدينا كلنا . وحضروا جميعهم حفلة رفع الستار عن نصب « ثاير » [ايام دنكان كان ذلك في ربيع ١٨٨٣] وقد جلس كل منهم بجانب الآخر . بعد الاحتفالات كان الحضور يصطفون بالرتل ليصافحوا الجنرال غرانت ، وما كاد يسحب يده من الرتل حتى تابعو التدخين والحديث مع الجنرالين الآخرين . وكان الجمع يصافح يدا لا حياة فيها يدا صناعية ولم يولي الجنرال اية اهمية لاي شخص كان يصافح تلك اليد .

بين السبع والسبعين متخرجا من تلك الدورة كان هناك بالاضافة الى جنرالات الجيوش خمسة عشر جنرال فرقة (لواء) وعشر عمداء من الذين ساهموا بالحرب العالمية الاولى . وقد لاحظ « سميث » ايضا ان اكثر من ربع جنرالات الحرب العالمية الاولى كانوا من تعداد طلاب ويست بوينت ايام خدمة بيرشننغ فيها .

خلال السنة التدريسية الاولى توفى الجنرال غرانت وتولى بيرشننغ قيادة الطلاب في تقديمهم السلاح في المحطة عند مرور القطار الحامل لرفاه غرانت . وقد قال عن تلك اللحظة « انها اكبر تحدي في حياتي » وفيما بعد كان يقول ان غرانت هو « اعظم الجنرالات الذين انجبهم الوطن » .

وكان الجيش صغيرا لدرجة انه لم يكن هناك شواغر كافية لاستيعاب الضباط السبع خريجي عام ١٨٨٦ وقد اتخذ الكونفرس قرارا بتعيينهم رغم عدم وجود شواغر كملازمين مساعدين للاقدم منهم . ولكن ما شاهدوه في مراكزهم الاولى قد خلق بعض الشكوك لديهم حول صحة اختيارهم للمهنة العسكرية . وقد قال دنكان حول ذلك :

كان « حصن وينجيت » ، مكسيكو الجديدة ، عندما التحقت بالفوج التاسع المشاة المحطة الاساسية لعدة وحدات من الفوج السادس خيالة والفوج الثالث عشر مشاة كما ان سرايا اخرى كانت تعسكر في مخيمات تنتظر تحديد محطات ثابتة لها . وقد دفع ثمن ذلك كله . وكانت مستودعات البريد تسودها حالة رهيبة من الفوضى والقسم المعين كنادي للضباط كان مليئا ليلا نهارا وتجري فيه العاب الورق ومراهنات من المشروب حتى العشرين دولارا ذهبيا . اما البار المخصص للرجال فكان مليئا حتى الاختناق . وكان التسمم يعم كافة الجوانب . لا شك انه كانت هناك بعض الاستثناءات ولكن كان هناك تحمل جيد لكافة هذه الظروف . ولم تكن هناك اية خدمة عسكرية سوى الحراسة الراكبة وما تتطلبه من تدريب على الركوب .

وترك احتكاكي الاول هذا مع الجيش بالنسبة لعقلي ومفهومي غير المتطور، انطباعا سيئا جدا وأسفا على عدم تقديم استقالتي فور تخرجي والالتحاق بعمل كان قد عرض علي في محطة سكة حديد نيويورك . بعد خمسة او ستة ايام وضع الضابط المكلف بالقيادة جدا لذلك كله ووضع عددا من الضباط في السجن وهدد باحالتهم الى محكمة عسكرية » .

خيم الجمود على الجيش ، فقد استلم ابطال الحرب الاهلية ــ المتقدمون في السن والذين حملوا اعلى الرتب العسكرية وهم في سن مبكرة ــ كافة المراكز الرئيسية . وفي عام ١٨٨٨ عندما التحق « بايتون مارش » بالفوج الثالث مدفعية في واشنطن باراكس كان لديه بطلا من ابطال حرب المكسيك كقائد للفوج في حين كان اكثر من نصف الضباط الاخرين من ابطال الحرب الاهلية . وفي حوالي ١٩٠٠ كان كافة قادة الافواج من ابطال تلك الحرب سواء في المشاة او الخيالة او المدفعية وبالتالي قادت سيطرة الرجال القدامى الى خفض مستوى الجيش الى مستوى السرايا .

كما انه لم يكن هناك اية امكانية لعمل اي شيء .

« بلانتلي موت » وهو ايضا من رفاق صف بيرشنغ يذكر انه خلال العامين الاولين من خدمته في بطارية مدفعية في حاميه قريبة من خليج سان فرانسسكو

قائلا : « انحصر عملنا العسكري كله في ارتداء البسة المراسم والقيام بتدريب على السير لمدة ساعة واحدة فقط في اليوم » . ويقول ضابط مدفعي آخر من خريج عام ١٨٩٨ ، « ريتشارد ماك ماستر » أن ضابطا من منطقته عندما سئل عن واجباته قال : « معظمها اجتماعية » ويضيف ماك ماستر انها فعلا كانت كذلك ، وكنتيجة لذلك اكتسب العديدون صفة البلاهة والخمول . ذكر احدهم كان يعمل في حياكة السجاد وآخر يحفر الخشب باشكال مختلفة الخ » . ويلخص هود الحياة في تلك الفترة بقوله : « لا يمكن لاي شخص لم يشاهد تلك المظاهر ان يتصور مدى ضيق الافق ومحدوديه الحياة في الثكنات خلال الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر او يتصور الجمود لمعظم الرجال آنذاك الذين كانوا يقودون الجيش بايد حديدية .

وجاءت الحرب الاسبانية ثم عصيان الفيلبين لتبدل كل شيء . فقد زاد الكونغرس قوة الجيش العامل وكان على العديد من الضباط والرجال ان يعملوا كاداريين حكوميين بالاضافة الى عملهم كقادة عسكريين . وفي ميندانوا ساد النشاط العسكري الفعلي حتى الحرب العالمية الاولى . ويقول ويليم سيمبسون الذي قاد الجيش التاسع خلال الحرب العالمية الاولى انه صرف ثلاثة ارباع خدمته في السرية ج من الفوج السادس مشاة في معسكر كيتلي على بحيرة لاناوو ١٩١٠ ــ ١٩١١ في البراري يطارد الخارجين عن القانون (جماعة مورو) . اما بيرشنغ فقد خاض معارك واسعة النطاق ضد الموروز في باد باكزاك في جولو خلال شهر حزيران ١٩١٣ . ومن ذكرياته عن الجيش الذي خدم فيه بين عام ١٩٠٩ الى ١٩٧١ يقول الجنرال سيمبسون انه كان « جيش الحرب الاهلية » . كانت المشاة تعتمد البندقية والمسدس كسلاح . وانه كان هناك رشاشان فقط في فوجه (بنيت ــ ميرسييه) ، ولم يكن أي منهما صالح للعمل . في تلك الايام كانت الخدمة العسكرية بسيطة » .

ومن اهم النواحي الملفتة النظر حول الحياة في الثكنات في تلك الفترة ان الضباط لم يكن لديهم الشيء الكثير للعمل ، حتى ولا كتابة اسماء الرجال . درس أو درسين من النظام المنضم او تدريب تعبوي يجري في أرض الاستعراضات لا في الميدان في الصباح ، اما باقي النهار فكان يترك حرا للرجال . في حين يتوجه

الضباط الى النادي للغداء ثم يتبعون الطعام بجلسة بريدج او أحيانا يلعبون البولو في وحدات الخيالة او المدفعية .

وقد امضى « موت » خدمة ممتعة كملحق عسكري في اوروبا ، ولكنه في عام ١٩١٣ ذهب الى معسكر ستوتسنبرغ في الفيلبين كمقدم في فوج مدفعي . « لم يكن لدي أي عمل مطلقا من الصباح حتى المساء ... » وقد شاركه قائد الفوج شعوره بالفراغ ولكنه كما قال له : « لم يكن باستطاعته اسناد أي عمل لديه دون ان ينتزع من قائد الكتيبة أو منه شخصيا بعض المسؤوليات ووعده بتكليفه بانشاء ملعب غولف » . وفي مواجهة هذه الحياة المملة استقال « موت » ليعود الى الخدمة الفعلية فيما بعد خلال الحرب عندما شغل وظيفة ضابط ارتباط بين بيرشنغ والماريشال فرويناد فوش . وقال الوزير ستيمسون انها كانت حياة مسالمة .

ومع ذلك كانت هناك بعض النشاطات الثقافية . ففي حصن رايت في واشنطن مركز الكتيبة ١٤ مشاة عام ١٩١٥ – ١٩١٦ قام عمر براولي المتخرج حديثا من ويست بوينت ، مع مجموعة من الملازمين الثانين برئاسة « فورست هاردنغ » بعقد اجتماعات دورية لمناقشة المسائل التكتيكيه . وبالصدفة لم يرفع هاردنغ الذي تخرج من وست بوينت عام ١٩٠٩ الى رتبة ملازم اول الا في تموز عام ١٩١٦ . وهذا لم يكن طبيعيا ، وبالعودة الى سجلات كولوم نجد انه في الوقت الذي كان فيه الضباط المهندسون والمدفعية الساحلية يرفعون بعد سنتين او ثلاث سنوات على التوالي كان على ضباط مدفعية الميدان والخيالة والمشاة ان ينتظروا ستة او سبع سنوات . وكان من بين هؤلاء الاخيرين جورج باتون الذي رفع الى رتبة الملازم الاول في ٣ ايار ١٩١٦ ، ويعقوب ديفرز في الاول من نيسان ١٩١٦ وروبرت ايخشلبرغر ٢٢ تموز ١٩١٦ ووليم هودسمبسون في الاول من تموز ١٩١٦ .

وكانت هناك المدارس حيث حاول الجيش صياغة اسلوب لاختيار الضباط الاكفاء . وفي حصن ليفنورث ومونرو وريلي وفي كلية الاركان شغل هؤلاء الضباط كل وقتهم في دراسة الفن العسكري . وفي حصن ليفنورث خاصة ركز اهتمام

خاص على نهضة عسكرية بعد نهاية العصر السابق . وقد استفاد الضباط الشبان مثل جورج مارشال وهوج درام وآخرين والذين كانوا يشغلون وظائف اركان اساسية كثيرا من هذا التدريب .

ويبدو انه لم يكن لدى الولايات المتحدة نوايا بالتدخل عندما اندلعت الحرب في اوروبا عام ١٩١٤ . خاصة وان الخبراء العسكريين الاوروبيين كانوا يعتقدون انها ستكون حربا قصيرة الامد على اية حال . ولكن عندما استمرت دون اي نتيجة حاسمة بدأت مجموعات من العسكريين والمدنيين تدعو الى اتخاذ الاستعدادات . ولم يقترح هؤلاء التدخل انما كانوا يطالبون بالاستعداد للدفاع في حالة غزو محتمل . وكان يقولون بأن التدريب العسكري سيجعل المواطنين اكثر صلاحية وفائدة من الشباب الاميركي الراهن .

وساد اعتقاد بأنه لو وقعت الحرب فستكون ضد المكسيك حيث ادت الهزات السياسية الى احتكاك شبه متواصل منذ عام ١٩١١ . وفي ربيع عام ١٩١٤ ارسل الرئيس ويلسون بعثة الى فيراكروز وأبقاها هناك لمدة عدة اشهر . ثم في اذار من عام ١٩١٦ ارسل قوة مؤلفة (من اربعة افواج خيالة وفوجي مشاة وبطارتي مدفعية ميدان) الى شمالي المكسيك واتبع ذلك بتعبئة الحرس الوطني وارسله الى الحدود . وقد كانت هذه العمليات نوعا من التدريب المفيد . وكانت مجالا سمح للقيادة باختبار جون بيرشنغ قائد الحملة التأديبية كما انه هو نفسه استفاد منها لاختبار مرؤوسيه وكون فكرة واضحة عن كل شخص وصلاحيته للعمل القيادي أو في الاركان . وبشكل عام كانت هذه الحملة تدريبا اضافيا عمليا لكل من الجيش العامل والحرس الوطني .

وكان رهان المانيا على حرب الغواصات غير المحدودة خلال شتاء عام ١٩١٦ ــ ١٩١٧ سببا في سلسلة من الاحداث قادت الرئيس ويلسون الى دعوة الكونفرس الى اعلان الحرب يوم الثاني من نيسان عام ١٩١٧ . في ذلك الوقت لم يكن أي من الرئيس ويلسون الذي لم يهتم مطلقا بالنواحي العسكرية ولا الكونفرس يتفهم بشكل واضح مدى هذا القرار . وكان المفهوم العام ان الولايات المتحدة سوف تقدم دعما اقتصاديا وماليا للحلفاء وربما بعد الدعم

البحري . وخلال بضعة اسابيع توالى وصول الوفود الحليفة عارضة الموقف ومعددة احتياجاتها . ولم تهتم تلك الوفود انذاك بطلب قوات بل رغبت فقط بارسال ما يشير الى تدخل الولايات المتحدة أو ما عبر عنه ب « اظهار العلم » أي قوات رمزية .

وبدأت الحكومة بتعبئة الاقتصاد وبتدعيم القوات المسلحة عدديا . وفتح الكونفرس باب التطوع وبدأ العمال ببناء المعسكرات اللازمة لاستيعاب مئات الالوف من الاغرار وقد أولت القوات المسلحة اهتمامها لمراكز تدريب الضباط في دورة لمدة ٩٠ يوما يتخرجون بعدها وكانت اول هذه الدورات خلال صيف عـام ١٩١٧ .

على المستوى الاعلى كان على وزير الحربية بنوتن بيكر ان يتخذ قرارا حول من يقترح من الضباط للترفيع . وقد شرح اسلوبه في رسالة الى الرئيس ويلسن في ٣٠ ايار ١٩١٧ ضمنها اسماء ثلاثة من العمداء وتسعة عشر عقيدا يرشحهم للترفيع . وقد اوضح الوزير بيكر انه تبعا للعادة فان وزارة الحربية تقترح ترفيعات الضباط العمداء وفقا لنسب معينة لمختلف صنوف الأسلحة . ثم تابع في رسالته :

« بدأت بتصويت سري لانتقاء الضباط من رتبة فريق ثم بعد تنظيم جداول بنتائج هذا التصويت ثم بحذف منها اقلهم أصواتا أو أولئك الذين اسقطوا لاسباب اخرى ، ثم قمت بالاختيار النهائي على اساس مناقشة مع الجنرال تاسكر بليس والجنرال ارنست غارلينكتون والجنرال هنري ماك كين (وكان هؤلاء هم رئيس الاركان ، المفتش العام ومعاونه على التوالي) والجدول المرفق هو حصيلة هذه الدراسة » .

وقد استنتج بيكر انه رغم عدم تقيده التام بالقدم في الخدمة فانه قـد اخذها بعين الاعتبار ولكنه اعتمد أساسا على القدرة الذهنية والجسدية للضباط المرشحين وكذلك على آراء رؤسائهم .

اما الجنرال هيوج سكون الذي كان يشغل وظيفة رئيس للاركان في ذلك

الحين كتب الى الجنرال فرانكلين بيل في ٥ ايلول عام ١٩١٦ حول لائحة ترفيع أخرى قائلا انه في معظم الحالات كان بيكر يساير رأي أكثرية الضباط الامراء .

وقد هددت شخصية كبيرة اسلوب اختيار القادة في مطلع الحرب . تيدور روزفلت كان يخطط منذ مدة لانشاء فرقة الراف رايدر من المتطوعين ويقودها هو شخصيا وبعض الضباط القادة النظاميين الاكفاء في المراكـز الحساسة . وقد اقترح ذلك على وزير الحربية بعد دخول الولايات المتحدة الحرب . وبناء على نصيحة رئيس هيئة الاركان الجنرال هوج سكوت الذي قال ان قبول هذا الاقتراح سيشوش على نظام ترفيع الضباط في القـوات المسلحة ، لذلك رفض بيكر وويلسن اقتراح الرئيس السابق وهذا يعني انـه خلافا لما كان الحال في الماضي لن يكون هناك جنرالات سياسيين .

وكان احرج قرار يتخذه بيكر هو اختياره لجون بيرشنغ كقائد عـام لحملة فرنسة . وكانت قيادة بيرشنغ للحملة التأديبية قد جعلت هذا الاختيار طبيعيا ولم تتح الفرصة لاي ضابط آخر لاظهار امكانياته في ظروف مماثلـة طيلة وجود بيكر في وزارة الحربية . وفور اختيار بيكر لبيرشنغ عمل لى دعمه بقـوة .

وقد تمتع الجنرال بيرشنغ كقائد للحملة الاميركية في فرنسة ، باستقلال ذاتي نصف كامل . وقد ادى ذلك الى نشوء بعض الملابسات في علاقاته بوزارة الحربية اذ اعتبر بيرشنغ ان طلباته يجب أن ينظر اليها كأوامر . ونظرا لان رئيس هيئة الاركان العامة يعتبر نفسه رئيسا لبيرشنغ فان هذا الوضع لم يمر دون احتكاك وخاصة ان بيرشنغ انذاك كان يفتقد الى المعلومات الكافية حول الوضع في الجبهة الداخلية الاميركية والصعوبات التي خلقها دخول اميركا الحـرب . ويقول تاسكر بليس الذي شغل عمليا وظيفة رئيس هيئة الاركان طيلة السبعة اشهر الاولى من الحرب انه كان يعتبر وظيفته عمليا كمساعد لمساعد رئيس اركان الحملة الاميركية لفرنسة . ولكن عندما اصبح بايتون مارش الرجل القوي رئيسا لهيئة الاركان في ربيع عام ١٩٨١ تزايدت الاحتكاكات بين وزارة الحربية واركان بيرشنغ .

وكان بيرشنغ صلبا رغم أنه كعسكري خدم في ميندانأو قد قفز من رتبة نقيب الى عميد في فترة ولاية روزفلت . ويروي الجنرال بن لير الذي كان ملازما في الكتيبة ١٥ خيالة اثناء حرب مورو قصة تظهر بعض النواحي من شخصية بيرشنغ :

في أحد الايام كنت في منطقة النقاط الامامية الصديقة فأطلقت علي النار من احدى هذه النقاط وقد ذكرت ذلك لمساعدي . وكان بيرشنغ قد سمع حديثي هذا فقال : « كان يجب ان يقتلك » فنفخت صدري وقلت : « أنا لا أوافقك على ذلك ياسيدي » ألم يكن ذلك قولا متسرعا لضابط صغير ؟ لم أسمعه مطلقا يمدح انسانا . كانت الخدمة العسكرية انذاك اصعب بكثير من ايام الحرب العالمية الثانية .

ويؤيد الفريق عمر برادلي مقارنة لير هذه مع الحرب العالمية الاولى والثانية فيما يتعلق بأسلوب القيادة . ويستذكر حادثا وقع عندما كان يعمل في ادارة الابطال بعد الحرب ، وبينما كان عائدا من أطلانتا حمل طائرته بكافة رجال الخدمة الراغبين بالذهاب الى واشنطن . وما ان اقلعت الطائرة حتى تجمع الرجال حوله وتحدث بعضهم عن الحرب والبعض الاخر طلب منه توقيعه . وبعد فترة جلسوا بهدوء فعلق احد اركان برادلي « لاشك ان الزمن قد تبدل » . ويذكر هذا البطل من الحرب العالمية الاولى حادثة انه سار حوالي ميل كامل مبتعدا ليتلافى التلاقي مع الجنرال بيرشنغ . ويستنتج برادلي انه لم يكن يعلم هل كان اسلوبه او اسلوب ايزنهاور كان اسوأ أم أفضل من أسلوب بيرشنغ . لا شك ان الرجال كانوا يختلفون عن آبائهم وبالتالي يتوقعون علاقة مختلفة بينهم وبين الضباط . وللسخرية بن لير الذي اشتهر بكونه ألعوبة وجد أنه في صيف عام ١٩٤١ عندما فرض الانضباط على بعض أفراد الحرس الوطني لانهم عاكسوا الفتيات في ملعب الغولف ان غضبا جامحا ساد الصحافة انذاك مما يدل على تبدل كبير منذ ١٩١٨ .

وكان هناك ابعد من صلابة بيرشنغ هو تمتعه بذاكرة هائلة . ويلاحظ رفيق صفه دانكان ميزة اخرى انه كانت له : اسرع نظرة وادق تقدير لرجاله

سواء من حيث السلبيات او من حيث الفعالية اكثر من أي ضابط آخر عرفه ». وكانت له شخصيته التي أفادته كثيرا عندما ذهب الى اوروبا . فهناك كضابط ذي خبرة قليلة بالحروب المماثلة كان عليه التعامل على نفس المستوى مع ضباط برتبة مارشال ورؤساء وزارات ، وكلهم ذوي خبرة طويلة . ويعلق جيمس هاربورد على ذلك في اول شهر له في فرنسة : « بالطبع كان بيرشنغ قد احتل موقعه منذ وصوله الى هنا . انه وجه لطيف لرجل يملك زمام نفسه جيدا ويتصرف في كل موقف بشكل ملائم ومحترم ، سهل التعامل معه يعرف كيف يدخل الى قاعة تغص بالناس وكيف يطور نفسه ليصبح وجها عالميا » . أما بالنسبة لعمله الكبير في الحملة الاميركية في فرنسة فقد استند بيرشنغ كثيرا على مهارته باختيار مرؤوسيه وبث الثقة الكاملة لديهم . أخيرا ومن كلمات دوغلاس ماك ارثر « اهم صفاته كانت قوته وصلابته بطبيعته » . ويضيف ماك ارثور ان بيرشنغ لم يكن رجلا استراتيجيا أو تكتيكيا وانه لم يكن ذكيا كما كان مارش .

في الثامن والعشرين من أيار عام ١٩٧١ وخلال شهر واحد بعد تعيينه سافر بيرشنغ بحرا ومعه اركان صغيرة . وكان أمين سره المقرب ورئيس اركانه هاربورد وهو مقدم حديث قد وعي تماما التحدي الذي سيجابهه هو وزملاءه الضباط . وقد كتب بعد ثلاثة ايام من الابحار قائلا : « ان الضباط الذين امضوا حياتهم يحاولون تجنب صرف خمسة عشر سنتا من اموال الدولة يجابهون الآن ضرورة انفاق خمسة عشر مليونا من الدولارات وعلى توسعهم الثقافي والمهني يعتمد تجنبهم للتبذير » . في ذلك الحين لم يكن بيرشنغ او هاربورد أو أي انسان يستطيع التنبؤ بمدى التوسع الذي سيتم خلال السبعة عشر شهرا التالية . اذ اصبحت قوة الجيش حوالي ثلاثة ملايين وسبعمائة الف واحتاج لحوالي مئتي الف ضابط لقيادته . وخدم تحت أمرة بيرشنغ على التوالي مليوني ضابط وعسكري في الحملة الاميركية قبل ان توقع الهدنة في تشرين الثاني عام ١٩١٨ . وهذا يعني أن العديد من الضباط المتوسطي العهد وجدوا انفسهم فجأة على سلم الترفيع السريع . وبعد خدمة مسدودة بالترفيع

ومقيدة بالقدم كل في سلاحه (قبل عام ١٨٩٠ كانت ضمن الكتيبة والفوج) . وقد رحبوا بفكرة الترفيع المبنية على أساس الشجاعة والاقدام .

وخدمة هاربور مثال عن حسن الطالع الذي قد يصيب الانسان . رفع الى رتبة ضابط في عام ١٨٩١ بعد خدمة عامين في الصفوف ثم خدم برتبة رائد بين المتطوعين عام ١٨٩٨ . وعندما اقتربت الحرب الاسبانية من نهايتها عاد من جديد الى رتبته الاصلية ملازم اول . وفي عام ١٩١٧ كان سنه ٥١ سنة وكان طالبا في كلية الاركان وبرتبة رائد اعتبارا من ١٠ كانون الاول ١٩١٤ . وفي ايار اصبح مقدما ، في آب عقيدا في تشرين الاول عميدا وبعد مغادرته لاركان بيرشنغ في ربيع ١٩١٨ كلف بقيادة لواءا ثم اصبح برتبة لواء في تموز عام ١٩٨١ وتولى قيادة فرقـة .

وقد مرت ظروف مماثلة لهذه في عملية ترفيع جون هاينز . وهو خريج وست بوينت عام ١٨٩١ وقد رافق الجنرال بيرشنغ الى مكسيكو وكان برتبة رائد كمرافق له وقد حاز على رتبة مقدم بآن واحد مع هاربورد مع انه كان يسبقه برتبة رائد مدة عامين أي في ايار ١٩١٧ . وقد ذهب مع مجموعة بيرشنغ الى فرنسـة كمساعد لمعاون للقائد العام ورفع الى رتبة العقيد في آب من نفس العام . ثم غادر هاينز الملقب « بيردي » الخدمة في الاركان ليبدأ احدى ألمـع الخدمات الميدانية كقائد في الحملة الاميركية . فقاد بنجاح ملحوظ فوجا ثم لواء ثم فرقة وفيلقا في السنة الاخيرة من الحرب . وحمل نجمة العميد في نيسان ١٩٨١ وأصبح لواء في آب من نفس العام .

كانت خدمة هاربورد وهاينز خدمة استثنائية في الحمله الاميركية الى فرنسة ولكنها لم تكن بعيدة جدا عن اسلوب الترفيع النظامي انذاك أي في صيف وخريف عام ١٩٨١ . فلقد ضم الجيش ضباطا عدة رفعوا الى رتبة العميد كانوا برتبة نقيب عندما بدأت الحرب . وبعضهم كان يعتقد ان هناك قلـة تناسب في ترفيع ضباط مدفعيين ومن بينهم وليم برايدت وروبرت دانفورد مما أثار بعض الشك حول رئيس الاركان الذي هو من سلاح المدفعية واتهم بأنه تعاطف مع سلاحه . وقد برر رئيس الاركان ذلك بقوله انه اراد تأهيل ضباط المدفعية لقيادة الوية مدفعية .

قائد السرب الجوي الاول التابع للجيش بنجامن فولوا كان عمره سبعا وثلاثين عاما وهو برتبة نقيب منذ سنة واحدة فقط عندما بدأت الحرب . وبسبب تخصصه وجد نفسه برتبة رائد في حزيران ثم قفز قفزة عالية وحصل على رتبة لواء في ايلول عام ١٩١٧ . ان سخرية هذه الترقيات تكمن في انه عند نهاية الحرب وتخفيض قوة الجيش معظم هؤلاء الضباط الذين رقيوا سريعا سقطوا بسرعة مماثلة .

ففي صيف عام ١٩١٧ وبينما كان بيرشنغ واركانه يضعون اسس تنظيم الحملة الاميركية الى فرنسة ، وضعت وزارة الحربية تنظيما فرقيا لخوض الحرب به . وخلال الايام الاولى من التدريب اعتقد الوزير باركر انه ستكون خبرة جيدة يكتسبها قادة الفرق واركانهم لو ذهبوا الى فرنسة . وهذا يعود بفائدتين . أولا بالنسبة لهم سيكتسبون خبرة من احتكاكهم بالحرب ويتمكنون من الحصول على حجم كبير من المعلومات من نقاشهم مع قادة الفرق الاخرى في الجيوش الحليفة واركانهم . وبنفس الوقت فان هذه الزيارة ستعطي لبيرشينغ فرصة تقييم اهليتهم للقيادة . وعند عودتهم يقوم بيكر نفسه بمقابلة كل ضابط على حدة ليشكل بنفسه فكرة عن « حيوية ونباهة كل منهم سواء من الناحية البدنية والذهنية » .

والى جانب واقع ابتعاد قادة الفرق واركانهم عن فرقهم فان الوقت المبكر الذي تمت فيه الزيارة لم يكن ملائما . اذ ان معظم هؤلاء الجنرالات الذين قاموا بهذه الجولة السياحية لمدة شهرين لم يواجهوا مستوى بيرشنغ . فقد علق مرؤوسي بيرشنغ وكذلك البريطانيين والفرنسيين كثيرا على افتقار هؤلاء الضباط للياقة البدنية ولعجزهم عن تفهم مختلف الظواهر المتعلقة بالقتال بسرعة . وقد عبر بيرشنغ عن رأيه بهم عبر تقارير سرية وفيما يلي نماذج منها :

الجنرال توماس هـ. باري :

الجنرال باري تجاوز الثانية والستين ورغم ذلك فهو نشط ولكني اخشى انه قد تجاوز السن المناسب لتأهيله لقيادة فرقة او لتنفيذ اعمال جدية لمدة طويلة ولم يشغل مطلقا اية قيادة تكتيكية .

الجنرال هاري ف. هودجز :

ليست لهذا الضابط اية خبرة فعالية في قيادة القوات اذ انه قد امضى حياته العسكرية كمهندس بناء . له من العمر ثمان وخمسين عاما وقد فات الوقت لتعليمه كيف يتحول الى عسكري وسيكون ذلك مضيعة للوقت بكل بساطة ولن ينجم عن تدريبه سوى الفشل .

الجنرال هنري غرين :

بلغ الجنرال غرين الثانية والستين من عمره ولم يكن مطلقا نشطا في عمله وكثير السمنة . اقترح عدم تعيينه قائد فرقة .

وقد اختتم الجنرال بيرشنغ أوصافه هذه بملاحظة عامة :

« ... ربما أمكن الاستفادة أكثر من معظم هؤلاء الضباط في الاعمال الادارية او الاشراف على التدريب ، ولكن بينهم كبيري السن لدرجة وعاجزين من حيث المظهر بشكل لا يجوز مطلقا السماح لهم بشغل اية وظيفة قيادية حيث ان عجزهم سينعكس على رجال اصغر سنا وأكثر كفاءة » .

وفي هذه المجموعة يضع الجنرال بيرشنغ رئيس الاركان السابق ، أشهر عسكريي اميركا الجنرال ليونارد وود .

وقد أدى هذا التصنيف من قبل الجنرال بيرشنغ الى أزمة سياسية اذ أن وود كان صديقا حميما لرئيس الاركان واعتبر منافسا محتملا لويلسن في انتخابات الرئاسة عام ١٩١٦ . ومع ذلك قدم كل من ممارش بيكر وويلسن الدعم الكامل للجنرال بيرشنغ رغم تعرضهم للانتقاد . وقد اظهر رسم كاريكاتوري نشر بعد الحرب في مجلة اميركا الشمالية الاسبوعية عن الحرب شعار ويلسن في حملته لعام ١٩١٦ يظهر فيه « وود » وهو يقول لروزفلت « حسنا لقد أبقانا خارج الحرب » .

ودارت خلال الحرب ـ وخاصة في شتاء عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨ والربيع الذي تلاه ـ أكبر خلاف بين الحلفاء والاميركيين . فبعد سلسلة من الهزائم في اواخر عام ١٩١٧ واضطرار البريطانيين الى توقيف هجومهم في الغربية

والعملية الالمانية في كابوريتو والثورة الروسية التي أدت الى انسحاب الروس من الحرب ، فكر الحلفاء جديا بحاجتهم الى الدعم الكبير بالقوى البشرية الاميركية . منطقيا الحاجة تدعو الى عدد اقل من الرجال وكلهم ضمن وحدات مقاتلة لو استخدموا كبديل للوحدات البريطانية والفرنسية . بهذه الطريقة يمكن الاستغناء عن القادة والاركانات الاميركية وكذلك الوحدات الادارية . وقد بدا ان ذلك مراهنة خطرة في انتظار عملية انتقال حجم كبير من الضباط والافراد المطلوبين لجيش مستقل ، بالاضافة الى الوقت الطويل الذي يتطلبه تدريب القادة واركاناتهم لاكسابهم الخبرة اللازمة . ولكن بيرشنغ اتخذ موقفا صلبا تجاه كل امتزاج في الوحدات ومن جديد تلقى دعما قويا من وزارة الدفاع والبيت الابيض .

في تلك الاثناء بدأ بيرشنغ بانشاء قوة مستقلة . وقد تزايدت قوة الحملة الاميركية الى فرنسة ببطء خلال عام ١٩١٧ ولم تتسارع عملية النقل الا في ربيع عام ١٩١٨ . ورغم ان بيرشنغ كان مصمما على امتلاك جيش مستقل (ولقد نصت أوامره فعلا على ذلك) فانه كان يرغب بأن يرى البريطانيين والفرنسيين وقد لعبوا دورا كبيرا في تدريب جيشه . وكان برنامجه باختصار ان يقسم التدريب الى ثلاث مراحل . واعتقد بحق ان القوات لن تكسب سوى القليل في التدريب في اميركا . (الواقع ان وزارة الحربية قد ابعدت قسما كبيرا من الفرق عن معسكرات التدريب بهدف جلب فرق اخرى . وقد أدى ذلك الى تبدل واسع ومتواصل داخل الفرق وما يؤدي ذلك الى الاساءة الى التدريب) . وقد عمل المدربون البريطانيون والفرنسيون على تدريب او الاشراف على التدريب في المرحلة الاولى في التدريب على استخدام الاسلحة والتمارين التكتيكية حتى مستوى الفرق . ونظرا لكون الاسلحة الآلية ومدفعية الميدان كانت من صنع الحلفاء فان الحاجة اليهم في تدريب الاسلحة كان طبيعيا . وقد دربوا أيضا على كيفية بناء الخنادق وبينوا عمليا تقنية حرب الخنادق . في المرحلة الثانية ذهب الاميركيون الى الجبهة حيث خدموا كوحدات رديفة وتحت قيادة البريطانيين والفرنسيين . وقد علق فريدريك بالمر المراسل الحربي المعروف على المعاملة الحسنة التي اظهرتها القوات الفرنسية الاولى الوحدات الاميركية

التي وصلت الى الجبهة فقال : « لقد احطنا داخل الخنادق بكل الاهتمام كالذي يبديه الوالد في تعليم ابنه السباحة » .

أما المرحلة الثالثة فتشمل المناورات الفرقية وتنتهي بانتقال الفرقة الى الجبهة كاحدى تشكيلات الفيالق الفرنسية .

وسرعان ما أصبحت الوصاية الحليفة مزعجة وكذلك كان الاشراف المباشر للجنرال بيرشنغ واركانه . وقد اظهر رئيس اركان الفرقة الاميركية الثانية الذي اصبح فيما بعد قائدا للفرقة الثالثة في نهاية عام ١٩١٨ بريستون براون مشاكله في كلتا الحالتين بالمثال التالي : « قبل الانقضاض على سان ميهيل بفترة قصيرة دخل ملازم شاب وعمره ٢٤ سنة الى مقر القيادة قادما من القيادة العامة وسأل : هل هناك ما يمكن ان افعله لكم ؟ فأجابه براون : منذ وصولنا الى هنا وجدنا انفسنا مضطرين لمقاتلة البريطانيين والفرنسيين والايطاليين والبلجيك قبل ان نتمكن من مقاتلة الالمان ، يمكنك الانصراف من هنا فورا » .

لم يكن بيرشنغ راغبا ان يكون للحلفاء اشرافا كبيرا او سلطة على قواته . وكان يرغب ايضا بالاحتفاظ بقبضة قوية عبر اركانه على جيشه . وكان هذا احد الاسباب الذي يجعل من العسير تقدير مهارة القادة الذين خدموا تحت أمرته . أولا تحت أمرة الحلفاء ثم بأمر بيرشنغ فلم تكن تسنح لهم فرصة لاظهار مقدرتهم . وقد حصل هنتر ليجيت كقائد جيش ميداني في الشهر الاخير من الحرب على قسط كبير من الاستقلال بعيدا عن الاشراف المباشر ولكن جيشه ومختلف الاركانات كانوا يخضعون الفرق الى تقييد شديد . وقد ساهم نوع المعارك في ذلك فمع بدء خروج الاميركيين من حرب الخنادق والانطلاق الى الهجوم تابعهم الاشراف الدقيق وهناك شك كبير في امكانية ذلك لو دامت الحرب المفتوحة الواسعة لمدة طويلة .

الزمن نفسه هو المسألة الاساسية والعنصر الهام في تقدير وتقييم قيادة الفرق . القليل منهم فقط من توفرت له الظروف لاظهار مهارته لان الاميركيين لم يساهموا بشكل كثيف الا في الاشهر الستة الاخيرة من الحرب . وقد وقع الهجوم الاول بقوة فوج يوم ١٨ ايار وقد وصل ما يقارب مليون وثلاثمايه

الف رجل من المليونين رجل الذين يشكلون قوة الحملة الاميركية خلال خمسة اشهر بين كانتيني والهدنة . ولم يدخل الجيش الاول المعركة حتى الثاني عشر من ايلول في « سانت ميهييل » أي شهرين فقط قبل نهاية الحرب .

وكما كان هناك تبدلات قد حصلت بين افراد الفرق جرت تبدلات مماثلة بين قادة الفرق أيضا ومن بين التسع والعشرين فرقة التي خاضت الحرب ثلاثة منها مر عليها اربع قادة مختلفين ، احدى عشرة فرقة تبدل عليها ثلاثة قادة وتسعا تبدل عليها قائدان وستة منها فقط احتفظت بقادتها . وهذا لايشمل القادة الموقتين . وطالما ان احدى وعشرين فرقة من هذه الفرق قد شكلت في صيف ١٩١٧ والثمانية الاخرى في نهاية الشتاء التالي فمن الطبيعي ان بضعة جنرالات فقط توفر لهم الوقت الكافي في القيادة او ممارسة قيادة مستقلة لفرقهم في القتـال .

وقد برز قادة جيدون تماما كما برز قادة سيئون . وقد كان الجنرال بيرشنغ فظا في عزله من فشل منهم . وفي وسط معركة الموز ـ ارغون في تشرين الاول عام ١٩١٨ عزل احد قادة الفيالق وثلاثة قادة فرق وعدة قـادة الويـة . وقد بلغ من الموضوعية ان يرى وان يحاول ان يفعل كثيرا ليكون الكل بالكل كقائد للحملة الاميركية وقائد للجيش الاول وقد دعى الجنرال ليفيت ليستلم المهمة الثانية . وقد كانت خطوة حكيمة . وقد أمر قائد الجيش الجديد باراحة افراده استعدادا للمعركة الاخيرة التي وقعت في الاسبوع الاول من تشرين الثاني .

عند تقييم القادة الاميركيين خلال الحرب علينا العودة دوما الى هـذه النقطة « الزمن » . لقد ساهمت الولايات المتحدة الاميركية في الحرب طيلـة تسعة عشر شهرا . ومن هذه المدة كلها ساهمت الحملة الاميركية في الحرب على نطاق واسع ستة اشهر فقط . وخلال هذه الفترة البسيطة ، تمكن كل من ليفيت هاينز وشارل سوميرال وقلة آخرون ، من اظهار مواهبهم كقادة . أما الآخرون مثل هاربورد الذي اشتهر كقائد لواء وقائد فرقة ناجح لم يبـد مناسبا من حيث السمعة بعد دراسة التقارير . وهذا لا يعني ان بيرشنغ لم

يكن قائدا كبيرا ولكن بيرشنغ نفسه لم يظهر ايـة مهارة في الاستراتيجية او التكتيك . ولكنه بسبب قيادته في تطوير الحملة الاميركية من اقل من مئة الف حتى مليوني رجل فانه يستحق كافة الامجاد . كان رائعا كمدير عسكري وكان دوما القائد وكل شخص يعرف ذلك .

وكما ان بيرشنغ قد انشأ الحملة الاميركية الى فرنسة فان بيتون مارش قد احيا وزارة الدفاع وهيئة الاركان العامة ودفعها الى مستوى عال من الفعالية في الثمانية اشهر الاخيرة من الحرب . وان مارش خلافا لبيرشنغ لم يصل الى مركز القوة الا بعد ان تعرض تنظيمه الى صدمات قاسية وتبدلات كبيرة . كان عليه ان يحطم النماذج الموضوعة ومنح القوة والفعالية الى مختلف الادارات ووضعها على خط المجهود الحربي . الجنرال « لير » ايضا عرف مارش في فترة ما قبل الحرب وكان يعتبره صلبا وقاسيا مع مرؤوسيه مثل بيرشنغ ، بل اكثر منه . ولقد برزت صلابته وبنفس الوقت فعالية وقدرة ادارته كرئيس لهيئة الاركا نعندما ثار على ضابط لديه كان يعرض عليه بعض الاوراق . فقد عرض هذا الضابط عليه وثيقة تتعلق بتسريح احد الجنرالات فسأله مارش عن سبب عرض ذلك عليه فأجابه الضابط بأنه فهم بأن هذا الجنرال هو صديق رئيس الاركان الجديد فانفجر مارش صائحا : « لا تعرض علي مطلقا ورقة اخرى لانك تعتبرها ذات علاقة بشخص ما تعتقد انه صديق شخصي لي . اريد ان يكون ذلك واضحا لك وللجميع في هذا المكتب انه لا يوجد لي اصدقاء كرئيس هيئة الاركان » . ويذكر دوغلاس ماك ارثر صفة اخرى لمارش : « كان رجل مباديء عندما يقول « لا » فانه يقولها بوضوح دون ان يجعل الابيض يبـدو اسودا والاسود يبدو ابيضا وعندما تغادر مكتب مارش فانك تفعل ذلك وان تعلم تماما ماذا كان يريد منك » .

وقد وقع عدد كبير من الخلافات بين الشخصيتين القوتين مارش وبيرشنغ نظرا لاختلاف وجهات نظريهما كرئيس للاركان وكقائد اعلى للحملة الاميركية الى فرنسة وقد وقعت أكثر المشاكل احراجا واثارة عند دراسة ترفيع بعض الضباط الى رتب العمداء والالوية . اول مواجهة حدثت بعد شهر واحد من عودة مارش الذي كان يعمل كقائد للمدفعية لدى بيرشنغ الى البلاد وتكليفه

بمهمة رئيس هيئة الاركان العامة وقد ارسل يسأل بيرشنغ رأيه حول جدول الترفيعات وعندما صدرت هذه الترقيات وجد بيرشنغ أن ثلاثة فقط من العشر ضباط الذين رشحهم بيرشنغ الى رتبة لواء قد حصلوا على الرتبة الجديدة وأقل من نصف المرشحين الى رتبة العميد . والاسوأ من ذلك ان ضابطا مدفعيا من اصدقاء مارش وكان يخدم انذاك ضمن الحملة الاميركيه الى فرنسة قد حصل على رتبة جديدة رغم ان بيرشنغ لم يرشحه لها . وقد احتج بيرشنغ الذي كان برتبة جنرال بأربع نجوم لدى مارش الذي لم يكن سوى لواء . وكان جواب هذا الاخير ان عليه شخصيا ان يفكر بالجيش ككل وانه وأن كان يقدر قيمة مقترحات بيرشنغ فان ذلك بنفس القيمة التي ينظر الى مقترحات باقي الضباط . لا اكثر ولا اقل .

وفي صيف ونهاية عام ١٩١٨ نشبت ازمة مماثلة من جديد . في تلك الاثناء لم يعد مارش مكلفا بأمور رئاسة الاركان فقط بل أصبح يشغل الوظيفة هذه رسميا بعد أن رفع الى رتبة اعلى ولكن ذلك لم يؤدي الى نتيجة افضل ، فقد تعود بيرشنغ ان تكون توصياته مستجابة . وأبعد من ذلك فقد شعر بعدم امكانية احتمال الوضع ان مارش كان يرفع ضباطا من حملته دون اخذ رأيه بما في ذلك دوغلاس ماك ارثر بالذات وخاصة هو .

وفي الوقت الذي كان مارش محقا بنظرته الى الجيش ككل كان عليه ان يبدي لباقة اكثر وينظر باعتبار نحو موقف بيرشنغ الخاص المتميز . ولم تحل المشكلة مطلقا . وتوقفت الترقيات مع توقيع الهدنة . وفي الاشهر التي تلت نهاية الحرب غضب ضباط الحملة الفرنسية على مارش عندما اعادهم الى رتبة الاصلية فور عودة وحداتهم وتشكيلاتهم الى الولايات المتحدة وسرحت . وبنفس الوقت حافظ الضباط الموجودين في وزارة الدفاع المحتفظ بهم برتبهم المؤقتة الفخرية نفسها .

كان كل من مارش وبيرشنغ أكفاء في عملهما القيادي العسكري ولكن الرأي العام ابدى اهتماما أكبر بالوجه القيادي البطولي كما قال موريس جانوويتس وكان بيرشنغ كقائد للحملة الاميركية الى فرنسة بعكس الصورة التي يفضلها

الجمهور . وقد لبى الكونغرس هذه الرغبة بمنحه رتبة « جنرال الجيوش » . في حين ان مارش اصبح كبش الفداء لكافة الشكاوى الناجمة عن الحرب (ومن السخرية ان معظمها كان يمس الحملة الاميركية الى فرنسة) والتي انتشرت بعد الحرب . وكان انعكاس ذلك ان رفض الكونغرس ترقية مارش الى رتبة جنرال بأربع نجوم ولا حتى بثلاثة نجوم وبذلك عاد الى رتبته الاصلية « لواء » في حزيران عام ١٩٢٠ وترك منصبه وتفاعد بعد سنة من ذلك ارضاء لشعور الرأي العام .

لقد تبدل دور القيادة والقادة الاميركيين بين عامي ١٩١٧ — ١٩٨١ وقد اظهر الضباط القادة مهارتهم من حيث التنظيم والادارة . ولكنهم ببساطة لم يسنح لهم الوقت الكافي لابراز هذه الكفاءة في قيادتهم للفرق والفيالق والجيوش وللسماح بتقييمهم كقادة ميدانيين . ومع ذلك كان من الصعب سواء على المدني او العسكري القبول بأن يكون الضباط الاميركيين المشهورين ضباط مكاتب . وللدلالة على هذا القصور في التفهم عبر عنه احد رجال الكونغرس في ربيع عام ١٩١٨ عندما اقترح بأن يحمل ضباط الاركان الذين يعملون في واشنطن شارة بيضاء على ذراعهم . ومقابل ذلك كان هاربورد الذي تولى قيادة الفرقة الثانية مدة لا تزيد عن اسبوعين بما في ذلك ما مجموعه يومي قتال فعلي يعتبر من قبل بيرشنغ وسواه من افضل قادة الفرق رغم ان ما حدث لهذه الفرقة في سواسون تحت قيادة هاربورد يدل على كفاءة هذا الضابط قد برزت في النواحي الادارية والتموينيــة .

في الحرب العالمية الثانية كان المدنيون والعسكريون على السواء قد تطوروا بشكل افضل وبالتالي لم يكن هناك نقص في التفهم لدور القائد العسكري . كما ان الحرب قد امتدت لفترة طويلة كافية لاختيار القادة العسكريين فعليا . بالنسبة لهؤلاء الضباط ذلك الوقت من التحول الكبير من جيش الحرب الاهلية الى جيش حديث ــ الحرب العالمية الاولى ــ كان قاعدة تدريبية ذات قيمة .

المراجـــع :

لقد اعتمد المؤلف على مقابلات شخصية بشكل واسع . ولكن من بين المصادر التي جرى استشارتها كان بيكر ، بيرشنغ ، هيوج سكوت واوراقهم في مكتبة الكونغرس ونصوص المقابلات التي جرت مع دنكان وماك ارثر وسمبسون، لير ، برادلي وفولوا وسوى ذلك من الوثائق .

ـ كوفمان ادوارد « الثغرة العسكرية الاميركية في الحرب العالمية الاولى : مجموعة ليفنورث في الحملة الاميركية الى فرنسة » ولدى ويليم كيفين « القيادة والقادة في الحرب الحديثة » (كولوراد سبرينفز كلية القوى الجويه ١٩٦٩) .

ـ كوفمان ادوارد « حد السيف : سيره بيتون مارش » (ماديسون منشورات جامعة ويسكنسون ١٩٦٦) .

ـ كوفمان ادوارد : « الحرب ونهاية كافة الحروب : الخبرة العسكرية الاميركية في الحرب العالمية الاولى » نيويورك منشورات جامعه أوكسفورد ١٩٦٨ .

ـ هاجدورن هيرمان : « ليونارد وود » سيرة حياته نيويورك هاربر ١٩٣١

ـ هاربورد جيمس « اوراق من مفكرة الحرب » نيويورك روود ميد ١٩٢٥

ـ هارت سير باسيل ليدل : « السمعة بين عشر سنين » بوسطن ليتل براون ١٩٢٨ .

ـ فينيفان جون : « الاستعداد العسكري في عصر التطور ١٩١١ ـ ١٩١٧ » لم ينشر . اطروحة للدكتوراه جامعة ويسكنسون ١٩٦٩ .

ـ جانوويتز موريس : « الجندي المحترف » نيويورك الصحافة الحرة ١٩٦٤ .

ـ كريدبورغ مارثن وهنري ، مرثون ج : « تاريخ التعبئة العسكرية في الجيش الاميركي ١٧٧٥ ـ ١٩٤٥ » واشنطن المطبعة الحكومية ١٩٥٥ .

ـ ليفيت هنتر : « الحملة الاميركية الى فرنسة : في فرنسة من عشر سنوات خلت » دود ميد ١٩٢٨ .

ـ مود بنتلي : « عشرون عاما كملحق عسكري » نيويورك منشورات جامعة اوكسفورد ١٩٣٧ .

ـ بالمر فريدريك : « اميركا في فرنسة » نيويورك دوود ، ميد ١٩١٨

ـ بيرشنغ جون « خبراتي في الحرب العالمية » نيويورك ستوكس ١٩٣١

ـ بوغ فورست « جورج مارشال : العذاب والامل ١٩١٩ ـ ١٩٤٢ » نيويورك فايكنغ ١٩٦٦ .

ـ كويك روبرت « مسألة شرف : وودرو ويلسن واحتلال فيلا كروز » . ليكسنغتون منشورات جامعة لنتسوكي ١٩٦٢ .

ـ سكوت هوغ « بعض ذكريات عسكري » نيويورك سننشوري ١٩٢٨ .

ـ سميث دونالد « حرب العصابات : المرحلة المبكرة من حياة جون بيرشنغ نيويورك سكريبنر ١٩٧٣ .

ـ ستيمسون هنري وبوندي ماك جورج « خدمة فعلية في السلم والحرب » نيويورك هاربر ١٩٤٧ .

ـ ويغلي راسل « تاريخ الجيش الاميركي » نيويورك ماك ميلان ١٩٦٧ .

تنظيم القوات المسلحة

ـ الخدمة الالزامية والتطوع : التجربة الكندية .

ـ مشاكل تعدد الثقافات وتعدد المواطنية في القوات المسلحة .

ـ الجيش النمساوي الهنغاري ١٨٦٨ ـ ١٩١٨ : موضوع دراسة القوات المتعددة الاعراق .

مقدمة الناشر :

طلاب الانظمة العسكرية يقولون ان القوات المسلحة كالمرآة تنعكس عليها المجتمعات التي تخدمها لدرجة انه لا يمكن للقوات المسلحة ان تكون اكثر صحة من المجتمعات التي تفرزها . وقال العديد منهم انه لتعميم القوة والفعالية ، على القوات المسلحة أن تكون مفصلة لتكون انعكاسا لمجتمعها قدر الامكان . في تنظيمها يجب ان تضم قسما كبيرا من كامل المجتمع الذي تخدمه ، عندها ستكون قادرة بشكل افضل لاقامة العلاقة مع كامل المجتمع الذي يمكن استخلاصه من قوة المجتمع بكامله .

هذه الحجة سمعت كثيرا وخاصة في نهاية الستينات ، عندما بدأ الاميركيون يناقشون فيما اذا كان من الضروري تحويل الخدمة الالزامية الى دور الاستعداد لحالات الانذار القصوى واحلال محلها في زمن السلم جيشا من المجندين بدل المتطوعين . ومن بين الاختلافات المتعددة لهذه الحجة اعطي اهتمام خاص لفكرة احتمال تحول الجيش المتطوع الى طبقة مستقلة نوع من الحرس البريتوري يوسع الشقة بين العسكري والمدني وبالتالي تضخيم سوء التفاهم والتوتر بين العسكريين والقسم الاكبر من المجتمع . ويقول معارضو الجيش

المتطوع ان هذا الاسلوب سيقلل من فعالية العسكريين كما سيعجل بزيادة حجم العسكريتارية الاميركية التي هي خطرة حاليا فعلا .

هناك علاقة تاريخية لا يمكن نكرانها بين الجيش المتطوع والديموقراطية السياسية . ان فكرة النهضة الجماهيرية هي من انتاج الثورات الديموقراطية في القرن التاسع عشر . ان جيشا شعبيا يعتمد على كامل القوة البشرية للامة « الجندي المواطن » يمكن ان يقدم دفاعا قويا لحكومة شعبية ضد الاخطار الخارجية ـ مثلما جيوش فرنسة الثورة برهنت على ذلك ـ بالاضافة الى ان جيشا شعبيا غير قادر على تهديد الحكومة الشعبية الخاصة به ، وفي مثال احدث فرنسي أيضا يبدو أن عدم رغبة المجندين الفرنسيين باطاعة الاوامر الصادرة عن الضباط المحترفين للعصيان ضد الجمهورية الخامسة مما كان له الدور الاكبر في انقاذ الرئيس شارل دوغول من اضطراره لمواجهة انقلاب عسكري في القارة الفرنسية عندما تخلى عن الصراع للاحتفاظ بالجزائر .

في الولايات المتحدة كانت نظرية الواجب العسكري للمواطن مبدأ الحكومة الشعبية منذ البداية ـ منذ أنظمة الميليشيا الاستعمارية حتى قبل أن تكون هناك ولايات متحدة ومنذ تحول التقاليد الاستعمارية من واجب عالمي الى خدمة عسكرية في الدساتير الجديدة للعصر الثوري والاعتراف بتقاليد الميليشيا في دستور الولايات المتحدة عام ١٧٨٧ ولائحة الحقوق واعادة انشاء عقيدة الخدمة العالمية في القانون الفدرالي منذ صدور قانون الميليشيا عام ١٧٩٢ . وقد بقي الجيش الوطني عبر التاريخ الاميركي متداخلا مع الجمهوريين : التقليد السياسي الجفرسوني والاعتماد على جيش محترف مع الفدرالية ، والتقاليد السياسية الهاملتونيـــة .

ولكن الكثير من النقاش حول الجيش المتطـوع كان موجها ومدارا على مستوى المبادىء والعقيدة . ففي الوقت الذي كان معارضو الجيش المتطوع يبرزون العلاقة التاريخية بين المواطن ـ الجندي والديموقراطية نظريا وولوا اهتماما قليلا الى الناحية العملية للموضوع وهي انه عبر التاريخ الاميركي كان

هناك وأجبا عالميا للخدمة العسكرية كان نظريا فقط وأن الولايات المتحدة قد أمنت دفاعهـا العسكري من الجيش المتطـوع دون أي خطـر خاص عـلى الديموقراطية . عمليا كان للولايات المتحدة جيشا متطوعا منذ مدة طويلة دون أي تأثيرات ضارة على الديموقراطية . وكي نكون دقيقين كا نالجيش صغيرا وحتى الجيش المتطوع في نهاية القرن العشرين كان يجب ان يكون اكبر ، ولكن نظراً لتطور الظروف واهمية هذا التبدل كان هناك اسبابا لدراسة اكثر واقعية للحقائق المستخلصة من خبرات الجيش المتطوع اكثر مما توفرت الظروف لذلك النقـاش .

ان بحث الاستاذ روي حول خبرة الكنديين مع القوات المتطوعة والمجندة ، محاضرة ألقيت في خريف عام ١٩٧٣ تتميز بالكثير من الواقعية . انه يبحث قليلا بالمبادىء والنظريات والعقائد مع التركيز اكثر على المناورات السياسية والاحداث المتميزة الخاصة . ان الموقف الكندي لا يوازي تماما الموقف الاميركي فيما يتعلق بالجيش المتطوع لان قلب المسألة الكندية مع الخدمة الالزامية كانت بكبر حجم الاقلية الناطقة بالفرنسية وبثقافتها . ولكن حيوية الديموقراطية الثابتة رغم الاستحالة العملية لكنـدا لخلق أمـة مسلحة يحتاج ويستحق الملاحظة ، عندما سمعنا كثيرا ان الديموقراطية تتطلب كنظام عسكري أمـة مسلحـة .

والسيد روي هو بروفسور بالتاريخ العسكري والدراسات الاستراتيجية في جامعة فيكتوريا ، كولومبيا البريطانية .

الخدمة الالزامية والتطوع :
التجربة الكندية

البروفسور ر.هـ. روي

لقد قيل عن الكنديين أحيانا أنهم « شعب غير عسكري » وذلك من قبل المؤرخين العسكريين داخل الحدود الوطنية الكندية أكثر من خارجها . وهذا صحيح الى درجة كبيرة ما عدا زمن الحرب . ففي الحربين الرئيسيتين اللتين زججنا بهما الحرب الكبرى والحرب العالمية الثانية اكتسبت القوات المسلحة الكندية لنفسها سمعة كبيرة . ففي الفترة بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ حقق الفيلق الكندي الذي كان يقاتل كجزء من الجيش البريطاني في فرنسة وبلجيكا سمعة طيبة لنفسه في معارك السوم وفي فيمي ريدج حيث اكتسب شهرة بكونه أحد أفضل الفيالق بين القوات الحليفة . ولم تكن تقريبا لبحريتنا وجود انذاك ورغم عدم وجود قوى جوية كندية فان حوالي ربع الطيارين المقاتلين والقاذفين في الفيلق الجوي الملكي والقوى الجوية الملكية كانوا كنديين الذين برزوا بين افضل ابطال المعارك الجوية في تلك الحرب .

في الحرب العالمية الثانية كان لدى كندا اكثر بقليل من مليون رجل وامرأة في صنوف الاسلحة الثلاث . وبالنسبة لدولة تعداد سكانها العام حوالي احد عشر مليونا ونصف فان ذلك كان ظاهرة بارزة . في هذه الحرب العالمية الثانية كان لدى كندا اسطولا يبلغ حوالي ٥٠٠ قطعة تضم من زوارق الطوربيد حتى حاملات الطائرات وجيش بري تعداده نصف مليون رجل وقوى جوية برزت من جديد بين السلاح الجوي الملكي وقاتلت أسرابها من بورما حتى الصحراء الغربية ومن بريطانيا حتى الالويتان .

وخلال هاتين الحربين كانت النسبة العظمى من الرجال الذين خدموا عبر البحار تبلغ ٩٥٪ واكثر من المتطوعين . ولكن الخدمة الالزامية غير معروفة في كندا وحتى ان مجرد ذكرها كان كافيا للتسبب ببعض الهزات السياسية في حين أن فرض مثل هذه الخدمة قد يؤدي الى استقالة الحكومة . وقد أدت فكرة الخدمة الالزامية الى أزمتين سياسيتين في التاريخ السياسي الكندي مازال تأثيرهما يتفاعل حتى اليوم ويؤدي الى التوتر والعصبية . ولثلاثين عاما خلت في بعض مناطق كندا كان هذا الموضوع قمينا باثارة النفوس ومنذ خمسين عاما ادى الى حادثين صغيرين في البدء تطورا الى صدام دموي .

ولكي نتفهم موقف الكنديين من الخدمة المتطوعة والالزامية في عصرنا هذا لا يمكن للانسان التغاضي عن تاريخ وخلفيات هذه الامة . ان السيطرة الفرنسية التي دامت مئة وخمسون عاما انتهت باحتلال كيبيك عام ١٨٥٩ من قبل القوات البريطانية بقيادة اللواء جيمس ولف وقد ادى النصر الذي تم في سهول ابراهام الى سيطرة بريطانيا على حوالي ٦٥ الف مواطن من الناطقين بالفرنسية ومعظمهم من المذهب الروماني الكاثوليكي . وقد استغل عدد قليل منهم هذه المناسبة للعودة الى فرنسة وعلى الاخص اولئك الذين كانوا يشغلون وظائف ادارية في الخدمات المدنية . والى جانب هؤلاء انقلة ، فان معظم الباقين من الذين كانوا ملاحقين او مساهمين بأعمال تجارة الفرو والسمك والاخشاب بقيوا في كندا . ومثلهم مثل جيرانهم الانكليز في القسم الجنوبي فان الزمن والمسافة قد لعبا دوريهما في خلق وجهات نظر مختلفة عن نظرتهم وتفكيرهم عندما كانوا في الوطن الام عبر المحيط الاطلسي .

وقد لعبت ثلاثة احداث في النصف الثاني من القرن دورا رئيسيا ليس فقط على تكوين مستقبل كندا فقط وانما وخاصة على الدور العسكري الكندي في السنوات التي تلت ذلك . بعد ستة عشر سنة من احتلال كويبك ــ فترة قصيرة في تاريخنا الاستعماري ــ اعلنت المقاطعات الجنوبية لكويبك الانفصال عن بريطانيا العظمى وطيلة سبع سنوات كانت هناك آراء متناقضة حول احتمال نجاح الثورة أم فشلها . وان عدم الاستقرار في المستعمرات الاميركية قبل عام ١٧٧٦ لم يلاحظها القادة العسكريون في اميركا الشمالية البريطانية ، خاصة في

كويبك . وان تسارع هجرة المستعمرين الانكليز نحو الشمال لم تتخذ طابعا ملحوظا بعد عام ١٧٦٠ ونتيجة لذلك فان حكام كندا كانوا أشد اهتماما بالمواضيع الجديدة لصاحب الجلالة . وقد احتفظ الفرنسيون مبدئيا بلغتهم وديانتهم وثقافتهم وبكلمة واحدة بمجتمعهم . وبالمقابل كان المنتظر من قبل الانكليز أن يحافظ رجال الدين والاقطاعيين على حيادهم لو وقعت ثورة في الجنوب بل من المحتمل ان يحملوا السلاح للدفاع عن كويبك لو حدث أن تعرضت الى الغزو . هذا الموقف الذي اتخذه الانكليز كبدهم ثمنا باهظا فالفرنسيون الكنديون كانوا اما حياديين او في وضع الدفاع السلبي . ونادرا ما كان القادة الانكليز الذين ينطلقون من كويبك يضطرون الى الالتفات للخلف او التخوف من الكنديين الفرنسيين . الواقع ان طلبات القوات البريطانية قد اعطت دفعا هاما لتوسع المدن الممتدة على طول سانت لورنس .

بعد عشر سنوات من الثورة الاميركية تبعتها الثورة الفرنسية وهنا ايضا نجد أحداثا كان لها تأثيرها على كندا . فبريطانيو شمالي اميركا لم ينجوا فقط من الثورة الاميركية بل استفادوا منها كثيرا . اذ للمرة الاولى قدم ألوف من الناطقين بالانكليزية الى الماريتيمز وجنوبي الكويبيك ، وكانت الهجرة التالية كبيرة لدرجة انها خلقت مقاطعة جديدة ــ سميت فيما بعد اونتاريو ــ كي تسمح للموالين للامبراطورية الموحدة ، كما كانوا يسمون ، ان يتمتعوا بالمزايا السياسية والقانونية وسائر المؤسسات التي تعودوا عليها . ولكن في الوقت الذي كانت فيه « كندا الانكليزية » تزداد كبرا كان عدد السكان الكنديين الفرنسيين يتزايد ايضا . ومع ذلك فان انقلاب الثورة الفرنسية على الكنيسة الروم الكاثوليكية كان له تأثير كبير على الكنديين الفرنسيين في كويبيك . فلم يكن هناك اي عطف على الثورة الفرنسية بين الفرنسيين الكنديين ولا على مبادئها . الواقع ان رجال الدين الكنديين الفرنسيين كانوا ينظرون برعب الى الاحداث الجارية في فرنسة وبفضل تأثيرهم واشرافهم على الثقافة في كويبيك ساهموا باضعاف العلاقة بين فرنسة الجديدة والقديمة . الحدث الثالث الهام حصل حوالي نهاية العصر النابوليوني . لا ضرورة للبحث في الاسباب التي قادت الى حرب عام ١٨١٢ بين بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ولكن أثرها

على كندا يستحق اكثر من مرور عابر . عندما اندلعت الحرب كان هناك حوالي ٩٥ الف ناطق بالانكليزية استعماري في اونتاريو وحوالي ٣٣٥ الف استعماري في كويبيك ، القسم الاعظم منهم كانوا من اصل فرنسي . وكانت اونتاريو مسرحا لمعظم المعارك وقد قاتل رجال الميليشيا الانكليز بصدق وبصورة جيدة بالتعاون مع الكتائب البريطانية النظامية في مختلف المعارك التي ساهموا فيها . ورغم وجود الكنديين الفرنسيين في مناطق بعيدة عن ساحة القتال ولم تكن لهم اية علاقة بها فان رجال الميليشيا التابعة لهم قد شاركت في القتال . وكانت مساهمتهم المشرفة في القتال وتقيدهم في انظمة الخدمة في المعسكرات او في تنفيذ باقي المهام وهم يخدمون تحت أمرة الملك جورج توازي مساهمة اجدادهم الذين قاتلوا تحت أمرة الملك لويس الخامس عشر في فرنسة نفسها . وللمرة الاولى قاتلت الميليشيا الناطقة بالفرنسية والانكليزية جنبا الى جنب وبالتعاون مع القوات النظامية البريطانية للدفاع عن وطنهم ضد سلسلة من الغزوات من الجنوب ولمدة طويلة نسبيا من الزمن .

واكثر من ذلك لقد نجحوا في قتالهم . وان نجاحهم هذا كما يقول البروفسور لووير ارسى قواعد المواطنية الكندية اذ لم يحدد فقط تصميم الشريكين في تثبيت مواطنيتهم في العمل والقتال جنبا الى جنب ولكنه أثبت ان بامكان كندا المحافظة على نفسها بواسطة الجهود المشتركة حتى ضد الجمهورية القوية القائمة جنوبها . كما تركت انطباعا بأن التهديد العسكري للامة الناشئة سيأتي من الجنوب فقط . وقد ساهمت اغارات فينيان عام ١٨٦٦ بالاضافة الى الانفجارات المتتالية لبعض السياسيين الاميركيين المتحمسين حول « تقرير المصير » للولايات المتحدة في تعميق هذا الانطباع الذي استمر حتى القرن التالي .

انهت كندا تكوين الامة عام ١٨٦٧ . وكان أحد الأسباب المباشرة الاساسية هو تهديد فينيان . فان الاغارات التي قام بها هؤلاء الاميركيين الثلاثة من أصل ارلندي عبر الحدود الكندية ، توجهت ، من حسن حظ كندا ، نحو كويبك واونتاريو مما اعطى وزنا لدعاة الكونفدرالية وبدأوا ينادون بأن الوحدة فقط يمكنها ان تعطي القوة لمختلف المقاطعات لتكون مساهمتها المشتركة فعالية خاصة

وان هذه الوحدة الكندية في الستينات من القرن التاسع عشر وخاصة الوحدة السياسية في المقاطعات الوسطى قد كانت هشة لدرجة ان الانشقاق السياسي كان يبدو واضحا جليـا .

ماذا حدث ؟ في نصف القرن الذي تلا نهاية حرب عام ١٨١٢ فتحت اميركا الشمالية البريطانية ابوابها للمهاجرين من اوروبا وبذلك تضاعف السكان البريطانيون بشكل مستمر . ولكن مع كل زيادة كانت النسبة بين الكنديين الناطقين بالانكليزية والفرنسية تزايد بشكل أدنى . وفي الخمسينات من القرن التاسع عشر بلغ تعداد سكان اونتاريو ولاول مرة اكثر من تعداد سكان كويبك

بالانكليزية . ثم بعد بضعة سنوات عندما اصبحت كل من مانيتوبا ، وكولومبيا البريطانية والمناطق الشمالية الغربية وجزيرة الامير ادوارد ومقاطعات السهول . . جزءاً من الاتحاد فان القاعدة الوطنية لمجموع السكان قد اصبحت بشكل واضح تميل نحو السيطرة الانكليزية .

هناك شك سواء في القرن التاسع عشر او حتى العشرين حول استمرار الناطقين بالانكليزية في اقامتهم في كندا لو لم تقل نسبة مواطنيهم الناطقـين بالفرنسية سواء من الناحية العددية او التأثير . وكان هذا الموضوع موضع خوف من قبل الكنديين الفرنسيين الذين اصروا على الاحتفاظ بثقافتهم ودينهم ولغتهم واسلوب حياتهم حتى اولئك الذين كانوا يقيمون في محيط اكثريته من الناطقين بالانكليزية . وقد زادت العائلات الكبيرة ذات الاصل الفرنسي من عدد السكان بحيث ارتفع من ٦٥ الفا ايام الغزو حتى فاق المليون عند اعلان الاتحاد الكونفدرالي . وقد تضاعف هذا العدد عند اندلاع الحرب العالمية الاولى واصبح حوالي عام ١٩٣٩ ثلاثة ملايين ونصف من مجموع السكان البالغ احد عشر مليونا ونصف من الكنديين سواء من هم من اصل فرنسي او انكليزي . المقارنة خداعة كما يقول « جون دون » ولكن في الآفاق التاريخية يمكن للاميركي ان يعود بذاكرته الى عام ١٩٤١ ويقدر مدى التأثير على الولايات المتحدة لو ان مثلثا ضخما ممتدا من فلوريدا حتى داكوتا الى جنوبي كاليفورنيا حيث يسيطر عليه رجال الدين وقوي بتقاليده الثقافية وافكار انعزالية يصمم على التصويت كتلة

واحدة عند شعوره بخطر يهدد كيانه ويمكننا ان نعتبر ذلك مقارنة عامة لحقيقة موقف الكنديين الفرنسيين وواقع مركزهم .

كيف وبأية طريقة تمكنت كلتا المجموعتين المؤسستين للقومية من انجاز المسائل الدفاعية والتلاؤم مع بعضهما البعض ؟ تاريخيا كانت كل مجموعة قد تصورت منذ مطلع الفترة الاستعمارية ان تكون خاضعة للخدمة العسكرية في فرنسة الجديدة كان على المواطن الكندي الفرنسي ان يخضع للخدمة العسكرية في سبيل حاكم المستعمرة وبذلك يكون في خدمة الملك . وكان يدعى بين آن وآخر في زمن الخطر ، لحمل السلاح ضد الهنود والمستعمرين الانكليز او الجيش الملكي البريطاني النظامي . بعد الغزو وبجانب الجهد الاستعماري المشترك ضد بونتياك لم يبذل أي جهد لجر الفرنسيين للقتال ضد المستعمرات الانكليزية الثائرة . ولكن مفهوم « النهضة الجماهيرية » بقي قانونا سائدا في البلاد . باختصار في فترة الاستعمار البريطاني كان كلا الناطقين بالفرنسية والانكليزية خاضعين لقوانين الميليشيا التي كانت تعطي للحاكم القدرة والصلاحية لدعوة كل ذكر قادر صحيا بين سن السادسة عشرة والستين للمساهمة في الدفاع عن البلاد في زمن الحرب وان يخضع الى تدريب عسكري في زمن السلم . وطالما ان كندا كانت مستعمرة فانها بالتالي كانت مقرا لتمركز وحدات عسكرية بريطانية فمن الطبيعي ان تكون المليشيا مستعدة للاشتراك في القتال بالتعاون مع القوات النظامية الانكليزية . وكان من الطبيعي ايضا ان تكون الميليشيا الكندية صورة طبق الاصل عن البريطانيين من حيث اللباس والتدريب والتنظيم الخ ... وقد تم تبني نظام الفوج البريطاني وما زال قائما حتى ايامنا هذه . وكانت الميليشيا المدربة والمزودة بالسلاح البريطاني نقلت اسلوبها التكتيكي من كراسات الجيش البريطاني وتبني نظام الرتب البريطانية وكانت التحية تقدم للعلم البريطاني ويؤدي قسم الولاء للتاج البريطاني واعطيت للكتائب اسماء بريطانية وبكاملة واحدة امتصت كتطبيق نموذجي كل ما تعودت عليه وارتاحت له . وبما ان كندا تابعت توسعها مع انشاء الخط الحديدي عبر القارة في عام ١٨٨٥ وبسبب تزايد وصول المهاجرين من بريطانيا واونتاريو قد ملأ السهول والمقاطعات الباسيفيكية فكان من الطبيعي ان على وحدات الميليشيا المؤلفة

حديثا أن تسلك مثال اولئك الشبان الذين تعودوا عليه في الشرق . وكان هذا سيحدث في كافة الاحوال حتى لو أن وزارة الميليشيا والدفاع التي أنشئت حديثا لم تفرض عليهم النظام لصالح الوحدة الوطنية والفعالية العسكرية .

في كويبيك ، وعلى الانسان ان يذكر انه ليس كل مقيم في المقاطعة الجميلة ينطق بالفرنسية فقد بقيت الميليشيا على فكرة مناسبة ليست بالضرورة على اسس زاهرة التي جاءت في عصر ما بعد الكونفدرالية . أول وزير للميليشيا كان كنديا فرنسيا وفي السنوات الثلاثين التي تلت ذلك فان أحد الوزراء الماهرين الذي احتل هذا المنصب لمدة تزيد عن عشر سنوات كان فرنسيا كنديا آخرا وهو السير ادولف كادون .

منذ البداية كانت الخدمة في صفوف الميليشيا على اساس التطوع الاختياري رغم ان حق فرض « التعبئة الجماهيرية » بقيت في بطون الكتب فقط . أما أسباب اتباع أسلوب التطوع الاختياري ليس صعب الاكتشاف اذ بعد الخوف الذي خلقته اغارات فينيان فان العلاقات بين الولايات المتحدة وكندا تحسنت بشكل متين خاصة بعد معاهدة واشنطن عام ١٨٧١ التي حلت الكثير من الخلافات القائمة بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى . ففي غياب الدافع للخوف لم تكن هناك حاجة للمحافظة على حجم كبير من القوات حتى عندما سحب البريطانيون وحداتهم النظامية في عامي ١٨٧٠ — ١٨٧١ . سبب رئيسي آخر وأيضا مبرر آخر هو كلفة فرض أي شكل من الخدمة الالزامية . وقد احتج عدد كبير من اعضاء البرلمان على التكاليف التي يتطلبها الاحتفاظ بعدد قليل من القوات النظامية الدائمة التي انشئت كي تحل محل القوات البريطانية التي سحبت . وبالتالي لم يحتج الكنديون لاقامة قواعد للسكن اذ استلموا واحتلوا الثكنات البريطانية وكذلك قواعد ومرابض المدفعية وسواها من المنشآت العسكرية التي أعطيت لها .

ان الدعوة للاحتفاظ بالمؤسسات العسكرية الكندية على ادنى مستوى ممكن يعود الى الضائقة الاقتصادية التي كانت تمر بها الحكومة الفدرالية وكان هذا العذر كثيرا ما يتكرر وقد لعب هذا العامل دورا هاما في انشاء والمحافظة على نظام التطوع في كندا وهو بالتالي يحتاج الى بعض الاهتمام . مرت حوالي

عشرون سنة بعد الكونفدرالية قبل ان تبني كندا خطا حديديا يصل بين الشرق والغرب . وقد كانت الحاجة الى توحيد البلاد جغرافيا واقتصاديا نوعا من التحدي للامة الجديدة وبنفس الوقت وضعتها في موقف المستدين بشكل متزايد وبدون امكانية السداد . وعندما اقترحت بريطانيا في عام ١٨٧٠ – ١٨٨٠ ان كندا تستطيع تحمل مسؤوليات عسكرية اكبر لدفاعها الذاتي ، ذكرتها كندا بالملايين التي كان عليها دفعهما من تكاليف الخط الحديدي الذي متى تم سيقدم الدعم للامبراطورية ويخدم هدفا استراتيجيا في اطار الدفاع عن الامبرطوارية . والسكة الحديدية لم تكن سوى بابا واحدا للمصروف . فالبلاد واسعة وقسم كبير منها لم يمسح بعد . وكانت هناك اصوات ترتفع مطالبة بالطرقات والقنوات والجسور وتسهيلات بحرية وتأمين مناطق اقصى الشمال وألوف من المتطلبات الاساسية الاخرى لخلق نظام التوسع الوطني .

لذلك فقد عانت الميليشيا الكندية كنتيجة للدخل الوطني في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر . وكلما توغلت السكك الحديدية في المناطق التي ندعوها اليوم مقاطعات البراري في وقت كانت فيه حيوانات البافالو تقترب من الزوال وحكومة مقترة قادرة على تجاهل الرجاء اليائس للسكان الاصليين ، فانفجر العصيان في الشمال الغربي عندما حمل الهنود السلاح تحت قيادة لويس رييل وهو خلاسي كندي فرنسي . وكان هذا العصيان اخطر موقف يواجه كندا فيما بين حرب عام ١٨١٢ والحرب الكبرى ونجم عنها ارسال ٧ آلاف رجل من الميليشيا الى الغرب لتحريره . كافة هؤلاء الرجال كانوا متطوعين قدموا من كافة مقاطعات الاتحاد وبالتالي غير مؤهلين للعمل الجدي في ساحة القتال لدرجة ان اضطر السير ادولف كادون الى الاعتماد على تنظيمين رئيسيين من الحرس الوطني للمحافظة على بقاء القوات في المعركة . وخلال صيف عام ١٨٨٥ كان على سكة حديد الباسيفيك الكندية وشركة خليج هدسون مسؤولية نقل الامداد الى الميليشيا مؤمنة المواصلات بين أوتاوا ومختلف الاركانات في ساحة القتال مؤمنة تمويل القوات من المصادر المحلية وبصورة عامة ان تهتم بكافة الاحتياجات الادارية لقوات مسرح العمليات الشمالي الغربي . وقد ادى العصيان الى تحسن بسيط في الميليشيا ولكن شنق لويس رييل قائد العصيان كان سببا لاثارة

عاصفة من الاحتجاج في كويبك التي على المدى الطويل كانت سببا لاظهار الكسب القليل الذي دخل وزاد بقوة الميليشيا وفعاليتها .

في عام ١٩١٤ كانت كندا تملك جيشا نظاميا مؤلفا من ثلاثة آلاف رجل وميليشيا أو قوات أحتياطيه تقدر بحوالي ٥٥ الفا وقد زاد هذا العدد الاخير بحوالي ٢٠ الفا منذ نهاية القرن . وكان ذلك انعكاس جزئي لزيادة تعداد السكان الكنديين من أقل من خمسة ملايين في عام ١٨٩١ الى أكثر من سبعة ملايين عند اندلاع الحرب ، ولكنه بصورة خاصة كان يعكس حماس وزيري الميليشيا عبر سلسلة من الاصلاحات والتحسينات التي أدخلت على الميليشيا نفسها . بالتوازي مع ذلك الميل في كندا ما يمكن دعوته بفكرة الامبريالية او قد يكون من الافضل الاستعراض المتضخم للزهو الذي اصاب الكنديين الذين شاركوا متعة في منجزات وغزوات الامبراطورية البريطانيه في مطلع القرن . لا توجد هناك طريقة لقياس هذا الشعور ولم يكتب سوى القليل عنه ولكن تفحص اسس ونمو العديد من الكتائب الميليشيا الكندية خلال العشرين او الثلاثين عاما التي سبقت عام ١٩١٤ يقودني على الاقل الى الاعتقاد بأن ذلك كان أحد العوامل التي يجب أخذها بعين الاعتبار كي نفهم لماذا نجح اسلوب التطوع كما نشاهد .

ربما كان من المناسب هنا ان نضع احدى وحدات الميليشيا الكندية تحت المجهر ودراستها باختصار . لا شك بأن لكل منها مزاياها الخاصة ولكن هناك الكثير من التشابه بينها اكثر من الاختلافات التي تفرق بينهما . ان روح الحركية الكامنة وراء جذور وحدات الميليشيا كانت أساسا مجموعات صغيرة من المواطنين المتحمسين الذين لاسباب متنوعة شعروا بأن هناك ضرورة ماسة للمجتمع ان يتوفر لديه مثل هذه الوحدات وكانوا على قناعة تامة بأن باقي أعضاء المجتمع سيساعدونهم ويؤيدون فكرتهم . وتبعا للظرف القائم فسيدعى الى اجتماع عام يشرح للحضور فيه الفكرة المطروحة ومخطط العمل بها ويطلب من الشباب تقديم طلبات الانتساب الى مكتب الحاكم المحلي ليرسلها الى اوتاوا طالبا الموافقة على تشكيل الوحدة . فاذا جاءت الموافقة من اوتاوا فان لائحة بالمتطوعين ةرسل الى رئيس المؤتمر في كل حي ، وسيعمل بنفس الاسلوب في

حفلات الرقص العامة والكنائس مما اثار حماس الشباب في ذلك الحين . وكانت تنظم رحلات جماعية لكل وحدة ورحلات صيد ومناورات ومعسكرات صيفية وتدريب على الرمي في قاعات مغلقة وفي حقول خارجية للرماية وكانت الحكومة هي التي تؤمن الذخائر اللازمة وكذلك المنشآت اللازمة لكل وحدة او فوج مع ملاعب للتزلج وسواها أي ما يمكن تسميته في يومنا هذا « مساهمة المجتمع » في الميليشيا الكندية وكان هذا الاسلوب سببا لترغيب العديد من الشبان مما دفعهم الى الاستمرار في التطوع وتقديم خدماتهم بشكل قد يدعوه علماء الاجتماع « بروح الجماعة » .

ولكن هذا كله لم يتم بسهولة رغم ان الأموال التي كانت تقدمها الحكومة لدعم الميليشيا كانت تتزايد في السنين التي سبقت الحرب فلم يكن احد يستطيع الادعاء بأن الراتب هو الذي كان يغري رجل الميليشيا للالتحاق بها . وكثيرا ما كان العديدون يعيدون الى خزينة الوحدة الاموال التي قبضوها خلال العام عدا الاوقات التي كانوا يقضونها في المعسكرات الصيفية ولم يكن باستطاعتهم قبض رواتبهم من المؤسسات التي كانوا يعملون فيها او الشركات الفردية

وينطبق ذلك على الضباط ايضا فالواقع ان اي رتيب يخدم في صفوف الميليشيا لم ينتظر أن يدفع له راتبا مقابل ذلك بل كان هو نفسه يدفع ثمن لباسه واشتراكه في النوادي واحيانا يتبرع بمبلغ معين لمساعدة وحدته . وقد تسمح اوتاوا بأن يكون لكل فوج فرقة موسيقية خاصة ولكن تأمين الادوات الموسيقية يتطلب وقتا أحيانا بضع سنوات . كما كان بامكان كل فوج ان يزيد من قوته بضم وحدات صغيرة من القرى المجاورة ولكن كان عليه ان يؤمن لها قاعات التدريب والمدربين واحيانا مقابل ثمن ... اضافة الى السلاح اللازم وقد تؤمن ذلك الوحدة نفسها . حتى المبالغ التي كانت تمنح للوحدات لتدفعها اجور عشرة او اربعة عشر يوم تدريب في العام. لم تكن في الواقع تدفع للايام التي تطوع فيها الشبان من قبل الرؤساء بل كانت تستخدم لرفع الفعالية القتالية للوحدة. مقر قيادات الميليشيا مثلا توقعت من عناصر وحدة التنين ان تؤمن لنفسها المبالغ اللازمة لها وتدفع للعناصر اجور ايام التدريب الصيفي فقط . باختصار كان كل رجل ميليشيا يتوقع بأن أية حكومة متفهمة ستظهر رضاها ماديا

مقابل الخدمات التي كانوا يقدمونها وكانت بالفعل تفعل ذلك . ولكن الروح الوطنية ومفهوم الواجب والاهتمام الذي ابدته مختلف الوحدات الذي كان دافعا لتلاحم الافراد فيما بينهم ظهر تأثيره في حجم المتطوعين الذين انضموا الى صفوف الميليشيا فتزايد عددها الى حد كبير وبالتالي قوتها . كما أن تعاظم الخطر الذي كان يهدد اوروبا زاد في هذا الحماس دون ان ننسى ان الدور الاكبر كان للقيادات وحماسها ودعمها لوحدات الميليشيا في السنوات التي سبقت الحرب وما تلاها من سنين .

من نافلة القول ان كل وحدة تتألق وينخفض مستواها تبعا لقائدها ، والنتائج وحدها هي التي تقيم القادة . ومع ذلك لا بد من القول انه بالنسبة لوحدة او فوج الميليشيا فان دور القيادة يكتسب اهمية اكبر اذ على فعاليتها وكفاءتها تعتمد بقاء او زوال الوحدة كليا . قد يستمر الفوج لدورة مدتها اربع او خمس سنوات بقيادة قائد كسول او غير كفوء ولكن استمراره اكثر من ذلك يتطلب صفات متميزة من قبل القائد الاكبر يؤمن لها القيادة والابتكار والمتطلبات اللازمة لاستمرار حياتها . الضابط الجيد فقط هو القادر على بث الحياة في قيادته ولكن هذا لا يكفي في حالتنا هذه بل عليه ايضا ان يؤمن لوحدته الدعم المادي والسياسي . عندما كان يختار احد الاشخاص المحليين من بين المواطنين الصالحين لقيادة فوج واعطائه رتبة مقدم كان هذا يعني انه قادر على تأمين الدعم المادي للوحدة . اضافة الى ذلك كان كل عضو في البرلمان المحلي او عضو في الجمعية التشريعية يستمد التأييد السياسي ويكسب اصوات الناخبين تبعا لما يظهره من استعداد لتقديم الدعم الى وحدات الميليشيا ووحدة قريته او مدينته بالذات . لا شك ان المتطوعين كانوا بحاجة الى أي دعم خارجي لذلك كان اختيار الضباط يتم وفقا لما يستطيعون تقديمه الى الوحدة من الدعم وما يجلبون معهم من تأييد سياسي .

تفرض الحروب توترا شديدا على أعصاب الامة وتخضع التجربة كل عصب من اعصاب الدولة . وكلما طال أمد الصراع وزادت المعارك كثافة وشدة كلما تزايد تلاحم الامة واشتد التعاون بين افرادها . قليل من الدول فقط

اذا وجدت تعرف مسبقا ابعاد ونتائج أي صراع تدخله ، وهذا واقع بالنسبة الدول العظمى في مستعمراتها وحلفائها عام ١٩١٤ .

استقبلت كندا اندلاع الحرب بفورة من الحماس الوطني . وكانت الفرق الموسيقية وحملة الرايات والجماهير الهاتفة واندفاع الشبان الى التطـوع كان شبيها بالذي كان يجري في باقي المستعمرات وفي الجزر البريطانية نفسها . حتى في كويبيك حيث نمت المعارضة ضـد المساهمـة الكندية في المغامرات الامبرياليـة البريطانية عبر البحار . عبر رجال الدين الرومان الكاثوليك عـن تأييدهم للقضية وصرحوا بأنه يمكن لبريطانيا ان تنتظر دعما بالرجال والمال من « المقاطعة الجميلة » وجاء صوت الرجل السياسي المعروف والناطق الرسمي باسم كندا الفرنسية ورئيس وزراء كندا الاسبق السير ويلفريد لورييه ، قويا يدعو كافة الكنديين للوقوف وراء الوطن الام وقد حافظ على هذا الموقف طيلة مدة الحرب . وكان خصمه الوطني هنري بوراسا الذي كان رئيسا لتحرير احدى اكثر صحف كويبيك احتراما « الواجب » قد اعلن عن تأييده مبدئيا وكتب يقول ان على كندا واجبا وطنيا للمساهمة وفقا لمواردها . ولكن بوراسا اقترح ان على كندا ان تأخذ بعين الاعتبار بماذا يمكنها المساهمة . ولكن مع تزايد عدد الرجال الذين تطوعوا وقد فاق عددهم ما هو متوفر من ألبسة عسكرية واسلحة اغفلت هذه الكلمة خاصة وان معظم الشعب كان يعتقد ان الحرب ستنتهي خلال بضعة اشهر فقط . ومن الاهمية بمكان التنويه بأن من انست وثلاثين ألف كندي الذين ارسلوا عبر البحار في شهر تشرين الاول عام ١٩١٤ فان القسم الاعظم منهم كانوا من اصل (مولودين) انكليزي والترتيب الثاني من حيث الاكثرية كانوا كنديي الاصل وجزء صغير فقط أي ١٢٤٥ رجل فقط كانوا من الكنديين الفرنسيين .

ومنذ ان تمحورت مشكلة الخدمة الالزامية سواء في عام ١٩١٧ وعام ١٩٤٤ حول موقف كويبيك تجاه الحرب (رغم انه ليس لها معنى معين) فان هناك ضرورة لدراسة اعمق نحو الموقف الكندي الفرنسي تجاه المسائل العسكرية . منذ بداية تشكيل القوات المسلحة الكندية أعطي اهتمام خاص لادخال وحدات من الكنديين الناطقين بالفرنسية سواء في وحدات الميليشيا والقطعات النظامية .

وكما راينا سابقا بعض اوائل وزراء الميليشيا كانوا من كويبيك . وكانت كتيبتان من القوات التي ارسلت للقضاء على عصيان الشمال - الغربي عام ١٨٨٥ كانت من الكنديين الفرنسيين ولكن ما ان وصلتا الى ساحة المعركة حتى توجهت جهودها نحو الهنود اكثر مما كانت موجهة ضد الناطقين بالفرنسية ، والرومان الكاثوليك العصاة . وقد عملت وحدة صغيرة في حرب جنوبي افريقيا . لم يكن لدى رجال الميليشيا في كتائب الناطقين بالفرنسية روابط عاطفية تجاه التقاليد البريطانية كالتي كانت واضحة في الوحدات الاخرى ولكن كانت هناك دوافع اخرى تدفعهم للتطوع . ان الهيبة التي يمنحها لهم الرداء العسكري الملكي ، والراتب البسيط الذي كانوا يتلقونه في فترات المعسكرات في الاوقات العصيبة وكذلك النشاطات الاجتماعية في داخل الافواج بالاضافة الى الفرصة التي كانت تتاح للضباط الكبار لتوزيع بعض المميزات او كسب بعض التأييد السياسي وكانت هذه الدوافع وسواها هي التي جذبت الشبان الى التطوع . ومع ذلك فان قوة وتأثير الميليشيا في كويبيك كانت نسبيا ضعيفة . ففي الكلية الحربية مثلا كانت الدروس التي تعطى لضباط المستقبل باللغة الانكليزية . وكانت نتيجة ذلك جزئيا ان من بين الالف الاولى من المتخرجين كان بينهم ٣٩ فقط من الكنديين الفرنسيين . وكان على الضباط الراغبين بالحصول على رتب أعلى ان يتبعوا دورات في الكليات الانكليزية - وكان هذا حاجزا آخرا في طريق تأثير الكنديين الفرنسيين . وعلى مستوى ادنى كانت كافة التعابير المستخدمة سواء في القيادة او التدريب هي انكليزية . في عام ١٨٧٠ كان يوجد خمسة عشر كتيبة مشاة كندية فرنسية في حين بلغ تعداد الناطقين بالانكليزية ٦٤ كتيبة . في عام ١٩١٤ اصبح تعداد الانكليزية الكندية خمسا وثمانين كتيبة وبقيت الفرنسية على حالها أي ١٥ كتيبة .

لا شك ان النسبة المتدنية من الكنديين الفرنسيين الذين تطوعوا للخدمة عبر البحار في عام ١٩١٤ كان انذارا لوزير الميليشيا الكولونيل سام هيوجز ولكنه فضل تجاهله ، بالفعل فان هذا الرجل بجذوره العميقة في تنظيم اونتاريو ونظرته التقليدية المعادية للفرنسيين والرومان الكاثوليك تمكن من جذب ميليشيا

كويبيك منذ استلامه للوزارة في عام ١٩١١ . وكان يأمل من زيادة عدد عناصر الكنديين الفرنسيين في مكاتب أوتاوا في غياب هيوجز عبر البحار زيدة عـدد الكتائب المؤلف من عناصر الكنديين الفرنسيين للخدمة خارج البلاد في عام ١٩١٥ أي الفوج ٢٢ الملكي المشهور . وقد أدى غباء هيوجز وعدم استفادته من الفرص في السنوات الاولى من الحرب وآثارها الى فاجعة . اضافة الى ذلك فان سياسيي كويبيك الذين بدأوا بالتساؤل عن حاجة كندا لوضع كل هذه الجهود ويطالبون بمميزات جديدة للكنديين الفرنسيين كثمن لتأييدهم المساهمة في الحرب وقد ادى ذلك احيانا الى أزمات عسكرية سياسية .

ومع استمرار الحرب وتزايد الخسائر والاصابات تزايدت الحاجة الى الرجال لملء الشواغر في صفوف الفيلق الكندي ، فشكلت لجان للدعوة الى التطـوع وحاولت المنظمات الوطنيـة تشجيع الشبان عـلى الانضمـام الجيش وساهمت في ذلك الصحافة والمدارس والمنزل . وقد قال احد المؤرخين الذين كتبوا حول تلك الفترة : « في عام ١٩١٨ كان الموقف المسيطر للمدنيين تجـاه الحرب هو ايمان موحد بحقيقة كلمات الترنيمة الحربية في الكنيسة حرفيا » : « ابن الله قد ذهب للحرب ، لكسب تاج ملكي ، رايته المخططة بالدماء الحمراء الملتهبة من يتبع خطاه ؟ » .

رغم ان المتطوعين قد تقدموا بعشرات الالوف فقد ارتفعت خلال عام ١٩١٧ اصوات تطالب بالتجنيد الالزامي . وقد ادت الحاجة الى الرجال بعد معارك السوم وفيمي ريدج وسواها وكذلك توقف الجبهة الروسية والوقت اللازم لوصول القوات الاميركية الى الجبهة وضرورة المحافظة على القدرة القتالية للفرق الكندية ، برئيس الوزراء الكندي السيد روبرت ليرد بوردن الى الاعـلان في أيار عام ١٩١٧ بأنه يشعر بأن الخدمة الالزامية ضرورية وان قرار حزب المحافظين هو العمل على تحقيق ذلك . وانه كان يفضل ان يؤلف حكومة وطنية تتشارك بالسلطة والمسؤولية فيها عناصر من المحافظين والليبراليين كرمز للتصميم الموحد من قبل الحزبين للمتابعة والمساهمة بالحرب الى اقصى مدى . وعلى الرغم من ذلك رفض لوريه قبول هذا العرض . القيادة السياسية في

كويبيك بين لوريه وبوراسا كانت متوترة فاذا استطاع بوراسا اقناع كويبيك ان صوته فقط هو الذي يجب ان يسمع فان كندا الفرنسية ، كما يخشى لوريه ، ستكون اكثر عزلة ومنغلقة على نفسها اكثر من أي وقت مضى . وبنتيجة ذلك نظم بوردين انتخابات بهدف تأكيد نجاح قانون الخدمة العسكرية في آب ١٩١٧ . وقد تمكن بدون لوريه من اقناع العديد من الليبراليين لتأييد فكرته في حكومة اتحاد وطني ، وفي كانون الاول عام ١٩١٧ جرت انتخابات وقد حصلت الحكومة الاتحادية على الاغلبية الساحقة عدا في كويبيك . فقد صوت الكنديون الفرنسيون لصالح الليبراليين ولكن الحزب الليبرالي كحزب وطني يمثل مختلف شرائح الاتحاد بدا وكأنه قد هزم . فاذا كان الكنديون الفرنسيون قد صوتوا بقلوبهم فان الناطقين بالانكليزية قد فعلوا مثلهم .

ان الاضطرابات التي كانت تحدث بين الحين والاخر في كويبيك واحتجاجات الفلاحين والشكوك حول العمل المنظم الذي جاء كنتيجة للتجنيد لم تكن ذات اهمية كبرى على المدى الطويل . وكانت الحرب قد اقتربت من نهايتها عند وصول اوائل المجندين الى فرنسة ، ولم يكن كافة المجندين مطلقا من الكنديين الفرنسيين . وكان تأثيرهم على نتيجة الحرب لا تذكر .

ان الناحية الهامة الكبرى كانت تركيز الحزب الليبرالي على كويبك والحاجة الى قائد لفترة ما بعد الحرب السيد ويليم ليون ماكنزي كنج لاعادة بناء الحزب.

كان كنج رئيس وزراء كندا بين عامي ١٩٢١ و ١٩٣٠ ثم بين عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٨ . وكانت الصفعة التي وجهها الحزب الليبرالي الى موضوع الخدمة الالزامية رسخت في ذهنه وبدأ في العملية الطويلة والمؤلمة والصعبة الهادفة الى اعادة تنظيم الحزب وجعله من جديد ممثلا لكامل كندا وقد صمم على الا يكون هناك من جديد موضوعا كالخدمة الالزامية او سواها مما يؤدي الى تجزئة الامة الكندية على اساس عنصري . ولا يمكن تفهم السياسة العسكرية والسياسة الخارجية الكندية الا من هذا المنظور خلال الربع قرن التالي . وبقيت القوات المسلحة الكندية في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن صغيرة جـدا نسبيا ولم يشاهد أي تطوع جديد تقريبا . فقد بدا في العشرينات انـه ليس

هناك أي خطر يهدد كندا ولا الامبراطورية . وعندما لاح شبح التهديد في الثلاثينات كانت طلبات تخفيف الضغط عديدة لدرجة ان القوات المسلحة الكندية كانت من حيث العدد ادنى مما كانت عليه عام ١٩١٤ . وبمهارة فائقة أبعد الوزير الاول كنج الامة الكندية عن كل ما يمكن أن يزج بها في المسائل العسكرية للامبراطورية او الاوروبية . حتى عصبة الامم بما لها من اهتمامات بين آن وآخر واضطرارها الى فرض عقوبات او التدخل كان يثير خوفه . وقد اتبع سياسة العزلة المبنية على الحياد وعلاقات الصداقة مع الولايات المتحدة الاميركية والمثالية من حيث المبادىء القائلة بأن ما من رجل دولة يبلغ به الجنون الى اعلان حرب اخرى . مما منحه بعض الراحة التي كان هو نفسه والحزب الليبرالي بحاجة اليها ليتابعا مهمة بناء كندا الكبيرة والموحدة .

وقد حملت الحرب العالمية الثانية معها كافة الكوابيس التي كان كنج يخشاها . حتى قبل اندلاعها أعلن كلا الحزبين انهما ضد فرض قانون الخدمة الالزامية رغم ان قائد الحزب الاشتراكي الكندي الصغير كان عاملا بشكل كاف ليضيف موافقته على رأيهم قائلا : « انه اذا اضطررنا فعلا للدخول في الحرب فلا بد اننا سنضطر الى الخدمة الالزامية » . ومن جديد كان الشعور العام بان الحملات الكبيرة الى خارج البلاد هي من صفات العصور السابقة واحداث الماضي مع الوعد بأنه لن يرسل اي متطوع للقتال خارج البلاد . دعم كنج موقفه في كويبيك وكضمان مضاعف صرح وزراؤه من كويبيك علنا بأنهم سيستقيلون لو اتخذ قرار بفرض الخدمة الالزامية .

ولكن ومع الاسف لم يكن الحزب الليبرالي هو الذي حدد مراحل تطور الحرب . اذ ان النجاحات الالمانية في عام ١٩٤٠ المستمرة قضت على فكرة الحرب القصيرة الامد وتلا ذلك الانتصارات الالمانية في روسيا وشمالي افريقيا بالتنسيق مع الانتصارات اليابانية في اواخر ١٩٤١ و ١٩٤٢ ابرزت ضرورة استعداد البلاد الى بذل جهود حربية تامة على مستوى الامة بكاملها . هذه التبدلات أدت الى تحول جذري في موقف الرأي العام الكندي . وتصاعدت الاصوات في كل جانب داعية الى المساواة في الخدمة وببطء وجد كنج نفسه

مضطرا الى الاستسلام وكان قانون تعبئة كافة الموارد القومية عام ١٩٤٠ قد سمح للحكومة باستدعاء الشبان الى الخدمة الالزامية في كندا نفسها ثم بعد حادث بيرل هاربور انشئت ثلاث فرق مشاة كاملة للدفاع عن البلاد . وفي مطلع عام ١٩٤٢ اعلن كنج عن استفتاء يحرر الليبرآلية من قرارهم السابق حول معارضة الخدمة الالزامية . وجاءت نتيجة الاستفتاء لتعطي للحكومة حرية التصرف بأغلبية ٦٤ بالمئة . وهذا يعني ان اونتاريو قد اعطت ٨٤ صوتا مؤيدا في حين ان كويبك ٢٨٪ فقط . وهذه الحرية بالتصرف لا يعني فرض القانون فورا وبصورة آلية بل مرهون بالضرورة له . ولم يسمح كنج للقوات المسلحة بأخذ أحتياجها من الاحتياط الكبير برجال المشاة المدربين الا في النصف الاخير من عام ١٩٤٤ وذلك عندما احتاجت اليهم في قتالها في ايطاليا وفرنسة . وقد وقعت بعض المشاكل في معسكرين او ثلاثة في كولومبيا البريطانية ولكن لم يحدث أي حادث على مستوى العصيان الذي كان كنج يخشاه . وكان للاسلوب الطويل والبطيء للتحضير للخدمة الالزامية خارج البلاد مفعوله في التهيئة النفسية ، فالحرب كانت على وشك الانتهاء وان قضية الحلفاء عادلة . ويمكن اضافة انه رغم وجود نسبة عالية من الكنديين الفرنسيين في تلك المجموعات وخاصة من اشد مراكز المعارضة فان كويبك ككل كان لها اساس افضل للتجنيد في الحرب الثانية عنها في الاولى .

في الفترة التي تلت عام ١٩٤٥ زادت كندا قواتها المسلحة بالنسبة لتعداد السكان فيها واحتفظت بهذه القوات كما احتفظت باحتياطها على اساس تطوعي اختياري . وكانت حرب كوريا بالاضافة الى قرار كندا بالانضمام الى حلف الناتو جعلت من القوات المسلحة الكندية حجما بلغ ١٢٠,٠٠٠ رجل ، رغم ان هذا العدد قد قل مؤخرا .

وقد استمرت نظرة الشبان الكنديين على تقليدها السابق انما بالاضافة الى انه اصبح الراتب عاليا واقامة ممتازة واجازات مسهلة سواء في الجنوب أو في اقصى الشمال وناحية خاصة للكنديين فرصة الخدمة عبر البحار في صفوف قوات الناتو او الامم المتحدة . والعلاقة بين التعبئة والاحتفاظ من جهة

وبين الناحية الاقتصادية للدولة استمرت في تأثيرها حاليا كما كانت في الماضي ولكن يبدو ان ذلك قد عدل بسبب كرم وسخاء الخدمات الاجتماعية على المستوى المحلي في القاطعة او الحكومة الفدرالية . واستمر كل فرع من فروع الخدمات بانتقاء العناصر الاخصائية اللازمة له وتحديد السن رغم التوحيد . وبالفعل مازال موضوع تأثير الوحدة والانصهار في القوات المسلحة موضوع نقاش . ان شبح العدو المحتمل مع ذلك يقود الانسان الى الاعتقاد بأن ذلك ضروري جدا إذ أن الخدمة الالزامية تصبح مقبولة اكثر من أي وقت سابق . دعونا نتفاءل ببقاء هذا الموضوع نظري .

* * *

المراجـــــع

١ ـ رغم انه كتب الكثير عن الخدمة الالزامية في الجيش الكندي فان القليل كتب حول المؤسسة او نظام الخدمة الاختيارية التطوعية . افضل مصدر حول أزمة الخدمة الالزامية عام ١٩٤٤ هو كتاب ستاسي بعنوان : « الاسلحة والرجال والحكومات : السياسة الحربية الكندية بين ١٩٣٩ـ١٩٤٥ » (اوتاوا ، المطبعة الملكية ١٩٧٠) . والمؤلف الوحيد المقابل حول أزمة ١٩١٧ هو التاريخ الرسمي تأليف الكولونيل نيكولسون بعنوان « الفيلق الكندي ١٩١٤ ـ ١٩١٩ » (اوتاوا المطبعة الملكية ١٩٦٢) .

هناك معلومات مفيدة حول أزمتي الخدمة الالزامية في كندا نجدها في بعض المؤلفات مثل جون سويتنهام : اك نوتون ١٩٤٤ ـ ١٩٤٦ (تورنتو ، مطبوعات ريرسون ١٩٦٩) الفريق بورنز « القدرة البشرية في القوات المسلحة الكندية » (تورنتو ، كلارك اونوين ١٩٥٦) . وبيكرزجيل وفورستر « اوراق ماكنزي كنغ ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ » (تورنتو ، منشورات جامعة تورنتو ١٩٦٨) . روجر غراهام « ارثور ميجهين » (تورنتو ، كلارك أونوين ١٩٦٠) ماسون ويد « الكنديون الفرنسيون ١٧٦٠ ـ ١٩٤٥ » (تورنتو ماكميلان ١٩٥٥) غرانتشاين « الخدمة الالزامية في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ » (تورنتو ، ريدسون ١٩٦٩) . ومختارات من المقالات المنشورة في المجلة التاريخية العسكرية التي جمعتها ونشرتها جامعة تورنتو بعنوان « الخدمة الالزامية ١٩١٧ » .

وهناك معلومات أخرى نجدها في مذكرات السياسيين الذين كان لهم دور فيها مثل كتاب سكلتون « حياة ورسائل السير ويلفريد لورييه » (تورنتو ، ماكليلاند وستيوارت ١٩٦٥) . جون دافو « لورييه ، دراسة في السياسة

الكندية » (تورنتو ، ماك كليلاند وستيوارت ١٩٦٣) . ماك غريفور داوسون « ويليام ماكنزي كنغ : سيرته السياسية ١٨٧٤ ـ ١٩٢٣ » (تورنتو ، جامعة تورنتو ١٩٥١) . المجلة الكندية السنوية للقضايا العامة لعام ١٩١٧ ، (تورنتو ، شركة المجلات الكندية ١٩١٨) وفيها تفصيل جيد لازمة الخدمة الالزامية لنفس العام . ومع الاسف لا يتوفر تفصيل مماثل للازمة ١٩٤٤ .

يوجد شرح واف لاسس المشاعر المعادية للخدمة الالزامية في كويبك في كتاب ديزموند مورتون « كندا الفرنسية والحرب ١٩٠٩ ـ ١٩١٧ : الاسس العسكرية لازمة الخدمة الالزامية عام ١٩١٧ » وفي كتاب « الحرب والمجتمع في اميركا الشمالية الناشر غراناتشاين وكوف » ، تورنتو ، نلسون ١٩٧١) .

اما فيما يتعلق بسنوات ما قبل الحرب فان الاختلافات بين الاراء المؤيدة والمعارضة للخدمة الالزامية يمكن ايجادها في مناقشات مجلس العموم .

ربما كان افضل مصدر حول كيف ولماذا انضم المتطوعون الكنديون الى الميليشيا نجدها في تاريخ الافواج والكتائب الكندية وهي عديدة . وكانت القوات المسلحة الكندية في سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ صغيرة لدرجة لا يوجد أي كتاب يبحث بأسباب الرغبة بالتطوع . يمكن مراجعة كتاب « الجيش الكندي » دورن بوش تاريخ الافواج ١٩٥٩ .

* * *

مشاكل القوات المسلحة الناجمة عن تنوع الثقافات وتنـــوع الجنســيات

ريتشارد بريستون

مقدمــة الناشــر :

ان النقاش حول افضلية الخدمة الالزامية على الجيش المتطوع في الولايات المتحدة كان بنفس مستوى النقاش حول ما اذا كان الجيش المحترف هو من حيث تكوينه معاد أو مناقض للديموقراطية اذ اتهم بأن أي جيش متطوع اميركي سيصبح جيشا اسودا . معارضو الجيش المتطوع الذين يستندون الى هذه الحجة يفترضون ان هذا الجيش الذي سيكون بغالبيته من السود مسرحـا للتمييز العنصري ضد السود او انه سيكون جيشا قليل الفعالية عسكريا او كلا الناحيتين .

ما هو حجم السود المحتمل تواجدهم في القوات المسلحة الاميركية في حال فتح باب التطوع ؟ لا شك انه سيكون محدوداً لان القليل من السود يملكون المؤهلات المطلوبة للدخول في الكليات العسكرية . وقد دلت احصائيات حول تعداد المتقدمين فوجدت نسبة السود حوالي الربع بالنسبة للقوات المسلحة طالما بقيت هذه محافظة على الشروط الحاليــة حتى لو ان السود المؤهلين والملائمين من حيث السن قرروا التطوع . ومع ذلك فانه في اطار هذه الحدود لا يمكننا ان نعرف كيف يمكن للقوات المسلحة ذات الاغلبية السوداء أن تمـر عبر تجربة الجيش المتطوع لو لم يكن هناك قيود اقتصادية فرضت مع بـدء هذه التجربة بهدف احتواء المتطوعين البيض والسود على السواء . ولكننا لا نعرف الا الكثير عن آثار هذا الفارق النسبي للزيــادة العدديــة للسود في

القوات المسلحة بأنها ستكون فعالة. ان النقاش العام والمناظرات حول هذا الموضوع قد انحصر حول فرضيات واحتمالات اكثر من استناده الى التفكير السليم .

حاول في خريف عام ١٩٧١ ريتشارد بريستون ان يقدم تحليلا منطقيا بتقديمه مدخلا للاسس التاريخية للقوات المسلحة التي اعتمدت قوات مختلفة العرق ، والاصل ، والجذور الثقافية . وقد اوضح ان الثقافة بأسسها الواسعة للاميركي العادي المهتم بالنواحي العرقية في القوات المسلحة هي ايضا واهية . ولكن البروفسور بريستون ساهم بانطلاقة مستندة على دراسته الطويلة حول المؤسسات العسكرية في بريطانيا والكومنولث التي بلا شك وسعت خبرتنا في مجال الاستفادة من الجنود ذوي الاعراق المختلفة . والبروفسور بريستون يدرس تاريخ الامبراطورية البريطانية العسكري في جامعة ديوك وقبل ذهابه اليها مباشرة درس في الكلية العسكرية الملكية الكندية . وهو مؤلف كتاب « كندا والدفاع الامبريالي » . دراسة حول اسس تنظيم الدفاع في الكومنولث البريطاني ١٨٦٧ ــ ١٩١٩ (دورهام ــ جامعة ديوك ١٩٦٧) وشارك سيدني وايز في الكتاب الذي كثيرا ما نلجأ اليه « رجال تحت السلاح : تاريخ الحروب وتداخله مع المجتمع الغربي » (نيويورك ، براغر . ١٩٧٠) .

* * *

القوات المسلحة المتعددة الجنسيات والثقافات والمشكلات الناجمـة عنهـا

يواجه الجيش الاميركي اليوم ما يعتبره البعض مشكلة جديدة ، ناجمة عن الصعوبات التي قد تثيرها تعدد الجنسيات وتعدد الثقافات . اما تعـدد الثقافات فهو مظهر من مظاهر الصراع بين السود والبيض الناشب بشـكل مستمر في المجتمع المدني الاميركي . ان سياسة الجيش في الولايات المتحـدة بالنسبة للقوات السوداء كانت لها قصص مؤسفة حتى اواخر الحرب العالمية الثانية . منذ عام ١٩٤٨ عندما اصدر الرئيس هاري ترومان قراره بالدمج كانت القوات المسلحة في طليعة طبقات المجتمع الاميركي في تحركها نحو الاندماج الفعلي . ومما يؤسف له ان ضغوط فيتنام قد ادت الى توترات عنصرية جديدة وبالتالي هددت الجهود التي كان يؤمل منها ان تحقق الانسجام وتعطي أمـلا للامـة .

تنبع المشاكل الناجمة عن تعدد الجنسيات في جيش الولايات المتحـدة من الواقع انه منذ الحرب العالمية الثانية قد زجت الامة واصبحت مشتركة مع عسكريي دول اخرى سواء في السلم او الحرب . ان ما بدا خلال الصراع بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ ناجحا الى درجة كبيرة في فن العمل مع الحلفاء ظهر لبعض الوقت انه اقل فعالية او اقل نجاحا عندما زالت ضغوط الحرب ، وحتى في المواقف التي أعقبت حرب ١٩٤٥ حدثت بعض الاحتكاكات في حين كان هناك تعاون بين الشعوب ذات الخبرات المختلفة . مشاكل تعدد الجنسيات تختلف عن المشاكل الناجمة عن تعدد الثقافات لان التعاون بين الحلفاء أدخل عنصر العلاقات بين الحكومات وقد ادى ذلك الى تعقيد الاتصال حتى بين القوات التي

كانت قادرة على التعاون بشكل فعال في واجباتها المهنية وهذا لم يكن دوما سهلا . كما ان المشاكل الناجمة عن تعدد الجنسيات في حالات عدة تشمل ايضا صراعات ثقافية حتى عندما كان الحلفاء متعاونين بشكل وثيق جدا ، والى درجة اكبر عندما كان هناك خلافات بينهم . ان صداما بين الثقافات ضمن الاحلاف قد يزداد باختلاف الاهداف السياسية والغايات والمطامح .

ان المواقف الناجمة عن تعدد الثقافات وتعدد الجنسيات تهدد بتخفيض الناحية الخلقية وتقليل الرغبة بالتعاون . وتجعل الاتصالات اكثر صعوبة . وهي بذلك تعمل ضد فعالية اي جيش في قيامه بواجباته بكفاءة . وهي تستحق بالتالي اهتماما خاصا . ولكنها على الرغم من ذلك لم تتلق سوى اهتمام ضئيل من قبل المؤرخين . ان السيرة العسكرية لتعدد الجنسيات وتعدد الثقافات هي قصيرة وغامضة بشكل غريب ملفت للنظر . وان نتيجة هذا النقص بالاهتمام التاريخي بهذا الموضوع هو ان المفهوم القيم للرجال العسكريين ان التجانس والقيادة الموحدة هما ضروريان النصر العسكري قد جرى اختبارها على ضوء التاريخ .

ان هذه الشروط المطلوبة من حيث التجانس وفوائدها للقوات المسلحة لا يمكن نكرانها . ولكن ثقة الجندي التي لا تتزعزع بذلك نابعة من ما هو في الواقع مفهوم جديد في تاريخ المجتمع الانساني وبالذات لان الجيش المثالي في كونها دولة أمة واحدة . وتعود هذه الفكرة الى زمن الاميركيين والثورات الفرنسية ومنذ ظهور مثالية الدولة الامة الديموقراطية . ان انعكاسها على المشاكل الناجمة عن تعدد الجنسيات وتعدد الثقافات في القوات المسلحة تتطلب اختبارا في مواجهة التجارب الواسعة التنوع للظروف عبر فترة طويلة من الزمن قبل وبعد الثورات الديموقراطية الكبرى .

وان تحقيقا بهذا الحجم لا يمكن جمعه وعرضه ضمن اطار وحجم محاضرة كهذه . كما انه قبل البدء ببحث كهذا على القارىء ان يتذكر بأن التاريخ لا يعطي كافة الاجوبة للمسائل الحالية . ان مجمل الوقائع التاريخية ليست كافية في هذا المجال ، والاختيار المدروس هو حتما مفيد كما ان الظروف

المماثلة لا يمكن ان تعود ثانية كما كانت . ومع ذلك فان اختبار ودراسة للخبرات السابقة حول الثقافات العرقية في القوات المسلحة الاخرى قد تساعد في القاء بعض الضوء على المشاكل الاميركية الحالية وبالتالي قد تخدم في مساعدة اولئك الذين عليهم واجب صنع السياسة حتى اولئك الذين يعملون حاليا تبعا لمواقف جديدة .

الناحية الاولى في هذا المجال ، التي تصادف المحقق او الباحث هي ان الامثلة حول تعدد الجنسيات وتعدد الثقافات في التاريخ كثيرة جدا . وقد أرفقت في محاضرتي هذه لائحة ببعض الامثلة المعروفة جدا . ولكني لا أدعي أنها نهائية أو واضحة مع أن لائحة مبدئية وجزئية من هذا النوع كافية لاظهار بأن الخبرة العسكرية في هذا الموضوع هي بعيدة جدا عن كونها حديثة ، كما يعتقد الكثيرون . فقد كانت اكثر حدوثا مما نعتقد . فالجيوش غير الموحدة القومية يبدو انها كانت القاعدة لا الشواذ . وأبعد من ذلك فان نظرة نلقيها على هذه اللائحة تظهر لنا انه في معظم الحالات كان التعاون العرقي ــ الثقافي ناجحا . وعلى كل حال ان عدد القوات المختلطة الذي يمكن وصفها بالناجحة هو كبير لدرجة انه يثير فورا شكوكا حول النظرية القائلة بأن التجانس هو عامل اساسي للنجاح العسكري .

في كل محاولة لتحليل الوقائع يجب الانطلاق من هذه الجهود العديدة والناجحة في مجال التعاون العسكري وفي مختلف الظروف لهذا قسمت هذه اللائحة الى مجموعات تجمع كل منها انواعا من تعدد الثقافات وتعدد القوميات. اذ بهذه الطريقة يصبح بالامكان عزل العوامل التي ساعدت في انجاح التعاون او كانت مفيدة له . وهذا التقسيم يمتد من التعاون بين مختلف العرقية المختلفة او التعاون الفردي كالمرتزقة عبر عناصر من مختلف الجنسيات حيث تتوفر وحدة قيادة . عبر المواقف الاستعمارية حيث جرى تعاون بين القوات الامبريالية والاستعمارية بقيادة واحدة وحتى الاحلاف العسكرية بين الدول الامم .

المرتزقـــــة

تعود عملية الاستفادة من المؤيدين كالمرتزقة الى الزمن الكلاسيكي القديم . وقد استمرت عبر التاريخ كلما وجد شعب ما انه من الافضل حل مشاكله الخاصة بنفسه وترك الدفاع عنه للآخرين او عندما يشعر بافتقاره الى الخبرة العسكرية الكافية للقيام بذلك بنفسه وبقواه الذاتية . وقد اكتسبت عناصر المرتزقة الاجانب سمة سيئة جزئيا بسبب كون عملهم هذا يتعارض والمثالية العسكرية القائمة على بذل النفس في سبيل الدفاع عن أهله ومنزله ووطنه ومن ناحية اخرى لانهم شكلوا قوة تهدد صياغة الدولة الديموقراطية اذ يصبح لدى الحكومة بوجودهم قوة كافية للضغط على الحريات .

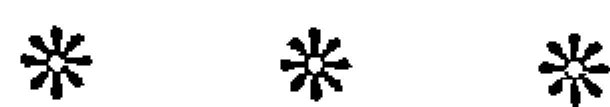
كان ميكيافللي اول منتقدي المرتزقة في العصر الحديث مدعيا بأنهم غير فعالين من الناحية العسكرية . وقد قاد الكوندوتيوري الذين استخدمتهم الحكومة الايطالية في أيامه (الحكومة ـ المدنية) الى فشل ذريع فاق كل فشل سابق . كان القتال مهنة لهم وقد وجدوا لذلك وكانوا يفضلوا البقاء احياء للقتال يوم آخر وكسب أموالا اخرى . لذلك تحولت حروب (الدولة ـ المدنية) الايطالية الى سلسلة من المناورات الدموية حيث كان الهدف الاول هو السعي الى أخذ اكبر عدد من الاسرى بهدف المطالبة بفدية والحصول على النصر بالحركة اكثر من الضرب . وبمقارنة هؤلاء مع « الجندي المواطن » في الملكيات الاوروبية المعاصرة وجد ميكيافيللي ان الكوندوتيري لا فائدة منهم وخطرين . وقد كتب قائلا : « هم غير موحدين ، طموحين فوضويين ، لا يمكن الوثوق بهم ، أقوياء بين الاصدقاء جبناء أمام الاعداء لا يخافون الله ولا يثقون بالانسان » . هذه الصفات كان يمكن ان تكون اساسا للمواقف التقليدية التي

اتخذت تجاه المرتزقة بعد عصر ميكيافيللي . وحتى صفة « المرتزقة » التي اطلقت عليها تعتبر صفة مشينة .

ولكن الوقائع التاريخية لا تدل على ذلك مطلقا في تاريخنا الحديث . لان المرتزقة كمحترفين يقبضون الاموال تبعا لما يحققونه والمدربون للقيام بهذا العمل كانوا عادة فعالين جدا . الواقع ان فعاليتهم كانت على درجة من الكفاءة وقد كان يخشاها كل اولئك الذين كانوا يخافون على الحرية واعتبروهم اعداء لهذه الحرية . وبصورة عامة فقد برهنوا على كونهم جد فعالين حتى يمكن ان يقال انه كان باستطاعتهم عادة التغلب ببساطة على كافة العقبات التي كانت تفرض على خدمتهم لسادتهم بسبب الظروف الثقافية العرقية . وكانوا بصورة عامة مخلصين لمستخدميهم .

دعونا ننظر الى مثالين والتحري عن السبب في ذلك . أحد أشهر الوحدات المرتزقة في العصر الحديث هي الفرقة الاجنبية الفرنسية . وقد شكلت عام ١٨٣١ من قبل الملك لويس فيليب لتعمل في افريقيا . وقد كانت هذه الفرقة والى درجة كبيرة المسؤولة عن تأمين السيطرة والاحتلال الفرنسي لمعظم المناطق الفرنسية في القرن التاسع عشر . ومع ذلك كانت مؤلفة بكاملها تقريبا من عناصر موالية دون ان يكون لافرادها أي ولاء وطني لفرنسة . ويعود نجاحها الى سببين : الاول تدريبها الجيد ثانيا تأثير تقاليدها . في البدء استفادت هذه الفرقة من كون عناصرها الاوائل من تعداد ابطال الوحدات الاجنبية التي ساهمت في اعادة عائلة البوربون الى الحكم ثم تشرذمت بعد الثورة الفرنسية عام ١٨٣٠ . ثم فيما بعد وعبر التاريخ كان لهذه الفرقة ميزة الامتلاك في صفوفها اعداد كبيرة من الالمان وهم مشهورون بأنهم شعب مقاتل . وكانت عناصرها تعيش وتتدرب في الصحراء بعيدا عن الاحتكاك بالمدنية الاوروبية مما خلق لدى هؤلاء المرتزقة شعورا بالولاء تجاه الفرقة وخضعوا لتدريب شاق وشعور بالمحبة تجاه رفاقهم وكان هذا الولاء معادلا وفعالا بقدر الولاء الوطني . وقد قبلوا بذلك ليتمكنوا من التغلب على ظروف الحروب القاسية . الاحتراف والعمل هذا تغلب على المساوىء الناجمة عن تعدد الثقافات .

المثال الثاني حول المرتزقة نجده في كورخا الذي عمل مع البريطانيين في الهند ثم فيما بعد في الجيش الهندي . رغم ان نيبال ـ عندما وصل الكورخا ـ كانت نوعا ما دولة تابعة فقد حافظت على استقلاليتها في جميع النواحي ما عدا علاقاتها مع الدول الكبرى . وكانت عناصر الكورخا تتجمع افراديا تماما كما في الفرقة الاجنبية الفرنسية ولكنهم في حالتهم الخاصة وفقا لتفاهم بين الحكومة الهندية البريطانية وحكومة نيبال . وكان تصدير المرتزقة احد الموارد الاساسية للدخل القومي النيبالي من المصادر الاجنبية . وكان الكورخا نوعا من الطبقة العسكرية والحياة العسكرية نوع من التقاليد المتوارث لديهم . وان واقع كونهم خدموا سلطة اجنبية لم يؤثر مطلقا على طاعتهم وانضباطهم وتقيدهم بالانظمة . بل يبدو على العكس انها زادت من تمسكهم بها . وقد عاش الكورخا وعملوا دوما وحاربوا بتناسق متين مع الاصدقاء البريطانيين والضباط البريطانيين افضل من أي مجموعة هندية . ان النظام والتدريب كان السد الكامن وراء نجاحهم العسكري . وان انجازاتهم لم تتأثر بواقع كونهم مجموعين من دولة موالية بموجب اتفاق تشرف عليه سلطة موالية ، اذ ان هذه السلطة لم تحاول التدخل او الاشراف على واجباتهم . كان الكورخا جنود محترفون بالدرجة الاولى وان موضوع تعدد الثقافات لم يكن له أي تأثير عليهم وعلى فعاليتهم وانجازاتهم .



القوات في الدول المتعددة القوميات

المظهر التالي لتعدد الثقافات الواجب أخذه بعين الاعتبار هو الواقـع الكامـن في الدول التي تضم شعوبا مختلطة . الدول التقليدية والدولة الملكية في اوروبا التي سبقت الثورة الفرنسية كانت جميعها تقريبـا دولا متعددة القوميات من حيث تركيبها العام . وكانت جيوشها بالتالي مؤلفة من مجموعات من العناصر المختلفة القوميات والاجناس . ولم يكن الشعور الوطني قد تطور بعد كما يجب ولذلك لم يكن الشعور القومي يشكل أي حاجز أمام الخدمـة العسكرية . وغالبا ما كانت الدول الملكية من هذا النوع تستخدم المرتزقة . وكانت ايضا تجمع عناصر جيوشها من اكثر من قومية واحدة من تلك القوميات المتعددة التي كانت تتألف منها .

وعلى الرغم من الدفع والقيم التي أعطيت للوطنية والمواطنية والجنسية من قبل الثورة الفرنسية فقد استمر الوضع على ما هو عليه طيلة القـرن التاسع عشر . حتى جيش نابليون المبني على نظرية القومية الفرنسية كان متميزا بتعدد القوميات وقد ضم بالواقع جزءا كبيرا من الجنود غير الفرنسيين اكثر من أي جيش فرنسي سابق . اما الدول العائلية مثل النمسا ـ المجر خليفة الامبراطورية الرومانية المقدسة والتي دمرها نابليون كانت مماثلة لسابقتها في القرن الثامن عشر . وكنتيجة لزيادة حجم الجيوش والعداوات الاوروبية وأيضا ربما بتأثير القومية الديموقراطية وافكارها التي ظهرت بأقوى اشكالها في البلاد الاوروبية فان ملوك هذه الدول وجدوا انفسهم مضطرين لاخضاع مواطنيهم الى الخدمة العسكرية . واصبحت الجيوش بالتالي متعددة القوميات اكثر مما سبق ظهور الروح العرقية والديموقراطية .

ويمكن الاستفادة من هذا الشرط الى حد ما بهدف زيادة الفعالية عن طريق المباريات بين مختلف الاعراق . ولهذا وجدت أفواج السليتين ، في الجيش البريطاني وقدم السكوتلنديون عروضا بلباسهم المتميز ، التنورة وموسيقاهم الشعبية بالقرَب . والولايات المتحدة الاميركية المكونة من المهاجرين الجدد القادمين من اصقاع مختلفة كان لها افواجا عرقية مؤلفة ن الالمان والايرلنديين وسواهم خلال الحرب الاهلية . وهنا ايضا نجد استغلالا للوحدات العرقية لزيادة فعالية الجنود عبر مباريات حبية وبالتالي رفع الروح المعنوية . في عصرنا الحالي نجد ان الجيش الاسرائيلي مكون من عناصر قادمة من بلاد مختلفة وقد استغلوا لتطوير عقيدة قومية موحدة بواسطة التدريب العقائدي .

ولكن على الرغم من ذلك فان تعدد الاعراق في جيوش الدول المتعددة الجنسيات حمل في طياته دوما نوعا من الخطر والمظاهر الخطرة ففي الجيش النمساوي الهنغاري وجد من المناسب مركزة الافواج المؤلفة من عرق معين بعيداً عن مناطقها الاصلية بهدف الاقلال الى ادنى حد من امكانية زج نفسها في الثورات الوطنيــة .

المشكلة الثانيــة تكمن في حال تكوين الجيش بشكل غير متناسب وغير متوازن بين القوميات فان القومية التي لديها عددا اكبر من القوات تشعر او يبدو لها انها المسيطرة على الدولة لانها تسيطر على قواتها المسلحة والعكس صحيح فان التحول من قومية الى اخرى قد يرافقه تبدل بالقوى من هــذه القومية الى أخرى بواسطة ضم عدد أكبر من تلك القومية الى الجيش وخاصة في الرتب العليــا . وهذا ما يبدو انه قد حدث في بلجيكا عندما كان معظم ضباط الجيش من الفالون ولكن أصبح حاليا فلامون . وقد حصل وضع مماثل في جنوب افريقيا حيث كان الجيش الاتحادي مبدئيا متوازنا بين الاعداد القدامى البووير والبريتون ولكن التدخل في الحروب الامبريالية ادى الى الاقلال من نسبة مساهمة البوير في المراتب العليا . وقد ادى هذا التدني في نسبة المساهمة حاليا الى قفزة بالاتجاه المعاكس في جيش الجمهورية .

تحاول الدول الديموقراطية الحقيقية المتعددة الاجناس المحافظة عــلى

التوازن بين عناصر قواتها المسلحة بشكل متناسب وهذه النسبة بين السكان . ولكن هذا ليس سهل التحقيق دوما خاصة عندما يكون لفئة ما نفور من العسكرية في حين لدى فئة اخرى ميل نحوها . وهناك صعوبة اخرى عندما تكون احدى الفئات محرومة من المساواة الاقتصادية اذ انها تنخرط في صفوف الرتب الدنيا عادة في حين ان الفئات المتمتعة بالمزايا الاقتصادية المتمكنة تقدم عناصر أعلى ثقافة ويسرا وتحتل مراكز الضباط . وان هذا الموقف قد يكون غير مفيد للناحية المعنوية وخطر جدا على سلامة الدولة . ان التدريب والنظام في الجيش عادة ما يساعد على تطوير الروح الوطنية والقومية يمكن هنا ان يتحول الى اساس قمع لكبح جماح فئة ما .

وحيثما يكون للغة دورها فان مسألة التوازن تصطدم بامكانية التفاهم . وان ازدواج اللغة الذي لا يمكن الوصول اليه بسهولة يبدو انه يساعد على تسهيل التفاهم داخل القوات المسلحة ولكنه قد يصطدم بعقبات وحتى بمقاومة . ومع ذلك يبدو ان جنوب افريقيا قد حققت درجة مقبولة ومتقدمة في استخدام لغتين ولكن تأثير ازدياد نمو الشعور الوطني يقال انه جاري حاليا توجه الافريقيين نحو لغة واحدة .

لذلك نجد ان هناك صعوبة كبيرة تعترض عملية التوازن في القوات المسلحة في دول متعددة القوميات وتتكلم لغتين . ومع ذلك فان محاولة تجاوز مسألة التوازن قد يصبح اكثر ضررا على الفعالية القتالية .

* * *

القـوات الاستعماريـة

المجموعة الثالثة من القوات المتعددة الثقافات والمتعددة القوميات او الاجناس نجدها في تلك القوات الموجودة في المستعمرات الحديثة المتواجدة عبر البحار والتابعة للامبراطوريات . فقد انتشرت القوى الاوروبية عبر العـالم باستخدامها قوات استعمارية لبناء امبراطورياتها وكانت تعتمد على هـذه القوات لمساعدتها في ادارة هـذه المستعمرات والسيطرة عليها . وفي سبيلها الى ذلك طورت فكرة تقول بأن بعض الشعوب وخاصة تلك التي قاومت بشدة هي افضل من سواها من حيث الكفاءة القتالية وان هذه الشعوب التي سموها « أعراق حربية » ستكون مسرورة لو ضمت الى صفوف القوات المسلحة بعـد احتلال بلادهم لان هذا العمل بالذات هو ما كانت تسعى اليه دوما . وان توسع الامبراطورية يتيح لها المجال الواسع للقتال . وقد ظهر هذا المفهوم عمليا أي الاستفادة من الاعراق المقاتلة بشكل واسع في الامبراطورية البريطانية الهندية . فقد أشاع البريطانيون اتهامات عدة ونقد مرير ضد تلك الطبقات او الشعوب التي اعتبروها غير مقاتلة . ولكن هذه الطبقة كانت عادة أعلى طبقات المجتمع التي كانت تدعى بالبابو . وقد نمت المعارضة السياسية في اوساط هؤلاء البابو . وعندما تدنت قدرة الامبراطورية البريطانية في الهند بقي الجنود المقاتلون الذين كانوا قد انضموا الى صفوف القوات المسلحة مخلصين لها حتى انزل العلم البريطاني . وهذا يدل على ان التدريب والنظام العسكري قد كان فعالا جدا لدرجة ادى الى كسب ولاء عناصر الشعب المحليين تجاه الشعب الذي جربهم .

اما بعد الاستقلال فان هذا التفريق بين محب للقتال وغير مقاتل لم يعد له وجود في الهند الجديدة . وبدأت القوات المسلحة الهندية تأخذ عناصرها على اساس وطني . وقد ادى ذلك في السنوات الاولى الى ضمها عناصر بشكل غير

متوازن بهدف اعادة التوازن الى الجيش وقد كان ذلك ممكنا بسبب الوضع الراهن غير المتوازن . وخاصة ان روح الحرية الوطنية قد جعلت التطوع سهلا على الطبقات التي كانت تهرب من الخدمة ، ومع ذلك ليس من الواضح تماما الى أي مدى كانت السياسة الوطنية فعالة . وقد قال المؤرخ البروفسور ويليم غوتيريدج وهو مختص بتاريخ الجيوش في الدول الحديثة وبشكل واضح ونهائي : « ان الهند ما زالت تطوع عناصرها من الطبقة المحاربة » .

من جهة اخرى وعندما بدأ البريطانيون بزيادة عدد الضباط الهنود في الجيش في السنوات التي سبقت الاستقلال فان الرتب كلها شغلت من قبل المؤهلين ثقافيا أي من الطبقة المسماة بابو . وقد كان البريطانيون يقولون دوما ان القوات الهندية تفضل العمل تحت أمرة قائد بريطاني ولا ترغب ولا تنفذ أوامر ضابط هندي ، خاصة اذا كان من أصل عرقي مختلف عنها وفوق ذلك اذا كان من البابو . ولكن الرتب العليا في الجيش الهندي الحالي الجنرالات معظمهم من الطبقات المثقفة لا من الطبقات المقاتلة . ويبدو الجيش الهندي حتى الآن انه فعال وأكبر مثال على ذلك ما حققه في حربه ضد باكستان . ويبقى ان نعرف كيف ستكون فعاليته امام التجربة الكبرى أي في الحرب الشاملة فيما اذا انتقلت الدولتان الى العمليات الحربية على مستوى عام ووضعت كافة امكانياتها ومواردها في صالح المجهود الحربي وخاضت حربا شاملة .

ان صواب الاعتقاد بوجود صفات حربية مقاتلة لدى بعض الشعوب وافتقار الاخرى لهذه الصفات هو هام جدا بالنسبة للدراسة الشاملة لمسألة تعدد الثقافات في القوات المسلحة . فالايديولوجية الحديثة ميالة الى نفي كون مثل هذه الصفات ذاتية او وراثية . وعلى الرغم من ذلك فانه من الواضح ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية مع التقاليد التاريخية لها تأثير على درجة استعداد الرجل الى التلاؤم مع الظروف الصعبة . من جهة اخرى فمن الممكن جدا ان يجعل التدريب العسكري من كافة الرجال كبارا . ولكنه يتطلب وقتا أطول لتهيئة الضباط اكثر ما يتطلبه لتدريب الافراد العاديين اذ ان هؤلاء الضباط مهمتهم قيادة الرجال . وهناك اعتبار آخر هام جدا في مجال الفعالية التقنية

أو بالمقابل التخلف التقني . ففي الوقت الذي يمكن فيه بسهولة جعل الرجال البدائيين مقاتلين جيدين في الوحدات غير التقنية وفي المراتب الدنيا ، ولكن هذا في ظروف الحروب الحديثة لم يعد صحيحا تماماً واصبحت الدعوة للخدمة في الجيش تشمل اكثر فأكثر تلك الفئات التي كانت معتبرة غير مقاتلة . وبنفس الوقت فان الخدمة في الجيش يمكن ان تكون وسيلة للتدريب التقني للرجال البدائيين وغالبا ما تستخدم فعلا لذلك ومثال على ذلك تركيا . ولكن مع ذلك يمكن ان تقود هذه الميول التي تتطلب تقنية حربية حديثة الى بروز سياسي وسيطرة مجموعات جديدة في الدول الجديدة وهي تتعارض مع ما يدعوه بعض المراقبين ببروز واسع النطاق للديكتاتورية العسكرية لان الشعوب المحاربة المدربة تحت اشراف القوى الامبريالية اخذت تتسلم السلطة في اماكن عديدة من العالم .

* * *

الاحـــــــلاف

ان المجموعة الرابعة من امثلة القوات المتعددة الثقافة والمتعددة القوميات نجدها في اطار الاحلاف التي تضم دولا ــ قوية مستقلة وتختلف هذه المجموعة عن كل ما ذكرناه سابقا لان الجيوش الحليفة تخدم اسيادا سياسيين مختلفين . وبالتالي فان درجة التدخل السياسي المحتمل او التأثير على الاحداث السياسية هو اكبر منه في اية مجموعة اخرى نوقشت اعلاه . فالاحلاف بين الـدول المتقدمة تعني التعاون بين القوات المسلحة التي طورت فعلا تنظيماتها ومؤسساتها الخاصة ووسائل اتصالها . وان محاولات ضبط التعاون ليست عملية سهلة في مواجهة العسكرية التقليدية . واللغة هنا لحسن الحظ تكون حاجزا قويا وفعالا ضد الاتصالات الفعالة الا اذا كان الحلفاء يتكلمون لغة واحدة .

وان التعاون المشبوه بين قوة متقدمة ومتطورة وبين حلفاء اصغر او اكثر تخلفا هو نوعا ما اكثر صعوبة واقل فعالية . اذ ان هناك دوما ميل لدى القوة الكبرى للعمل منفردة او للاصرار على الاشراف التام وهذا يعود جزئيا الى ان المساعدة التي يقدمها الحلفاء الصغار عدا نوع من الدعاية ، لا يستحق ان يكون التعامل بشكل كامل او القادر معها الى الحد الاقصى . ويسمح لمثل هؤلاء الحلفاء بلعب أدوار صغيرة كوحدات خدمات أو قوات محاربة تتمركز على الجبهات الهادئة .

ولكن القيود على دور الحلفاء الصغار وابقائه محدودا يعود ايضا الى عامل آخر غالباً ما نهمله ونتجاوزه . فلكل حليف مصالح مختلفة واهداف مغايرة وهذا يفرض طبيعة مساهمته في السياسة الحربية التي يرغب اتباعها . في حين ان القوة الكبرى ترغب تحمل مسؤوليات اكبر بهدف تأمين تحقيق مصالحها الخاصة في حين تسعى الى عدم تحقيق اهداف حلفائها .

وتتحكم هذه الاوضاع بعدة نواحي مثل تعيين اعضاء القيادة المشتركة نسبة اندماج القوات ، وأن معنويات القوات المشتركة يمكن ان تتأثر وتتعاظم في الوحدات المتجانسة قوميا الى اقصى حد ممكن . ومن مصلحة أية قوة أن تحافظ على قواتها سليمة وتحت اشرافها واشراف قادتها عندما تجاس الى طاولة المفاوضات السلمية . ولكن الفعالية العسكرية ومسائل الاتصال يمكن التغلب عليها وان افضل نوع من الاندماج هو ذلك النوع الذي يؤمن لكل قوة نوع من المساهمة بقوات قادرة على دعمها . ولكن على الرغم من ذلك فان القوة الصغيرة تتنازل عن امكانياتها في العمل منفردة . رغم انه يمكن القول ان القوى الصغيرة تملك سلاحا فعالا وحيويا داخل العمل المشترك اذ يمكنها التهديد بالانسحاب مما قد يؤدي الى زيادة حدة الخلافات بينها وبين حلفائها ولكن القوى الكبرى قادرة على التغلب على هذه العقبة اذ بامكانها تغطية الفراغ الناتج عن الانسحاب بقواتها الخاصة .

وهكذا نرى ان على التعاون الناجح بين الحلفاء يجب ان يتغلب على صعوبات كبيرة وهو يتطلب مستوى عال من الكفاءة على مستوى القيادة العليا كما كان لدى مالبورو في زمن الحلف الكبير ضد لويس الرابع عشر او ايزنهاور في جزء من الحلف الكبير الآخر ضد هتلر . كما يتطلب تحملا وتفهما وحسن تقدير على المستوى الادنى . ويكون التعاون افضل لو كان مسبوقا بتقاليد تعاون بين الحلفاء كما كانت الحال بين الدول المستقلة المشمولة بالمجموعة البريطانية التي قدمت مساهمة فعالة للجهود الحربية البريطانية في الحرب العالمية الاولى ثم في الثانية . ومن الملاحظ مع ذلك انه رغم التعاون بين دول الكومنولث يمكن وصفه كأفضل مثال على التعاون بين الحلفاء في الحرب ، بتحقيقه أكثر أنواع الاندماج نوعا ما يفوق كل ما حققته أي مجموعة حلفاء أخرى فان زعماء الدمنيون كانوا يعون تماما اهمية الاحتفاظ على استقلالهم العسكري والحاجة الى بناء قواتهم المسلحة ولم يسمحوا بالتنازل عن ذلك حتى لو كان ذلك في سبيل النصر في الحرب (ورغم انه يمكننا القول بأن مجموعة دول الكومنولث هي افضل مثال على التعاون الفعال فان قادة دوله كانوا يعملون دوما على المحافظة على استقلاليتهم العسكرية وسعيهم لبناء قواتهم المسلحة) .

بعض الاستنتاجات العامة

لاحظنا انه بالتدريب العسكري والانضباط يمكن التغلب على العديد من المشاكل التي تنجم عن الصراعات داخل القوات المسلحة بسبب تعدد الثقافات والقوميات . وعلمنا ايضا ان تأثير التدريب والانضباط يمكن ان يهمل عندما تتدخل المؤثرات السياسية . في الدول المتعددة القوميات وبشكل اقل في الجيوش الاستعمارية ، يمكن للضغوط السياسية الممارسة من قبل المجتمع المدني في بعض الظروف ان تؤثر سلبيا على الفعالية العسكرية . وكما هي العادة في القوات المسلحة فان مثل هذه الضغوط قد تكون اشد عندما تعاني هذه القوات وتتنازعها الخلافات والتناقضات . في المجتمعات الديموقراطية وفي المجتمعات التي يسود فيها القوانين والدستور ، فان الخلافات التي تتكون في الحياة المدنية ستحاول ايجاد طريق لها الى داخل القوات المسلحة خاصة عن طريق الخدمة الالزامية وبالتالي ستكون عبارة عن الغام القوات المسلحة . ولكن الاستعاضة عن الخدمة الالزامية بجيش محترف يمكن ايضا ان يهدد كيان الدولة خاصة اذا كان معظم عناصر هذا الجيش من الطبقات المحرومة . العلاقات مع الحلفاء قد تتأثر ايضا بالسياسات التي تخدم مصالح قومية انانية .

ومع ذلك فقد عرفنا من التاريخ ان القوات المسلحة المتعددة الثقافات والقوميات قد حققت نجاحات اكثر مما نتوقعها عادة . اذ رغم المساوىء الظاهرة من تنوع الاعراق بالامكان انشاء وتكوين قوات مسلحة قوية وفعالة تستخدم للصالح العام شرط ان نؤمن لها سياسة تعمل فعلا للصالح العام لا لخدمة المصالح الانانية الخاصة . ولا يمكن التئام الجروح الناجمة عن الانقسامات داخل الجيش الا اذا كانت مثل هذه الجروح قد عولجت في المجتمع نفسه .

وان القيادة الجيدة سواء المدنية او العسكرية قادرة على بلوغ هذا الهدف . ولا بد من أن يكون داخل القوات المسلحة تربية عقائدية سليمة وتشجيع للشعور الوطني وثقافة معقولة غير متحيزة بالاضافة الى النظام والتدريب الجيدين . يمكن للقوات المسلحة ان تبني وتصلح الامة باعطاء الشعب المثال الجيد . ويبدو لي ان العالم يتحرك نحو تعدد الثقافات داخل مفهوم شامل وعلى القوات المسلحة ان تتحرك معه . ويبدو ان هذا درس نعلمناه من تاريخ القوات المسلحة المتعددة الثقافات والقوميات .

* * *

ملحـــــــق

القوات المسلحة المتعددة الثقافات ــ امثلــة

آ ــ القوات المسلحة المتعددة الثقافات والمتعددة الجنسيات (الاعراق) :

١ ــ استخدام الاجانب :

المرتزقة في الدول التقليدية والعصور الوسطى والدول الحديثة .

قوة ويليم الفاتح في هاشنغ .

جيوش قرطاجــة .

رجال جينوسي ، الريترز الالمان ، المرتزقة السويسريون الجانيساري .

الكوندوتيري الايطاليون .

القوات البروسية التي جمعت من مختلف انحاء اوروبا .

الهسيان والهانومزيان الذين كانوا يقاتلون بالاجر من قبل جورج ٣ .

الكوزاك في جيوش روسيا القيصرية .

الكورخا المأجورين من قبل البريطانيين في الهند .

٢ ــ الدول المتعددة الاعراق :

آ ــ الامبراطوريات القديمة .

جيش الاسكندر الاكبر .

اللجيون في الامبراطورية الرومانية .

ب ــ المتطوعــون :

الكنديون الالمان والفرنسيون والمعبؤون في الجيش الاتحادي خلال الحرب الاهلية الاميركية . السكوتلنديون والايرلنديون واليعاقبه الانكليــز الذيــن استأجرهم ملك فرنسة .

اللواء الدولي في الحرب الاهلية الاسبانية .

المتطوعون الاميركيون في السلاح الجوي الملكي سرب « النسور » .

ج ــ الامبراطوريات الحديثة :

جيش نابيون الكبير .

النمسا ــ هنغاريــا .

الامبراطورية الروسية .

د ــ الجمهوريات الحديثة والملكيات الدستورية :

الافواج الارلندية في الجيش الاتحادي في الحرب الاهلية .

الفرنسيون الالمان الايطاليون في الجيش السويسري .

الافواج الارنندية والسكوتلندية في الجيش البريطاني .

الفلاحون والفالون في الجيش البلجيكي .

المجموعات العرقية والقومية في الجيش السوفياتي .

الوحدات الكندية الفرنسية .

الجنوب افريقيون المتكلمون بالانكليزية او الافريقانية .

الجيش الاسرائيلي .

وحدات الزنوج الاميركية في الحرب الاهليــة في الغــرب وفي الحربــين النيسي اثيابانيون في الحرب العالمية الثانية .

هـ ـ الامبراطوريات الاستعمارية الحديثة :

الجيش الهندي البريطاني .

الافواج الافريقية البريطانية .

الفيلق العربي باموال انكليزية .

الاقوات الاستعمارية الفرنسية في افريقيا وآسيا .

الكشافـة الهنود .

قوات فيليبينو

المور الاسبان .

الوحدات المحلية في جنوب افريقيا .

ب ـ القوات المتعددة القوميات :

١ ـ الاحـلاف :

الدولة المدنية اليونانية .

جيش الحلف الكبير مارلبورو وقوات الايرل ڤالوي في شبه الجزيرة .

الحلفاء الفرنسيون خلال الثورة الاميركية .

قوات الملكيات التابعة في جيش نابليون .

جيش ويلنغتون .

الحلفاء الاوربيون في القارة الاوربية وحتى معركة واترلو ضمنا .

البيدمون الفرنسيون والبريطانيون في القرم .

الحلفاء في الحرب العالمية الاولى .

القوى المركزية في الحرب العالمية الاولى .

حلفاء اللنبي العرب .

الامم المتحدة في الحرب العالمية الثانية .

دول المحـور .

الحلفاء الاوستراليون والاسيويون للولايات المتحـدة في الفيتنام .

حلف شمال الاطلسي .

٢ ـ اشباه المتطوعين :

القوات الاليزابتية في هولندا .

المتطوعون الايطاليون في الحرب الاهلية الاسبانية .

المتطوعون الصينيون في كوريا .

٣ ـ الامبرطوارية البريطانية والكومنولث .

القوات الهندية (الامارة) .

القوات الكندية ، انزاك ، الجنوب افريقيه الهندية وسواها .

في الحرب العالمية الثانية ـ الجيش الثامن في مصـر (مثال) فرقـة الكومنولث في كوريا .

٤ ـ عالميـا :

الصليبيون .

قوات الامـم المتحدة في كوريا .

قوات حفظ السلام في الشرق الاوسط والكونغو وقبرص الخ .

الجيش النمساوي الهنغاري ١٨٦٨ ـ ١٩١٨
موضوع للدراسة للقوات المسلحة المتعددة الاعراق

غونتر روتنبورغ

مقدمة الناشر :

تبعا للتعميم المتعارف عليه القائل بأن الجيوش هي مرآة لمجتمعاتها لم يكن مكان للجيش النمساوي الهنغاري ان يقوم بأي عمل في الحرب الكبرى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . اذ كان جيش امبراطورية منهارة ـ وكان ايضا جيش مجتمع يفتقر بشكل قوي الى الوحدة العرقية والثقافية . ومع ذلك فان ما يدهش في جيش هابسبورغ في الحرب العالمية الاولى مع الاخذ بعين الاعتبار ـ الدولة والمجتمع الذي ينتمي اليهما ليس مساوئه بين قدرته وتماسكه . لا شك انه لم يكن جيشا المانيا وضعفه ظاهر بوضوح اذا ما قورن بحليفه الاساسي الجيش الالماني ولكن جيش هابسبورغ بقي متماسكا طيلة اربع سنوات الحرب في اقسى ظروف الجبهة الشرقية ثم عبر الجبال على الحدود النمساوية ـ الايطالية ، وفي النهاية انهار هذا الجيش فقط بعد ان انهارت الحكومة التي يخدمها لا المجتمع وتخلخله والمحاضر يعكس الحيوية ودرجة التحمل التي يمكن للجيش ان يكتسبها بنفسه والبروفسور غونتر روتنبرغ من جامعة بيردو قادر على الارجح على اعطائنا مقدمة للجيش النمساوي الهنغاري اكثر من أي مؤرخ عسكري آخر وقد الف ونشر كتاب « الحدود العسكرية في كرواتيا ١٧٤٠ ـ ١٨٨١ » (شيكاغو منشورات جامعة شيكاغو ١٩٦٦) وسينشر قريبا تاريخا عاما حول جيش هابسبورغ وهو شخصيا مقاتل سابق في جيوش ثلاث : الجيش البريطاني ـ الجيش الاسرائيلي والقوات الجوية الاميركية .

الجيش النمساوي ــ الهنغاري

١٨٦٨ ــ ١٩١٨

على اثر الانتصارات البروسية الرائعة في اعوام ١٨٦٤ ، ١٨٦٦ و ١٨٧٠ التي حققتها جيوش مؤلفة من مجندين جمعوا من كافة طبقات المجتمع اكتسب مبدأ الامة المسلحة قبولا سريعا وعاما في كافة انحاء القارة الاوربية . للدقة نقول ان التعبئة العامة كانت مطلبا مثاليا ولكنه لم يتحقق بشكل كامل واقعيا ولم تستطيع اية دولة اوروبية ان تنجح في تطبيقه الى مداه الاقصى . ورغم ذلك جلبت التعبئة الى الجيش مختلف عناصر المجتمع وغالبا ما كان ينظر الى الجيش من قبل المدافعين من الخدمة الالزامية « كمدرسة للامة » تقدم المدعوين للخدمة من كافة المستويات معنى أكبر للوحدة الوطنية والهدف منهـا .

وكان الموضوع معقدا لان الامة ــ الدولة نفسها كانت املا ومثلا اعلى . فالعديد من الامم في الدول الاوروبية لم تكن وحيدة الوطنية واستمرت في احتوائها على مجموعات من الاقليات ضمن جيوشها . وكان ينطبق على الالزاسين والبولنديين في الجيش الالماني والايطاليين في الجيش الفرنسي والبولنديون والاوكرانيون واليهود وآخرون في الجيش الروسي . ولكن اكثر الحالات تعقيدا كانت حالة الجيش الامبراطوري والملكي الجيش النمساوي الهنغاري الذي تبعا للاحصائيات الرسمية كان مؤلفا من ٢٦٧ المانيا ٢٢٣ هنغاريا ١٣٥ تشيكيا ٣٨ سلوماكي ٨٥ بولندي ٨١ روثيني ٢٦ سلوماني ٦٧ كرواتي وجرلي ٦٤ روماني ١٤ ايطالي من كل الف رجل في الصفوف بحسب الرتب . وهنا فعلا كان جيشا متعدد الدول الوطنية والى درجة انه في القرن التاسع عشر اصبحت التطلعات الوطنية اكثر ظهورا وتعارضا وانعكاسا على الجيش .

وكان الضعف الواضح الكامن في جيش كهذا واضحا لدى قادته والدى كل مراقب اجنبي . فمنذ عام ١٨٥٥ علق فريدرينش انجاز قائلا : « لا يمكن لانسان ان يتنبأ بالمدة التي يمكن لهذا الجيش ان يبقى مجمعا » وفي عام ١٨٩٥ لاحظ الكونت كازيمير باديني رئيس وزراء النمسا ان « دولة متعددة القوميات لا يمكنها ان تحارب دون ان تعرض ذاتها للخطر » . وقد وجد هذا التشاؤم تعبيرا له على اعلى مستويات القيادة في تشرين الثاني عام ١٩٠٦ لدى الفيلد مارشال فرانز كونراد فون هوتزندورف رئيس هيئة الاركان العامة للقوات المسلحة النمساوية ، الهنغارية والمدافع باستمرار عن فكرة الحرب الوقائية اذ قال « كل تحضير لحرب خارجية لا فائدة منه طالما انه لم تحل القضية الداخلية » . وقد قصد كونراد بهذا بالتدقيق الصراع القائم بين العناصر المكونة للمؤسسة العسكرية وطبيعتها التي جزأت الامبراطورية منذ ١٨٦٧ والتي في عام ١٩٠٥ اقتربت بالموقف الى الحرب الاهلية .

ان المشاكل الكامنة في جيش متعدد القوميات المبني على الخدمة الالزامية كان معروفا لمدة طويلة الى قادة ومستشارين العائلة المالكة آل هبسبورغ التي منذ توليها السلطة في مطلع القرن السادس عشر كانت دولة متعددة القوميات حيث تمكن فيها كل قسم او حاول على الاقل الحصول على نوع من الاستقلال الذاتي . وكان الجيش يعتبر دوما كأداة داخلية وخارجية همتها حماية الملكية . وكان الجيش النموذجي الملكي الذي نشأ في السنوات التي تلت القرن السابع عشر عبارة عن مجموعة من الضباط جميعهم من طبقة الاشراف الموالين للسلطة وجنود من الطبقة الاجتماعية الدنيا الذين كانوا يخدمون نفس الاهداف بالضرورة . حتى في فترة الثورة الفرنسية ونابليون لجأت الدول الاوروبية الاخرى الى اسلوب الخدمة الالزامية لمحاربة الجيوش الفرنسية احتفظ آل هابسبورغ بجيشهم المحترف . اذ انهم اعتقدوا ان الخدمة الالزامية ستكون بمثابة لغم لموقفهم كسلطة مطلقة وفي كونفرس فيينا نادى البرنس مترنيخ الوزير الاول بالغاء الخدمة الالزامية . لذلك وحتى عام ١٨٦٦ احتفظت النمسا بجيش من القرن الثامن عشر حيث توزعت وحداته على مواقع بعيدة عن مناطق

التجمع التي تضم مدنيين من عرقها بهدف حرمانها من اي تأثير معادي للسلطة .

لا شك ان لهذا النظام سيئاته . اذ لا يمكن الغاء دور الوطنية والتأثير المعادي كليا وان الجيش المحترف لا يمكنه ان يضم الامكانيات الاقتصادية والبشرية الكاملة للامبراطورية . بالاضافة الى ان انتشار الوحدات العسكرية تجعل تعبئها وتجميعها للقتال عملية بطيئة ومعقدة .

وفي عام ١٨٦٦ وبعد هزيمته امام الجيوش البروسية المعتمدة على المجندين قرر الامبراطور فرانسيس جوزف ان يدخل نظام التجنيد العام لفترة خدمة قصيرة مما قاد الى جيش متعدد القوميات كما ذكرنا سابقا من حيث التنظيم . ولكن هذه الخطوة قد صادفت معارضة قوية من جهة وقف الجنرالات الامبراطورية برئاسة الارشدوق البرخت الذين نادوا بأن الجيش المحترف وحده والموالي للسلطة هو القادر على المحافظة علي وحدة الامبراطورية وبالمقابل كان الوطنيون الهنغاريون الذين كانوا منذ سنوات عدة يأملون بانشاء جيش وطني خاص بهم . والذين بعد هزيمة ١٨٦٦ كانوا في موقف قوي لدرجة كافية للحصول على الاقل على جزء من مطاليبهم .

سياسيا وجدت المطالب الهنغارية تطبيقاتها في اتفاقية عام ١٨٦٧ التي خلقت الملكية المزدوجة النمساوية ـ الهنغارية التي منحت للهنغاريين المشاركة السياسية . اما الناحية العسكرية فقد سويت في اطار اتفاق عسكري في عام ١٨٦٨ . كانت المطالب الهنغارية اصلا هي الحصول على جيش وطني مستقل وتم بموجب الاتفاق القبول بالمثابرة على انشاء جيشين اضافيين امبراطوري وملكي باسم الهونفيد واللاندوهر كل في بلد . وخضع كافة رجال المملكة المزدوجة الى الخدمة العسكرية وجزء من المدعوين تبعا لنسبةتحددها المفاوضات بين فيينا وبودابست ، كانوا يساقون الى الوحدات الاضافية . واكثر من ذلك في حين بقي الجيش المشترك تحت السلطة والاشراف الامبراطوري ـ الملكي وكانت تعبئة العناصر في الهوفيد واللاندوهر تابع لوزارتي الدفاع في فيينا وبودابست ولم تخضع هذه الوحدات للقيادة المركزية الا في زمن الحرب فقط .

وكان هذا الاتفاق الحرفي للطرفين « عقب اشيل في النظام المزدوج » كما وصفه احد المؤرخين المعاصرين ، لانه وبسبب الكرم الذي ابداه البرلمان الهنغاري على الهونفيد واستخدام هذه القوات للشعارات الهنغارية واللغة الهنغارية وبسبب تحقيقها لنوع من الاحلام الوطنية اصبحت هذه الوحدات تشكل قوة هامة ، ولكنها مع ذلك بقيت تنظيما من الخط الثاني . كما أن بقاء الجيش المشترك كاداة فعلية واولى في ضمان الوحدة الامبراطورية كانت مجالا للانتقاد من قبل الوطنيين المتطرفين .

ومع ذلك استمر الاتفاق العسكري في فعاليته للجم الخلافات . ولكن اعتبارا من عام ١٨٨٨ بدأ الهنغاريون باستخدام الضغوط السياسية للحصول على مدى أوسع من الاستقلالية للهونفيد وزادوا من تأثيرهم في الجيش المشترك . وكان الهدف الاساسي هو الحصول على الموافقة على الاستقلال التام من حيث « الاوامر العسكرية » للوحدات الهنغارية وللجيش المشترك المتمركز في الاراضي الهنغارية (بغض النظر عن أصلهم الهنغاري أو سواه) سواء أكان من اصل هنغاري ام لا .

وبرزت مسألة الاوامر العسكرية الى المرتبة الاولى في الصراع حول الجيش المشترك . وكانت هذه « التعابير العسكرية » — (الاوامر) مؤلفة من ثماني جمل تدريبية تعتبر اساسية يتعلمها الجنود بالتكرار وكان حفظها من وجهة نظر الامبراطورية وقادته اساسية ليس فقط لضرورة التفاهم بل ايضا كرمز لاستمرارية وحدة الجيش . كما كان الجيش المشترك يعترف بحوالي عشر تعابير على مستوى الافواج تستخدم للتدريب اليومي داخل الوحدات . وكان هناك ايضا نوع من الارضية المشتركة في هذا المجال وفي عام ١٩٠٦ من اصل ٢٥٦ وحدة في الجيش المشترك كانت ٩٤ منها تستخدم لغة واحدة و ١٣٣ تستخدم اللغتين في حين سمح لثمان وعشرين باستخدام ثلاثة وحتى اربع لغات وتعابير على مستوى الافواج . وبغية الاشراف على التعابير القيادية (الاوامر) ولغة التدريب كان يؤدي الى مفهوم موحد للوطنية وتفرض ارادة الوطن الكامل . مثلا المايار في هنغاريا وهم اقلية بالنسبة لاكثرية سكان

الامبراطورية كانوا يعتبرون فرض لغتهم كخطوة ضرورية ولازمة باتجاه احتواء قوميتهم كاقلية . ولهذا السبب بالذات كان الجيش المشترك الذي بقي « كاساس للمساواة الوطنية » من حيث المبدأ والواقع عارض المطالب الهنغارية . وقد عبر كونراد عن ذلك بقوله : « ان وحدة الجيش العنصر الاساسي في استمرار وجود الملكية يمكن المحافظة عليها فقط بالمثابرة على المعاملة المتساوية والموحدة لكافة القوميات » .

هذا اذن كان الموضوع الاساسي بين فيينا وبودابست. لا شك انه بموجب اتفاقيات عام ١٨٦٧ و ١٨٦٨ كان لبودابست تأثير قليل على الجيش الموحد والاوضاع الداخلية ولكن كانت تلعب دورا هاما في مناقشة الميزانية للجيش . فقد طالبت الحكومة الهنغارية ببعض التنازلات كثمن لموافقتها على توسيع واعادة تسليح الجيش الموحد وعندما فشلت في الحصول على التنازلات اعاقت عملية اتخاذ الخطوات اللازمة للتنفيذ . المعارضات البرلمانية بين حين وآخر مدعومة بمظاهرات شعبية واعمال شغب اصبحت مسألة هامة تعترض فيينا . وفي عام ١٩٠٥ اصبح الموقف حرجا لدرجة انه درست فكرة احتلال هنغاريا عسكريا بقوات مؤلفة من وحدات المانية كرواتية تشيكية رومانية وقد حضرت هذه الوحدات فعلا في فيينا . ومع ذلك وفي اللحظة الاخيرة رفض الامبراطور فرانسيس جوزف المصادقة على هذا العمل العنيف وقام بدلا عن ذلك يقدم بعض التنازلات الى هنغاريا .

وحتى عام ١٩١٢ كان الصراع حول المطالب الهنغارية قد انتهي موقتا على الاقل واصبحت قوات الهوفيد تتمتع بكافة الصفات الاساسية للجيش الوطني القومي ولكنها على الرغم من ذلك عندما وقعت الحرب فان الهونفيد رغم كافة سيئاتها قاتلت بجانب القوات الموحدة بشكل جيد. من جهة اخرى ادى هذا الصراع الى تأخير توسع الجيش الموحد وفي الوقت الذي كانت فيه كافة الدول الاوربية تتسلح بشكل محجوم بقيت ميزانية الجيش النمساوي الهنغاري اقل ميزانية بين كافة الجيوش الكبرى . ورغم ان تعداد سكان الامبراطورية قد ارتفع بنسبة ٤٠٪ بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ فان قوة الجيش قد

زادت بنسبة ١٢٪ فقط وقد اقتصر هذا الجيش بشدة الى الاحتياط والتسليح اللائم في عام ١٩١٤ ــ ١٩١٥ وكما قال احد الكتاب الانكليز مؤخرا « أن ضعف جيش هابسبورغ في عام ١٩١٤ نابع ليس فقط من عجز جنوده انما من عناد السياسيين في هنغاريا » .

وهذا التحليل صحيح من حيث المبدأ ولكنه يتطلب بعض التفصيل . ان تطبيق الخدمة الالزامية العامة يتطلب ارضاءا للقسم الاعظم من الشعب ومعاملة متساوية ، ولكن التنازلات العسكرية والسياسية التي أعطيت لهنغاريا في ١٨٦٧ و ١٨٦٨ قد أثرت جدا على حماس باقي المجموعات القومية في الامبراطورية الهبسبورغية . وعلى الرغم من ان نسبة تعداد هذه الاقليات كانت ضئيلة فانها بدأت تطالب بدورها القومي وتأثيرها داخل المؤسسة العسكرية فقد حمل السلافيون الجنوبيون السلاح في محاولة لمقاومة عمليات السوق مما ادى الى ثورتين مسلحتين في دالماتيا في عام ١٨٦٩ و ١٨٨١ ووقع ايضا معارضة مسلحة ضد نظام الاحتلال في بوسينا ــ هيرسيفوفينا . وفي التسعينات من القرن التاسع عشر بدأ البولونيون بالمطالبة بحصتهم في اللاندوهر وكذلك الالمان الذين أصبحوا متحفظين بعد ان كانت لهم الاولوية ثم بدأوا بالتململ . وفوق ذلك كله وقعت احداث شغب في بوهيميا حيث مع نهاية القرن بدأ الصراع في سبيل الحقوق العرقية والقومية بالاضافة الى النواحي الاجتماعية . وقد اظهرت بعض الوحدات على عدم امكانية الوثوق بها في زمن الاضطرابات ولم تؤد واجباتها بشكل جيد وقد رفض التشيك تلبية الدعوة الاحتياطية خلال عام ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ . بل أبعد من ذلك وخلال الازمة البلقانية عام ١٩١٢ ــ ١٩١٣ رفض العديد من التشيكيين الاحتياط استلام اوامر التعبئة ، وقد ابدت احدى الوحدات تململها عندما نقلت الى الحدود الصربية . وقد بدا أن الجيش أداة غير صالحة للحرب وعاجز عن قمع الثورات الشعبية . وقد ابدى كل من كونراد رئيس هيئة الاركان العامة والارشيدوق فرانسيس فرناند وزير البلاط ومفتش القوات المسلحة العامة ، اهتماما كبيرا بمقدار ولاء القوات وعملا على دمج سرعة التعبئة مع توزيع ونشر القوات بعيدا عن مناطقها الاصلية الذي كان مطبقا سابقا .

ومع ذلك لم يشعر كافة المراقبين بأن الجيش النمساوي الهنغاري كان بهذه الدرجة من السوء . ففي عام ١٩١٣ كتب احد الناقدين الانكليز انه في وسط الصراع القومي بقي « الجيش مدرسة للشعور الموحد والمصحح الدائم لمسيرة كل مطمع فردي » . وقد اعترف بأن التنظيم العسكري الثلاثي ليس سوى تنظيم فاشل ولكنه اكد على فعاليته « ان المحافظة على وحدة المشاعر وفعالية التنظيم بين مجموعة كبيرة من الاعراق واللغات المختلفة » . وثم خرج باستنتاج يفيد بأن هذا الجيش هو « اعجوبة عسكرية ، معجزة حققتها تضحية واندفاع ضباطه » ونجد استنتاجا مماثلا لهذا في مذكرات هيئة الاركان الالمانية لنفس العام حيث ذكر ان ضباط جيش هابسبورغ كانوا « الكفة الموازنة والفعالة في ذلك الوقت للطبيعة المتعددة الفئات للجيش » . (العنصر المعدل للضعف الحاصل في جيش متعدد الاعراق والقوميات) .

هذه « المعجزة العسكرية » حققتها مجموعة صغيرة جدا من الضباط حوالي ١٧٥٠٠ ضابط نظامي محترف يساعدهم حوالي ١٢٠٠٠ ضابط احتياطي في زمن السلم لجيش تعداده ٤٥٠٠٠٠ رجل . وقد تبدلت منذ عام ١٨٦٨ طبيعة وتشكيل هذه المجموعة . بصورة عامة كان الضابط النمساوي مشهورا دوما بشجاعته واندفاعه وولائه للعائلة الامبراطورية . من جهة أخرى فانه نادرا ما كان مثقفا . فالرتب العليا كان يشغلها على الدوام ابناء العائلات الارستقراطية ومعظمهم هواة . الرتب الدنيا كانت تظهر شجاعة فردية وتقبل للنظام التدريبي والقوانين العسكرية . وقد ادى ذلك الى وجود أركان ضعيفة وعمل قيادي ضعيف وازدراء للاكتشافات والتطورات التقنية الحديثة . ولكن بعد عام ١٨٦٨ فان المتطلبات الجديدة لجيش جماهيري واسلحة جديدة واساليب قتال واتصالات برزت الحاجة الى خبرة اعلى مستوى واصبحت الخدمة العسكرية في الجيش النمساوي الهنغاري مفتوحة الابواب للمهارات وذوي الكفاءات الذهنية القادرة على العمل والصالحة للقيادة .

سيطرت على معظم الضباط نوع من الطبيعة الالمانية. وفي العشر سنوات التي سبقت الحرب ورغم ان نسبة الالمان كانت ٢٤ بالمئة فقط من مجموع السكان و ٢٥٪ من مختلف الرتب في الجيش فانهم كانوا يشكلون نسبة ٧٠٪

من تعداد الضباط النظاميين . رغم ان الناحيــة القوميــة لم تشكل حاجزا نحو الانتساب او الترفيع بل كانت بالنسبة للعديد من التشيك والكرواتيين او البولونيين تقدم الخدمة العسكرية مميزات كبيرة . ولم يكن الاصل القوي حاجزا امام الترفيع الى رتب اعلى ففي اعلى الرتب كان ١٦ بالمئة من الجنرالات من اصل كرواتي . كما ان الاعتقاد الديني لم يكن مشكلة ففي الوقت الذي كانت الاكثرية بين الضباط للرومان الكاثوليك ٨٦ر٥ بالمئة المحترفين للخدمة كان بجانبهم ضباطا بروتستانت اورثوذكس ، يهود وايضا محترفين . الواقع ان بعض الكتاب الالمان لاموا هذا التنظيم للضباط واتهموه بأنه موبوء « باليهــود والديموقراطيين والمفكرين الاحرار » في حين ان معلقين اجانب آخرين كانــوا معجبين بالضباط النمساويين الهنغاريين وقد قيمهم احد الكتاب الانكليز بمستوى اعلى من مستوى الضباط الالماني . وقال « الضابط النمساوي الهنغاري اكثر ذكاء واكثر قابلية للتأقلم مع الظروف على اتصال وثيق مــع جنوده اقل استعدادا وقابلية للانحراف ومتحرر بشكل واضح من كل تبجح وعنــاد » .

لا شك ان هذا الوصف والتقييم ايجابي جدا واكثر من الواقع ومع ذلك فان الضابط النمساوي الهنغاري سواء في الاركان او في الصفوف كان رجل عمل جاد . وقد اضطر بسبب طبيعة تنظيم الجيش الى اتفاق عدة لغــات وكانت علاقة الضابط العامل بالقطعات مع جنوده جيدة ووثيقة ومع ان شروط الخدمة من حيث الراتب والاطعام والايواء لم تكن جيدة فان الجيش النمساوي الهنغاري قد صرف على كل رجل اقل من فرنسا واقل بكثير من المانيــا . ونظرا للنقص المستمر بصف الضباط فان الواجبات التي عادة يكلف بها هؤلاء في الجيوش الاخرى فقد كان على الضباط الشبان ان يشغلوها في الجيش النمساوي الهنغاري وقد يكون هذا احد الاسباب التي ساهمت في توثيــق العلاقة بين مختلف الرتب ، على اية حال كان بامكان الضابط النمساوي الهنغاري ان يخلق وحدة فعالة من جنود ومجندين غير جيدين . مثلا البوسنيون المدربون الذين قاتلوا ضد النمسا عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨١ واستمروا في حالــة

ثورة لمدة سنوات عدة تلت ذلك شكلوا ضمن اطار افواج التسعينات قوة يعتمد عليها الى درجة كبيرة وقد اثبتوا ذلك فعلا خلال الحرب .

ولم يكن الشعور الموالي للملكية وتضحية المحترفين مشتركا دوما مع الضباط الاحتياطيين الذين استدعوا للخدمة بعد ادخال نظام الخدمة الالزامية العامة . وكان هؤلاء الضباط المستدعين من صفوف المتطوعين لمدة سنة واحدة من طبقة ثقافية متوسطة ومن مجموعات قومية مختلفة . وقدم الالمان ٦٠ بالمئة والمكفيارز ٢٤ بالمئة والتشبك ١٠ بالمئة في حين ان البولونيين والاوكرانيين والسلوفان والرومان كان عددهم لا يذكر . وعلى كل حال فان ضابط الاحتياط في النمسا الهنغاري لم يتمتع مطلقا بالشهرة التي تمتع بها الضابط المماثل في المانيا ، وعادة لم يكن لدى ضابط الاحتياط الوقت ولا الميل لنشر وبث روح الجماعة او للدخول في حلقة واتصال وثيق مع الضابط العامل المحترف . وهذا له جذوره في اهتماماتهم القومية والاجتماعية السابقة تبعا لمنشئهم وكان ذلك يؤدي الى اعتبارهم مشبوهين في نظر الضباط العاملين .

ومع ذلك كان الاحتياطيون جنبا الى جنب مع العاملين هم من تلقوا وامتصوا الصدمة الاولى للحرب وخلافا للرأي السائد عادة فقد اثبت جيش هابسبورغ انه جيش مقاتل وفعال في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨ . وقد تمت التعبئة العامة بشكل جيد وبدون أي عائق وكان هذا مفاجأة لاعداء النمسا ومدعاة للراحة للقيادة الامبراطورية والملكية . وقد ثبت ان المخاوف التي كانت تراود الخواطر فيما يتعلق بالهونفيد لم يكن لها أي أساس ، وقد ظهر انه حتى بين التشيك والصرب مستودعا هائلا للعناصر الموالية للسلطة . ومع ذلك كانت هناك بعض نقاط الضعف . مبدئيا أدت المخاوف من عدم الولاء من قبل القوميات المختلفة سواء أكان ذلك شعور حقيقي أم خاطىء أو وهم الى تقييد عملية انتشار الوحدات المختلفة القوميات . بصورة عامة كان الالمان فقط والمايرز وافواج البوسند المؤهلين للقتال على كافة الجبهات . ثم بعد خمود الحماس الاولى بدأت الكفاءة القتالية تتفاوت بين قومية واخرى . الدلالة الاولى الجدية من القلائل اتت من بوهيميا حيث ادى سوق عدد من

الشبان ووحدات الاحتياط في ايلول ١٩١٤ الى مظاهرات معادية للحرب تلتها في نيسان ١٩١٥ هروب جماعي من قبل عناصر احدى الوحدات الفوج ٢٨ مشاة من براغ والتحاقهم بالروس .

ومع استمرار الحرب بدأت بوادر عدم الولاء تظهر في الوحدات الاخرى من قوميات مختلفة وقد سهل ذلك الخسائر الكبيرة في صفوف الضباط والقوات التي دخلت الحرب . ويقول التاريخ النمساوي العسكري الرسمي ان « الجيش المحترف القديم قد مات عام ١٩١٤ » ولكن كان للجيش قدرة على التعويض . وقد تمت استعواض الخسائر وفي كانون الاول كان الجيش النمساوي الهنغاري مستعدا للقيام بالهجوم من جديد رغم ان الاستعواض بالضباط بقي مشكلة قائمة طيلة المدة الباقية من الحرب وقد تأثرت بذلك الوحدة والتماسك في التشكيلات .

اثر موت الامبراطور الكهل فرانسيس جوزف في عام ١٩١٦ ثم مع الضغوط الناجمة عن الحرب التي بدأت بالتحول لغير صالح الملكية في شتاء عام ١٩١٧ وقع عدد اكبر من الحوادث لم تشمل التشيك فقط بل ايضا الصربيين والسلوفان وحتى الوحدات الكرواتية . وهنا بدأت عملية التضامن مع مجموعاتهم العرقية تتغلب على ولائهم للامبراطور والمملكة . وفي شتاء عام ١٩١٦ - ١٩١٧ اعتبرت وحدات عديدة غير موثوق بها مما ادى الى ضرورة جمع عدة وحدات مع بعضها البعض ضمن ألوية على ان تكون من قوميات مختلفة بهدف ضمان امكانية السيطرة عليها . وحتى في تلك الحالة كان الاعتماد الاساسي على شخصية القائد بالذات . ففي عام ١٩١٧ مثلا كان الفوج ٩٩ مشاة وفيه اكثرية تشيكية ومن منطقة كثر فيها التذمر أثبت فعالية وبرز بشكل واضح خلال معركة كابوريتو .

الواقع ان مسألة عدم تعاطف الجيش مع مملكة هابسبورغ يجب ان ننظر اليه ضمن اطار معين ومن زاوية معينة ، فالجيش الالماني وهو اكثر تجانسا كان يشهد اعدادا كبيرة من الفارين البولنديين والالزاستيين ولم يكن فيه عصيانات على نطاق واسع مثل ما هو موجود في الجيوش الفرنسية والروسية

وهذا ما حدث فعلا في القوات المسلحة النمساوية الهنغارية . الواقع انه كانت هناك دلائل واضحة جدا ، فقد قامت عدة اضرابات عمالية في المصانع في كانون الثاني ١٩١٨ ثم تبعها عصيان في الاسطول الخامس في خليج كوتور في شهر شباط وكان كلاهما بسبب قلة التموين وللمطالبة بصلح مبكر ، ولكنهما كليهما قمعا من قبل الجيش وحتى مطلع صيف ذلك العام بقيت القوات النمساوية الهنغارية متمسكة بخطوطها القتالية وفي حزيران عام ١٩١٨ قامت بآخر هجوم كبير لها ضد ايطاليا . وكان فشل هذا الهجوم بالاضافة الى الاثار التي نجمت عن الثورة البلشفية الروسية وبروز القادة الوطنيين الذين لم يعودوا ينتظرون أي تبديل داخل المملكة ولكنهم ساهموا في تفككها كل ذلك حطم الانسجام بين القوات الجائعة والعريانة . بعد شهر ايار ١٩١٨ اصبحت عمليات العصيان ورفض تنفيذ الاوامر والفرار الجماعي اكثر وقوعا وفي بعض المناطق كانت القوات الخضراء والوحدات الفارة المسلحة تشكل نواة المقاومة المسلحة . وفي نهاية صيف عام ١٩١٨ كان الجيش رغم الدفاع المتين في ايطاليا يقاتل متراجعا في البلقان وبدا بوضوح تام ان هذا الجيش قد بلغ نهاية طريقه .

كانت الضربة الاخيرة هي المانيفستو الامبراطوري في السادس عشر من تشرين الاول ١٩١٨ وفيه اعطى الامبراطور شارل للقوميات حرية انشاء دولا خاصة بهم ، وتبعه بعد اسبوعين أمر امبراطوري يحل الضباط من قسمهم ويسمح لهم بالالتحاق بقومياتهم وجيشها في الدول الجديدة .

ودمرت هذه التطورات آخر الروابط التي كانت بين مختلف افراد الجيش وفي ٢٩ ـ ٣٠ تشرين اول ١٩١٨ استدعت الحكومات القومية الجديدة الهنغارية ، التشيكوسلوفاكية ، الكروانية (يوغسلافيا) قواتها وادى ذلك الى ثغرات في الجبهة لم يعد بالامكان سدها . وعلى كل حال ففي ٢٤ تشرين اول ١٩١٨ حقق هجوم ايطالي مدعم بالانكليز والفرنسيين نتائج هامة ومع ذلك فان الانهيار الاخير جرى في عواصم الامبراطورية لا على جبهة القتال .

وبصورة عامة نجد ان هذه القوات المتعددة القوميات والقليلة العتاد والعدد قد قاتلت بشكل جيد للغاية . في حين ان مظاهر المقاومة القومية قد

برزت لدى مؤرخي الدول التي أتت فيما بعد وقد استنتج ليدل هارت من ذلك : « هذا رابط ضعيف بين مجموعة من الاقليات تحملت صدمة وتوتر الحرب طيلة اربعة اعوام بطريقة ادهشتني وفاقت تقدير اعدائها » .

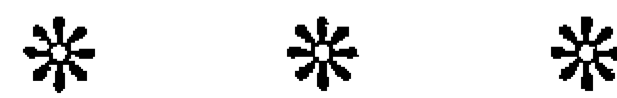
التقاليد والانضباط والقيادة المتضامنة كانت الاساس في تماسك جيش هابسبورغ . وقد امتزج مؤخرا ان حلولا مغايرة للمسألة العسكرية في المملكة المزدوجة قد وحدت بعد عام ١٨٦٦ . كما قيل انه لم يكن هناك أي شيء هام في تنظيم المملكة لتأهيلها لتطبيق التجنيد العام وان الجيش المحترف الحقيقي كان باستطاعته خدمة مصالحها بشكل افضل . من جهة اخرى قال أحد المؤرخين العسكريين النمساويين المعروفين بأن الاتفاق العسكري لعام ١٨٦٨ كان اجراءا مقبولا بهدف اجراء التعديلات المفروضة بسبب الهزيمة وانه فشل في منافسة الهيكل التنظيمي العسكري . ويقول كورت بيبال بأن استمرار الاعتماد على التقاليد وعلى الشعور بالولاء نحو الملك حرمت الجيش من كسب دعم شعبي وقد قال ان « الجيش المتعدد القوميات » الفعلي المبني على اساس فيدرالي قد يكون ، ربما ، الجواب على ذلك انذاك .

وهناك متعة دائمة في محاولة لاعادة كتابة التاريخ واكمال بالقلم ما بدأ تحقيقه بالسيف . ان التنفيذ الجيد غير المتوقع من قبل جيش هابسبورغ خلال الحرب العالمية الاولى كان يستند الى حد كبير على شعور بأن الحكومة كانت دستورية شرعية تحاول المتابعة على طريق تحقيق هدف مقبول بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب المتعدد القوميات . وكانت طبيعة الحرب غير الحاسمة ثم بعد موت الامبراطور العجوز بعد ١٩١٦ ظهر ميل كفة الميزان لغير صالح النمسا هنغاريا وحلفائها التي ابرزت شرعية الحكومة الهابسبورغية في نظر مختلف العناصر القومية . وبهدف اقامة هذه الطريقة وتطبيقها كان المطلوب جوابا سياسيا وجوابا عسكريا بنفس الوقت .

من الناحية العسكرية لو تم الانتصار حتى عام ١٩١٦ فلم تكن هناك اية مشكلة . وقيل ان الجيش كان يمكن ان يعاد بناؤه سواء على اساس التطوع الكامل او على اساس تعدد القوميات انما بشكل صحيح ولكن سبب فشله كان

سياسيا لا عسكريا . ففي عام ١٨٦٨ كانت الميول الليبرالية تعارض بشدة المثابرة والاستمرار بالتنظيم القديم للجيش كما كان في القرن الثامن عشر وبنفس الوقت كان صراع القوميات سببا في احباط مشاريع القوات المسلحة الفيدرالية المؤلفة من عدة قوميات بشكل صحيح وفي مثل هذا المجال كان لا بد من ضمان ولاء مختلف القوميات ومختلف الطبقات بمنحهم حقوقا مختلفة . وفي النمسا وهنغاريا كان تطبيق الخدمة الالزامية العامة بالتوافق مع بعض الاصلاحات السياسية التي جعلت من الملكية شكلا دستوريا بدلا من السلطة المطلقة ولكن هذه الاصلاحات لم تذهب بعيدا في هنغاريا حيث الاقلية المايرية كانت غير راغبة مطلقا بالمشاركة في السلطة وتوزيع السلطة مع الاقليات القومية واضطر الامبراطور الى فرض سلطته وارادته مع المجازفة بحرب اهلية . وعند ذلك في الوقت الذي كان الصراع يدور بين الاقليات لم يرغب لا الالمان ولا السلاف بقبول مثل هذه « الفيدرالية العسكرية » في المؤسسة العسكرية ، وبقي واقع الامر ان درجة ومستوى المعضلة القومية لم يكن بالامكان حلها داخل المملكة الهابسبورغية او في اواسط اوروبا لنفس السبب كما لم يكن بالمستطاع حلها داخل المؤسسة العسكرية .

لم يكن باستطاعة جيش هابسبورغ انقاذ المجتمع الذي يعيش في اطاره ولكنه استمر في محاولته كمنقذ اخير متبقي للخروج من الازمات .



الفصل الخامس

القوات المسلحة في السياسة والدبلوماسية

١ ـ حامية لينغراد وثورة شباط لعام ١٩١٧ ، بقلم وارن ب. وولش .

٢ ـ التدخل المتعدد الاطراف في روسيا ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ثلاث مستويات من التعقيد ـ غاديس سميث .

٣ ـ الحكومات العسكرية مثالين : الروس والاميركان ـ ايرل ب زيمكيه .

مقـــدمة النـــاشر :

ان الخشية من التدخل العسكري في السياسة الذي أدى بواضعي الدستور الاميركي الى السعي لوضع قيود واسلوب للاشراف والتوازن على القوى العسكرية كانت مخاوفا تهدف الى استبعاد وادانة أي انقلاب عسكري ــ كتوزيع وطرد نواب البرلمان برؤوس الحراب كما حصل ويعرف ذلك تماما الآباء المؤسسون في انكلترا في القرن السابق . وكان يبدو ان هناك احتمالا خطرا مماثلا قد يحدث في الولايات المتحدة في زمن نيوبرغ اوريسس المعاصرة . التدخـل العسكري في السياسة في أيامنا هذه قد يأخذ ايضا شكل انقلاب عسكري ولكن ذلك عندما يحدث فعلا فانه يجري في دول متخلفة وغير متطورة صناعيا حيث يشكل الجيش أحد الفئات المثقفة القليلة بقيادة نشطة وربما كان الجيش هناك الفئة الوحيدة التي لها تطلعات قومية . اما في الدول الكبرى فان التدخـل العسكري والتأثير على السياسة عملية اكثر صعوبة وتعقيدا ويأخذ اشكالا اكثر تطورا من الانقلاب العسكري .

ولكن القوة مازالت قريبة جدا من روح السياسة لدرجة ان احتمال اشهار القوة العسكرية لحرابها لا يمكن اسقاطه نهائيا حتى في اكثر الـدول تطورا حيث الجيش قوي جدا ، في الازمات القاسية الوطنية والقومية لا يمكن لاية دولة اعتبار نفسها مختلفة تماما عن روسيا عام ١٩١٧ ، حيث كما يصفها وارين وولش في محاضرته عـام ١٩٧١ انساقت حاميـة بيتروغراد المتـازة والنظامية بتأثير الاندفاع القوي المحيط بها الى حلف الثورة . البروفسور وولش من جامعة سيراكوزا قد امضى وقتا طويلا في دراسة الجندي والدولة في روسيا.

حامية بيتروغراد وثورة شباط عام ١٩١٧

البروفسور وارين وولش

اخيرا قلت لـه (للجنرال اليكسييف رئيس الاركان في القيادة العليـا الجيوش الروسية) : اليس هذا غريبا ؟ يمكن القول أن أدوارنا قد قلبت رأسا على عقب ، فأنت الجنرال المعاون للامبراطور ومستشاره العسكري وعضو من أعضاء حاشيته ، تعارض كوني شخصيا عضو من المعارضة (ماكلاكوف رئيس الحزب الديموقراطي الدستوري في دولة روما) وادعو اليها واتمسك بها .

« أنت على حق » . أجاب الجنرال : « وذلك يعود الى انني اعرف بالضبط حقيقة هذه السلطة اكثر منك أنت لدرجة أني لا ارغب بأن أكون جزءا منها » .

هذه الملاحظة لفتت نظري وصدمتني : « هذا ممكن فقط لي » كما أجبته : لاني اعرف السياسيين أكثر منك لذلك لا اتوقع شيئا من اعمالهم .

هذا الحديث المتبادل بين الرئيس السياسي الليبرالي وبين رئيس الاركان في ستافكا جرى بعد ستة اشهر من الاحداث التي سنبحث بها في هذه المحاضرة عندما استشار الجنرال اليكسييف ماكلاكوف حول خطة تهدف الى تدمير البولشفيك والثوار الاخرين أولا ثم القضاء على الفوضى « باقامة نظام ثوري » . ويبدو ذلك غامضا وهو بالفعل كذلك وكان الجنرال مع عدد آخر من المسؤلين كانوا مرتبكين ، ماذا حدث في الامبراطورية الروسية في شباط/اذار عام ١٩١٧ ولشهور تلت ذلك ، في قول ميلتون « الفردوس المفقود » .

ان ثورة شباط /اذار عبر الامبراطورية الروسية قد اندلعت نتيجة لما حدث واستمر حدوثه في بيتروغراد وضواحيها وفي ماجيلييف مقر القيادة العليا للجيوش الروسية ستافكا على مسافة ٤٢٥ ميلا جنوبي العاصمة .

كان الامبراطور نيقولا الثاني قد غادر عاصمته بيتروغراد يوم ٢٢ شباط(١) ووصل الى موجيليف في اليوم التالي . أما في بيتروغراد فقد كانت قد وقعت اضرابات ومظاهرات في الشوارع وفوضى قام بها (الهوليغان) الزعران وذلك قبل ان يغادر المدينة الامبراطور في طريقه الى الستافكا . ولا شك ان مغادرته للعاصمة وتواجده في الستافكا ادى الى اختلاف فيما حدث في كلا الموقعين ولكن هذه ليست اللحظات المناسبة لوصفها كأحداث الا لكونها قد جعلت سير الامور مختلفا بشكل ذي معنى . والا وجب علينا الافتراض بامكانية الامبراطور نيقولا الثاني فجأة القيام بعمل لم يقم بمثله مسبقا : استلام المسؤولية الفعالة في وقت الازمة .

وهدف هذه المحاضرة هو التحدث عن انتشار الثورة من بيتروغراد والستافكا أولا نحو موسكو ثم الى مختلف المراكز العسكرية والمدنية . ويمكن التنويه بأن اولى الانباء الرسمية حول أحداث بيتروغراد كانت برقية مرسلة من قبل م . ف . رودزيانكو الذي وقعها كرئيس لدولة الدوما ومن قبل أحد أعضاء الدوما يدعى بوبليكوف الذي استلم وزارة الطرق والاتصالات في اليوم السابق . وقد ارسلت هذه البرقية الى كافة محطات السكك الحديدية والى كافة مراكز البرق العسكرية عبر الامبراطورية . وقد نصت وربما بشكل متسرع ان دولة الدوما قد اقامت نظاما جديدا لان النظام القديم قد دمر كل شيء وفقد سلطته .. الفريق غولوفين احد الباحثين العسكريين القلائل في الجيش الامبراطوري الروسي كتب في عام ١٩٢٠ ان هذه البرقية الصادرة عن « بوبليكوف ـ رودزيانكو » كان لها اكبر أثر على تدمير الجيش اكثر من أي أمر رقم واحد . كان غولوفين يشكل وظيفة رئيس اركان الجبهة الجنوبية الغربية عندما وصلته هذه البرقية . وفشل في تقييمها وعمل بشكل تسربت المعلومات التي تضمنتها الى القوات التي استنتجت منها ان القيصر قد اسقط . ومن الصعب جدا معرفة تأثير هذه البرقية وباقي الانباء ما لم يكن للانسان معطيات اساسية مسبقة حول النظام الحكومي والاداري القيصري .

---

(١) التقويم الروسي القديم الذي كان متبعا عام ١٩١٧ متخلف بمدة ١٣ يوما عن التقويم الغربي . وكافة التواريخ المذكورة هنا هي بحسب ذلك التقويم الروسي .

مما لا شك فيه انه ما من انسان حتى لو أعتبر نفسه متمتعا بصفة الاله القادر وذو سلطة مطلقة ان يقود ويدير بلاد شاسعة كالامبراطورية الروسية بمفرده . من جهة كان القيصر يعتمد بشكل تام على اولئك الذين اعتبرهم كخدم له وهذه كانت نظرة نيقولا الثاني مثله مثل كافة القياصرة الذين سبقوه الى اعلى القادة العسكريين رتبة واكبر الرجال المدنيين المسؤولين لديه . لقد كانوا عينيه وأذنيه وأياديه ينقلون اليه الاخبار . كما كانوا الحد الفاصل بين القيصر من جهة وبين اتباعه كافة عدا بضعة مئات منهم . كانوا يقدمون له تقاريرهم ويتلقون اوامره وينفذونها بدرجة من الدقة وبفعالية واسلوب مختلف بين واحد وآخر . ولكن اذا لم يكن باستطاعة اي قيصر ان يعمل بدون العسكر وخاصة الجيش وبدون البروقراطية الامبراطورية فان هؤلاء ايضا لا يمكنهم عمل أي شيء بدونه . هذه هي الناحية الاخرى . القوة نابعة بكاملها من القيصر . وليس الوزير اية سلطة لكونه وزيرا أي بكلمة اخرى لا ترتبط السلطة بالمنصب . والوزير يعمل لاجل وباسم وبسلطة القيصر . وهذا صحيح ايضا فيما يتعلق بأعلى الضباط رتبة . كلكم تعرفون ما يسمى بالعقد الذاتي الذي يبرمه رب عمل معتمد على امكانياته في انتاج كل ما يرغب او كل ما هو مطلوب منه . وقد كان القيصر نوعا من هذا المتعهد الذاتي والمنبع الرئيسي للقوة . كانت هناك فترات نقض فيه هذا المبدأ من حيث التطبيق الفعلي كما كان هناك بلا شك سوء استغلال لهذا التعاقد . ولكن بصورة عامة ، لو تصورتم الحكومة والادارة في روسيا القيصرية كنظام « شبكة كهربائية » ، كان القيصر هو المنبع المولد للطاقة لكامل هذه الشبكة . واذا تعطل القيصر المولد او ان مكونات الشبكة لم تعمل جيدا ـ وقد حدث كلا النوعين قبيل عام ١٩١٧ في روسيا ـ فان الشبكة تتعطل ثم تفشل .

بالنسبة للمدنيين من السهل عليهم افتراض ان الجيش لا يتبدل وانه كمؤسسة هو ابدي اكثر من القبول بوجود « فكر عسكري » . وقد مر الجيش الروسي بثلاث تبدلات على الاقل خلال السنوات الستين الاخيرة من الامبراطورية فالاصلاحات العسكرية في الستينات من القرن التاسع عشر كانت عملية غسل شاملة لدرجة يمكن ان نتحدث عن الجيش قبل الاصلاح والجيش بعد

الاصلاحات . وهذا ينطبق ايضا على الاحداث التي تلت هزيمة الجيش الروسي امام اليابانيين في عام ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ . ثم دخلت الجيوش الروسية الحرب العالمية الاولى بشكل يختلف تماما وفي نواحي متعددة عن القوات المبعثرة التي عادت من شرقي اسيا ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ . من جهة كانت نسبة المثقفين في الجيش قد بلغت رقما لم يسبق له مثيل قبل عام ١٩١٣ اذ بلغت ٦٨ بالمئة . ولا شك انكم كعسكريين لستم بحاجة الى من يذكركم بأن أساليب التدريب وبث الروح العقائدية والقيادة ضرورية جدا تجد لها تطبيقا افضل لدى المثقفين اكثر من الذين يفتقرون الى الثقافة .

لنتابع هذه الفكرة قليلا نجد ان الحاجة الماسة الى القدرة البشرية خلال الحرب العالمية الاولى ساقت الى الجيش خميرة اوسع ومن نوعية جديدة من الرجال والضباط . وباندلاع الحرب وضع نظام جديد سمح بالترقية الفورية دونما حاجة الى الامتحانات التي كانت مطلوبة سابقا لكافة المتطوعين والمستدعين للخدمة الذين انهوا على الاقل ثلاثة ارباع مدة الدراسة الثانوية . وقد قدم لهؤلاء المتمتعون بثقافة او مبادىء تقنية ليس فقط ميزة الترقية بل ايضا تعيينهم في واجبات غير قتالية تبعا لمؤهلاتهم التقنية . هذه الاجراءات لا شك انها كانت موضوعة لتغطية الحاجات الماسة لضباط شبان ولكنها قابلة للتطبيق فقط بل تزايد الثقافة والتعليم .

كما أدت الحاجات الوطنية الى اغناء الجيش ليس فقط بشبان متحمسين انما ايضا مدنيين اكبر سنا من الذين كان لهم نشاطاتهم الفردية في مختلف الوظائف والاعمال وجلبوا معهم قيما مختلفة وتطلعات ومطامح متنوعة . وكانت اللعبة المدنية التي قبلت من الجيش تهدف الى التخلص من « مثيري الشغب » بالحاقهم في الخدمة العسكرية مما اضاف نوعا آخر من الخمائر الجديدة تضمنت رجالا كان بينهم من سبق له نشاط سياسي ناجح ومحرضين وسواهم من الذين كانوا مشهورين كقادة بين مجموعاتهم وكتلهم المدنية .

وقد شملت التغيرات المذكورة اعلاه الضباط حتى على اعلى المستويات وقد بدأت هذه التبدلات مع عملية اعادة بناء القوات المسلحة بعد عام ١٩٠٦

ثم تسارعت هذه العملية حتى قبل عام ١٩١٤ . وانها لقصة مشوقة وهامة تستحق ان تروى ولكن ليس الآن . ويكفينا حاليا ان تؤكد ببساطة على ان العلاقة الخاصة التي كانت قائمة لاجيال عدة بين الامبراطور الحاكم وكافة الرتب العسكرية وخاصة مع الضباط بدأت تتبدل اعتبارا من ١٩٠٥ – ١٩٠٦ . وقد استمر نوع من العبادة الصوفية للامبراطور الحاكم بين الاكثرية ولكنها زالت لدى الاقليات التي أخذ عددها يتزايد . وقد ادى اندلاع الحرب ١٩١٤ الى احياء الشعور القديم وبرزت هتافات حماسية من الجموع الهائلة تهتف من اجل الله والقيصر وروسيا ، وهي كلمات يتضمنها القسم القديم التقليدي . هذه المشاعر استمرت حتى النهاية بالنسبة للبعض انما بقوة اقل وباستئناف متزايدة لما كانت القاعدة العامة . وسنعود الى هذه النقطة بعد القاء نظرة على ناحيتين أخريين .

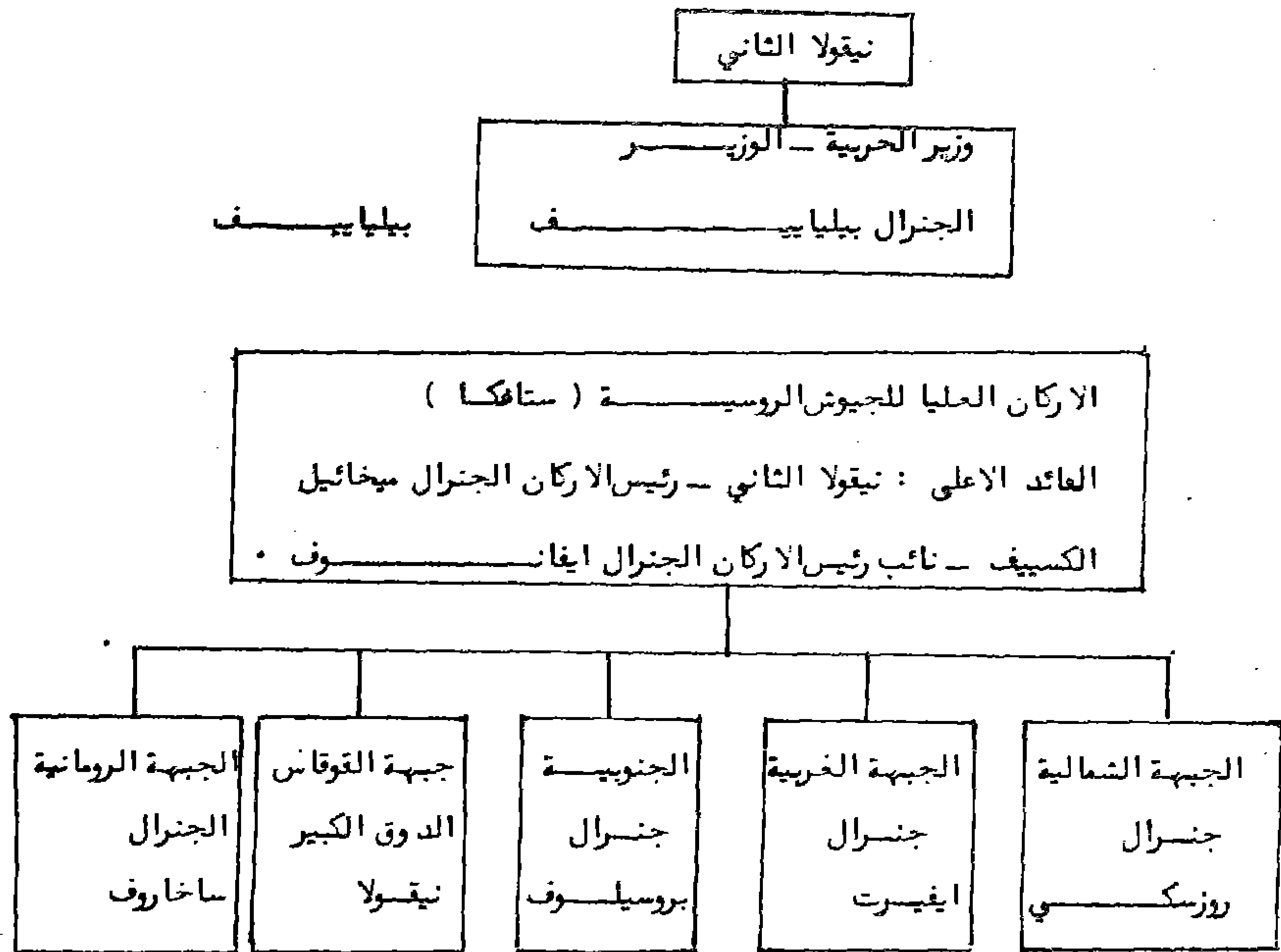
لقد ألقى القياصرة المتتابعون على روسيا ومنذ البداية على عسكرييهم الكبار مهاما بعيدة جدا عن مهمة القتال ضد الاعداء الاجانب . وقد بدأت « الستريلشي » الشهيرة في القرن السادس عشر كقوة حرس شخصي للقيصر وكشرطة أمن في العاصمة ولكنها استخدمت ايضا كقوات اطفائية في موسكو . اعتمد القياصرة بشكل مطلق على الضباط العسكريين كمستشارين ووزراء وموفدين خاصين وزعماء سياسيين وجنرالات لقمع الشغب ، هذا التطبيق العملي تعدل ببطء ولكنه لم يصرف النظر عنه مطلقا بعد ان تطورت الخدمة المدنية الامبراطورية . كانت القوات العسكرية تستخدم دوما لحماية القصور الامبراطورية وحماية شخص القيصر ولكنها كانت ايضا تستخدم لجمع الضرائب ولفرض الكرنتينا والحجر على المناطق المصابة بالامراض (كالبرص) والمحافظة على الامن والنظام بين المدنيين . بعض هذه المهام طورت واستمرت . وكان يعطى اهتمام خاص لابعاد العسكريين سواء من الضباط او الافراد عن اقامة علاقات وثيقة مع المدنيين ، عندما يكونون خارج الدوام . العسكريون الروس الكبار كانوا يعينون في بولونيا وفي المناطق الحدودية . وكان البولونيون والبيلاروسيون والاوكرانيون يرسلون الى الاورال والى القوقاز وقد اعطيت مهام خاصة لافواج

الحرس التي كانت كلها تقريبا مقادة من قبل ضباط من طبقة النبلاء وذلك حتى في القرن العشرين .

وكان هناك فكرة ثابتة وبديهية بأن العسكريين وخاصة الضباط وقوات الحراسة ستهرع الى الالتفاف حول القيصر والدفاع عنه بشكل آلي عندما تدعو الضرورة الى ذلك . كما كان بديهيا ان الجيش سيكون كقوة تخدم باستمرار ، وموضع ثقة تستند عليها القوانين المدنية ومؤسساتها . كان هناك بعض الانتقادات ولكن الشعب الروسي سواء المدنيين او العسكريين لم يستغربوا مطلقا ان يحتفظ نيقولا الثاني بأفضل قواته في روسيا الاوروبية خلال الحرب الروسية اليابانية « لتبقى بشكل او آخر قوة ضاغطة على رؤوس الشعب الروسي » ، كما قال احد المؤرخين المحترمين . كما استخدم الضباط والجنود بواسطة القوانين العسكرية وفرض الاحكام العرفية لقمع الثورة في عام ١٩٠٥ . ولكن كما ذكرنا سابقا كان الجيش الذي اعقب عام ١٩٠٥ مختلفا عن السابق ومن نواح عدة . وقد تبدل بشكل جذري تقريبا خلال السنين والربع الاول من الحرب العالمية الاولى .

مع اندلاع الحرب سيطر الجيش تماما واستلم السلطة على مناطق العمليات والمناطق المتاخمة لها وما وراءها ودعيت مناطق عسكرية . ولكن هذه السلطة لم تنفذ عمليا واجباتها التي نصت عليها اوامر الاركان العامة للجيش . الواقع انها اعطت للعسكريين المسؤوليات التي كانوا دوما مستعدين لتحملها . ولكن امكانية التنفيذ كانت تختلف تبعا لشخصية الضابط الحاكم وللمدنيين المسؤولين وايضا تبعا للموقف المحلي ولكن بشكل عام خلق الموقف غموضا عاما وصراعا بين السلطات وادى الى بعض الاحتكاكات . وبدأت المناطق العسكرية تمتد نحو الشرق في البدء مع تزايد الاعمال القتالية ثم فيما بعد بسبب تراجع الجيوش الروسية . وكانت معظم اراضي روسيا الغربية بما في ذلك منطقة بيتروغراد وضواحيها تحت الاشراف العسكري القوي خلال عام ١٩١٦ .

ويوضح الجدول التالي الجبهات الست (الجيوش الستة) والقيادة العليا وقادة القوات البرية في كانون الثاني/شباط ١٩١٧ :



وكان تعداد الجيش الروسي عند بدء الحرب يبلغ مليون وسبعمائة وخمسين الف ضابط وجندي في الخدمة الفعلية . وقد زادت التعبئة العــامة هذا الجيش بحوالي ٣ ملايين ونصف رجل اضافي من الاحتياط والميليشيا . وفي نهاية ١٩١٦ كان قد دخل الجيش حوالي ١٥ مليون انسان اي ٢٠ بالمئــة من تعداد السكان من الرجال واكثر من ٣٠ بالمئة من الرجال بسن العمل . وبلغت الخسائر البشرية ما يعادل ثلاثة ملايين وثمانمائة الف في منتصف عام ١٩١٥ وتزايدت هذه الاعداد فيما بعد . وافضل التقديرات العامة حتى اذار ١٩١٧ يقدر بين ٩ و ١٠ ملايين . وقد ارسل الى الجبهات حوالي خمسة ملايين ونصف من الرجال الجدد خلال ١٩١٥ ــ ١٩١٦ وكانت تقديرات القيادة العليا تعتبر ان حاجتها الى القوة البشرية تعادل لعام ١٩١٧ ثلاثمائة الف رجل شهريا .

ولكن لم يكن يبقى لها احتياط كاف من الرجال لهذه المهمات . بكلمة اخرى كان الجيش عمليا مختلفا من حيث التكوين البشري عما كان عليه عند بداية الحرب . وقد استمر العمل بأسماء الوحدات وكذلك بقي بعض الضباط والرجال ولكن الجديد قد بزغ من القديم ولهذا آثاره ذات المعنى أولا على الستافكا وفي بيتروغراد وفيما بعد في انحاء مختلفة عبر اراضي الامبراطورية .

جاء في الفقرة الاولى من هذه المحاضرة انها ستقدم بعض الابعاد الجديدة لثورة شباط/اذار . المهم ان وسائل التحليل الاضافية على تلك التي استخدمها المؤرخون فترة طويلة تجعل من الممكن التعرض للموضوع ليس بكونه حدثـا مجردا او كواقع غير متماسك بل كسلسلة طويلة لما شعر به مختلف الاشخاص او المجمعات تجاه هذه الثورة . أي بكلمة أخرى ان المعرفة المتطورة للسلوك الانساني يوضح انه لم يكن هناك ثورة حقيقية روسية واحدة فقط . فالثورة الحقيقية بالنسبة لـ ماكلاكوف كانت تكمن في تنازل القيصر نيقولا الثاني . ويعتبر ماكلاكوف هذا العمل « آخر اعمال القيصر القانونية » في النظام القديم . اما بالنسبة لنيقولا فكان تبدل الجو العام . وثورته الحقيقية سبقت عمليـة التنازل عن العرش .

وعندما بدأت التقارير التي كانت تصل الى الستافكا من بيتروغراد تصبح اكثر هسترية طلب القيصر من الكسييف التشاور مع الجنرال نيكولاي ايفانوف (في محاولة التفاهم مع اولئك القادة السياسيين الذين يعتبرهم القيصر اقل خطورة عليه وعلى روسيا من الالمان) وقادة الجيش . فأشاروا بالاجماع على نيقولا بالسعي الى التفاهم مع القادة السياسيين الذين يعتبرهم القيصر أقل خطرا من الالمان ولكن القيصر كان من الناحية النفسية غير قادر على القبول بمثل هذا الاقتراح كما ان سرعة تدهور الموقف في بيتروغراد حالت دون امكانية اقناعه بهذه الفكرة . وكان من الطبيعي جدا للقيصر ـ الامبراطور ان يستدعي كبار ضباطه مرة ثانية ، وكان يأمل بنصيحة مقبولة يمكنها الاخذ بها نصيحة عملية وواقعية يستطيع بها مواجهة الازمة . وهذه هي كلمات مأخوذة عن مفكرة القيصر توضح اجابة هؤلاء الضباط عندما علمهم ان سياسيي بيتروغراد يطلبون

منه التنازل عن العرش : « ... لقد قالوا انه نظرا للظروف القائمة وبهدف انقاذ روسيا والمحافظة على النظام في الجيش فان هذا القرار (أي التنازل) هو ضروري ... فوافقت » .

لا بد وان هذا الرجل الوحيد المشوش الفكر قد شعر انذاك وكأن الارض قد فغرت فاها فجأة تحت اقدامه . فاذا كان جنرالاته المرتبطين تجاهه بقسم رسمي والذين تعاونوا معه طيلة هذه السنين ومع ذلك رفضوا مساعدته فالى من سيتجه ؟ لم يكن امامه أي خيار . هذه هي الثورة الحقيقية بالنسبة لنيقولا . ولا قيمة لما ورد في المذكرة فيما بعد : « في كل ما حولي لا اجد سوى الخيانة والجبن والتراجع » .

اما بالنسبة للدوق الكبير وباقي الضباط الكبار الذين ايدوا هذه النصيحة فان الثورة قد حصلت فعلا عندما قرروا فرديا واجماعيا ان واجبهم تجاه روسيا هو اكثر قداسة من اخلاصهم لرجل واحد ، القيصر . هذا التغيير في القيم التقليدية جاء تدريجيا وببطء بالنسبة للبعض وبسرعة اكبر للبعض الآخر ولم يكن بالطبع يشاركهم فيه كافة او معظم الضباط . لا شك انهم لم يفعلوا كلهم او يفكروا بنفس الطريقة التي عمل بها الكسييف والتي عبر عنها في حديثه مع ماكلاكوف . ومن الضروري ان نضيف ان بعض الضباط في الستافكا وبيتروغراد قد استنتجوا ان مشكلة روسيا قد اصبحت اشد خطورة من ان تحل باستخدام القوة ، وان أي نجاح سيكون مؤقتا وسيؤدي الى عنف اكبر . ولم يكونوا على استعداد لزج انفسهم او رجالهم في سبيل رجل لا يستطيعون الثقة به بعد الآن . وكان هذا النموذج من التصرف من قبل القادة قد وجد صداه لدى مرؤوسيهم الذين بحسب استعدادهم المسبق المؤيد او المعارض اصبح اكثر تجسيدا . وهذا واضح وبصورة فورية في عجز القائد العسكري لمدينة بيتروغراد .

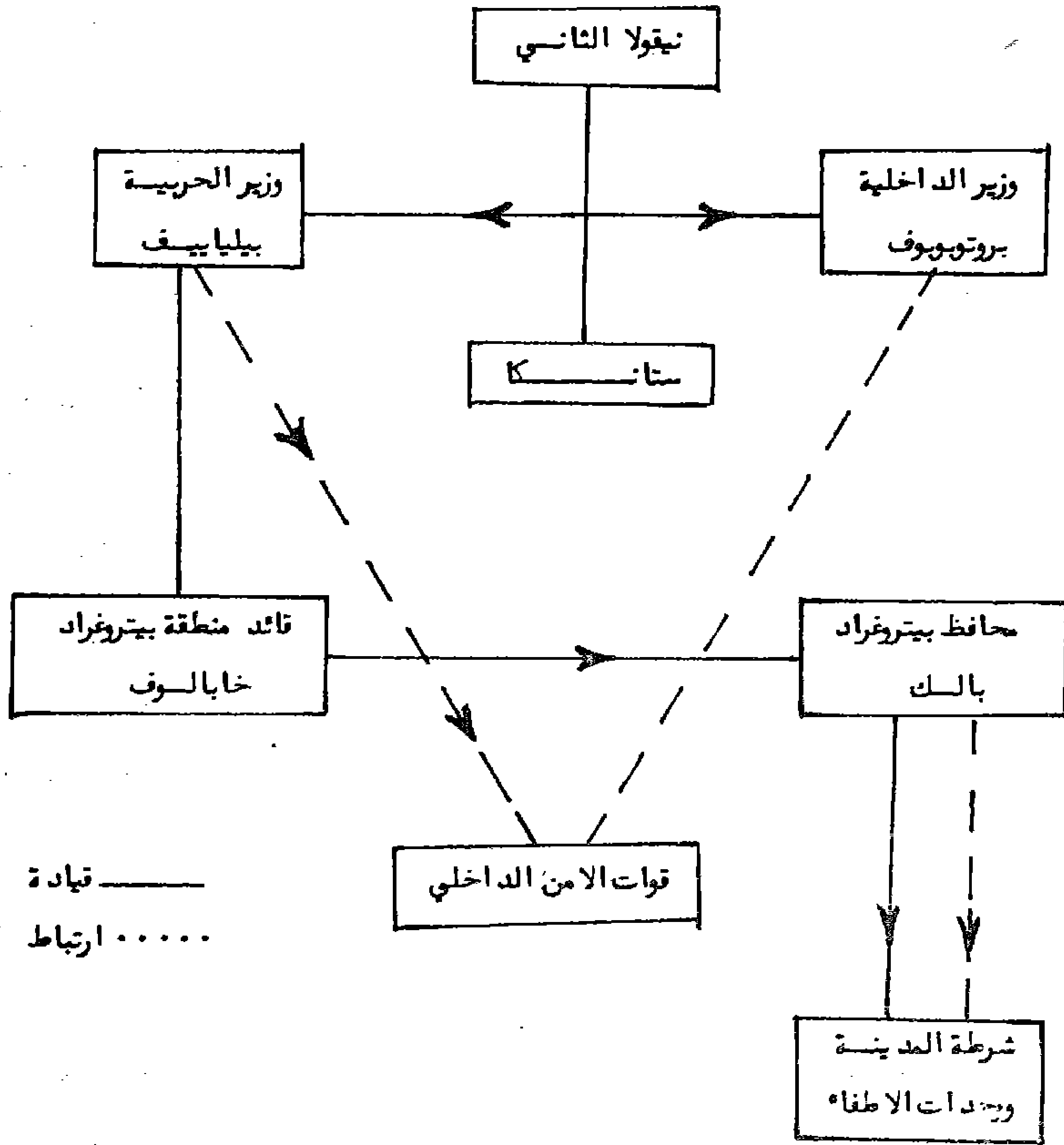
في مطلع عام ١٩١٦ ورد تقرير من مدير الامن في موسكو (الشرطة السرية) الى وزير الداخلية ينذر بتصاعد بوادر تذمر عام وشعبي « ضد شخص الامبراطور الحاكم » . وقد قدمت ادارة الامن تقريرا آخرا اكثر شمولا تلخص

فيه مجموع المعلومات الواردة من مختلف أنحاء الامبراطورية . وفي تشرين الاول ١٩١٦ شمل مثل هذا التقرير نقاطا اخرى من تدني المعنويات وشكوى عامة واحتمال وقوع اعمال شغب صغيرة في أي من البلاد الكبيرة بما في ذلك بيتروغراد وقد تقود الى أزمة كبيرة وخطرة . فالفلاحون والقرويون وسكان المدن بدأوا جميعهم ينتقدون علنا الحكومة كما جاء في ذلك التقرير . الذي اضاف انهم ليسوا ثوريين ولكنهم يعتبرون « معارضين سياسيين » . ليس هناك أثبات ولكن من المحتمل ومن المقبول فعلا ان تقرير الامن هذا قاد الى وضع وتطوير خطة للسيطرة التامة وتطويق احداث بيتروغراد . وقد وضعت هذه الخطة فعلا وبشكل مفصل وصدقت من قبل الامبراطور في تشرين الثاني ١٩١٦ . وتنص من حيث الجوهر انه في حالة فوضى مدنية في بيتروغراد اعلى من امكانية الشرطة المحلية للسيطرة عليها تنتقل القيادة فورا الى ايدي قائد المنطقة العسكري . وصدر امر امبراطوري في كانون الثاني ١٩١٧ باجراء تبديلات هامة في هذه المنطقة . ونقلت مسؤولية قيادة منطقة بيتروغراد من أمرة الجبهة الشمالية التي كانت انذاك بقيادة الجنرال روزسكي وشكل منها منطقة عسكرية منفصلة تحت قيادة الجنرال خابالوف ويرتبط مباشرة بوزير الحربية . وربط قائد الشرطة في المدينة وكان الجنرال بالك بوزير الداخلية مباشرة وكانت وحدات الحراسة والامن مرتبطة اداريا بوزير الداخلية وعملياتيا بوزير الحربية وكان رؤساء هذه الوحدات كلها مرتبطين بالجنرال بالك .

ويظهر الجدول التالي حلقة القيادة في بيتروغراد اثر هذه التبدلات :

وبما ان هذه التدابير الجديدة لم تؤثر على مضمون خطة تشرين الثاني فان أزمة قوية ستقود بالك ورجاله الى أمرة خابالوف وقواته . ويقول بالك فيما بعد ان اللباقة المتبادلة منعت أي تصادم بينه وبين خابالوف . ومع ذلك فان هذا النظام كان متداخلا وكان يمكن له ان ينجح تماما لو ان خابالوف ووزير الحربية من (بليانيف) وبروتوبوف وزير الداخلية وبالك من جهة اخرى كانوا من مستوى اعلى من الكفاءة .

سلسلة القيادة في بيتروغراد كانون الثاني/شباط ١٩١٧



وهذا يقودنا الى تقدير حامية بيتروغراد وضواحيها التي كانت من مسؤولية خابالوف وكانت التسمية التي اطلقت على سكان بيتروغراد الموضوعين تحت اشراف « بالك » حتى انتقال القيادة منه بعد ظهر يوم ٢٤ شباط هي « رجال الشوارع » ولم تكن بين القوات وبين رجال الشوارع ، لاسباب عدة سنذكرها فيما بعد ، متفرقة وغير منهكة كما قد يبدو للوهلة الاولى . وسأكتفي بالقول بأنه لم تكن هناك اية قيمة لاحداها بدون الاخرى رغم ما يبدو من تعاون هزيل بينهما وغير رسمي . كانت قوى الحامية التابعة للجنرال خابالوف مجموعة مؤلفة من ضباط وصف ضباط قلائل ومحترفين في حين كان معظم افرادها احتياطيين ، من الناقهين وعملهم محدود لبعض الاعمال غير الشاقة ، وكان هناك ايضا ١٥٠٠ طالب ضابط تحت التدريب معظمهم بسن ١٨ — ١٩

سنة ، في حين أن بعض المدعويين كانوا ادنى من التجنيد وآخرون تجاوزوا سن الخدمة الاحتياطية والمعفون من التدريب (وقد أفاد الجنرال خابالوف فيما بعد امام لجنة تحقيق ان معاونه المباشر كان يشكو من ضيق التنفس وان جميع ضباطه كانوا مرضى ولهذا السبب سحبوا من جبهات القتال) ولم يتوافق خابالوف وبالك انذاك وفيما بعد على مدى قوة الوحدات التي كان يقودها خابالوف ولكن مما لا شك فيه أن قوات الحامية (مستودع القوات كما كانت تسمى في السجلات الرسمية الروسية في ذلك الوقت) كانت مجموعة متنافرة ولم يكن ذلك نتيجة لخطيئة قادتها .

في عام ١٩١٦ عدلت مستويات الشروط المطلوبة لقبول في صفوف القوات المسلحة بهدف سوق اكبر عدد ممكن من الرجال كما خفضت مدة التدريب في منتصف عام ١٩١٥ الى شهر واحد او اقل ، وبالتالي اصبح التدريب فاشلا وغير كاف سواء من حيث النوعية او المدة . فعلى كل تنظيم عسكري جيد ان يقدم لمتطوعيه او المساقين للخدمة بعض الاسس والقيم الملائمة المتميزة للخدمة في الجيش . ولكن لم يكن الوقت ولا الكفاءة التدريبية تساعدان على ذلك اذ كانت الحرب تبتلع بسرعة الجنود الروس . وكان معظم الجنود عسكريين بالمظهر فقط ، يقودهم في التدريب والقتال ضباط لم يؤهلوا لهذه المهمة ومعظم هؤلاء مدعوون لفترة خدمة مؤقتة وينتظرون تسريحهم كما لم تخصص لكل جندي سوى ثماني طلقات للتدريب على الرماية .

كما انه كان لدى عناصر الحامية عددا من الشكاوى الشرعية الهامة والصغيرة . كانوا مكدسين ببراكات قذرة منخفضة السقف وغير مهواة . وكان طعامهم محدود الكمية وسيء النوعية (وقد اصبح هذا الطعام لازمة في اغنية تقول : « لا حساء عدس بعد الآن » وكان بالتالي صيحة من هتافات الثورة) . كما ان الخدمة في نطاق وحدات الحامية كانت مملة واهم من ذلك انها لم تكن تشغل وقت العناصر كله ولا حتى الوقت المخصص للخدمات . ولم يكن هناك أي تدابير للاستفادة من ساعات الفراغ وبالتالي لم يكن من المستغرب ان يتسكع الجنود في الشوارع ويقفون بالارتال يتبعهم ويحيط بهم جموع من « رجال الشوارع » .

وان ما شاهده الجنود وسمعوه بالاضافة الى ما كانوا يفعلونه جعلهم مرتعا خصبا للاستغلال من قبل اي محرض وسواهم الذين كانوا يسعون الى ضمان مصالحهم الخاصة او مصالح قضيتهم . اخيرا كان هناك افتقار رهيب لقيادة مسؤولة . ربما لم يكن باستطاعة اي قائد ان يفعل افضل مما فعله خابالوف الذي وصف الموقف فيما بعد بأنه مثير للاشمئزاز ولكنه لم يبدر عنه أي تصرف قيادي فانه ليس فقط لم يفعل شيئا فانه فشل حتى بعدم فعل أي شيء . كانت هناك حاجة لبعد نظر وكفاءة وادارة وحظر للمتآمرين كي يستطيعوا خلق ظروف كهذه خلق موقف غير مستقر تكمن في داخله قوة متفجرة . ولبس هناك ولن يكون شخص قادر على ذلك .

كان من المستحيل تقديم اي احصاء سواء للشوارع او للحامية وتعداد رجالها وكان يقال بصورة عامة « عدد مئات من الالوف في حامية بيتروغراد » . وكان هذا تحزير مبني على تكهن آخر القائل بأن قوات حاميات روسيا يقدر بمليون وتسعمائة الف في شباط ١٩١٧ منها مايعادل السدس متمركز في حامية منطقة بيتروغراد .

المجموعة الثانية من الارقام تعطي عدم الدقة ولكن هذه التقديرات ليست سوى تكهنات ومعرضة للاخطاء خاصة وانها ضخمت من قبل البولشفيك التي نعتمد على مصادرهم .

وقد ظهرت بعض مظاهر العصيان المنعزلة بين قوات الحامية في البدء في ٢٥ شباط ولم تقمع بفعالية من قبل خابالوف ورجاله لذلك انتشرت كالنار في الحقل . ويقول البولشفيك ان تعداد الوحدات التي ساهمت بالعصيان تقدر بحوالي ٧٢ الف صباح ٢٨ شباط و ١٧٠ الف ظهر اليوم التالي (ادعى خابالوف انه كان لديه اقل من الف ومائة جندي موال تحت تصرفه في حين ان بالك يناقض ذلك قائلا بأنه كان لدى خابالوف ايضا ثماني دبابات واربعة وعشرون مدفع ميدان واكثر من ثلاثة الاف جندي دون ان نعد الطلاب الضباط . ومهما كان الامر فقد كان تصرف خابالوف كما لو انه كان لا يملك قوات بتاتا أما رئيسه الجنرال بيليايف وزير الحربية فلم يستفسر منه عن سبب تصرفه) .

لقد تحولت بيتروغراد الى مدينة جديدة فيما يختص بتعداد السكان والنسبة التي كانت تستفاد منها في أعمال مفيدة والنسبة المستخدمة في الصناعة ونسبة المثقفين بينهم . هذه التطورات وسواها كانت تجري ببطء بلا شك انما بشكل مستمر وثابت وقد ساعدت في تقديم الفرص لايفان ايفانوفيش (جون دوو الروسي ؟ مع ما يؤدي ذلك الى نمو في المطامح والتطلعات كما في الازمات التي ظهرت مع التطور الذي ظهر فيما بعد وقد جلبت الحرب سيلا من الرجال والنساء باللباس الرسمي العسكري أو بدونه الى هذا الموقع الصناعي واكبر مدن الامبراطورية ومعظم القادمين الجدد كانوا فلاحين استدعوا الى الخدمة في القوات المسلحة او قادمين للتفتيش عن فرص اقتصادية افضل . لقد كانوا مشردين بالمعنى الفعلي للكلمة رغم انهم لم يدعوا كذلك رسميا ، كانوا مشردين نازحين سواء من الناحية الجسدية او النفسية . كانت ازمة السكن حادة منذ البداية ثم تصاعدت يوما بعد يوم . ومع استمرار الحرب برزت النواقص في الحاجات الاخرى منها موؤقتا ومنها بصورة دائمة . وكان القادمون الجدد هم اكثر المتأثرين بذلك عادة . لقد ارتفعت الاجور ولكن الاسعار قفزت قفزات أعلى بكثير واصبحت صفوف المواطنين امام الافران والمخازن وبائعي الاحذية أطول فأطول . كما ان النقص وصل الى الصناعات مما ادى بالمطاحن والمصانع الى تخفيض الانتاج واحيانا الى التوقف عندما كانت تفتقر بشدة الى الوقود او المواد الاولية . وعندما كان يحدث مثل ذلك كانت الشوارع تمتلىء بالرجال العاطلين عن العمل . وبدأ صراع اقتصادي جديد بما في ذلك الاضرابات واغلاق المصانع .

هذه الصعوبات والمآسي لم تكن وحدها اسباب ثورة شباط / اذار ، اذ أن الكتلة الحرجة (اذا استعرنا تعبيرا فيزيائيا للقدرة العمالية) لم تحدث قبل أن أصبح ايفان ايفانوفيتش مقتنعا من ناحيتين ، الاولى ربما ظهرت بوضوح من قبل سيل متصل من الهجمات من قبل المعارضة السياسية ضد الحكومة . ولم يكن اصطلاح التغطية يعني بأي شكل المتطرفين . كما لا يمكن القول بأن النقد هو الذي ادى الى هذا الموقف ولكنها فقط سلطت الاضواء على الوضع وحرمت الحكومة من الاستفادة من الشكوك . القناعة الاولى لدى ايفان كانت

ان النظام كان يخدعه عن قصد وبالتالي يسيء الى طموحه القانوني والعادل ، والقناعة الثانية هي ان هذا الوضع قد ينعكس او قد ينقلب تبعا لاحد احتمالين، الاول هو ان المؤسسة اذا ارادت ان تعدل موقفها رأسا على عقب أي تتحول ١٨٠ درجة وتعطي رواتب أعلى وتقدم مؤونة ارخص بكمية اوفر واوضاعا سكنية افضل وشروط عمل احسن وأمن شخصي أكبر لايفان وعائلته . وكان القسم الاعظم من الايفانيين يفضلون هذا الاسلوب لان اهتماماتهم الاولى كانت فورية مباشرة وشخصية . في حين كانت هناك أقلية تفضل البديل وأصبحت قانعة بأن تبديل الوضع ممكن وان على الشعب يمكنه بل من واجبه ارغام المؤسسة على تلبية المطالب الشعبية .

كان هناك اجماع حقيقي للعواطف اذا لم نقل الافكار بين القوات العسكرية ورجل الشارع . وبصورة أدق بين الاقليات في كلا الجانبين . وقد عملا في البداية بشكل انفعالي وشخصي وكسبوا بعض النجاحات أو هكذا بدا لهم . وطالما انهم انطلقوا من الامل لا من اليأس فقد كان هناك كسب لكل منهما حتى لو كان ذلك بتهربهم من النتائج غير السارة ، مما منحهم ثقة بأنفسهم واضاءت الامل بأن هناك مكاسب اكبر قد يحصلون عليها(١) . ما الذي قرب بين الجنود ورجال الشارع ؟ كانت هناك نواح مشتركة عدة بينهما لان العديد منهم هم من طبقة اجتماعية واحدة . القسم الاعظم من العمال والجنود كانوا فلاحين او من اصل فلاحي ، بعض العمال كانوا جنودا وكثيرا من الجنود كانوا عمالا في الحقول والمصانع . بعض الخوليكان (الزعران) بين رجل الشارع يختلفون عن الزعران العسكريين انما خلاف بسيط . وعندما دبت الحياة في شوارع بيتروغراد بامتلائها بالعمال العاطلين عن العمل والجنود خارج الخدمة والبحارة — وبعضهم كان يتسلل — الى صفوف الناس المصطفين أرتالا الحصول على

---

(١) عدة أقليات وزعمائها — الملكيون ، اللاكون الاشتراكيون الماركسيون (المنشفيك والبلشفيك) وآخرون — حاولوا مع بعض النجاح الاستفادة من رجال الشارع ومن القوات العسكرية بهدف دفع الوضع نحو مصالحهم الخاصة . واصبحت الصورة مشوهة على الرغم من ذلك ، لو ان شخصا ما نسي ان مصالح معظم الفئات كانت عملية قصيرة المدى وشخصية وليست ثورية .

الخبز او الحليب وسواهم من نفس الانواع ، فكان التأثير الشخصي سرعان ما يصبح متبادلا ويتحول الى نوع من الشرارة الكهربائية .

واصبح الجنود ورجال الشوارع يشكلون حشودا متماسكة يتقاسمون الحقد الجسدي والنفسي متحمسين لما قد يحصلون عليه ولما يمكن ان تكون حياتهم بعد المغامرة لذلك هم مستعدون للاستماع الى أي قائد يقدم لسانه للتعبير عما يشعرون به . في الايام الاولى كانت الجماهير تعود الى منازلها ليلا وكانت السكينة والهدوء يعودان الى شوارع المدينة ولكن في الايام التالية اصبحت الحشود اكبر فأكبر وأقل انضباطا تقف على الخط الدقيق الفاصل بين الجماهير والغوغاء . وربما كان هناك معنى كبير للفارق بين البراكات والشارع : الخوف من النتائج .

فالجنود الغائبون عن وحداتهم دون اذن وكذلك العمال الذين تركوا اعمالهم متحدين ارباب العمل كلهم معرضون ويتقاسمون نتائج مخيفة لو ان النظام السابق عاد الى ما كان عليه . أي كانوا سيتعرضون للعقاب وعلى الارجح عقاب قاس جدا ومن الصعب جدا التهرب من نتائجه . وكان ذلك احتمال مخيف لكل شخص ساهم في الاحداث عبر أي شكل حتى لو كان ذلك بتواجده فقط ويتعرض للعقوبة . واذا وجد شخص لم يفكر بهذه الناحية كان هناك كثيرون حوله يذكرونه بهذه النتائج . وما ان تملك هذا الرعب النفوس اصبح من السهل اقناع الجموع بأنه لا يجوز ان تكون هناك عودة الى الاوضاع السابقة ولا مجال لهم للتراجع . وكان ذلك العنصر ، هو العامل النهائي الضروري واللازم لمزج الثكنة بالشارع الذي دعاه الدكتور برترام وولف باسم « الالتصاق » ، اي عنصر قوة غير قابل للتوجيه ولا يمكن التنبؤ بنتائجه والتطور الذي ادى الى نهاية عائلة رومانوف وروسيا الامبراطورية .

من المستحيل معرفة ماذا كانت حقيقة الثورة بالنسبة لعشرات الالوف من رجال الشوارع وجنود المعسكرات اذ ان القليل جدا منهم من ترك مذكرات شخصية . ولكن اذا اضفنا الى هذا القليل شيئا من صفات الاعمال الغوغائية الجماهيرية المغامرة يمكن للانسان ان يجازف ببعض التقييمات . الثورة

الحقيقية بالنسبة للبعض حدثت عندما زجوا انفسهم بأعمال يستحقون عليها عقوبات قاسية لو حدثت في الاوقات العادية . بالنسبة لآخرين كانت الثورة الحقيقية هي الامل المفاجىء بتبدل النظام القديم او بدا كذلك كاحتمال كبير . اما بالنسبة لبعض العسكريين في بيتروغراد مثلا بالنسبة لجنرال بالك محافظ المدينة فان الثورة الحقيقية حدثت عندما اعطت القيادة العسكرية أمرها للضباط والجنود بتخزين البنادق والعودة الى الثكنات .

وقد كتب الجنرال بالك في « مذكراته التي لم تنشر » : « عند مروري في الممرات صباح ٢٨ شباط اقتنعت من منظر الضباط المشوشي الافكار العائدين الى مقراتهم انهم قد تلقوا امرا بخفض سلاحهم وسوق رجالهم الى الثكنات . . . ولم يكن بالامكان معرفة مكان الجنرال خابالوف » . اخيرا لا بد انه بالنسبة لكثيرين قد اصبحت الثورة حقيقة وذات معنى عندما اقنعوا انفسهم او أقنعهم آخرون انهم اصبحوا الآن خارجين عن القانون ولا مجال لاي منهم بالتراجع .

لم تشمل نظرتنا الى ثورة شباط ـ اذار كل ابعادها . وليس حسب تسلسل احداثها الزمني او الموضوعي ، او انتصاراتها وهزائمها وعنفها واثارتها . لم ننقب ارضيتها ولم نقلب ممراتها الطويلة . لقد قمنا بدراسة جديدة انطلاقا من نقاط جديدة من اقصى المستويات قـوة والتأثير عبر سلسلة القيـادة العسكرية من الامبراطور حتى المجند العادي المجهول في حامية بيتروغراد . لقد عزلنا ثم ركزنا على اولئك الاشخاص والمجتمعات الذين يمكن ان نقول عنهم بحق ، انهم عملوا بشكل مختلف وبالتالي ما حدث كان مختلفا لكل منهم على الارجح .

لقد حاولنا تحديد حقيقة ثورة شباط ـ اذار بالنسبة للامبراطور نيقولا الثاني ولقادته الكبار ولبعض الرجال الاقل الادنى رتبا وللشعب في بيتروغراد وشوارعها سواء العسكريين منهم أم المدنيين . لقد حاولنا التفتيش عن شرح وايضاح لتصرفات كل منهم الى المدى الممكن ضمن هذا الوقت المحدد والمجال المفتوح امامنا . لقد عرضنا شرحنا ليس بتعابير عملية « القوات العمياء » او الاقتصاد او غيره ولكن بأوسع ما يمكن من المشاعر الانسانية والاعمـال الناتجة عنهـا .

التدخل المتعدد الاطراف في روسيا
١٩١٨ – ١٩١٩
ثلاث مستويات من التعقيدات

غاديس سميث

مقــــدمة النــاشر :

ان اكثر انواع اللعبة المتبادلة ملاءمة بين الجيوش والسياسات يبرز في المرتبة الأولى خاصة عندما يقع اختيار دولة ما على استخدام السلاح كأداة للسياسة بأساوب مائل يختلف عن التدخل العادي او الردع . في مقاله المنشور في المجلة التاريخية الاميركية بعنوان « كندا والتدخل في سيبيريا ١٩١٨ – ١٩١٩ » تموز ١٩٥٩ ، يظهر البروفسور غاديس سميث من جامعة ييل كيف أن مواقف الحملة الكندية العسكرية في سيبيريا – وليست كلها غير متعاطفة مع الثوريين وحتما متعاطفة مع رفاقهم بالسلاح الاميركيين – عارضوا اهداف البريطانيين الذين كانوا يستخدمونهم – اهداف كانت تتعارض مع الجهد الاميركي للمحافظة على التدخل المحدود الى اقصى حد . ان المحاضرة التي أعدها البروفسور سميث الى دورة الابعاد الجديدة في التاريخ العسكري في عام ١٩٧٣ شرحت بعضا من نفس الانواع المشابهة للتيارات المتشابكة التي تقسم بين الجنود والمدنيين ، دون التركيز على التدخل الكندي في هذه المحاضرة انما بدلا عن ذلك يرسم اساسا موسعا ، يقترح سميث البحث بصعوبات اعمق حول استخدام القوات المسلحة في المثابرة على مجموعة من الاهداف السياسية . لقد درس غاديس سميث التقاطع بين تاريخ السياسة الخارجية مع القوات المسلحة ايضا في دين اشيسون المجلد ١٦ لوزراء الخارجية الاميركان وسياساتهم (نيويورك ، كوبر سكوير ١٩٧٢) .

التدخل المتعدد الاطراف في روسيا

١٩١٨ ـ ١٩١٩

قال الرئيس وودرو ويلسن في عام ١٩١٨ ان مسألة اكتساب المعرفة والاشراف على الموقف في روسيا ذكره بمحاولة القبض بابهامك على نقطة من الزئبق على لوحة زجاج . حتى مع الافق الذي اكتسبناه من اكثر من نصف قرن من الزمن ، يبقى الموقف معقدا ومحيرا الى اقصى درجة . ومع ذلك فان هذا التعقيد يجعل من موضوع التدخل المتعدد الاطراف في روسيا في نهاية الحرب العالمية الاولى حالة رائعة للدراسة . ان المران على التمحيص من قبل طلاب التاريخ ، في تلك الاحداث هو عمل مفيد جدا لكل من تتطلب منه مسؤولياته المهنية ان يحلل ويقدم حكما في المسائل الدولية .

يمكن بسهولة اعادة ترتيب المشهد . عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ كانت روسيا الامبراطورية حليفة لبريطانيا وفرنسة (وانضمت اليهما ايطاليا فيما بعد) ضد المانيا والنمسا ـ هنغاريا . وكان النظام القيصري بالكاد قادر على الحكم قبل اندلاع الحرب فأمل بأن يؤدي الدافع الوطني النابع من القتال الى ضم صفوف الامة وانقاذ السلطة . ولكن القيصر ومستشاريه كانوا مخطئين . اذ ان الحرب أدت الى انهيار البروقراطية الروسية الفاشلة ونظام النقل البدائي والجيش ذي القيادة غير الكفوءة . في اذار ١٩١٧ حلت محل النظام القيصري حكومة ديموقراطية مؤقتة (اسمية) وسرعان ما رأسها الكسندر كيرنسكي . وقد وقع هذا الحدث مع دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد المانيا . وقد وجد الاميركيون نظرا لجهلهم عمق العذاب والتفكك داخل المجتمع الروسي ، في الحكومة الجديدة « شريكا مناسبا في حلف

الشرف » . وقد حاولت حكومة كيرتسكي البقاء في الحرب ـ ولكن عبثا حاولت لانها لم تكن صالحة لذلك . ففي تشرين الثاني عام ١٩١٧ سار البولشفيك تحت راية « السلام الخبز والارض » واستولوا على السلطة وعملوا على اخراج روسيا من الحرب .

كانت النتائج العسكرية الناجمة عن انسحاب روسيا بالطبع كارثة على الحلفاء الغربيين . وتمكنت المانيا مستخدمة طرق مواصلاتها الرائعة الى نقل قوات ضخمة من الجبهة الشرقية الى الغربية . وفي ربيع عام ١٩١٨ كان الانتصار الالماني احتمالا حقيقيا وواقعيا . كان الجيش الفرنسي مازال يعاني من الجمود والتشتت نتيجة عصيان ١٩١٧ . وكان الجيش الانكليزي مدمى نتيجة هجوم الفلاندرز الفاشل في اواخر عام ١٩١٧ . الجيش الالماني قد هزم في كابو ريتو واصبح صفرا لا يساوي شيئا . الفواصات الالمانية كانت قد قطعت تقريبا كل خطوط الامداد عبر الاطلسي . في حين كانت الولايات المتحدة ما زالت تدرب جيشها ، ولم تكن قد اعدت بعد وحدات اميركية مقاتلة كبيرة الحجم ولم تشاهد الحرب بعد ولم تخض اية معركة .

رجال يائسون في لندن وباريس ينتظرون حلولا يائسة ربما فكروا واعتقدوا بنوع من التدخل في روسيا قد يطيح بالخونة البلشفيك وحكومتهم واعادة روسيا الى الحرب . وقد سعت كل من فرنسة وبريطانية الى اقناع حليفتهما القوية اميركا بالموافقة والمساهمة في التدخل .

كان الرئيس ويلسون ومستشاريه المقربين يعتقد منذ البداية ان التدخل ليس سوى عمل جنوني . لقد تمتعوا بفهم فطري بالصعوبات الادارية التي تعترض عملية عسكرية على بعد يعادل نصف محيط الكرة الارضية وفي ظروف جوية قاسية . وقياسا على الذكريات المرة للخبرة الاميركية الحديثة في المكسيك كانوا على الارجح متشائمين من صلاحية القوة العسكرية لاجراء تبدل سياسي في بلاد اجنبية . وكانوا يعارضون فوق ذلك كله فكرة استخدام القوات اليابانية كجزء من قوات التدخل في سيبيريا فاليابان كانت حليفا غير نشط في الحرب ضد المانيا . ان مساهمتها اقتصرت بالسيطرة على بعض الجزر الالمانية وعلى مناطق

النفوذ الالمانية في مقاطعة شانتونغ في الصين . كما قدمت بعض المساعدةالبحرية الضئيلة الى الحلفاء واستفادت الى اقصى حد من التجارة الحربية . ولم تستخدم مطلقا جيشها الضخم . ولكن اليابان وروسيا كانتا عدوتان مرتان وكان الرئيس ويلسن يعلم انه متى وضع جندي ياباني قدمه على الارض الروسية فان ذلك سيؤدي الى توحيد عدة فئات من الشعب الروسي ضد الياباني وتدخله . لهذا ولمدة عدة اشهر رفضت الولايات المتحدة الاشتراك في خطة التدخـل .

هذا الموجز اعلاه يوجهنا توجيها خاطئا ، انه مبسط جدا . دعونا الآن نلقي نظرة اقرب على المستويات الثلاث من التعقيدات التي تميزت العماية كلها . من وجهة النظر الاميركية هذه المستويات الثلاث كانت :

١ ـ من هم اصدقاؤك ؟ كانت الولايات المتحدة حليفة حرب مع بريطانيا وفرنسة وايطاليا واليابان والصين . كل هؤلاء كانوا مهتمين ومؤيدين للتدخل ولاسباب مختلفة . ومعظم هذه الاسباب لم تكن متفقة مع الاهداف العـامة للولايات المتحدة الاميركية . مساهم آخر كان تشيكوسلوفاكيا التي لم تكن أمة مستقلة بعد من الناحية الفعلية وانما مجموعة من الوطنيين يأملون بالحصول على اعتراف بحقهم بالاستقلال في التسوية السلمية التي يفترض ان تتبع انتصار الحلفاء . حوالي ٥٠ الف جندي تشيكي كانوا داخل روسيا في ربيع عام ١٩١٨ . وكانوا أصلا معبئين ضمن الجيش النمساوي الهنغاري . وقد تحولوا من معسكر الى آخر بهدف القتال ضد مضطهديهم . والآن هم يريدون الخروج من روسيا بهدف المساهمة بالقتال على الجبهة الغربية .

٢ ـ من هم أعداؤك ؟ هل كان النظام البلشفي الروسي انجاز الماني ، وسيلة في سبيل احتلال المانية للعالم ؟ أم كان هذا النظام عبارة عن تطورات داخلية روسية وتعبير ذاتي روسي نحو تقرير المصير ؟ او والاكثر احتمالا ان البلشفيك يمثلون مرضا ايديولوجيا قد يكتسح الحضارة الغربية ويمسحها عن وجه الارض ؟ وقد ناقش الاميركيون هذه الاحتمالات الثلاث . وان عجزهم عن الحصول على معلومات دقيقة ومؤكدة حول روسيا واستطاعتهم الاطلاع

ولو على نقطة بدء أولية لتقييم طبيعة النظام البلشفي هذا العجز بحد ذاته يشكل مستوى آخر من التعقيد .

٣ ـ ما هي سياستك الخاصة ؟ هل يمكن تحديد السياسة الاميركية بمثالية النقاط الاربعة عشر للرئيس ويلسن ؟ ام هل تحدد بكاملها بالاستفادة القصوى العسكرية من الحرب ضد المانيا ؟ ام على السياسة ان تبنى على مصالح اميركا في فترة ما بعد الحرب ؟ كل هذه المواقف الثلاث كانت مؤيدة من قبل قادة اميركان مختلفين في اوقات مختلفة وبقطاعات من الرأي العام .

دعونا ننظر بدقة الى كل من مستويات التعقيد هذه وبشكل اكثر تفصيلا لو كانت سياسات كافة الامم التي كان على الولايات المتحدة التعامل معها في مسألة التدخل محددة مسبقا فان التعقيد كان عميقا بشكل كاف . الواقع انه ضمن كل دولة كان هناك انقسام في الآراء وصراعات وعدم استقرار . ونحن نعرف الكثير عن السياسة البريطانية والسياسة البريطانية والآراء المختلفة فيها . فاليسار البريطاني يرى ان النظام البلشفيكي نتاج ظروف روسية داخلية . ولم يقبل مطلقا بفكرة كون الباشفيك أداة في أيدي الالمان . وكان هذا اليسار ايضا مؤيدا للتحليل البلشفيكي للامبريالية واسباب الحرب . وقد كان هذا اليسار مؤيدا بشكل أقوى للنداء المثالي الذي أطلقه الرئيس ويلسن داعيا الى السلام لصالح الانسانية جمعاء . لذلك كانوا يشككون في الدعوة الى قلب النظام البلشفيكي .

المحافظون البريطانيون يشكون بالبلشفية ويريدون بالدرجة الاولى رؤية النظام البلشفيكي وقد قضي عليه . وكان العديد من المحافظين متورطين ايضا في الموقف البريطاني في الهند . وكانوا يرون في روسيا قوية وثورية واحتمال تحالفها مع الالمان كتهديد للهند .

العسكريون البريطانيون وخاصة الملحق العسكري السابق لدى الحكومة القيصرية كان يعتقد بأن التدخل سيكون مؤثرا وفعالا على توحيد القوى المعادية للبلشفيك . ككرة الثلج المتدحرجة على سفح جبل وكان يرى تجمعا معاديا للثورة

ملتفا حول نواة التدخل الخارجي بهدف اعادة روسيا الى ساحة القتال ضد المانيـــا .

الوزير الاول السيد دافيد لويد جورج كان بين الرأين مثل حلقة الوصل . فانه لم يرغب الانضمام الى رأي اليساريين ولكنه مع ذلك كان راغبا بشكل قوي بايجاد بديلا لنزيف الدم على الجبهة الغربية . لم يكن على اطلاع عميق بالاوضاع الروسية ولكنه كان مشدودا الى فكرة العسكريين بأن التدخل قد ينقلب لغير صالح المانيا بسوقه روسيا من جديد الى الحرب .

ومر الرأي العام الفرنسي بنفس التصورات تقريبا بنفس المخطط . فالفرنسيون كالبريطانيين والاميركيين كان لديهم داخل روسيا بعض المراقبين الذين افادوا بأن الحكومة البلشفية لا تشكل تهديدا وان التعاون لا التدخل هو الافضل في التعامل معها . ولكن الرأي العام في الطبقة الوسطى كان مضادا للباشفيك بشكل عنيف . وأن واقع كون الحكومة البلشفية قد تبرأت من العديد من الديون ، الاموال المستعارة من الشعب الفرنسي والحكومة الفرنسية من قبل النظام القيصري ساهم في هذا العداء . وقد وجد العسكريون الفرنسيون فرصة حقيقية في روسيا خاصة بالاستفادة من اتباعهم التشيك . وكان رئيس الوزراء جورج كليمنصو معاد للبلشفيك عن قناعة .

كان هدف التشيكيين هو الحصول على الاستقلال . واعتبروا ان وجود ٥٠ الف جندي تشيكي داخل روسيا هم أقوى قوة معادية للبلشفية قـوة منظمة ومسلحة . وارادوا أن يستغلوا ذلك الى اقصى حد للحصول على اكبر تأييد ودعم من الحلفاء الغربيين ومن الولايات المتحدة في موضوع حصولهم على استقلالهم الذاتي .

ويملك اليابانيون في داخل جيشهم اكبر قوة مركزة للتدخل ولهم اهداف ومطامع اقتصادية وسياسية في سيبيريا . ولكن وبنفس الوقت كانت الحكومة اليابانية تتبع خط التعاون خاصة مع الولايات المتحدة . وبدأوا يفكرون بأسلوب يسمح لهم بالوصول الى اهدافهم الامبريالية في سيبيريا دون معـاداة

الولايات المتحدة . واراد اليابانيون أيضا ضمان الطرد النهائي للنفوذ الروسي من شمالي منشوريا .

أما الصين فكانت دولة فوضى . فالحكومة الرسمية في بكين كانت تسعى الى مساهمة اسمية في الحرب كوسيلة لكسب بعض التنازلات في مؤتمر السلام . وكانت ايضا تسعى الى تدعيم مركزها في منشوريا سواء تجاه الروس او اليابان .

وكان هناك مساهم اسمي آخر في التدخل ، وهو غالبا ما يتجاهله المؤرخون ـ كنـدا . فالبريطانيون الذين لم تكن لديهم قوات للمساهمة في العملية طلبوا من الكنديين بارسال اربعة الاف جندي للتدخل . وقد وافقت الحكومة الكندية على ذلك وبررت ذلك بأعذار خاصة ونوعا ما واهية . لقد اقتنعت الوزارة الكندية بأن امكانيات اقتصادية واسعة في سيبيريا تصبح بذلك في متناول يدها . سيبيريا وكندا متشابهتان من الناحية الجغرافية . وكانت لدى الكنديين خبرة لا تضاهى في تطوير واستغلال المصادر الطبيعية في المناطق الشمالية . لذلك فان وجود قوات كندية في سيبيريا قد يعطي للكنديين فرصا لتطوير سيبيريا واستثمار مناجمها والخطوط الحديدية وصيد الاسماك . وقد زود كل جندي كندي ذهب الى سيبيريا بكراس بعنوان « كل رجل هو ممثل تجاري » .

ان موضوع تفهم هل كان النظام البلشفيكي معاد للولايات المتحدة واذا كان كذلك فان تفهم طبيعته المعقدة كان صعبا نظرا لعدم وجود خبراء بالقضايا الروسية في الويات المتحدة ونتيجة للتقارير المتضاربة التي كانت تصل الى الحكومة الاميركية من الاميركيين الموجودين داخل روسيا .

قبل عام ١٩١٤ كان لدى الاميركيين نوع من عدم الاستلطاف تجـاه النظام القيصري . وكان لديهم انطباع عام بأنه كان قاسيا ظالما وديكتاتوريا . وكان وجود معسكرات النفي فيسيبريا معروفا للعالم كله. بالاضافة الى ذلكفان اضطهاد النظام القيصري لليهود كان سببا لبعض المرارة (ما اقل ما تتغير الاشياء) . وكان زوال النظام القيصري كما رأينا قد قوبل بحماس عـام غير موحد .

خلال فترة الحياة القيصرية التي قام فيها نظام كيرنسكي سافر العديد من الاميركيين من ذوي الكفاءات المختلفة الى روسيا لجمع المعلومات ولعرض ما يمكنهم تقديمه من مساعدات للمجهود الحربي الروسي . كان هناك ممثلي الصليب الاحمر والمحققين العسكريين ، وخبراء بالدعاية ، وممثلين جمعيات الشبان المسيحيين وخبراء في التجارة والاقتصاد وموظفين عاديين من وزارة الخارجية . وكان كل شخص يعتبر نفسه خبيرا في روسيا والرجل الذي تقاريره تحدد السياسة الاميركية . وعندما اندلعت الثورة البلشفية كل اميركي طور وجهة نظره الخاصة ووضع توصياته .

ادغار سيسون صحفي يعمل في وكالة الدعاية لدى الحكومة الاميركيـة (لجنة الاعلام العامة) كان على قناعة ان البلشفيك هم من اختراع الالمان . وقد دفع سيسون مبلغا كبيرا من المال لبعض الوثائق المزورة تثبت بأن الالمان لهم ضلع في خلق النظام البلشفيكي . وقد ارسلت هذه الوثائق الى الولايات المتحدة ونشرت من قبل وزارة الخارجية .

ريمون روبنز تقدمي نشط وأحد اتباع تيودور روزفلت كان في روسيا ظاهريا كممثل للصليب الاحمر . كان على قناعة تامة بأن النظام البلشفيكي يعكس اساسا المصالح الروسية وقادرة على التعاون مع الولايات المتحدة . وقد جند كل طاقاته لمحاولة تحقيق هذا التعاون .

دافيد فرانسيس السفير الاميركي وهو سياسي محبوب ومسن اصله من ميسوري وكانت تقاريره قليلة الاهمية . في حين ان موظفي القنصلية الاميركية في روسيا من جهة اخرى كانوا اكثر اطلاعا . وكانوا يسعون لمعرفة الاوضاع من وجهات نظر محليـة .

ونتيجة لذلك انهم وجدوا ان هناك قوات معادية للبلشفيك على اساس محلي . وقد افادت تقاريرهم في ارساء قواعد موقف عام معاد للبلشفيك في وزارة الخارجية .

ولم يكن رجال الصحافة الاميركيين الذين يعالجون المواضيع الروسية

اكثر اطلاعا على الموقف من الرسميين . وتراوحت وجهات نظرهم من التأييد وحتى العداء الاقصى تجاه النظام البلشفيكي . وكانت الصفة الغالبة على رأي هيئات التحرير التي تقودها النيويورك تايمز هي معاداة البلشفية . الكونغرس ايضا وجد في البلشفية قوة سوداء مرتبطة بالراديكالية والحقد في الولايات المتحدة . وفي عام ١٩١٨ شكلت بالفعل لجنة من النواب حول ما تردد من اقوال عن تأثير البلشفية على صناعة الخمور الالمانية في الولايات المتحدة .

سننتقل الآن الى المستوى الثالث من التعقيد ـ السياسة الاميركية . اول تصريح هام للرئيس ناسن حول السياسة الذي جاء بعد الثورة البلشفية كانت النقطة السادسة من النقاط الاربعة عشر التي اذاعها يوم ٨ كانون الثاني عام ١٩١٨ ، انها طويلة ومعقدة ولكنها تستحق القراءة والتحليل :

... ان الجلاء عن كامل الاراضي الروسية وتسوية لكافة المسائل المتعلقة بروسيا كما هي تؤمن أفضل التعاون والحرية لباقي أمم العالم في حصولها على فرصة حرة وواضحة لتقرير تطورها السياسي بشكل مستقل وسياستها الوطنية وتؤمن لها دخولا جديا الى مجتمع الامم الحرة في ظل مؤسسات تختارها بنفسها ، بل اكثر من ترحاب ، دعم ومساعدة من كافة الانواع التي قد تحتاجها وترغب هي نفسها بها . ان المعاملة التي ستلقاها روسيا من قبل أخوتها من الامم خلال الاشهر القادمة سيكون اختبار لحسن نواياها وتفهمها لاحتياجاتها كشكل مغاير لمصالحها الخاصة وتعاطفها الذكي واللاأناني .

في ذلك الوقت بالطبع كان الجلاء عن الاراضي الروسية يعني المناطق المحتلة من قبل الالمان . الدعوة الى تقرير المصير ذاتيا وحسن استقبال روسيا « في مجتمع من الامم الحرة ضمن اطار مؤسسات تختارها » تبدو وكأنها تدين التدخل خاصة اذا كان هذا التدخل يهدف الى قلب النظام البلشفيكي . ولكن هل كانت البلشفية في فكر ويلسن تعني مجموعة من المؤسسات المختارة بحرية من قبل الشعب الروسي ؟ أم هل فرضت البلشفية على الشعب الروسي ؟ في المكسيك حاول ويلسن استخدام القوة العسكرية في محاولة لتعليم المكسيكيين على قبول الديموقراطية ، فهل يلجأ الى نفس الاسلوب في روسيا ؟ وهل يمكن ان

يكون هناك حسن استقبال الى داخل « مجتمع الامم الحرة » لنظام ينفي حتى شرعية وجود هذا النوع من المجتمع ؟ كان ويلسن يسعى الى اصلاح ليبرالي للنظام العالمي القائم في حين كان لينين يسعى الى القضاء عليه عبر ثورة عالمية . باختصار النقطة السادسة تزيد الفكرة غموضا بدلا من ايضاحها . المثالية الويلسونية تقدم القليل من الخطوط الموجهة يمكن الاستفادة منها للسياسة الاميركيــة .

هل كان الحساب العسكري دليلا أفضل ؟ يدعي الفرنسيون والبريطانيون أن مساهمة عسكرية صغيرة ستعطي مكاسب هائلة للحرب ضد المانيا . ويلسن ومستشاريه العسكريين كانوا متشائمين الى درجة كبيرة كانوا يشكون بكون المبرر العسكري الحليف ليس سوى غطاءا لاهداف امبريالية أنانية . كانت كافة الجهود الاميركية موجهة نحو خلق جيش اميركي قوي مكتف ذاتيا من حيث الدعم لصالح الجبهة الغربية . وبالتالي فان تحويل اية قوة نحو روسيا يعتبر عملا جنونيا . والمبرر الآخر للحلفاء يقول بأن هذا التدخل ضروري ايضا بهدف حماية كميات كبيرة من الموارد العسكرية المشحونة الى روسيا سابقا بالبواخر ، وضمان عدم وقوعها بأيدي الالمان ، هذا المبرر لم يكن مقنعا ايضا . فاذا كان نظام النقـل الروسي قد فشل في تأمين الوسائل الكافية لنقل هذه المواد الى ساحة القتال في السنوات السابقة فهناك خط قليل لان ينجح الالمان اكثر منهم .

وماذا فيما يتعلق بالمصالح الاميركية في روسيا بعد الحرب ؟ هل يمكن للتدخل في روسيا ان يؤمنها او يساعد على تأمينها ؟ كان المجتمع الاقتصادي الاميركي متأثرا خلال الحرب العالمية الاولى بلمسة من الانبهار فيما يتعلق بالسوق الروسية . التخيلات التجارية حول روسيا كانت انعكاسا للاوهام السابقة حول لا محدودية المكاسب المكن الحصول عليها بالتجارة مع الصين . المبرر التجاري الذي ساد انه قبل الحرب العالمية الاولى كانت المانيا البائع الرئيسي للسوق الروسية ، وستزول المانيا نتيجة هزيمتها . كما ان الحرب قد ادخلت الشعب الروسي الى العالم الحديث وخلقت سوقا هائلا للاستهلاك . فأية دولة مهيأة للتحرك الى هذه السوق الجديدة افضل من الولايات المتحدة ؟ الحاجز الوحيد الباقي هو وجود عقيدة معادية .

وكان الرئيس ويلسن موافقا جزئيا ومعارضا بنفس القدر لهذا المبرر التجاري . كان يرغب برؤية الولايات المتحدة وقد طورت الاسواق الروسية بهدف مساعدة الشعب الروسي . ومن جهة اخرى كان شكه كبيرا بالمصالح الانانية لرجال الاعمال الاميركيين الذين قد يستغلون عذاب الشعب الروسي وحاجاته لزيادة مبيعاتهم ثم دفع أثمان زهيدة لشراء المواد الاولية الروسية .

المصلحة الاميركية الدائمة الاخرى في آسيا كانت في تجميد التوسع الياباني والمحافظة على باب مفتوح في الصين . وأن تصور تدخل ياباني وأسع النطاق في سيبيريا يعتبر تهديدا كبيرا لمصالحها . اذ ستكسب اليابان الاشراف الكامل على منشوريا بكاملها وتعبىء موارد منشوريا وسيبيريا وتصبح قوة مسيطرة في شرقي اسيا وستصبح الصين تابعا وسيغلق الباب المفتوح . لذلك على السياسة الاميركية ان تهدف الى ابقاء اليابان بعيدا عن سيبيريا واذا لم يكن ذلك ممكنا جعل النفوذ الياباني بأدنى مستوى ممكن .

وجاء القرار الاميركي بالتدخل في سيبيريا وطبيعة هذا التدخل مجسدا للتأثير المتبادل لهذه المستويات الثلاثة من التعقيد . وقد قاوم الرئيس ويلسن ومستشاريه المقربين طيلة ربيع عام ١٩١٨ كافة المطالب البريطانية والفرنسية ورفض المبررات المقدمة ما عدا مبررا واحدا ــ تسهيل خروج الخمسين ألف جندي تشيكي من روسيا . وكان هؤلاء يسعون للخروج من روسيا بواسطة الخط الحديدي عبر سيبيريا . وكانوا يأملون بركوب السفن في فلاديفوستوك ومن ثم الالتحاق بفرنسا للانضمام الى القوات المحاربة ضد المانيا . وكان التحرك على طول الخط الحديدي في روسيا الثورة أسلوبا بطيئا وخطرا . وكانت الحكومة البلشفيكية ترغب بذهاب هؤلاء التشيك ولكنها عاجزة عن منع وقوع صراعات محلية على امتداد الخط الحديدي الذي يحمل هؤلاء التشيك . وقد اخترع البريطانيون صورة عرضوها على ويلسن تمثل التشكيين الشجعان محاصرين من قبل نصف مليون اسير الماني سابق جيد التسليح وغاضب . كما جهزت المخابرات العسكرية البريطانية بعض الخرائط الرائعة حملوا عليها خطا رفيعا ممتدا لمسافة ٦ الاف ميلا من الخط الحديدي عبر سيبيريا يمثل الخمسين

الف تشيكي . ورسموا فوقه خطا اسودا عريضا حوالي انش يمتد ايضا على مسافة ٦ الاف ميل يمثل الاسرى الالمان واقتنع ويلسن بأن التشيكيين معرضون لخطر مباشر بالتصفية . وايقن بأن التدخل ضروري بهدف تأمين الخط الحديدي واجلاء التشيكيين . ولكنه لم يرغب بالظهور وكأنه يعمل بالتعاون مع البريطانيين والفرنسيين ذوي الاهداف والغايات التي لا يثق بها مطلقا بل يشك بها وبعمق .

وبالتالي عمل الاميركيون دون استشارة البريطانيين والفرنسيين . فاقترحوا تدخلا محدودا جدا بالتعاون مع اليابانيين . ويرسل بموجبه كل من اميركا واليابان ٧ الاف جندي الى فلاديفوستوك بهدف محدد تأمين الخط الحديدي وانقاذ التشكيين . وكانت دعوة اليابانيين كمثل اللجوء الى استخدام « خط النار » لوقف حريق في غابة كثيفة . وقد اعتقد ويلسن ببساطة ان مساهمة محدودة ومشرف عليها من قبل اليابانيين قد تمنع التدخل الامبريالي الواسع النطاق الذي كان يخشاه .

كما ان هناك جانب اقتصادي في مخططات ويلسن للتدخل تستحق دراسة اعمق من تلك التي اولاها المؤرخون . كما قلنا سابقا كان ويلسن يخشى ان المصالح التجارية الفردية الاميركية المتملصة من كل اشراف سوف تستغل حاجات روسيا ومطالب وحاجات الشعب الروسي نفسه لذلك شكل وكالة حكومية خاصة للتجارة الاميركية . وكانت تسميتها الرسمية « مؤسسة التجارة الحربية الروسية » وبالصدفة كان مدير هذه المؤسسة الحكومية احد المحامين الشبان في لجنة التجارة الحربية ويحمل رتبة رائد في الجيش . وكان يدعى جون فوستر دالاس . وقد كتب المكتب الروسي الى مئات من الشركات الاميركية ووضع اعلانات في المجلات التجارية يعلن فيها انه مستعد لشراء اي انتاج اميركي لبيعها في روسيا . وبالمقابل سيقوم بشراء المواد الروسية لبيعها في الولايات المتحدة . وسيجري كل ذلك مع الاخذ بعين الاعتبار الحاجات الروسية وعلى اساس اللاربح . وقد اقام المكتب الروسي في بناء ضخم في واشنطن وارسل موفدين الى سيبيريا . في النهاية خرج بدون نتيجة من روسيا . ولم يعقد اية صفقة تجارية . ولكن وجوده بحد ذاته مؤشر واضح لوجهة النظر الويلسونية .

الوحدات الاولى التي انـزلت في فلا ديفوستوك في آب ١٩١٨ .وكانت بقيادة اللواء ويليم غريفز الذي كانت روح ادارة تتلخص في المذكرات المثاليـة التي كتبها الرئيس ويلسن حيث يوضح ان التدخل ليس موجها ضد الشعب الروسي ولا يمثل تدخلا في محاولة الشعوب الروسية في مساعدة بعضهـا البعض . المشاعر كانت طيبة وان فائدة هذه المذكرة كتوجبه للعمل كانت ضئيلة جـدا .

وسرعان ما وجدت القوات الاميركية نفسها وبجانبها ٧٠ الف جندي ياباني لا سبعة الاف وحوالي ٣ الاف بريطاني والفي فرنسي وبعض الايطاليين واربعة الاف كندي بالاضافة الى بعض الصينيين ، دون ان نتعرض لمجموعة متعددة الالوان من الفئات الروسية بعضهم لاسباب سياسية والبعض الآخر لم يكونوا سوى مجموعة من اللصوص وغايتهم السلب والنهب .

وكان اليابانيون يعملون بالتعاون مع بعض الفئات الروسية الاقل تحمسا بهدف ضمان مصالحهم الخاصة . البريطانيون والفرنسيون كانوا يعملون على تنظيم التشكيين ليس من اجل اجلائهم انما بهدف توجيههم غربا باتجاه بحيرة بايكال والاورال . الجنرال غريفز متمسكا بروح عدم التدخل حسب مذكرة ويلسن التصق بفلاديفوستوك ورفض التعاون مع الحلفاء . هذا الانصيـاع للاوامر كان من نتيجته ان اتهم بانه بلشفي من قبل بعض الضباط الحلفـاء الغاضبين العاملين في سيبيريا .

في اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٨ اصبحت الهدنـة مع المانيا سارية المفعول . وانتهت الحرب . وبذلك اصبحت الفكرة الاساسية للتدخل ضد المانيا غير ذي موضوع . فما العمل اذن بالتدخل الواقع فعلا ؟ . لم يكن الرأي العام في اميركا وفي بريطانيا في وضع الراغب بمتابعة وجـود قواته العسكرية خارج البلاد . وكان كل من الرئيس ويلسن ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج يأمل بامكانية عقد مؤتمر يضم كافة الاطراف المتصارعة في روسيا بهدف وضع حد للحرب الاهلية ومن ثم ارجاع الحلفاء الى بلادها . وقد رفض رئيس وزراء فرنسا كليمنصو السماح لاي بلشفي بدخول فرنسا

لحضور مثل هذه المواسم . وقد اختير مقر بديل ـ جزيرة برينكيبو في الدردنيل ولكن القوات المعادية للبلشفيك رفضت الحضور .

واقترح ونستون تشرشل الذي اصبح وزير دولة الشؤون الحربية في الوزارة البريطانية ، تدخلا مكثفا بقوام مليون جندي للقضاء على البلشفيك مرة واحدة والى الابد . وقد رفضها كل من ويلسن ولويد جورج واعتبراها غير عملية .

كما جرت محاولة اتصال سري مع النظام البلشفيكي . ويليم بوليت وهو عضو جديد شاب في اركان مؤتمر باريس للسلام ترأس وفد في ربيع عام ١٩١٩ . وقد ذهب بدعم من قبل ويلسن ولويد جورج واعتقد بأنه نجح في وضع اسس مقبولة لوضع حد للحرب الاهلية وذلك بالاتفاق مع تروتسكي على اساس الاعتراف وتقديم الدعم والمساعدة للنظام البلشفي واجلاء كافة قوى التدخل الاجنبي . ولكن في الفترة التي مرت حتى وصول بوليه الى باريس كان لويد جورج يتعرض الى هجوم من قبل صحافة الجناح اليميني في انكلترا تتهمه بالليونة تجاه الشيوعية . كما كان ويلسن مشغولا بامور اخرى . لم يكن لا ويلسن ولا لويد جورج راغبين بالعمل وفق المقترحات التي عاد بها بوليت من روسيا . وقد قام بوليت استقالته بقرف باشمئزاز وفيما بعد اذان ويلسن في شهادة علنية امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب .

بقيت قوات التدخل طيلة الوقت الذي كانت فيه مجمدة بسبب الظروف الجوية الشتائية في سيبيريا وشمالي روسيا ـ هذه الظروف التي تشكل عنصرا آخر في التدخل ولم تتعرض له . ثم سحبت تدريجيا خلال عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ كلها عدا اليابانيين الذين غادر آخرهم عام ١٩٢٢ عندما انسحبوا بموجب اتفاق عقد اثناء مؤتمر واشنطن حول مسائل الشرق الاقصى ومسائل تحديد الاسلحة البحرية (في المحيط الهادىء) .

اكثر الاميركيين اليوم لا يعرفون سوى القليل لمن تدخل عام ١٩١٨ ـ ١٩١٩ . وقد يصاب بالدهشة اي تلميذ عادي يسمع ان في يوم من الايام كانت هناك قوات اميركية على التراب الروسي . اما الروس العادي من جهة اخرى

فانه يعرف الكثير عن هذا التدخل . وقد ركز التاريخ الروسي كثيرا على أبراز اهميته وضخمها . وقد رسمت صورة تمثل اقامة النظام الروسي نفسه في مواجهة تدخل اجنبي عسكري قوي . هذا بلا شك تشويه للحقــائق لا شك ان التدخل كان عدائيا ولكنه على مستوى محدود وكثير الارتبــاك وغير فعال . فالولايات المتحدة والحلفاء كان عليهم جميعا عدم التدخل . ولكن النتيجة كان يمكن ان تكون اسوأ . الصراع بين قوى التدخل والتعب العام من الحرب العالمية والتلكؤ الاميركي كل ذلك قاد الى فشل ذريع . ولكــن هذا التدخل حال دون تدخل دموي اوسع نطاقا كان يحتمل ان يزيد من مأساة الثورة الروسية بالاضافة الى ثمن باهظ دفعته الولايات المتحدة الاميركية من سمعتها كل ذلك ادى الى نتائج سلبية .

* * *

المراجـــــع

بالاضافة الى ورود ذكر مؤلفات غادين سميث التي نوهت عنهــا اي « كندا والتدخل في سيبيريا ١٩١٨ ــ ١٩١٩ » المجلة التاريخية الاميركية تموز ١٩٥٩ هناك اعمال رائعة ايضا يمكن العودة اليها في هذا المجال .

ــ بايرلين هنري « مسيرة السبعين الفا » لندن ليونارد بارسونز ١٩٢٦ .

ــ برادلي جون « تدخل الحلفاء في روسيا » نيويورك بازيك بوكس ١٩٦٨ .

ــ برودر روبرت « اسس السياسية السوفياتية الاميركيــة » برنســتون منشورات جامعة برنستون ١٩٥٨ .

ــ بونيان جيمس التدخل ، الحرب الاهلية الشيوعية في روسيا : وثائــق ومواد بالتيمور جونز هوبكينز ١٩٣٦ .

ــ تشرشل ونستون » ما بعد الازمة العالمية ١٩١٨ ــ ١٩٢٨ « نيويــورك سكرينز ١٩٣٥ » .

ــ كواثر « التدخل المسلح في روسيا » ١٩١٨ ــ ١٩٢٢ لندن ١٩٣٥ .

ــ فرانسيس دافيد : « روسيا من السفارة الاميركية » نيويورك سكريبز ١٩٢١ .

ــ غريفز ويليم « مغامرة اميركية في سيبيريا ١٩١٨ ــ ١٩٢٠ » نيويورك جوناتان كيب وهاريسون شميث ١٩٣١ .

ــ جيش بريطانيا العظمى « الجلاء عن شمال روسيا ١٩١٩ » . لندن مكتب محفوظات صاحب الجلالة ١٩٢٠ .

ـ بريطانيا العظمى ـ الاسطول البحري : « تاريخ محطة البحر الابيض ١٩١٤ ـ ١٩١٩ » لندن مكتب محفوظات صاحب الجلالة ١٩٢١ .

ـ هاليداي اونست ميلتون « الجيوش الجاهلة » نيويورك ـ هاربر ١٩٣١ .

ـ هويت ادوين « جيش بلا وطن » نيويورك ماكميلان ١٩٦٧ .

ـ ابرونسايد « ارشانجيل » ١٩١٨ ١٩١٩ . لندن كونستايل ١٩٥٣ .

ـ كينان جورج « العلاقات السوفييتية ـ الاميركية ١٩١٧ ـ ١٩٢٠ » برنستون ـ جامعة رافون ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

ـ لوكيت ريتشارد « الجنرالات البيض » : احصاء عن تحركات البيض « والحرب الروسية الاهلية » نيويورك فايكننغ ١٩٧١ .

ـ ماننغ كلارنس « الفشل السيبيري » نيويورك مطبعة النشر الناشرين ١٩٥٢ .

ـ مورلي جيمس ويلم « الخرق الياباني في سيبيريا ١٩١٨ » نيويورك جامعة كولومبيا ١٩٥٧ .

ـ تولينز جوزف « سفارتي في روسيا السوفياتية ١٩١٧ ـ ١٩١٩ » باريس بلون ١٩٣٣ .

ـ سانت جون لماكلين « المساعدة الاميركية الى روسيا الخط الحديدي عبر سيبيريا » ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ أطروحة في جامعة اوكلاهوما ١٩٦٩ .

ـ شومان فريديريك « السياسة الاميركية تجاه روسيا منذ ١٩١٧ : دراسة في التاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي والرأي العام » نيويورك الناشرون الدوليون ١٩٢٨ .

ـ سيلفرلايت جون « ورطة فيكتور : تدخل الحلفاء في الحرب الاهلية الروسية » نيويورك ويبرايت وثالي ١٩٧٠ .

ـ ستيوارت جورج « الجيوش البيضاء في روسيا : جدول زمني للثورة

المضادة وتدخل الحلفاء » . نيويورك راسل وراسل ١٩٧٠ نشر اصلا عام ١٩٣٠ .

ـ اوتربوغر بيتي ميلر « التدخل الاميركي في الحرب الاهلية الروسية » (نيويورك راسل وراسل) . ليكسنفتون ١٩٦٩ .

ـ « الحملة الاميركية الى سيببريا ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ دراسة حول السياسة الوطنية » دور هام جامعة ديوك ١٩٥٦ .

ـ وزارة الخارجية الاميركية « اوراق متعلقة بالعلاقات الخارجية للولايات المتحدة ١٩١٩ : روسيا » واشنطن المطبقة الرسمية ١٩٣٧ .

ـ وورث روبرت « الحلفاء والثورة الروسية » دور هام جامعة ديوك ١٩٥٤ .

ـ دور هام غوستاف « الحرب الاهلية الروسية ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ باريس بايون ١٩٣٦ » .

ـ وايت جون البرت : « التدخل في سيبيريا » برنستون ـ جامعة برنستون ١٩٥٠ .

الحكومة العسكرية : نموذجين روسي وامير كـــــي

ايرل ف . زيبمكيه

مقدمة الناشر :

الحكومة العسكرية في المناطق المحتلة هي احد اكثر الاشكال وضوحـا للنشاط السياسي للعسكريين . انه مكشوف لدرجة ان الدولة المتورطـة فيه من حيث المبدأ تسعى الى الاشراف المدني على العسكري وتعترف انهـا مضطرة لتطبيقه كما اظهر ايرل زيبمكية في محاضرته حول الولايات المتحـدة والاتحاد السوفياتي في مقاله عام ١٩٧٣ في دورة الابعاد الجديدة للتاريـخ العسكري . ففي الولايات المتحدة لاقت الحكومات العسكرية نهايات او سمعة غير حسنة من ذلك التمجيد الذي ذكره البروفسور زيبمكيه . فان التجربـة الاولى للجيش الاميركي كجيش احتلال بعد مغامرة قصيرة وناجحة في المكسيك كانت في الدول الكونفورالية السابقة اثر الحرب الاهلية . وهناك نوع مـن التشابك بين الاضطرار الى احتلال جزء من الولايات المتحدة نفسها والمرارة الخاصة التي شعر بها وعانى منها الامريكيون تجاه المحتلين مما أوجد شعور الكرة للواجبات التي يفرضها الاحتلال وهي وان كانت قد غابت من الاذهان تقريبا ولكنها لم تزل نهائيا من اذهان الجيش الاميركي . وان احتلال الجنوب خلال اعادة البناء قاد ايضا الى زج الجيش في المتاهات السياسية في تلـك الفترة ومرارتها التي اصابت العسكري والمدني وولدت عنه شعور الكره تجاه الحكومات العسكرية وعدم رغبته بالتعامل بتلك الطريقة او الاسلـوب . ان

التوجيهات التي توجه الجيش ، جيش الاحتلال ، لا يمكن مطلقا ان تكون محددة بدقة لتنفيذ الجيش من المساهمة المستمرة بالاحكام السياسية على المستوى العالي .

البروفسور زييمكيه من جامعة جورجيا ساهم في صياغة التاريخ الاميركي في الحرب العالمية الثانية من ستاليغراد الى برلين ، الهزيمة الالمانية في الشرق (واشنطن ــ مكتب مدير التاريخ العسكري ١٩٦٨) .

* * *

الحكومة العسكرية : اسلوبين للمعالجة الروســي والاميركــي

ايرل ف. زيبمكيه

ان الغاية من هذا البحث هي معالجة حدث غير محتمل الحـدوث اي مقارنة بين شيء غير موجود وبين شيء آخر هناك قناعة قوية على وجوب عدم وجوده ، وبالذات الحكومات العسكرية في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. ان اصطلاح « الحكومة العسكرية » كما هو غير موجود في المفردات السوفياتيـة العسكرية . لقد استخدموا هناك اصطلاح « الادارة العسكرية » ورغم انهـا لم تستخدم سوى مرة واحدة في العصر الحديث وذلك في المانيا اثر الحـرب العالمية الثانية عندما كانت القوى الغربية تنشىء ما سمي « بالحكومـات العسكرية » في مناطق احتلالها . اما ما عدا ذلك ليس هناك اي دليل على ان الجيش السوفياتي يؤلف حكومة او يستلم ادارة في اية منطقة محتلة او تدخل ضمن اختصاصه . وضمن الانجازات الهامة الوطنية التي تتحدث عن العسكرية السوفياتية في الحرب العالمية الثانية فان احتلال المانيا يكاد لا يذكر ولم يرد اي ذكر حول احتلال الدول الاوربية الشرقية او كوريا او الصين .

من جهة اخرى فان المشرع العام للجيش الاميركي في صيف عام ١٩٤٠ وقد نشر كراس تعبوي ف م ٢٧ ــ ٥ حول وبعنوان الحكومة العسكرية . ولكن الكلمات لم تلق اذنا صاغية وسرعان ما حل محلها تعبير مثل تحديد « المسائل المدنية » التي استخدمت اثر الحرب العالمية الاولى عند احتلال الراين ــ لاند الالمانية . وقد أثارت « الحكومة العسكرية » آفاق الامبراطوريات والقنـاصل وانطوان وكليو باطرة وجنكيزخان وحتى ايتلا .

وما ان زجت الولايات المتحدة بنفسها في الحرب ورغم ان طعم ذلك يبدو مواتيا للالمان واليابان والايطاليين ، فان المسائل المدنية اصبحت حكومة عسكرية في المناطق المحتلة . وفي الخمسينيات من هذا القرن رغم ان الحكومات العسكرية وقد أثبتت نجاحا معقولا في المانيا واليابان ودعمت كل اساءة سياسية واجتماعية ومعنوية في المناطق المحتلة فانها ايضا قد افلست ان المدرسة الحكومات العسكرية اصبحت مدرسة الشؤون المدنية وتحولت الكراسات الميدانية الى كراسات مدنية : ف م ٤١ ــ ١٠ المسائل المدنية الذي نشر عام ١٩٦٩ وفيه تحديد للمسائل المدنية على انها : « هي المواضيع المتعلقة بالعلاقة بين القوات العسكرية المتمركزة في دولة او منطقة وبين السلطات المدنية وشعب تلك الدولة او المنطقة وعادة ما تشمل شغل القوات العسكرية لبعض الوظائف او تولي بعض السلطات التي هي عادة من مسؤولية الحكومة المحلية » . وان اصطلاح « الحكومة العسكرية » بحسب مفهومي يحدث فقط في الكراسات اي عندما يوصف بالتالي : « الشكل الاداري الذي بموجبه تنفذ السلطات المحتلة المهام التنفيذية والقضائية والادارية في المناطق المحتلة » . وما يجب استخلاصه وعلى الارجح هو المقصود ان الحكومة العسكرية هي حاليا بديل ومظهر استثنائي للمسائل المدنية .

ويبدو حاليا انه على الارجح ــ ان ذلك كله ليس سوى اللف والدوران حول الكلمات ، او القفز فوق الكلمات . النواحي المدنية هي او قد اصبحت فعلا حكومة عسكرية . الادارة العسكرية هي حكومة عسكرية . لقد شكل الجيش الاميركي حكومة عسكرية في كل حرب رئيسية خاضتها منذ حرب المكسيك في الاربعينات من القرن التاسع عشر وسيلجأ الجيش الاميركي على الارجح الى نفس الاجراء من جديد كلما تطلب الموقف ذلك . وقد فعل الجيش السوفياتي ذلك في المانيا وشمالي كوريا في الاربعينات من القرن الحالي ، وربما فعلت الشيء نفسه في بولونيا وهنغاريا وستفعل ذلك ايضا في المستقبل . الواقع ، مع ذلك ، ان هذا التلاعبالظاهري ذي معنى اساسي للحكومةالعسكرية او المسائل المدنية او الادارة العسكرية ونظرا لكونها من حيث المضمون الاكثر اهمية بين الجميع فانها الدور غير المحارب للقوى العسكرية بصورة عامة . ولها

اهميتها لانها تظهر وجود حدود لدور فوضوي وخطر اذ ان العسكري يعمل بثقة اقل مما يستطيع القيام به في المجال الذي خلق لاجله . وان الشروط التي تحدد هذه الحدود تختلف بين الجيش الاميركي وبين الجيش السوفياتي ولكنها هامة لكل منها بنفس الدرجة .

الجيش الاميركي كما ذكر اعلاه قد شكل حكومات عسكرية — في كافة الحروب الرئيسية منذ الحرب المكسيكية اذا اعتبرنا بان الفييتنام وكوريا ليست حروبا رئيسية . وفي كافة هذه الحروب عدا الحرب العالمية الثانية كان هذا التصرف مدعاة لتفكير او اعتقاد لاحق يعتبره باعتباره تصرف لم توافق عليه لا السلطة المدنية ولا العسكرية ولا ترغبان برؤية تطبيقه مرة أخرى . ولكن هذا التفكير كان يأتي دوما في موعد لاحق اي بعد التطبيق الفعلي .

الكولونيل ارفين هنت ضابط الشؤون المدنية في الجيش الثالث المتواجد في راين لاند قال ذلك ايضا لوزارة الحربية بعد الحرب العالمية الاولى . وفي تقريره النهائي عن احتلال الراين لاند نصح بأنه طالما ان بعض اشكال ومظاهر الحكم العسكري تبدو غير ممكنة التجنب وملازمة لكل حرب فعلى الجيش أن يهيء ضباطا منذ زمن السلم لتلك المهام . ولكن في العشرينات من هذا القرن كان الزمن الذي كان فيه الاحتلال العسكري للمناطق الاجنبية يبدو افضل بكثير مما هو عليه حتى في ايامنا هذه ، وكانت نصيحة هنت معرضة للنسيان نهائيا لولا احيائها من قبل لجنة مشكلة في كلية الاركان وذلك صدفة . ويبدو ان لجان الشعبة الاولى هي التي اولت الاهتمام الاكبر لهذه النصيحة بسبب ارتباطها بعمل هذه الشعبة الخاص وواجباتها .

وبدون تفكير مطلقا وضع الكولونيل هنت ولجان كلية الاركان نوعا من القنبلة الزمنية بشكل سؤال متفجر ذاتيا وبالذات هل ترغب الحكومة والجيش بقبول وتهيئة كمهة ثابتة او موضوعة لعمل اعتبراه في الماضي كمهمة استثنائية وللضرورة ؟ في دورة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ ودورة ١٩٣٩ — ١٩٤٠ في كلية الحرب ساعدوا في كتابة مسودة نظام الحكم العسكري وكراس حول ادارة المناطق المحتلة . وفي نهاية عام ١٩٣٩ رفض اللواء ألان غوليون المدعي العام توصية

أيضا من كلية الحرب بان ينشر الجيش كراس حول الحكم العسكري . وكان السبب الذي قدمه ان الكراس الذي نشر مؤخرا برمز ف م ١٠/٢٧ « قواعد الاعمال الحربية البرية » يقدم كافة التوجيهات التي يحتاج الجيش . وفي مطلع العام التالي مع ذلك وبالحاح من الشعبة الاولى والشعبة الثالثة اللتان زودتا كلية الحرب بالمواد اللازمة وضع مكتب غوليون كراس برمز ف م ٥/٢٧ بعنوان : « الحكم العسكري » .

ف م ٢٧ – ٥ وضع مطلبا بضرورة التدريب على موضوع لا يرغب به احد وارسلت الشعبة الاولى اليه اركان الاشراف وكانت لجنة اركان تفتقر الى الكفاءة والامكانيات اللازمة للتدريب . ولم تكن الشعب الاخرى في القيادة العامة ترى فيه اية فائدة وتحويل رجال من مهمة بناء الجيش الى تهيئة ما كان يبدو آنذاك مهمة لما بعد الحرب . ولكن اثناء ذلك كانت الحكومات تزول في اوربا تتحكم او تنفى من قبل الالمان وبدا واضحا ان الحرب الجارية لن تجري كما جرت الحرب العالمية الاولى في فرنسة على ارض حليف قادر بكفاءة على الاشراف على اموره المدنية الخاصة .

وبالتالي في كانون الثاني عام ١٩٤٢ ، وعلى اساس اصرار الشعبة الاولى وافق رئيس الاركان العامة الجنرال جورج مارشال متخطيا معارضة الشعب الاخرى وسمح للجنرال غوليون الذي اصبح آنذاك مدعيا عاما بانشاء مدرسة للحكم العسكري .

عندما افتتح غوليون مدرسة الحكم العسكري في ايار ١٩٤٢ في منطقة جامعة فرجينيا في شارلوتسفيل انفجرت القنبلة . فوصفتها الصحف « كمدرسة للفوليتز » المؤسسات المدنية طالبت بحصتها في اي احتلال مقبل وقد برهن قادة الجيش عن افتقارهم الى الاهتمام بمحاولة – تفريغ عدم كفاءتهم على مدرسة الحكم العسكري . والاسواء من ذلك فان الرئيس فرانكلين روزفلت اعلن سيادة المدنيين وان الحكم يجب ان يكون عملا مدنيا بأنه لا يعتقد بأن العسكريين قادرين على الحكم في اية ظروف . وقد اقترح في الواقع اقامة مديرين مدنيين في كافة المناطق المحتلة وجعلهم مسؤولين تجاه

وزارة الخارجية او اي ادارة مدنية اخرى . وكان ذلك بالنسبة للجيش كارثة . وكان هذا يعني ان كل قائد مسرح عليه ان يقبل بجانبه شخصا موازيا ومساويا له وهو ورني في سلسلة قيادة مختلفة ، عمليا ما قال عنه كلاوزفيتز اسوأ موقف مشتمل ــ قائدين في مساحة عمليات واحدة .

وكان الصراع الذي تبع ذلك تبعا لمعلوماتي لم يجد حلا حتى الآن . في شمال افريقيا كانت نظرة الرئيس تفضل على ما يبدو الوكالات المدنية لمحاولتها ادارة الامور المدنية في حين ان خريجي مدرسة الحكم العسكري يقبعون في منازلهم في انكلترا بدون أية مهمة . ومع ذلك برهنت شمالي افريقيا مسألة واحدة وهي ان الجيش فقط كان لديه الرجال والمعدات والتنظيم للتنفيذ في زمن قصير كل ما يلزم عمله لادارة المناطق المحتلة عبر البحار . وكنتيجة لذلك قام الرئيس روزفلت في تشرين الثاني ١٩٤٣ بمنح وزارة الخارجية صفة الاشراف على الحكومات العسكرية في الحرب العالمية الثانية اكثر من أي وقت مضى عندما اعلم وزير الحربية هنري شيمسون بأن على الجيش ان يتحمل مسؤولية « المسؤولية الاولى .. ريثما تصبح الجهات المدنية جاهزة لتحمل مسؤوليات تنفيذ برنامج طويل المدى » .

بعد استلام الرئاسة من قبل هاري ترومان في شهر نيسان ١٩٤٥ صرح فورا في احدى اوائل كلماته حول مخططات الاحتلال ان الحكم المدني ليس « عملا للعسكريين » وان وزارة الحربية التي بدأت بالتحضيرات اللازمة لتسليم مسؤولياتها المدنية في المانيا (لم تكن اليابان قد احتلت بعد) الى وزارة الخارجية في نهاية العــام . وبعد الدفاع عن مبدأ القائد الوحيد طيلة فترة الحرب واكتشاف الحكم المدني كعلاقة عامة يعتمد عليه ومصب ومصرف للقوى البشرية فــان الجيش كان مستعدا بل ومتحمسا ليسلم هذا العمل . اما وزارة الخارجية فكانت في ذلك الوقت قد اكتشفت انها كالمؤسسات المدنية في ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ ليس لديها الرجال والموارد لحكم عشرين مليون الماني وبقدرة ادنى حكم مئة مليون ياباني وبضعة ملايين نمساوي وكوري . في كانون الثاني ١٩٤٦ اعطى ترومان أمرا الى وزارة الحربية بالاحتفاظ بالمسؤولية التنفيذية وان تقوم

وزارة الخارجية بمهمة سياسة التخطيط للمناطق المحتلة . وهكذا بقيت الامور حتى نهاية الاحتلال بعد الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الوقت ظهرت العقائد وكأنها عادت الى الموقف الذي سبق ١٩٤٥ . وقد نص ف م ٤١ — ١٠ في تشرين أول ١٩٦٩ على سيطرة العسكريين على المناطق المحتلة خلال فترة القتال ولكنها تسعى الى تسليم هذه المسؤولية الى الادارة المدنية بأسرع ما يمكن .

وبالطبع ، لا نعرف الكثير عن التطور التاريخي للفكر السوفياتي فيما يتعلق بالحكم العسكري ، السبب الاول هو انه لا وجود لشيء رسمي حول ذلك ولا يوجد شيء بعيد عن الفكر السوفياتي أكثر من التحضير لاحتلال وأدارة المناطق التابعة للشعوب الاخرى . السبب الآخر والمقبول ايضا هو السببعدم وجود الشيء الكثير لنعرفه .. لقد عمل الجيش الاحمر كقوة احتلال في بعض المناطق الروسية خلال الحرب الاهلية كما نفذ مهمات مماثلة في بعض المناطق الروسية خلال الثلاثينات . وفي عام ١٩٣٩ احتل الجيش السوفياتي حوالي ثلث بولونيا وفي عام ١٩٤٠ سيطر على دول البلطيق وبسارابيا وجزء من فنلندا . ولكنه في كافة هذه الحالات عدا جزء او جزئين من فنلندا كان الاتحاد السوفياتي يقول بأنه يستعيد فقط اراضيه . ثم فيما بعد وخلال الحرب كان الاميركيون والبريطانيون يخططون لعملية مشتركة لاحتلال المانيا وقد قاموا عدة مرات بدعوة الاتحاد السوفياتي لارسال ضباط اركان للاشتراك معهم في لندن . ولكن لم يصل احد منهم . وكان الحكومة السوفيتية بسخرية مقصودة على الارجح تقول بأنها مشغولة بكسب الحرب بهدف انقاذ البشرية من اعباء ما بعد الحرب . وان كون الاتحاد السوفياتي لم يحضر نفسه للحكم العسكري بنفس الاسلوب الذي اتبعته كل من الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا يبدو انه قد تأكد في عام ١٩٤٥ . عندما اخترقت القوات الاميركية والبريطانية الاراضي الالمانية كانت ترافقهم عدد من الفرق الخاصة المكلفة بالاتصال بالوحدات الروسية او الحكم العسكري الروسي ولكن هذه الفرق لم تجد شيئا من ذلك . وقد حصل اتصال من هذا النوع بعد عدة ايام من استسلام المانيا عندما استلمت فرقة الاشراف شاف ما تبقى من الحكومة الالمانية النازية تحت رئاسة الادميرال دونيتر واجتمعت في فلينسبورغ ، في مقر قيادة ونيز بمجموعة الاشراف الروسية

المقابلة . وكانت عناصر (الشاف) مدربة ومهيئة لهذه المهمة منذ مطلع العام . في حين ظهر الروس وكأنهم يرون في حكومة عسكرية منظمة ورسمية فكرة جيدة وطرحوا عدة اسئلة حول كيفية تصور الحلفاء لوضعها موضع التطبيق . وفيما بعد في الاسبوع الاول من حزيران عندما التقى الجنرال دوايت ايزنهاور وائفيلق مارشال برنارد مونتغمري مع المارشال جيورجي جوكوف في برلين استنتجوا بأنه لم يكن لديه حتى ذلك الوقت اي جهاز على مستوى عال لاقامة الحكم العسكري في المانيا من النوع الذي كانوا هم قد جهزوا العناصر ودربوها على مثل هذا العلم طيلة عام كامل .

الا يكون لدى الجيش السوفياتي جهاز من الاخصائيين في الحكم العسكري لا يعني ان الحكومة السوفياتية لم تكن مستعدة لتحقيق اهدافها في المناطق المحتلة كما تراها هي . فبعد يوم أو يومين من سقوط برلين عين المارشال جوكوف الفريق نيقولاي برزارين وهو قائد جيش قائدا لمدينة برلين . كما جرت تعيينات مماثلة في المدن الالمانية الاخرى كلما تم أحتلالها ثم على ما يبدو عين لكل حي قائد خاص . وقام هؤلاء الضباط القادة بتعيين ضباط آخرين من قواتهم الخاصة لتولي المهام الادنى . ولم يكن لدى هؤلاء الضباط الخبرة المتوفرة لدى الاميركيين ومع ذلك كانت سلطتهم على الالمان تامة واحيانا فردية لدرجة انهم لم يكونوا بحاجة الى اية خبرة لتنفيذ ما يرغبون بعمله . في اليوم التالي للاستسلام وصل الى برلين انستاس ميكويان عضو المكتب السياسي والمشرف على العلاقات الاقتصادية مع المانيا في فترة المعاهدة بين هتلر وستالين وجاء معه مجموعة من الاخصائيين بالشؤون الاقتصادية والصناعية . وقبل مغادرته لالمانيا بعد بضعة اسابيع زرع رجاله في المناطق السوفياتية . ويبدو انهم كلفوا بمهمتين الاولى مساعدة الجيش في عملية تنظيم الاقتصاد وتوجيهه لصالح الجيش ولصالح الالمان والثانية كانت الاشراف على تفكيك المصانع والمعدات الالمانية وارسالها الى الاتحاد السوفياتي كتعويضات .

من جهة كان لدى الروس ميزة خاصة على الحلفاء الغربيين . كان لديهم عدد من الشيوعيين الالمان الذين كانوا متعاونين بكل قدراتهم مع الروس ويعملون

لصالحهم . وهذا ينطبق ايضا على المناطق المحتلة من قبل الجيش السوفياتي في اوروبا الشرقية وكوريا . ففي بولونيا مثلا كان باستطاعتهم تعيين حكومة وطنية شيوعية كاملة حتى قبل احتلالهم لاي جزء هام من الاراضي البولونية . وبعض العناصر المتورطة بذلك كانوا من الشيوعيين الذين لم يقتلوا أثناء الحرب لبقائهم في الملاجىء او في السجون ومعسكرات الاعتقال . وقليل منهم ولكنهم اكثر ثقة (موضع ثقة اكبر) كانوا يقيمون في الاتحاد السوفياتي . وبعضهم كانت لديهم خبرة وتاريخ سياسي منذ ما قبل الثورة الروسية الالماني والتر اولبرخت مثلا او الهنغاري ايمري ناجي وماتياس راكوزي او الكوري كيم ايل سونغ . الآخرون كانوا اكثر شبابا رجال ونساء اولاد وبنات الشيوعيين الاجانب الذين لسبب او لآخر امضوا معظمهم سني حياتهم في الاتحاد السوفياتي . وكانوا كلهم مهيئين ولسنوات عدة لتولي مسؤولية ولعب الادوار التي كان الاتحاد السوفياتي يهيؤهم للقيام بها ليس في داخل روسيا بل في بلادهم الاصلية وكان بعضهم قد اكتسب خبرة نظرية وجربها عمليا في الحرب الاهلية الاسبانية او مثل اولبرخت في الجيش السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية . وكان الشبان والشابات يدربون في مدارس الكومينترن وفي المعاهد القومية الخاصة بهم . ولم يتعلموا كطلاب المدارس الحكومية في اميركا للحكم العسكرية تقنية الادارة العامة ولكنهم كانوا خبراء في الشيوعية كما ارادت الحكومة الروسية لهم ان يكونوا وكانوا ممتازين في اللغات وباقي المتطلبات اللازمة لهم للحياة في دولهم الاصلية . وكانوا ايضا موثوقين سياسيا تبعا للاسلوب الروسي في الاختيار والعقائدية والمراقبة . وان ما يسمى اللجنة الوطنية لالمانيا الحرة التي شكلت بعد حل الكومينترن في عام ١٩٤٣ والتي توجهت ايضا نحو الاسرى الالمان وخاصة الضباط منهم زجت بالشيوعيين الالمان في حركة وطنية عنيدة وقوية .

لا شك انه كان للديموقراطية مؤيديها في المناطق المعادية المحتلة ولكنهم كانوا اقل تماسكا وتجانسا داخل مجموعاتهم . كما الولايات المتحدة تضم اعدادا هائلة من المهاجرين وخاصة من المانيا ولكنها اصرت على استخدامهم فقط كمواطنين اميركيين وهذا ما كان معظمهم يرغب به . وبنفس الوقت لم تكن السلطات الاميركية راغبة بالاستفادة من غير مواليد اميركا في الشؤون السياسية

او في صياغة القرارات لذلك كانت تستخدم معظمهم مستفيدة من لغاتهم أي كمترجمين او اخصائيين في الاعلام . اما الروس من جهة اخرى كانوا قادرين في وقت مبكر في المانيا منذ صيف ١٩٤٥ لاعطاء مظهر اعادة الاعمال الحكومية الى الالمان انفسهم ـ طبعا المانهم هم وكان هذا صحيح ايضا في كل مكان آخر . في شمالي كوريا كان القائد الروسي الفريق تيرنتي شتيكوف قد سمي سفيرا لروسيا من مطلع عام ١٩٤٦ . ولا شك انه في الواقع لم يتخل الروس عن ايـة سلطة بواسطة قوات الاحتلال بل على الارجح بواسطة الشرطة السرية وكانت يدهم هي العليا على كافة المستويات .

يمكن القول على اساس هذه المقارنة بأنه رغم كون كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وجد في الماضي وقد يجد في المستقبل من الضروري اقامـة حكم عسكري فان هذا الحكم ليس عملا مناسبا للعسكريين الاميركيين أو السوفيات او من ضمن مهامهم .

من وجهة النظر الاميركية نجد ان الاسباب الرئيسية لهذه الصعوبة كامنة في المفهوم القائل بأن العقلية العسكرية ليست ولن تستطيع ملاءمة للقضايا المدينة وان هناك شك حول كون كل ممارسة للسلطات الحكومية من قبـل العسكريين ستعرقل المفهوم الدستوري لخضوع العسكري الى السلطـات المدنية وان هناك شك حول كون كل ممارسة للسلطات الحكومية من قبـل بعدم حاجتهم الى ازعاج اكثر مما هو ضروري فيما يتعلق بالاهتمامات المدنية .

من حيث الاساس هناك ردود فعل عاطفية نتيجة للطريقة التي ينظر فيها الاميركيون الى انفسهم . الى درجة انهم لا يمثلون فقط آراء وطنية وادعاءات بل يعممون الفوارق بين وجهات النظر العسكرية والمدنية ويمكن تطبيق ذلك على الارجح على الاتحاد السوفياتي ايضا . ومع ذلك فانه فيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي هناك اعتبارات اخرى لها دورها ايضا .

من جهة اخرى فان أي دولة ذات حكم استبدادي رغم استنادها الى السلطة العسكرية من اي سلطة ديموقراطية اخرى ، فانها تعتبر جيوشها من وجهـة النظر العملية كأداة قليلة الفعالية نسبيا فيما يتعلق بالاشراف على شعوبها او

الشعوب الاخرى وتفضل الاعتماد على الشرطة او المنظمات السياسية . أي بكلمة اخرى في حين ان وجهة النظر الاميركية تفرض الحكومة العسكرية القسوة وقلة الفعالية فانها من وجهة النظر السوفياتية ليست على درجة كافية من الفعالية . ثانيا حيث نجد ان هناك ميل اميركي للنظر الى العسكريين كغير مثقفين ولا يمكن تعليمهم فيما يتعلق بالمواضيع المدنية فان الميول السوفياتية قد تكون في وضع الذي تعتبر فيه انه على العكس يمكن للعسكريين ان يتعلموا ذلك اكثر وافضل مما يجب . الاول من أثار مطلع القرن التاسع عشر عندما عارض ملك بروسيا بشدة فكرة الجيش الشعبي . اذا تعلم المواطنون السير واستخدام السلاح ، كما كان يقول ، كيف يكون بالامكان التأكد من انهم لن يستخدموا مهارتهم ضده ؟.. اذا سمح الاتحاد السوفياتي للجيش بأن يطور فعاليته في الحكم كيف يستطيع ضمان عدم استخدام هذا الجيش لامكانياته هذه في روسيا نفسها ؟

بعد ان تعمقنا في دراسة المفاهيم الروسية والاميركية حول دور العسكريين في ادارة المناطق المحتلة يمكننا الآن القيام ببعض المقارنات فيما يتعلق بالاهداف والتنفيـذ .

بالنسبة للولايات المتحدة وجيشها كانت المسألة ولا تزال تفصيل حكومة عسكرية وفق نموذج قادر على تلبية الحاجات العسكرية مع البقاء ضمن حدود العلاقات العسكرية ــ المدنية . بعد الحرب العالمية الاولى نصح الكولونيل هنت بأنه من واجب الحكم العسكري وهدفه الاول في المستقبل هو السعي الى « كسب الاصدقاء من بين الاعداء السابقين » والعديد من زملائه بعد الحرب العالمية الثانية يوافقونه على ذلك كما ان النشر ف م ٢٧/٥ لعام ١٩٧٠ قد تضمنت توصياته بين الاهداف التي تضمنها الكراس . ومن المفارقات او الصدف انه يمكننا اضافة ان الروس بعد الحرب العالمية الثانية اعتبروا ان سبب نجاحاتهم يعود فضلها الى نجاح ومهارة عسكرييهم في غزو قلوب الشعوب في المناطق التي يحتلونها .

ولكن المناخ العاطفي الذي ساد الحرب العالمية الثانية الى حد ما لم

يكن مع الاسف مساعدا على المحافظة على افكار هنت المفصلة مسبقا وهذا يمس مباشرة احدى مسائل التخطيط الاميركي للحكم العسكري . الحكم العسكري فرض نفسه في وسط العمليات الحربية ونفذ في مناخ مختلف تماما بعد انتهاء القتال . على كل حال احتاج الجيش الى تعريف اكثر دقة من الاهداف التي حددها هنت . الاول جرى تطبيقه في ١٩٤٠ وكان قانونيا بشكل جيد . وفي اطار القانون الدولي المطبق على مناطق القتال تقع على الجيش بعض المسؤوليات تجاه المدنيين في المناطق المحتلة من بينها المحافظة على تطبيق القانون والنظام في المناطق المحتلة ومنع الضرر عن الاشخاص المدنيين وعلى الممتلكات . وتقع على عاتق الحكم العسكري تحقيق ذلك . خلال الحرب فان الاحتلال الصديق او ما يسمى بتحرير المناطق تضيف اعباء جديدة فيما يتعلق بالعناية الصحية والخدمات العامة واعادة البناء . وبغية المحافظة عليها واشعار هذه المناطق بالاستعداد وتطمينها بأنها لن تنسى فان الحكم العسكري تنظيم قيادة عسكرية وبنفس الوقت وتحديده في الواجبات الثانوية وامور ونشاطات اخرى كما يحافظ على ابقاء السكان من ان يصبحوا اما مشاغبين او عنصر ازعاج او تهديد للمهمات التكتيكية . الهدف كان الفهم الصحيح للعمليات الحربية او البرامج الاخرى ستكون من مهام الوزارات الاخرى .

ورغم انه بلا ادنى شك هناك الكثير من الحكومات العسكرية وعناصرها تجد نفسها في ادوار سياسية كرسل الديموقراطية ، فان هذا لم ينص عليه قانونيا او رسميا كاحدى مهامها الرئيسية . فان الدول غير المعادية يفترض بها ان تكون ديموقراطية . اما في المناطق المعادية فان المهمة كانت ازالة معارضي الديموقراطية والعناصر العسكرية الفعلية والحكم لاعتقادها ان الديموقراطية ستبرز مع زوال هذه العوائق . وحتى بدء الحرب الباردة في عام ١٩٤٦ كانت الفكرة ترك الالمان وربما بدرجة ادنى اليابانيين يجدون طريقهم الخاص للديموقراطية والمساعدة المبدئية في التخلص من اساليبهم وطرقهم السابقة . وحتى في اقصى درجات حدة الحرب الباردة في عام ١٩٤٨ حافظ الرئيس ترومان على اهداف الولايات المتحدة وحددها بأنها تتمثل بعدم فرض نظامها السياسي

على أي انسان وذلك بهدف التأكيد على حق الشعوب باختيار شكل الحكومات التي يرغبونها .

ان اهداف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالنواحي والمسائل المدنية ــ الحكم العسكري المحددة بالكراس ف م ٤١ ــ ١٠ مشتقة بوضوح من خبرات الحرب العالمية الثانية . الاول هو دعم ومساندة سير العمليات التكتيكية والثاني تنفيذ الواجبات التي تقع على كل قائد تجاه المدنيين . الثالث والاخير هو ان تعمل كادارة عسكرية خلال وبعد فترة الصراع . ويمكن لهذه الفقرة الاخيرة ان تشمل مجالا كبيرا من الامكانيات والاحتمالات ولكنها في الواقع موجهة بشكل اساسي نحو التقليل من حدة القيود التي تنظمها الفقرتين الاوليتين . ف م ٤١ ــ ١٠ يشمل ايضا سيطرة وتفضيل المؤسسات المدنية في الولايات المتحدة الاميركية في الحرب الباردة وثبات عملياتها وتحويل السلطات بأسرع ما يمكن الى السلطات المدنية في المواقف الحربية .

وقد قيل ان دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧ والثورة الشيوعية في روسيا بنفس العام اطلقت كل من البلدين في حملة تسعى عبرها كل منها الى اعادة تنظيم العالم وفق وجهة نظرها السياسية . وبالتالي فان أي عمل تقوم به دولة اخرى في العالم ليس سوى خدمة لاحداها وان هاتين القوتين تعملان لصالحهما الخاص . هذه الاعذار مع ذلك تتجاوز خلاف هــام . ان شعار الحرب العالمية الاولى القائل « بالمحافظة على العالم سالما لاجل الديموقراطية » كان اعمق من ان يكون رصيدا لما هو قائم وقد ادى الى ان الولايات المتحدة قد خاضت الحرب العالمية الاولى والثانية وتحملت نتائج الحرب الباردة ليس لفرض سياستها الخاصة بل لترك العالم حــرا ومنفتحا لغرس الديموقراطية ونموها وازدهارها .

من جهة ثانية فقد قال ستالين للسيد ميلوفان جيلاس في نيسان ١٩٤٥ « هذه الحرب ليست كالماضي فان من يحتل بلدا يفرض عليها نظام حكمــه الاشتراكي والاجتماعي » . كل جهة تفرض نظامها الاجتماعي في كل منطقــة يستطيع جيشها بلوغها ولا يمكن ان يكون الامر مخالفا لذلك . حتى لو ان

ستالين لم يكن ما هو حتى لو كان مثلا ليونيد بريجنيف لا يمكنه ان يفكر بخلاف ذلك . اذن ان الشيوعية السوفياتية لا تفترض وجود عالما متفتحا بل حكومة عالمية . هنا يكمن الاختلاف بين اهداف كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية وحكوماتهما .

يمكن لحكومة الولايات المتحدة الاميركية قبول قانونا دوليا وتقييدا للحروب كخطوط عامة لها في حين ان الحكومة العسكرية السوفياتية يمكنها ذلك فقط اذا سايرت هذه الاهداف العقيدة السوفياتية وأمنت مصالحها . ومن البداهة الادعاء بأن الحكومة العسكرية الاميركية لم ولن تتجاوز القوانين والقواعد المرعية فيما يتعلق بالمصالح الوطنية . الفرق هو ان الحكم العسكري السوفياتي لن يكسر القوانين الا اذا كانت في صالح الحكومة السوفياتية .

في فترة العمليات الحربية يكون قائد مسرح العمليات الحربية الاميركي حر التصرف ، ضمن اطار مهمته ، فيما يتعلق بادارة الحكم العسكري بنفس المستوى الذي يدير فيه العمليات التكتيكية . أما القائد العسكري السوفياتي فهو ، او على الاقل كان في الماضي ، تحت الاشراف السياسي أثناء تنفيذه لكافة اعماله ، ويوضح تاريخ الحرب العالمية الثانية انهم فيما يتعلق بالنواحي المدنية كانت في الغالب مفصلة تفصيلا . هو وقواته قادرون على تقديم العضلات والوجود السياسي القابع وراءها وسلطة الشرطة ، وطالما ان من الصعب تصور أي شيء اكثر خطورة من قائد سوفياتي يمتلك قوة اتخاذ القرار السياسي فانه سيكون على الارجح سعيدا باتباع هذا الاسلوب .

الواقع ان ما حدث في ظل النظام السوفياتي هو ان الشعوب في المناطق المحتلة كانت خاضعة للحكم العسكري بالمعنى الذي يفهمه الاميركيون خاصة وانها في شروط مؤقتة حيث تتولى السلطة العسكرية المسؤوليات المدنية وكأن حكومته لا تستطيع العمل او زالت من الوجود . وبالتالي يصبح سكان المنطقة المحتلة او المناطق المحتلة آليا عناصر سياسية في الجهاز وكما اوضحت هانا ارلندت في مؤلفها حول الحكم الاستبدادي انهم كانوا يعتبرون اكثر عصاة محليين من كونهم اعداء اجانب .

وان اختلاف الاهداف ايضا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي يؤثر ايضا على اسلوب ادارة المناطق المحتلة . كانت الاهداف الاميركية على الدوام تأمين الاحتياجات التكتيكية وتطبيق القوانين الشرعية خلال العمليات الحربية . وينص نظام القتال الخاص بالحرب العالمية الثانية والتوجيهات الصادرة على جعل الحكم العسكري الاميركي ليس فقط غير موال بل غير سياسي بشكل كامل . أما نظام العمليات ف م ٢٧ ــ ٥ يشرح كيفية المنع التام لكافة النشاطات السياسية . وكان الفارق بين الحكم العسكري السوفياتي والاميركي خاصة في اسلوب التطبيق والرؤية التامة للاهداف المحددة وقد منع النظام الاميركي للحكام العسكريين من الوقوع في الاغراءات السياسية وترك لهم الاهتمام والحرية في عمل كل شيء من حيث تقديم المساعدة المهنية لسكان المناطق المحتلة . من جهة اخرى فهذا يعني انه كان على الضابط الاميركي تحمل مسؤوليات كافة الاخطاء التي ارتكبت وسترتكب . وقد ادى ذلك الى ابطاء عملية احياء النشاط السياسي بعد رفع المنع والحظر عليها .

وقد ادى ذلك الى جعل الشعب منفرا عدائيا مترددا في ان يقوم هو بالاعمال الخاصة به ، وكان ضباط الحكم العسكري غالبا غير راغبين بالتخلي عن قوتهم واعمالهم ووظائفهم . أخيرا وبغية تجنب الاختناقات السياسية فان هذا العمل ليس سهلا كما يظهر على الورق وللوهلة الاولى . وكان من الضروري ايجاد وتوظيف السكان المحليين المؤهلين الوظائف المختلفة وكان لا بد من الاعتماد على عناصر تقدم لهم التضحية والتزكية اللازمة لضمان صلاحيتهم للعمل وضمان أمانتهم . وقد تعلم العديد من الحكام العسكريين ان الكهنة الكاثوليك او البروتستانت ليسوا افضل من السياسيين .

وحيثما يمكن اجراء مقارنة وخاصة في المانيا بعد ايار ١٩٤٥ يبدو لنا ان الانجازات السوفياتية أثبتت مبدئيا انها اكثر مرونة وفعالية الى درجة كبيرة من الاميركية . كان لدى السوفيات مجموعة من الاداريين الالمان لبرلين في نفس اليوم الذي استسلمت فيها المدينة أي في ٢ ايار عام ١٩٤٥ . وفي بدء صيف ١٩٤٥ كانت معظم الحكومة في المانيا بأيدي المان . ولم يستطع الاميركيون اعادة السلطة الى الايدي الالمانية الا في نهاية العام . وفي حزيران عام ١٩٤٥ منع

الروس حرية اقامة الاحزاب السياسية في مناطقهم ، في حين ان الاميركيين احتاجوا لاربعة اشهر اخرى لتقرير اسلوب المنع . ان راديو برلين الموضوع تحت الاشراف الروسي كان يذيع المسيقى الراقصة والاوبرات لمدة اشهر قبل ان يقرر الاميركيون نوع التسلية الواجب اسماعها للالمان وفي الوقت الذي انشغلت المحاكم الاميركية بقضايا تافهة بدا وكأنه ليس لدى الروس اية مشكلة فيما يتعلق بالنظام والقانون اذ عينوا حكاما المان أقوياء وكلفوهم بالاشراف وضبط مواطنيهم . وفي المواقف الحرجة كان من صلاحيات الحاكم العسكري المحلي الروسي اصدار الاحكام بما في الاعدام وتنفيذها من قبله مباشرة . وقد علقت الصحف الاميركية على فشل النظام الاميركي ونجاح الاسلوب الروسي وحتى الالمان انفسهم كانوا يجدون ان الاسلوب الروسي افضل . ومع ذلك قليل جدا من الالمان تركوا المناطق المحتلة من قبل الحلفاء للذهاب الى المناطق التي يحتلها الروس . بل انهم عندما ترددت اشاعة احتمال اخلاء الاميركان لمناطقهم واعطائها للروس اصيبوا بالهلع الشديد .

يمكننا الآن القيام بتحليل اعمق للاحداث . انِ الضعف الرئيسي الذي اتصف به الحكم العسكري الاميركي كان لافتقاره خلال الحرب العالمية الثانية الى استراتيجية في المجال السياسي . الخطأ الاول في السياسة الاميركية ومسؤولية الحكم العسكري فيما يتعلق بالشؤون الادارية . خلال الحرب العالمية الثانية اغلقت اميركا الابواب عن التخطيط الاستراتيجي بعد مؤتمر طهران في كانون الاول عام ١٩٤٣ . في حين كان الاتحاد السوفياتي يتخذ القرارات فورا ومسبقا . العقيدة الاميركية الاخيرة كما حددت سابقا لم تأخذ الاهداف الوطنية الكامنة وراء فترة الصراع . الحكومة العسكرية السوفياتية كانت دوما ذات اهداف استراتيجية وهي أساسا توسيع النظام الشيوعي الى المدى الذي يصله الجيش كما قال ستالين . ونتيجة لذلك ما زال الشعب يتهرب من المانيا الشرقية بالمئات شهريا وعلى الجيش السوفياتي ان يتدخل بالقوة احيانا للحؤول دون ذلك . سواء أكان لدى الاتحاد السوفياتي حكما عسكريا أم لا فقد تعلمنا الكثير من خبرة الحروب وان تطبيق هذه الانظمة قد تفيدنا مستقبلا .

المراجـــــع

- آرندت حنة : « جذور الحكم الاستبدادي » نيويورك ـ كنوف ١٩٥٩ .
- كلاي لوسيوس : « قرار في المانيا » غاردن سيتي وايل داي ١٩٥٠ .
- دافيدسون اوجين : « موت وحياة المانيا » نيويورك ـ كنوف ١٩٥٩ .
- فريدريك كارل : « الخبرة الاميركية في الحكم العسكري » نيويورك ١٩٤٨
- فريدمان : « الحلفاء والحكم العسكري في المانيا » لندن شيفنس واولاده ١٩٤٧ .
- غاردنر ميشيل : « تاريخ الجيش السوفياتي » نيويورك براغر ١٩٦٦ .
- غارتشهوف ريمون : « السياسة العسكرية السوفياتية » نيويورك براغر ١٩٦٦ .
- هارت ليدل : « الجيش الاحمر » نيويورك ـ هاركور بريس ١٩٥٦ .
- ليونهارد وولفانغ : « ابن الثورة » شيكاغو ـ ريفنيري ١٩٥٨ .
- نيتل : « المنطقة الشرقية والسياسة السوفياتية في المانيا » لندن ١٩٥١ .
- جوكوف : « مذكرات الماريشال جوكوف » نيويورك ـ ديلاكورت ١٩٧١ .
- أنظمة القتال الاميركية أرقامها ف م ٤٠ ـ ١١ / ٢٧ ـ ٥
- كوريا الشمالية ، المطبعة الرسمية ١٩٦١ .

الحروب غير الشعبية وغير التقليدية

حرب عام ١٨١٢ وحرب المكسيك

هـــاري كولـــز

دراسة حول العمليات المضادة للعصيـــان

كيتشـــز والبويــرز

توماس غرييس

ثورات ضد التاج :

الرد البريطاني على العصيان الامبريالي

بوير بيـــل

تعليق الناشر :

عاصرت السنوات الثلاث الاولى من دورة الابعاد الجديدة للتاريخ العسكري فترة تملص الولايات المتحدة الاميركية من تورطها العسكري في الهند الصينية . وغالبا ما كان يفترض الاميركيون في تلك الايام الحزينة ان هذا الحزن كان فريدا في التاريخ - وانه ما من حرب في التاريخ الاميركي يوازي الحرب في الهند الصينية من حيث لا شعبيتها ومن حيث النتائج التي نجمت عنها . ويعتقد العديد من طلاب كلية الحرب انفسهم انهم عندما كانوا في صفوف المقاتلين هناك قد حرموا من الدعم الشعبي الاميركي تماما .

هؤلاء الضباط الطلبة وسواهم من المواطنين والعسكريين كانوا طبعا يقيسون خبراتهم في حرب الهند الصينية نسبة الى ما يذكرونه او قيل لهم عن الحرب العالمية الثانية عندما كانوا يتمتعون فعلا بدعم شبه شامل للحرب . ولكن الحرب العالمية الثانية نفسها وليست حرب الهند الصينية التي تعتبر فريدة من نوعها في تاريخ الحروب الاميركية . فمن النادر ان وجد اعداء للامة الاميركية يقاتلون بكفاءة عالية وتصميم على متابعة القتال ونادرا ما كانت الحرب ضرورية كما كانت انذاك للدفاع عن اسلوب الحياة الاميركي كما كانت في الحرب العالمية الثانية وخاصة بسبب الهجوم الياباني على بيرل هاربور . فكل حرب اميركية سواها كانت موصومة باللاشعبية الى درجة ما . الواقع انه حتى عدالة وبساطة اهداف الحرب كالتالي تمتعت بها الولايات المتحدة في صراعها ضد نازية هتلر وعسكريتارية اليابان خلال الحرب العالمية الثانية ، ليست حتما ضمان لدعم الحرب وتأييدها - الا اذا كانت الحرب فور بدئها او فور التغلب على الصدمة الاولى قد اصبحت عبارة عن خطوات متقدمة نحو النصر . السبب الرئيسي كان عدم وجود تراجعات واستمرارية التقدم الاميركي بعد بيرل هاربور

والهزائم الاولية المرتبطة بهذا الهجوم بالاضافة الى عدم تمتع الاعداء بالعطف والشعبية في حربهم العالمية الثانية . تفيد الوثائق والاحصائيات التاريخية ان الدعم الشعبي الكامل لحرب اميركية يتناسب طردا مع قصر مدة الحـرب واستمرارية نجاح السلاح الاميركي .

كل حرب معرضة لان تفقد شعبيتها عندما يطول امدها وعندما تتوقف الانتصارات العسكرية . وعلى الرغم من ان الذكريات الحديثة تثبت ان حرب الهنـد الصينية كانت حدثـا غـير شعبي فان الواقـع حسب الاحصائيات والاستفتاءات يدل على ان حرب كوريا كانت اقل شعبية ـ حتى الحـدث الحاسم عندما طال أمد حرب الهند الصينية اكثر من الكورية وادت بالتـالي الى زيادة عدد الاصابات بين الاميركيين . وطالما ان كافة الحروب تقريبا فيما بعد العصر النابليوني التي تميز بعدم حسمية العمليات الحربية ، اصبحت طويلـة الامد ومفتقرة الى انتصارات عسكرية مستمرة فقد اصبحت كافة الحروب تقريبا غير شعبية .

في عام ١٩٧١ واثنـاء السنة الاولى من دورة الابعـاد الجديدة للتاريخ العسكري وكانت حرب الهند الصينية مازالت دائرة ذكر البروفسور هاري كولز من جامعة اواهيوستيت طلاب كلية الحرب بلا شعبية بعض الحروب الاميركية السابقة .

وقد غطى البروفسور كولز عمليا كافة هنات التاريخ العسكري الاميركي ، وقام مؤخرا بدراسة الاستراتيجيين النوويين ولكنه ايضا مؤلف كتاب تاريخ احدى الحروب اللاشعبية التي يناقشها الآن « حرب عام ١٨١٢ » (شيكاغو : منشورات جامعة شيكاغو ١٩٦٥) .

بين عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ كان اول من حمل لقب محاضر زائر في التاريخ العسكري في فورت ليفنورت .

حرب عام ١٨١٢ والحرب المكسيكية

هاري كولـز

ان العنوان « الحروب اللاشعبية والعمليات العسكرية » لا يكفي لايضاح نفسه . وسنسعى اليوم الى مناقشة موضوع اللاشعبية والاخطاء في التاريخ العسكري الاميركي وكيف ادى فقدان الدعم الشعبي فعلا الى التأثير على ادارة الحرب . وعندما نفكر بالشعبية التي تمتعت بها حروب اميركا الكبرى ، أعتقد أنها تاريخيا يمكن تصنيفها كالتالي بدءا بالاكثر شعبية حتى اللاشعبية منها :

١ ــ الحرب العالميــة الثانيــة .

٢ ــ الحرب العالميــة الاولى .

٣ ــ الحرب الاسبانية ــ الاميركية .

٤ ــ الحرب الكوريــة .

٥ ــ الثــورة الاميركيــة .

٦ ــ الحرب مــع المكسيك .

٧ ــ حــرب عــام ١٨١٢ .

٨ ــ الحــرب الفيتناميــة .

٩ ــ (الحرب الاهليــة) .

وقد احطت الحرب الاهلية بهلالين وجعلتها آخر الجدول لانها بالطبــع حالة خاصة . ربما كان على المؤرخ ان يكون دقيقا في التعليق على الاحداث الجارية ومع ذلك يمكننا التكهن بأن المؤرخين في المستقبل سيجعلون من حــرب

فيتنام احدى أكثر الحروب لاشعبية . ما سنسمعه الآن هو مناقشة ما يمكن ان يكون اقل الحروب الخارجية شعبية عدا فيتنام ، أي حرب عام ١٨١٢ او الحرب المكسيكية اللتان تقدمان لنا عدة نقاط ممتعة للمقارنة والتناقض .

نظرة اولى على حرب عام ١٨١٢ . يمكننا ايجاد معارضة لها في كافة مناطق البلاد بدرجات متفاوتة ولكن بصورة عامة نجد ان انكلترا الجديدة قد عارضت الحرب في حين ان الغرب والجنوب والولايات الوسطى قد ايدتها . عواطف متسمة وفق الخطوط السياسية والفئوية . ونجد أن حزب جفرسون ساند الحرب حيثما وجد له اتباع في حين ان الفيدراليين في الشمال والشرق والجنوب والغرب عارضوها .

ونتساءل لماذا كانت مثل هذه الحرب التي اعلنت للحصول على الحقوق البحرية وانهاء الضغط مؤيدة من قبل الغرب والجنوب وكلاهما لا يملك سفناً ولا بحارة في حين عارضتها انكلترا الجديدة التي كانت تملك الاثنين ؟ الجواب هو جزئيا اقتصادي وجزئيا عقائدي وجزئيا سياسي . الواقع ان مصالح الشحن البحري في انكلترا الجديدة قد تعارضت في فترة ما مع الاوامر البريطانية المطبقة وخضعت لبعض القيود والضغط . ولكنها عارضت الخطر الاميركي بقوة اكبر . وكان مالكو سفن الشحن في انكلترا الجديدة يجمعون اموالهم من نقل البضائع في زمن الحرب أي في وضع غير طبيعي . في حين كان اهتمام الغرب والجنوب ينحصر بالتجارة العادية — في البيع لا بنقل المؤن .

وقد اوضح المؤرخون انه كانت هناك ضائقة اقتصادية في الغرب والجنوب عشية الحرب وان انخفاض الاسعار كان يعزى الى التجاوزات البحرية الانكليزية . ولكن لم تعان بنسلفانيا اية ضائقة — وقد ساندت بنسلفانيا الحرب بشدة . لماذا ؟ أساسا بقدر ما نستطيع ان نرى ، لانها كانت جمهورية السياسة وبالتالي تؤيد الحكم بصورة عامة .

وقد أيد الكثيرون الحرب لا بسبب الولاء الحزبي فقط وانما وبدرجة اهم بسبب ولائهم للمبادىء الجمهورية . كانت الولايات المتحدة بنظر الاميركيين

ـ كما كانت بنظر العديد من الجمهوريين في كل مكان ـ افضل أمل للعالم وسرى اعتقاد بأن التجربة الجمهورية في خطر .

ولكن ما مدى قوة معارضي هذه الحرب والى أي درجة من الكثافة كانت هذه المعارضة ؟ يقول آدامز ان الحرب عارضها الذين اعتبروا انفسهم وكانوا بنظر جيرانهم « كطبقة غير محرومة » أي بكلمة أخرى الذين يملكون الارض وكان اكثر المعارضين كلاميا هم السياسيون الفيدراليون ورجال الدين في انكلترا الجديدة . وعندما اعلنت الحرب خصص حاكم ماساشوستس كالب سترونغ يوما للصيام والصلاة . ودون أي اهتمام بالسلطة التنفيذية عممت ادارة ماساشوستس بيانا على الشعب تنصحهم فيه بما يلي :

« عبروا عن مشاعركم دونما خوف واجعلوا صوت معارضتكم للحرب يرتفع عاليا وعميقا . دعوهم يفهمون ان تقيدكم بمقتضيات القانون ستكون وفقا للمبادىء لا اختيارا » .

في انكلترا الجديدة يجب ان يكون حاضرا في أذهاننا انه كان هناك دوما ارتباط وثيق بين الكنيسة والدولة . خلال فترة الثورة اوقف بناء الكنائس في نيويورك وكافة الولايات الجنوبية . ولكن الكنيسة الاتحادية كانت ما تزال الكنيسة المعترف بها في انكلترا الجديدة وبقيت كذلك في ماساشوستس حتى عام ۱۸۳۳ . وكان رجال الدين في انكلترا الجديدة ينظرون الى الجيفرسونيون بريبة عميقة الجذور . وخلال انتخابات عام ۱۸۰۰ هوجم جيفرسون على المنابر وفي الكنائس والمدارس : « ملحد معادي للمسيح يعقوبي » كانت هذه بعضا من اخف التهم والكلمات الموجهة له . وجاء الحظر واعلان الحرب على انكلترا ليؤكدان مخاوف المبشرين بالفيدرالية . ومرة تلو الاخرى كان رجال الدين يتهمون الجمهوريين بعقد تحالف مع الشيطان الارضي : نابليون .

وقد لخص المحترم تيموثي دوايث الذي جمع بين صفته كرجل دين وكمدير معهد ، القضية ومعارضته للحرب لتلاميذه في كنيسة معهد يـل بالتـالي :

١ ـ قسم كبير من الناس هنا يعتقدون بأن هذه الحرب التي تورطنا بها هي غير ضرورية وغير عادلة .

٢ ـ لقد بدأنا هذه الحرب بدون أية استعدادات تقريبا .

٣ ـ أن موقف العدو كفيل بجعله قادر على ازعاجنا بشكل جدي .

٤ ـ هناك اكثر من سبب يدعونا الى الخشية بأن تقودنا هذه الحرب الى عقد حلف مع فرنسة .

وقال المحترم غاردينر راعي الكنيسة الانجيلية في بوسطن لافراد رعيته : « انها حرب لا مثيل لها في تاريخ العالم ، اعلنت استنادا الى ادعاءات واهية ولا أساس لها مطلقا » .

وعندما وقعت بعض الهزائم والتراجعات اثناء سير الحرب وجد رجال الدين في ذلك يد الله تعاقب شعبا خاطئا . وبدا ان الله قد اظهر نفسه لرجال الدين في انكلترا الجديدة مفتقرا بصورة تامة للازدواجية وكان شعب الجنوب والغرب بنظرهم ليس فقط غير عاقل في آرائه بل انه مفسد ، ظالم ومتعطش للدماء . وقال المحترم ايليا باريش الى افراد رعيته :

« عليكم ان تحنوا رقابكم لليوكيين وباصرار وتحطيم سلسلة الاستبداد الفرجيني بأخوتكم الافريقيين .. هذه الولايات الغربية التي تميزت بالشراسة في حرب الاجرام هذه الولايات المتعطشة للدم ... لقد اعطاها الله دما لتشربه . دماء رجالها الذين سقطوا . وارتفعت توسلاتهم عالية وعميقة » .

هذه المقتطفات غايتها الايضاح بأن معارضة الحرب التي نشاهدها اليوم ليست جديدة تماما على الولايات المتحدة الاميركية .

السؤال الثاني هو : كيف وما مدى تأثير المعارضة هذه على ادارة الحرب ؟ ببساطة : هذه المعارضة حرمت البلاد من النصر وقادتها الى شفير الكارثة . وبشكل أدق كان للمعارضة تأثير مباشر على الاستراتيجية وعلى التعبئة وعلى التمويل . ولحضور مؤلف من ضباط عسكريين لا أجد ضرورة التوسيع في

اهمية الاستراتيجية والقوة البشرية والمال لبلوغ النجاح او تنفيذ الاهواف الموضوعة للحرب .

كثيرا ما تعرضت استراتيجية حرب عام ١٨١٢ للانتقاد ــ انتقاد دون الاستناد الى الحقائق الواعية للدعم المتوفر لمعارضي الحرب . ان مسألة اخذ كندا قورنت دوما لعملية نشر شجرة . جذع هذه الشجرة كان الخط الرئيسي للمستوطنات الممتدة على طول نهر سانت لورنس من كويبك حتى مونتريال . الطرقات كانت الممرات البحرية الممتدة حتى انكلترا . الاغصان كانت المستوطنات المقامة على امتداد الانهار والبحيرات في كندا العليا . لقطع شجرة على الانسان ان يقطعها اقرب ما يمكن الى جذورها . انشر الجذع وكل شيء ينهار . والهام ايضا الاشراف على البحيرات الكبرى التي كانت تشكل خطوط المواصلات البريطانية نحو الغرب .

كافة هذه المعطيات الاساسية للموقف كانت معروفة ومفهومة جيدا . وما من مسؤول من الرئيس والى الادنى لم يكن واعيا لاهمية كويبك ومونتريال والاشراف البحري على البحيرات . لماذا اذن قامت الحكومة بمهاجمة الاغصان بدل الجذع ؟. نجد الجواب لدى معارضي الحرب . اولئك الذين عارضوا الحرب كانوا على حق بقولهم ان البلاد لم تكن مستعدة للحرب . ورغم ان صقور الحرب قد تحدثوا عنها طيلة سنتين او اكثر فانهم لم يفعلوا اي شيء لتهيئة البلاد للقتال . وقد تعمقت بقوة البديهيات المعادية للحرب والمعادية للبحرية التي كان يعتنقها الجمهوريون . وعندما اعلنت الحرب كانت قوة الجيش المعلنة حوالي ٣٥ الف ولكن ما زج منها بلغ ١١٧٠٠ فقط بما في ذلك خمسة الاف عبئوا مؤخرا . وقد انتشرت الوحدات غير المدربة في طول البلاد وعرضها في مواقع مختلفة . وقد اعلن عن بدء الحرب في حزيران عام ١٨١٢ واذا كان لا بد من القيام بعملية حربية ضد كندا فكان من الواجب التحضير لها بسرعة قبل حلول الشتاء . وكان لدى نيوانجلند افضل ميليشيا في البلاد قاطبة ولكن انكلترا الجديدة كانت ايضا المركز الرئيسي لمعارضي الحرب وكان الرئيس جيمس ماديسون مؤيدا للضرب باتجاه مونتريال وذلك « لانه بضربة واحدة يمكن تأمين المقاطعات الشمالية وقطع الشريان الذي يغذي الاعمال العدائية

الهندية » والطريق الوحيدة للاستيلاء على مونتريال في عام ١٨١٢ كان باستدعاء ميليشيا انكلترا الجديدة .

وفقا لمواد الدستور يمكن استدعاء الميليشيا الى خدمة الحكومة الوطنية بهدف تنفيذ قوانين الولايات المتحدة والقضاء على عصيان ما او ضد غزو معاد . وعندما طلب الى حاكم ولاية ماساشوستس دعوة الميليشيا قال الحاكم سترونغ الذي عرفنا رأيه سابقا للرئيس انه هو الحاكم للولاية لا للرئيس حق تقرير الوقت الذي يستدعيها وفقا لمتطلبات الدستور ، او يعود له تقدير الوقت المناسب الذي يستدعي جمع الميليشيا وفقا للدستور . وبالتالي رفض طلب الرئيس . واتخذ حاكم لونيكتيكات موقفا مماثلا ورفض ان يقدم اية قوات . وكانت المسألة الدستورية التي أثيرت لم تجد لها حلا طيلة فترة الحرب . الواقع انها لم تسوى الا في عام ١٨٢٧ عندما قررت المحكمة العليا في قضية « مارتن ضد موت » بأنه يعود للرئيس فقط تقدير متى تتطلب الحاجة الى استدعاء الميليشيا .

دون دعم انكلترا الجديدة كان أي هجوم رئيسي على جذع الشجرة البريطانية ـ الكندية غير ممكن . ومع ذلك كان لا بد من تطبيق استراتيجية اقل مثالية . ورغبة بعدم فقدان « اجماع وحماس كنتاكي واوهايو » قرر الرئيس الايعاز بخوض الحرب انطلاقا من ديترويت ونياغارا وميناء ساكيت ولكن لم يصادف في أي منها نجاحا وعندما حاول الجنرال ويليم هال غزو كندا انطلاقا من ديترويت لم يصادف سوى الكارثة . لا مجال هنا لمتابعة مدى تأثير المعارضة على تفاصيل الاستراتيجية ويكفي ان نقول ان المعارضة وتمركزها الجغرافي منعت الحكومة من تنفيذ الاستراتيجية الوحيدة التي كانت كفيلة بضمان النصر وانهاء الحرب بوقت قصير .

لنعود الآن الى ناحية اخرى ، موضوع القدرة البشرية . كما ذكرنا سابقا كان المصدر الرئيسي للرجال المدربين او نصف المدربين هو ولايات انكلترا الجديدة . وكي لا يتشكل انطباعا خاطئا لدينا علينا ان نوضح انه رغم معارضة حكام هذه الولايات ومعارضة السياسيين الاتحاديين ورجال الدين فقد تطوع

وانضم العديد من المواطنين المتحمسين الى الجيش النظامي ، وذلك من ولايات انكلترا الجديدة . الواقع ان بعض احسن الافواج كانت من ولايات انكلترا الجديدة كالفوج التاسع من ماساشوستس والحادي والعشرين ، الفوج الحادي عشر من فيرمونت والخامس والعشرين من لونيكتيكات وهي التي قاتلت بشكل جيد في شيبيوا ، لونديزلاين ، فورت آري . وكان ترتيب ماساشوستس الثاني بعد نيويورك في عدد المتطوعين .

ومع ذلك لم تستطع الحكومة الوطنية تشكيل جيش بحجم كاف لما تحتاجه الحرب . وكان الاعتماد الاساسي على الميليشيا ولكن هؤلاء كانوا بشكل عام يتطوعون للخدمة الفعلية لمدة ستة اشهر فقط . وكان التطوع النظامي عادة لمدة خمس سنوات براتب يعادل خمس دولارات في الشهر و ١٦ دولارا كتعويض ويعطى عند تسريحه راتب ثلاثة اشهر كتعويض و ١٦٠ آرا من الارض . اما العناصر المتطوعة عبر المنظمات وفق القوانين المحلية للولايات فانهم يخدمون لمدة سنة واحدة ويمكن قبول تطوع حتى الخمسين ألفا منهم . ولكن ما من طريقة من هذه الطرق يمكنها ان تنشيء جيشا يمكن الاعتماد عليه وبحلول خريف عام ١٨١٤ اصبحت مشكلة القدرة البشرية تمر في مرحلة حرجة وتشكل ازمة . على الورق بلغ عدد الجيش ٦٢ ألفا ولكن العدد الفعلي في ايلول ١٨١٤ لم يتجاوز الثمانية والثلاثين ألفا . وفي كانون الاول كانت مساحة الارض الممنوحة كتعويض قد تضاعفت واصبحت ٣٢٠ آرا ومع ذلك هبط عدد الجيش في شباط ١٨١٥ الى ٣٣ ألفا .

في هذه الظروف اليائسة اقترح جيمس مونرو الذي كان في عام ١٨١٤ — ١٨١٥ يشغل منصب وزير الخارجية ووزير الحربية خطة الخدمة الالزامية . ولكن الكونغرس لم يكن على استعداد لتوريط نفسه بالموافقة على تدبير متطرف كهذا . ربما لام احدكم الكونغرس على بساطته او تردده ولكن علينا ان نعترف ان الشروط والظروف الاجتماعية والسياسية للبلاد انذاك كانت تفترض قيودا .. ولم يكن احد يفوق جفرسون بحماسه للحرب ومع ذلك كتب قائلا : « من غير المنطقي التحدث عن الجيش النظامي اذ لا يمكن ايجادهم بين شعب يمتع بمثل البساطة والسعادة في منازله كالتي يتمتع بها شعبنا . يمكننا ايضا

دعوة جيش من الملائكة من السماء بمعنى آخر كان من الصعب جدا انشاء جيش لحرب شعبية . اما من اجل حرب لا تتمتع بالشعبية فكانت قضية ميؤوس منها.

دعونا الآن ننتقل الى موضوع التمويل . الذين لديهم اطلاع على الثورة الاميركية يذكرون ان اهم الصعوبات التي اعترضتها كانت عدم امكانية جمع الضرائب . وكان الكونفرس العام يملك القدرة على طلب الاموال من الولايات . وقد نص الدستور المصدق عام ١٧٨٩ على اعطاء الكونفرس صلاحية فرض الضرائب ولكن امتلاك الصلاحية القانونية شيء وامتلاك الرغبة والاعصاب المتينة لتنفيذ هذه الصلاحية شيء آخر .

فيما يتعلق بالناحية المالية ما في المواضيع العسكرية كان الجفرسونيون متأثرين بالعقيدة . فقد عارضوا انشاء مصرف هاملتون للولايات المتحدة ، وعندما حان وقت اعادة تجديد امتيازه بعد عشرين عاما أي عام ١٨٠٩ رفضوا من جديد منحه امتيازا جديدا . وقد ادى عدم وجود مصرف مركزي ومنح الامتيازات لمؤسسات الولايات الى اضافة صعوبات مالية جديدة .

كانت انكلترا الجديدة افضل صدر للرجال وكانت انلكترا الجديدة أيضا افضل مصدر للاموال . لقد عارض رجال الدين فيها الحرب على اسس اخلاقية ولكن هذه الاعتبارات الاخلاقية لم تمنع سكان انكلترا الجديدة من ملء جيوبهم . اذ كان اصحاب السفن ورجال المصارف في الولاية يستفيدون من التجارة الشرعية واللاشرعية وعملوا بالتعاون مع التجار البريطانيين بالنهب وبحمل المؤن البريطانية وبتطوير المصانع للتنافس مع البضائع البريطانية ففي ولاية ماساشوستس فقط قفزت تجارة التوابل من ١٫٧٠٩٫٠٠٠ دولار في حزيران ١٨١١ الى ٧٣٢٦٠٠٠ دولار في حزيران ١٨١٤ . وكان اتحاديو انكلترا الجديدة يأملون باحلال السلام عن طريق الامتناع عن تقديم القدرة البشرية والمساعدة المادية . وبالطبع كانوا بوضع مناسب تماما لتحقيق كلا الامرين . هاديسون غراي اوتيس وهو ارستوقراطي من بوسطن كان مديرا لعدة مصارف . وقد قال صموئيل اليوت موديسون الذي وضع سيرة حياته : « أثبتت مراسلات أوتيس انه ان هناك تفاهما تاما بين القوى الاقتصادية في كل من بوسطن وفيلادلفيا حول الامتناع عن الاكتتاب في القروض الحكومية طالما لم يحل السلام » .

اصبح الكسندر جيمس دالاس وزيراً للمالية في تشرين اول عام ١٨١٤ وسرعان ما أعلن انه حتى الفوائد على الديون العامة لم تدفع بشكل دقيق وان الكثير من الفواتير المالية لم تغط . « وان الامل في تفادي أضرارا أكبر ضعيف واللوم بتحويل المعاملات المالية وهم » . وقال : تضع الحكومة حدا للازمــة المالية بوضع حد للحرب .

وقد يتساءل الانسان كيف أمكن للولايات المتحدة الاميركية ان تربح الحرب رغم هذه المعارضة الشديدة لها التي شملت وأثرت على الاستراتيجية والقدرة البشرية والمالية . والجواب هو ببساطة ، ان الولايات المتحدة لم تكسب الحرب . عسكريا كانت نتيجة حرب عام ١٨١٢ التعادل اذ لم يستطع أي طرف تنفيذ وخوض معركة رئيسية ضد الطرف الآخر . وكانت هدنة جنت التي وقعت في ٢٤ كانون الاول ١٨١٤ عبارة عن سلم بدون نصر الى أي جانب . وان كون الولايات المتحدة الاميركية لم تفقد أي جزء من اراضيها فتلك كانت نتيجــة للموقف الدولي اكثر من قدرتها الذاتية .

لنلقي نظرة مختصرة على حربنا مع المكسيك . كما في حرب عام ١٨١٢ تركزت معارضة الحرب في انكلترا الجديدة . وقد اعتبرت حرب المكسيك مثلها مثل الحرب الفيتنامية حربا امبريالية هدفها اكتساب مزيد من الارض . وقد وصفت بأنها مؤامرة من قبل الولايات المستعبدة لغاية احتلال مزيد من المناطق لاستعبادها . وكانت افكار جيمس راسل لوييل التي عبر عنها في « اوراق بيجلو » اصدق تمثيل لهذه الفكرة والآراء . يعتبر « خوسيه بيجولو » احد مواطني انكلترا الجديدة الاميين (غير مثقف) ولكنه طلق اللسان يعبر عن آرائه شعرا . والابيات التالية تعطينا فكرة عن روح آراء خوسيه :

يتحدثون عن مناخ الحرية وصفاء الوجوه

ولكن الحــرب

مقبرة كبيرة سوف تبتلع خيرة أبناء جنسنا

يريدون كاليفورنيا فقط

مزيداً من العبيد ومزيداً من الارض
بهدف استغلالنا وامتصاصنا
ودفعنـا للخطيئـة .

لقد كتب الكثير عن اسباب تلك الحرب ولكن ان نقول كما فعل اوبيل ومثله العديد من المؤرخين المعاصرين بأن الحرب كانت مؤامرة لكسب مزيد من العبيد ، يعتبر تفسير صبياني . اذ هناك على الاقل واقعتان تنفيان ذلك .

لقد عارض بعض الجنوبيين الحرب بمن فيهم جون كالهون ، وقد قال كالهون مرة : « المكسيك فاكهة ممنوعة الاكل وسيؤدي أكلها الى الموت » . وكانت معارضته مبنية على اساس ان المناطق التي يمكن احتلالها مكسيكو الجديدة وكاليفورنيا لا تناسب العبودية . وعلينا أن نذكر دوما ايضا ان تلك الحرب قد لقيت التأييد سواء في الغرب او في الجنوب . اذ كانت الولايـات المكسيكية تقف في منتصف الطريق نحو الحدود الغربية . وكان حق تقرير المصير مفهوم يوافق عليه الجنوبيون ولكنه لا ينطبق عليهم .

وكما في حرب عام ١٨١٢ وجدت المعارضة ارضا خصبة لها بين الاحزاب وكذلك وفق خطوط حدود الولايات . كان الديموقراطيون قد خاضوا مؤخرا الانتخابات ونجحوا فيها بقيادة جيمس بولك وذلك بطرحهم خطة للتوسـع الاقليمي . وقد كتب هوراس غريلي احد معارضي الحرب ومؤرخ ويغ قائلا :

« يا شعب الولايات المتحدة ، ان حكامكم يدفعون بكم الى هاوية لا قعر لها من الجريمة والعدوان . لماذا تنامون على حافتها بدون تفكير كاف وبالقول بأن هذا ليس من شأنكم ، قد تختفي جريمتنا من امام نظر الله تحت ستار من الاعلام البراقة تدعى الرايات . استيقظوا وامنعوا هذه المذبحة والا فات الاوان لحفظ ارواحكم من جريمة المذبحة العامة » .

ما هو المدى الذي استطاعت فيه المعارضة التأثير به على تنفيذ او منـع الحرب ؟. في هذا المجال كان للنقد عمليا تأثير قليل على العمليات الحربية . وقد ادت نتائج الحرب الى انشقاقات سياسية واخلاقية عميقة ، ولكن المعارضة خلال الحرب نفسها لم تؤثر على العمليات مطلقا . ونتساءل لماذا ؟ .

علينا هنا ايضا كما في حرب عام ١٨١٢ دراسة موقف القدرة البشرية والقدرة المالية . ففي عام ١٨١٢ نجد ان تمركز المعارضة الرئيسية في انكلترا الجديدة منعت الحكومة من القيام بغزو ناجح لكندا على امتداد طريق بحيرة شامبلين . أما في حرب المكسيك فكان الوضع مغايرا اذ ان اولئك الذي ساندوا الحرب كانوا قريبين من ساحة العمليات وكان بامكانهم المساحة بها وقد دعـوا فعلا الى ذلك . كما انه خلال حرب المكسيك انشأت الوحدات على اساس التطوع . وقد طلب الرئيس بولك الولايات التي اعطته اصواتها بتقديم المتطوعين وبالتالي لم تكن هناك اية عقبة تجاه التطوع الواسع النطاق .

اما فيما يتعلق بالتمويل فقد كانت البلاد بصورة عامة اغنى مما كانت عليه عام ١٨١٢ وكان الثراء منتشرا في معظم طبقات البلاد وقطاعاتها . كما ان الموقف الدولي بالنسبة للذين يدرسون الحرب يجب ألا يغيب عن الاذهان ، كان أكثر ملاءمة لتلك الحرب . وكان الجوع الذي ساد اوروبا نتيجة نقص البطاطا سببا لاندفاع كبير نحو طلب المواد الغذائية الاميركية وبالتالي كان الازدهار يتوسع مع تطور الحرب .

اضافة الى ذلك فقد كان الرئيس بولك افضل بكثير من الرئيس ماديسون كقائد أعلى . وحتى ضمن مؤيدي الحرب كانت هناك آراء مختلفة حول كيفية خوض الحرب سواء في وزارة بولك نفسه او اي مكان في الحكومة الفيدرالية . ولكن الرئيس بولك كان يتمتع بقدرة كبيرة على التصميم وكانت له آراء واضحة حول ما يرغب بعمله . ومن حسن الحظ انه بامكان أي شخص ان يطالع كل شيء عن هذا الموضوع ولكن مع الاسف لن يضيف أي نور لما يعرفه حول هذه النقطة . اذ ما من شخص كتب عن بولك استطاع ان يتفهم نقطتين اساسيتين او عاملين رئيسيين : الموقف العسكري الذي عمل بولك في ظروفه ومفهوم الحرب المحدودة .

النظام العسكري في زمن بولك كان نظاما مختلطا : فهو سياسي جزئيا ومهني جزئيا ولكن العامل السياسي كان هو المسيطر . وكان كافة الجنرالات الكبار مثل وينفلد سكوت وزخريا تايلور خاصة هم جنرالات سياسيون .

وكانوا ينظرون الى الخدمة العسكرية كوسيلة للترقية السريعة في الدائرة السياسية العسكرية . مثلا كان لديهم واشنطن جاكسون ووليم هنري هاريسون . وكان الرئيس بولك يريد السياسي الاول وبنفس الوقت القائد العسكري الاعلى . ولذلك كان عليه ببساطة ان يلعب بجنرال سياسي ضد جنرال سياسي آخر . وكل اسلوب آخر كان سيجعله تحت سيطرة ورحمة مرؤوسيه .

من المستبعد ان يكون الرئيس بولك قد قرأ كلاوزفيتز او حتى انه سمع به طيلة حياته ومع ذلك فقد خطط الرئيس بولك ونفذ حرب المكسيك وفق استراتيجية وافكار قريبة جدا من آراء كلاوزفيتز . حول موضوع الحرب المحدودة يقول كلاوزفيتز ومثله منظرين عديدين أتوا بعده أن الحرب المحدودة يجب ان تكون حسية ملموسة ، واقعية ذات اهداف تفاوضية ، يجب ان تكون محدودة جغرافيا وقوة بشرية ومواردا . ويجب ان تستمر الحياة المدنية كما هي عادة واخيرا يجب ان تهدف الى تحقيق الاهداف التي يرغب بها القائم بها واقناع العدو بعدم فائدة اي محاولة لاستردادها .

لا يمكننا حاليا دراسة ادارة بولك لحرب المكسيك تفصيلا ولكننا نستطيع اعطاء بعض الاضواء عليها باختصار .

كانت اهداف الحرب تحديد حدود التكساس عند الريوغرانده وضم مكسيكو الجديدة وكاليفورنيا الى الولايات المتحدة . وبهدف تحقيق الهدف الاول وضع الجنرال تايلور قواته على امتداد الحدود وعند اندلاع الحرب وقعت عدة معارك تمكنت الولايات المتحدة خلالها من السيطرة عسكريا على المناطق المختلف عليها شمالي ريوغرانده . وتحرك الكولونيل سيفان واتس كيرني باتجاه الجنوب من فورت ليفنوورت واحتل سانتافيه ومكسيكو الجديدة . وكانت قوته الاميركية الصغيرة مقسمة الى ثلاثة اقسام : ترك قسم ضئيل منها في سانتافيه وجزء صغر آخر ارسله الى الولايات الشمالية من المكسيك وبما تبقى له من القوات اتجه الكولونيل كيرني نحو كاليفورنيا . وهناك وبمساعدة الاشخاص من الاميركيي الاصل واسطول الولايات المتحدة تمكن من السيطرة

على كاليفورنيا . وما ان حل شهر اذار عام ١٨٤٧ حتى كانت الولايات المتحدة تسيطر عسكريا على كافة الولايات المكسيكية الشمالية .

وبعد أن حصلت الولايات المتحدة على ما ترغب به أملت باقناع المكسيك بعدم جدوى قيامها بأية محاولة لاسترداد هذه الولايات . ولكن المكسيك لم تقنع بذلك . فماذا كانت الخطوة التالية ؟ كانت الخطوة أو التحرك الاخير انزال بحري في فيراكروز بهدف اقامة قاعدة اميركية فيها . وكذلك تحرك بري واحتلال مكسيكو سيتي . وقد تم ذلك كله والحياة المدنية في الولايات المتحدة تسير سيرها الطبيعي . وما ان تم احتلال مكسيكو سيتي حتى ارتفعت الاصوات تنادي بضم المكسيك بكاملها . وقد اصبح حق تقرير المصير مهددا بالنسبة للمكسيكيين وكانت الاصوات الاميركية تطالب بمسح البلاد ولكن الرئيس بولك تمسك بأهدافه المحدودة .

وعلى نقيض الوضع في حرب عام ١٨١٢ ، كان يساعد الرئيس بولك قادة كفؤ على رأس قوات متمتعة بروح معنوية عالية رغم كونها تفتقر الى النظام . ولا شك ان ذلك هو الذي قاد الى النصر . كانت هناك معارضة بلا شك ولكن لم تتمكن من التدخل والتأثير على حرب قصيرة ناجحة . لو ان الحرب استمرت لفترة طويلة ولو كانت هناك كاميرات تلفزيونية تنقل ما يجري في ساحة القتال وتضخم الاخبار لكانت هذه الحرب قد تحولت ايضا لما يشبه حرب فيتنام .

مرة اخرى اقول بأن المعارضة كانت ضعيفة التأثير على ادارة تلك الحرب ولكن ذلك يختلف تماما عن قولنا بأن ادارة الحرب ونتائجها لم يكن لها سياسة هامـة .

مراجـع البحث

في كتابي « حرب عام ١٨١٢ » (شيكاغو منشورات جامعة شيكاغو) ١٩٦٥ تجدون مناقشةتحليلية للمصادر تحتعنوان « مصادر مقترحة للمطالعة ». ومنذ ظهور كتابي ، نشر ريبجنالد هورسمان كتابا بعنوان « حرب عام ١٨١٢ » (نيويورك كنوف ١٩٦٩) يحتوي على لائحة بالمراجع مفيدة جدا خاصة فيما يتعلق بالمصادر الانكليزية .

عند تحضيري لهذا البحث اعتمدت خاصة على المراجع التالية :

ـ هنري ادامز : تاريخ الولايات المتحـدة وادارة جفرسون وماديسون ١٨٠١ ـ ١٨١٩ تسعة اجزاء (نيويورك سكرينر ١٨٨٩ ـ ١٨٩١) .

ـ شارل دوفور : الحرب المكسيكية تاريخ مكتف ١٨٤٦ ـ ١٨٤٨ (نيويورك هوثورن ١٩٦٨) .

ـ صموئيل اليوت موديسون فريدريك ميرك فرانك فريدل : في ثلاث حروب اميرية (كامبردج ، جامعة هارفورد ١٩٦٣) .

ـ صموئيل اليوت موريسون : « حياة ورسائل هاديسون غراي اوتيس » (بوسطن ليتل براون ١٩١٣) .

ـ اوتيس سينغليتاري : حـرب المكسيك (شيكاغو مطبوعات جامعـة شيكاغو ١٩٦٠) .

ـ جوستان سميث : الحرب مع المكسيك (نيويورك ماكميلان ١٩١٩) .

ـ ايموري اوبتون : « السياسة العسكرية للولايات المتحدة منذ عـام ١٧٧٥ » (واشنطن المطبعة الرسمية ١٩٠٤) .

ـ ت. هاري وبليمز : الاميركيون في الحرب : تطور النظام العسكري الاميركي (باتون روج ـ منشورات جامعة لوبزيانا ١٩٥٦) .

حالة دراسية حول معارضة التدخل

كيننشز والبوير

توماس غرييس

تعليق النـاشر :

هناك ميل لاعتبار كافة الحروب غير شعبية . وهناك حقيقة ايضا هي ان الحروب غير التقليدية تميل نحو اثارة كره خاص تجاه شعوب وحكومات القوى المتقدمة . ان القوات المسلحة للدول العظمى موجودة اساسا ومن حيث المبدأ لمحاربة قوات مماثلة لها في اطار حرب تقليدية وذلك تبعا للقواعد المتبعة والتي تسيطر على العمليات الحربية للدول الغربية والتي تطورت عبر العصور . وعندما يكون الخصم مختلفا عن احـدى القـوى الكبرى من حيث التجهيز والتدريب وحتى عندما يكون عتاده وتدريبه ادنى مستوى منها بكثير فقد تجد القوات المسلحة في دولة عظمى ، نفسها تبعا لنوعية عتادها وتدريبها غير ملائما لمواجهة مسألة كهذه ، اذ انه تجاه عدو فقير التجهيز والتدريب الذي عـادة يلجأ الى حروب غير تقليدية وخاصة حرب العصابات وتعبويتها ويتجاهل قواعد الحرب المتفق عليها فان كفاءة العتاد وخبرات القتال التي يتمتع بها جيش الدول العظمى قد تعيق فعالية تنفيذ العمليات في مثل هذه الحروب . وقد حصل ذلك دوما كلما كانت الجيوش الكبيرة تخوض « حروبا صغيرة » .

وهناك ايضا أسبابا أعمق تفسر سبب كون الحروب غير التقليدية مكروهة بشكل خاص من قبل الدول العظمى . متى تجد دولة عظمى نفسها مضطرة لخوض غمار حرب غير تقليدية ؟ ولا اقصد هنا استعارة التعاريف الشيوعية وانما اود عرض جواب اقرب ما يكون الى روح الموضوع ، واقول ان وضعا

كهذا يحصل عندما تزج دولة عظمى ما نفسها في دور أمة امبريالية تتصدى لحركة تحرر وطنية . وفي مثل هذا الموقف يصبح الموقف غير مريح مطلقا لدولة عظمى اذ ان تاريخها عبر عصور عديدة يفترض انه متى طلبت امة ما حق تقرير المصير ورفض لها هذا المطلب فان المقاومة المستمرة لها مستحيلة مهما كانت المزايا التي تتمتع بها القوى المعارضة للروح الوطنية . اذ انه على المدى الطويل لا بد لحركات التحرر الوطنية من ان تتحرر وتنتصر وهذا حتمي . وهذا ما يبدو من الدروس التي تعلمناها من كافة الجهود التي بذلت للضغط على حركات الاستقلال الوطني منذ الثورة الاميركية عبر حروب التحرير الوطني والوحدة في القرن التاسع عشر في اوروبا . صراعات اليونانيين والعرب الايطاليين الخ ــ وحتى المحاولات الاخيرة التي بذلتها فرنسة للاحتفاظ بالجزائر هذا اذا لم نتحدث عن الصراع الذي خاضته كل من فرنسة والولايات المتحدة في الهند الصينية . (وللدقة نقول انه اذا كانت المطالب الوطنية قد انتصرت دوما على المدى الطويل فان الكونفدرالية الجنوبية عام ١٨٦١ ــ ١٨٦٥ يمكن اعتبارها ادنى مستوى من التعبير الحقيقي عن الوطنية . الوطنية الكونفدرالية كانت دوما متأرجحة والتعاطف المستمر نحو الاتحاد القديم ضمن الجنوب لم يزل مترسبا ولا يمكن القول ان التعريف السابق للتحرر الوطني يمكن ان يكون مطبقا هنا ايضا .

في حرب البوير حققت الامبراطورية البريطانية احدى النجاحات النادرة حتى على المدى القصير ، لقوة امبريالية على حركة تحرر وطنية . وان هذا النصر البريطاني رغم انه أثبت ناحية أقل من الاستمرارية يبدو وكأنه جعل من حرب البوير حالة خاصة للدراسة من قبل الدول العظمى ، حول كيفية مقاومة الحروب الوطنية وحق تقرير المصير المنفذة بوسائل غير تقليدية . ولكن حرب البوير حظيت بدراسات أقل بكثير مما كان متوقعا لها ، حتى في بريطانيا ، بالاضافة الى القوى الغربية الاخرى التي تفتقر عمليا الى تفصيلات تلك الحرب.

ان واقع كون هذه الحرب بقيت مجهولة او تجاهلناها هو بحد ذاته دليل على كره القوى العظمى لخوض حرب غير تقليدية وحروب مضادة للثورات . لا شك ان البريطانيين لا يرغبون تذكر سلسلة من الهزائم التي اصابتهم في مطلع

حرب البوير حتى عندما كان البوير يقاتلون حرب تقليدية نسبيا ربما كانت شديدة التقليدية وكان هذا النوع من القتال لصالحهم على الارجح . ولكنه مؤلم اكثر التذكر بالهوة التي نهضت منها القوات المسلحة البريطانية عندما اصبحت يائسة من الانتصار في معارك غير تقليدية وثورية .

لخص البروفسور توماس غرييس في عام ١٩٧١ ما يمكن لمعظم القراء ايجاده عن احداث غير طبيعية ، وهو كعضو في معهد الدراسات التاريخية في الولايات المتحدة حصل على درجة البروفسور في التاريخ من جامعة ديوك بدراسة عن أول مدرس أكاديمي كبير في فن الحرب وهو دنيس هارب ماهان .

* * *

حالة للدراسة حول مناهضة الثورة

كيتشنر والبوير

الخلفيـــة :

بدأت حرب البوير في تشرين اول عام ١٨٩٩ واستمرت حوالي ثلاث سنوات وقد تحولت في النصف الاخير منها الى صراع بين رجال العصابات وقوات نظامية . اذ بحلول شهر ايلول عام ١٩٠٠ تمكنت القوات البريطانية بقيادة اللورد روبرتس من تشتيت ثوار البوير واحتلت المدن الرئيسية في دولة اوارنج فري والترانسفال . ومع الانهيار الكامل الظاهري لمقاومة البوير بدا ان قوة كلتا جمهوريتي البوير قد تحطمت نهائيا . وطار رئيس ترانسفال الرئيس بول كروغر الى ملجئه الوحيد في هولندا وذلك في منتصف ايلول ورغم انه كان معروف ان بضعة الاف من العصاة غير المنظمين قد هربوا نحو التلال الموجودة في شمال الترانسفال بدا ان الحرب قد انتهت . واذا كانت هنـاك بعض التقارير التي كانت تتحدث عن نشاط رجال العصابات في دولة اوارنج فري في اواخر تشرين الثاني كان روبرتس لا يوليها أي اهتمام وكان يفكر بالعودة الى بلاده ليستقبل استقبال الابطال تاركا لرئيس اركانه أدارة المهام التي اصبحت سهلة وهو اللورد كيتشنر . وكان البريطانيون الذين شاركوه في هذه النظرة قد فشلوا في تأويل الدلائل .

لم تكن جمهوريتا البوير قد انهارتا تماما رغم ان قواتهما المسلحة كانت مبعثرة وعواصمها محتلة وقـد خسرتا خطوط مواصلاتهما الجديدة وكانت السلطة السياسية مركزة بين ايدي رؤساء الجمهوريتين مارتينوس ستاين لجمهورية اوارنج فري وشالك بورغر لترانسفال وقد حافظ القادة العسكريون

المعروفون على الاتصال بهم . وقد وضعت خطة مركزة للمقاومة المتواصلة للسلطات البريطانية من قبل هؤلاء القادة العسكريين واتفق على تطبيق تكتيك حرب العصابات في المقاومة . وقد قرر البوير التخلي عن اساليب الحرب التقليدية واستخدام « كل ورقة عشب وكل حجر وكل صدفة وكل زاوية . . . ما كسبه روبرتس لم يكن سوى الظلال وترك كيتشنر يتعامل مع الحقائق »(١) .

كان الاسلوب الذي استخدمه كيتشنر في قتاله ضد تكتيك البوير الجديد مفيدا جدا للطلاب المهتمين بالعمليات المضادة للثورات . هذا الاسلوب الذي تطور ببطء وتحسن مع اكتساب البريطانيين للخبرة مع استمرار الحرب قد قاد البوير الى الاستسلام . اما فعالية هذا الاسلوب من الناحية العسكرية بشكل عام فهو موضوع تساؤل وقد قاد البوير أخيرا الى قبول السلام على الشروط البريطانية . لماذا كان هذا الاسلوب فعالا وكيف امكن تطويره هو الاهم . اذ ان الجهود البريطانية المضادة للثورة ذات معنى فعلى الرغم من ان التاريخ لا يستطيع التنبؤ بالمستقبل ، يمكنه تقديم اساس للخبرة واسلوب لتأويل الاحداث المعاصرة . اسباب مشابهة مشاكل وحلول ، يمكن ان تكون موجودة . وتفهم واحدة منها تجنب السقوط في مطبات التصلب تماما كالعوامل المشتركة التي تشكل مواضيعا للدراسة والتمحيص . ان دراسة معمقة لاساليب كيتشنر يمكنها ان تقدم لنا اطارا لدراسة كهذه ، قبل تقدير الموقف المتفجر الذي واجه كيتشنر عند استلامه القيادة في تشرين الثاني ١٩٠٠ فان نظرة سريعة على الاحداث التي قادت الى ذلك الزمن قد تكون ذات فائدة .

اسـباب الحـرب

كما في معظم حالات اللجوء الى السلاح الرئيسية فان اسباب حرب البوير كانت مجالا للتناقض والنقاش . عارضت الحكومة البريطانيـة الاضطهـاد الذي تعرضت له العناصر البريطانية في مؤسسات البوير التي منعت منعا باتا التسهيلات الممنوحة لغير البوير . ابعد من ذلك كان من غـير المسموح لاي انسان ان يتسلم منصبا حكوميا في جمهورية البوير ما لم يكن عضوا في الكنيسة الهولندية المجددة . وكان رجال التجارة البريطانيون ايضا يعاقبون وفق انظمة فردية لصالح البوير . اخيرا كان التاج منزعجا للتحضيرات المكشوفة التـي كان يقوم بها البوير استعدادا للحرب(٢) .

من ناحية اخرى كان البوير يشعرون بضيق من التدخل البريطاني في امورهم الداخلية ورفضوا فكرة ومفهوم السيادة البريطانية ويذكرون بأنهـم هزموا القوات النظامية البريطانية في حرب البوير الاولى عام ١٨٨١ . وكانـوا مصممين على البقاء مستقلين . كان هذا هدفهم وساندهم في ذلك قادة ذوي تأثير خاص في جمهورية اورانج فري ، وهذا ما ساعد البوير طيلة فترة الحرب . في كانون الثاني عام ١٩٠٠ ابرق كروغر الى ستاين قائلا : « ان هذه الحرب يمكن ان تنتهي فقط باحد اسلوبين : اما بانقراضنا نهائيا او بحصول على ما نريد، بالنسبة لنا فالخيار بين الحرية والموت »(٣) .

بعد اربعة عشر شهرا عندما بدا بعض زعماء الترانسفال يهتزون وبـدا كيتشنر ميالا للسلام رفض الجنرال كريستيان دو وين من اوارنج هنري وهـو مندفع جدا ، رفض التحدث عن اية تسوية طالما لم يحدد موعد قريب للاستقلال يرضى به هو . وعشية السلام طاف دو ويت بين رجاله يحمسهم للتصويت

لصالح الاسلام في مؤتمر البوير شريطة ضمان الاستقلال(٤) . كذلك لم يرض القائد البويري كوز دو لاراي الذي لم يؤخذ رايه وكان قائد وحدة عصابات في شمال ترانسفال ان يبادل او يتخلى عن المطالبة بالاستقلال حتى اليوم الذي صوت فيه المؤتمر على القبول بالسلام في ايار ١٩٠٢(٥) .

هذه الصلابة في الرأي كانت مدعومة بعامل آخر ساعد على استمرار جهود المقاومه . فالبوير لم يكونوا يثقون بالحكومة البريطانية بل يكرهونهـا ويعتبرونها سبب سوقهم بدون حق الى الحرب . وقد تجسد كرههم بشخص اللورد ميلز القنصل الاعلى في كيب تاون الذي كان محتقرا من قبل البوير . اذ ان تعيينه واقامته في بريتوريا كحاكم للمستعمرتين الجديدتين بعد معـارك روبرت والفم البريطاني ساهم بزيادة التحدي . ولم ينس البوير مواقفـه الوقحة والمتعالية في مؤتمر بلومفونين عام ١٨٩٩ . وكانوا على ثقة بان اهدافه لا تقبل سوى بالسيطرة البريطانية الكاملة واستعمار دول البوير . وكانـوا يخشون الاسوأ على أيدي ميلز الذي منذ بداية الحرب كان مدافعا عنيدا عن عدم القبول بادنى من الاستسلام التام(٦) . وبالتالي تابعوا القتال كافضل اسوأ الحلول على امل ان يتعب الشعب البريطاني من القتال وان تحل في بريطانيـا حكومة من الليبراليين اكثر صداقة لهم او ان يؤدي الامر الى تدخل اجنبي ــ او على الاقل ضغط الرأي العام الاجنبي ــ الذي يحتمل ان يشكل قوة ثالثـة ذات فعاليـة .

المرحلة التقليدية للحرب

قبل ان يقرروا خوض معارك عصابات في ايلول ١٩٠٠ اختار زعماء البوير خوض معارك نظامية ضد البريطانيين . وفي هذه المرحلة الاولى القصيرة الامد وعندما مال ميزان القوى البشرية لصالح البوير بنسبة ٢ الى ١ تمكن مقاتلو البوير من محاصرة ليدي سميث وكمبرلي وميفكنج بدلا ن التوغل عبر ناتال وكيب كوكوني في اقصى قوة لمنع الامداد من كيب دوتش واحتمال السيطرة على منطقة حيوية جدا بالنسبة للجهود البريطانية وامدادها . بعض البوير الشبان امثال لويس بوتا ويان سموتس لمسوا هذه المميزات ولكنهم كانوا أضعف تأثيرا من امكانية تأثيرهم على السياسة(٧) . ومع ذلك بقيت هذه الاستراتيجية البديلة املا براقا لبعض القادة طيلة فترة الحرب . وفي مناسبات عدة دخلت ارتال البوير الى عمق كيب كولوني وكان هدفها الاساسي محاولة اثارة السكان المحليين واطلاق شرارة العصيان والثورة . وقد كانت مستعمرة كيب املا للثوار مع بروز احتمال تدخل اجنبي ، وقد سعى البوير بعد انتقاء هذا الامل الى التفتيش عن الدعم في تلك المستعمرة ولكن الشهور مرت دون ان يحصلوا على شيء وقد بدأ المرحلة الثانية للحرب بوصول روبرتس في كانون الثاني من عام ١٩٠٠ وانتهت في تشرين الثاني مع استسلام القوات الجمهورية .

ثـورة البوير

خلال المرحلة الثانية للحرب تطور الموقف الى وضع ملائم لتطبيق تكتيك حرب العصابات . كان البوير كلهم كتلة واحدة في كرههم للبريطانيين . وهذا ما منحهم قاعدة متينة للانطلاق في حرب العصابات . كان بعض ذوي القلوب الهلعة ورجال المدن قد استسلموا في حين ان معظم العناصر الاخرى عادت الى مزارعها بانتظار استدعائهم للعمل ، اما القسم الاكبر من المواطنين بقيادة زعماء مهرة ومتحمسون ومتعاونون انتشروا في الجبال والغابات ليشكلوا نواة قوية معدة لاستقطاب كافة القوى ودفعها الى العمل (٨) . كان مسرح العمليات واسع جدا بالاضافة الى انها كانت عمليات متحركة وتشكل المنطقة مجالا مثاليا للعمليات القتالية غير النظامية . المسرح كان شبه خال من الاشجار عدا المناطق الممتدة على ضفاف الانهار وفي معظم انحائه مستويا وكان يتخلله هنا وهناك بعض سلاسل الهضاب وبعض القرى المنعزلة في حين كانت المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية تتميز بجبال عالية اما المياه الصالحة للشرب فكانت نادرة (٩) . وكانت حرب العصابات ملائمة جدا للبوير بل هي طبيعته لان رجل البوير متعود على الحياة الخشنة نوعا ما ، يعتمد غالبا على مهارتة في استخدام البندقية مدرب على نصب الكمائن ويقدر قيمة المفاجأة .

اما القوات البريطانية فقد كانت تعتمد على قواعد ثابتة وعلى اميال من الخطوط الحديدية الحيوية لخدمتها وكانت القواعد والخطوط اهداف نموذجية لعمليات البوير . اخيرا تمكنت حكومة ترانسفال من انقاذ كمية من الذهب من بريتوريا قبل ان يستولي روبرتس على العاصمة . وقد امن هذا المبلغ الدعم المالي الاولي لحرب العصابات . هذه الشروط الملائمة لحرب

العصابات مع ذلك لا يمكنها بمفردها أن تفسر سبب نجاح البوير ، فلا بد وان يكون لهم نظام تنظيمي بالاضافة الى اساوب تكتيكي .

منذ ان شعر البوير بمحاولات بريطانيا التعدي على سيادتهم سعت جمهوريتا البوير الى تكديس الاسلحة من مختلف المصادر وذلك منذ عام ١٨٠٤ وبكميات كبيرة . وعندما اندلعت الحرب في ترانسفال كان يوجد لديها بين ٦٠ الى ٨٠ الف بندقية حديثة ونصفها على الاقل بنادق المانية (موزر ؟ ألتي تستخدم ذخائر ببارود الدخان ولكل خمس طلقات مخزن خاص . اما جمهورية فري فكان تسليحها اقل وقد تم الاتفاق على ان جمهورية كروغر سوف تسلح الجمهوريتين . وكانت لديهم على الاقل مليون طلقة بندقية وحوالي مئة قطعة من المدفعية الحديثة من مختلف العيارات مصنوعة لدى كروب وكروزو(١٠) . ولكن عندما بدأ البوير بشن حرب عصابات كانوا قد فقدوا الكثير من هذه الاعتدة سواء استهلكت او دمرت قصدا خوفا من وقوعها بيد الانكليز . وقد بقي لديهم بضع قطع من المدفعية وقبل مضي بضعة اشهر تخاو عنها نهائيا لزيادة قدرتهم على الحركة بالاضافة الى ذلك تم التخلي عن العديد من الاسلحة عند التحرك عبر الجبال في ايلول ١٩٠٠ . ولكن يجب الا نعطي وزنا كبيرا لنجاح البوير موعزين هذا النجاح الى بندقية الموزر اذ انه منذ السنة الاخيرة للحرب استخدم البوير بكثرة البنادق والاسلحة التي كانوا يستولون عليها من الجنود الانكليز خلال اغاراتهم عليهم (١١) .

الاسلوب العسكري لدى البوير

كانت جمهوريات البوير مقسمة اداريا الى مناطق وشكلت هذه المناطق اساسا بناء التنظيم العسكري . فقد كانت كل منطقة تبعا لعدد سكانها تقدم مجموعة من المقاتلين تتراوح بين ٣٠٠ الى ٣ الاف مقاتل . وكان هؤلاء المقاتلين ينتخبون قائدا لهم لقيادتهم في المعركة . وعلى رأس هذه القوات عين قائد عاما من قبل الدولة . وقد احتل هذا المنصب كل من لويس بوتا في ترانسفال وكريستان دوية في اوارنج فري خلال مرحلة حرب العصابات . داخل كل مجموعة مقاتلة كان الرجال ينتخبون ايضا رقباء وعرفاء لمساعدة القائد في عمله . وكان لهؤلاء المساعدين عادة مهمات وواجبات مدنية في فترات السلم (مثلا التفتيش والاعمال القضائية الخ) . وكانوا على درجة كبيرة من الاهمية في فترات التعبئة عندما يستدعى كل ذكر بين سن ١٦ الى العشرين للخدمة العسكرية (١٢) .

الناحية المميزة للنظام العسكري لدى البوير كانت درجة الاستقلالية التي يتمتع بها كل فرد . فلم يكن باستطاعة الضابط ان يعطي امرا يحدد فيه الرجال للقيام بعملية معينة بل كان يطلب متطوعين لها . وكانت الاستراتيجية تقرر في مجلس حزبي ومقتصرة على القادة ولكن غالبا ما كان يحضره المقاتلون في معسكراتهم ويدلون بآرائهم الخاصة .

اكثر من ذلك فان رجل البوير لم يكن يرى اي غضاضة في ترك معسكره والعودة الى منزله وعائلته او حتى الانسحاب من المعركة بدون امر عندما يشعر بأنه في خطر او مطوق . ولكن بصورة عامة وبسبب زيادة حجم اعمال الاغارات فقد كان القادة المندفعون يمارسون اشرافا متزايدا على العمليات

ويفرضون درجة اعلى من النظام والانضباط على رجالهم . وكثيرا ما صادف القائد بن فيلجون وهو من القادة الرئيسيين في الترانسفال مشاكل عدم الطاعة وكان يردد دائما « البوير يبالغون في مفهومهم لحرية العمل والقول » . دو ويت ايضا وجد ان هذه الميول غير مشجعة وقال للجنرال جوبير بعد سقوط بلومفونتين انه « مهما قلت او فعلت فان المقاتلين كانوا يتركون القتال ويذهبون الى منازلهم »(١٣) .

لقد تمتع البوير بهذه الروح الاستقلالية بشكل طبيعي وقد نمت منذ ان كان يتصف بالحرية الواسعة في العصور القديمة حيث طور اعتماده على نفسه وعلى مهارته العملية كمقاتل فردي . وكانت هذه الصفات مفيدة جدا له كمحارب في صفوف المقاتلين غير النظامين اذ انه في العمليات التي تخوضها مجموعات صغيرة من المقاتلين فان المبادأة الشخصية والمهارة والذكاء تلعب دورا هاما . وكما قيل كل انسان كان قائد نفسه . ولم يكن ذلك مفيدا جدا عندما حاول البوير القيام بمعارك ثابتة باسلوب قتال تقليدي . وكان قرار خوض حرب عصابات هو اعتراف واستثمار لهذه الصفات الطبيعية . « بوتا » بصورة خاصة كان دقيقا في السماح لرجاله بالذهاب الى منازلهم عندما كان يشعر بأن ذلك سيلبي رغبتهم اذ كان يعتبر ذلك وسيلة لازكاء روحهم للقتال ويعودون للقتال بنشاط . الجنرال ريدفرز بوللد رغم كونه لم يظهر خلال القتال تفهما واسعا لتكتيك البوير قد قدر جيدا هذه الناحية الهامة . وفي اثناء شهادة له في عام ١٩٠٣ امام لجنة تحقيق ملكية حول الحرب قال : « المنزل بالنسبة لكل رجل هو هام جدا » (١٤) .

تكتيك البوير وتقييم عسكري

كان الاسلوب التكتيكي للبوير ملائم جدا لقتال العصابات . وقد ادعى احد المؤرخين ان البوير ليسوا شعبا مدنيا مطلقا ، وانما « عرقا مقاتلا ذي تاريخ حربي » (١٥) . منذ تاريخهم المبكر تعلم البوير ان بقاءهم رهن بمهارتهم الشخصية وبحصان مدرب . لقد قاتلوا البريطانيين بنفس الاسلوب الذي كانوا يقاتلون به الوحوش معتمدين على مهارتهم في استخدام البندقية وتجنب الالتحام . كانوا يتجنبون الاقتراب من الخصم الى ادنى من المسافة اللازمة لاصابته بالبندقية مع الاستخدام الجيد لطبيعة الارض مما يسمح لهم بالتقرب الى المدى المجدي للسلاح مع البقاء خلف ساتر يحميهم من الانظار والنيران . كانوا يطبقون الانتشار الواسع الذي يعطي اهمية كبرى للمواقع الجانبية مع تغطية بالنيران للثغرات الموجودة بين مراكزهم الناجمة على سعة الانتشار . وكانوا يتركون الجياد على مسافة كافية وراءهم وكانت الجياد مدربة على البقاء حيث هي دونما حاجة لحراستها والاشراف عليها . وهم دوما مستعدون للقيام بتحركات جانبية سريعة لدعم مركز لهم او مجموعة معرضة للخطر او للانسحاب السريع عندما يشعرون بحركة تهدد بقاءهم . رجل البوير يفضل المواقع الدفاعية وكان تساؤله الدائم هو « ليس كيف اهاجم بل كيف اجد موقعا مناسبا لصد هجومه » (١٦) ، وبالاضافة الى ان هذا الموقع يجب ان يؤمن له اطلاق نيرانه العزيزة والدقيقة مع الوقاية حتى آخر لحظة ممكنة ، ونادرا ما قام البوير خلال مرحلة حرب العصابات بهجمات مكثفة او اغارات بالخيالة وعندما يقومون بعمل كهذا غالبا ما كانوا يهزمون (١٧) .

اما من حيث تفوق رجل البوير فقد كانت سمعته مقدرة عاليا من حيث الكفاءة رغم انه حدث مبالغة في التقدير . دون شك ان والد المقاتل البوير في

عام ١٩٠٠ قد مارس الصيد وغالبا ما كان يقاتل السكان الاصليين ، وتمتع بمهارة كبيرة في استخدام البندقية لدرجة انه اصبح اسطورة في هذا المجال . فخلال اشتباك ضد البريطانيين عام ١٨٨١ تكبد البريطانيون ٦٦ بالمئة من الاصابات خلال عشر دقائق وكان معدل الاصابات خمسة لكل رجل (١٨) . اما فيما يتعلق بمهارة رجال البوير عام ١٩٠٠ فيما يتعلق بدقة الاصابة فان اراء القادة الانكليز الذين قاتلوا هناك متضاربة . فقد شهد الجنرال ج س اردوف انه مع حلول عام ١٨٩٩ لم تعد هذه المهارة كاملة وان رجل البوير رغم كونه ادق تصويبا من البريطاني فانه لم يكن بمهارة الاوسترالي . اما الجنرال برايزون فانه لاحظ ان البوير كان مؤثرا على المدى القريب اي اقل من ٣٠٠ ياردة ولكنه لم يكن فعالا جدا على مسافة ابعد من ذلك . الجنرال شارل نوكس رغم ذلك يقول ان البوير نادرا ما كانوا يطلقون النار دون اصابة شيء ما (١٩) .

ويمكننا ان نستخلص ان البوير كانوا بصورة عامة افضل تصويبا الى مدى كبير من خصمه البريطاني الذي كان يقدر عاليا جدا قدرته على الاصابة ويتفاخر بها .

وعلى الارجح كانت المرونة الحركية للبوير عاملا رئيسيا في نجاح حرب العصابات . وكانت خيولهم اقوى من خيول البريطانيين وقادرة على امتصاص مقدار كبير من الصعوبات هذه الخيول كانت قادرة على التحرك ستين ميلا في اليوم الواحد ولمدة عدة ايام متواصلة وسرعتها اعلى بكثير من سرعة الخيول البريطانية . اكثر من ذلك كانت قادرة على العمل لمدة ثلاثة ايام متواصلة دون طعام (٢٠) . وبما ان المعدل الوسطي لرجل البوير كان اكثر من حصان واحد فباستطاعته دوما الاعتماد على حصان مستريح . ولم يكن مطلقا يحمل حصانه اثقالا كبيرة بل بندقيته فقط وذخيرته وكيس يحتوي على لحم بقر مقدد . ولذلك يستطيع الانتقال خفيفا لان المؤن يمكن الحصول عليها من المزارع المحلية ولانه كان يحافظ على ذخيرته بشكل جيد . وعندما يجتمع عدة رجال لتنفيذ عملية معينة طويلة الامد ، تتخذ الاجراءات اللازمة لملء المؤن والذخائر اللازمة لهم في عربة قطار وكثيرا ما رفض بعض القادة اخذ هذه العربات معهم اذ غالبا

ما كانت هذه العربات تسقط بايدي البريطانيين لانها كانت بطيئة جدا . واذا ما حدث ذلك يسرع رجال البوير الى تهيئة مقطورة اخرى من المناطق الصديقة المجاورة في فترة الهدوء (٢١) . اخيرا كان رجل البوير يعرف جيدا المناطـق التي كان يقاتل بها . وحتى عندما كان مطاردا بشكل عنيف فانه قادر عـلى اتباع اسلوب الخداع لتضليل خصمه . هذه اذن كانت الوحدات غير النظامية الهائلة التي كانت تقاتل في مجموعات الوحدات المنظمة التي واجهت كيتشنر عندما تولى القيادة في تشرين الثاني عام ١٩٠٠ .

التدابير البريطانية المضادة للثورة

لم يكن من الصعب على القائد البريطاني الجديد ان يتحقق من ان الحرب مازالت بعيدة جدا من نهايتها وانه كي يقارع البوير عليه امتلاك جيش مغاير ومختلف لما هو متوفر لديه مع تطبيق أساليب جديدة في القتال ومنذ شهر آب عاد دو ويت الى دولة فري وبدأ باثارة نار المقاومة بين السكان . ونظرا لكون معظم القوات البريطانية موجودة بعيدا في الترانسفال فقد كثف من غاراته على الخطوط الحديدية وعلى المعسكرات المنعزلة . وفي مطلع العام كان البوير في ترانسفال قد تحولوا من القتال النظامي الى عمليات العصابات وساهموا بفعالية وكثافة بهذه الاغارات . وما ان حل شهر حزيران من عام ١٩٠١ حتى تمكن البوير من قطع حوالي ١٣٠٠ ميلا من الخطوط الحديدية عبر ٥٢٠ غارة في العام السابق وقام رجال الهندسة الملكية باعادة بناء ٢٢٥ جسرا ومعبرا كان المغيرين قد دمروها(٢٢) . وبهدف لجم دو ويت أمر دوبرت باعادة القوات الى فري ستيت ونظم دوريات قوية لتطهير المنطقة . وقد دعيت بالارتال المتحركة ومؤلفة اساسا من المشاة مثقلة بقوافل من عربات المؤون التي تجرها الفحول وكان البوير يبتعدون عن طريقها بكل تهذيب ثم يعاودون السيطرة على القرية بعد ان تتركها هذه القوات . وقد علق أحد قادة هذه الارتال البريطانية قائلا : « كان حظنا بالقاء القبض على البوير مماثل لحظ اورد مايور بالقبض على قاطع طريق في هونسلو هيث » (٢٣) . وكان كيتشنر متفهم بوضوح لكافة هذه الصعوبات ويعي تماما ان ايجاد علاج لها يتطلب وقتا طويلا . وارسل طلبا عاجلا الى لندن بارسال مزيد من القوات الراكبة وعدد من الخيول وبنفس الوقت قام كيتشنر بنشاط ملحوظ بانشاء وحدات تموين ويدفعهم لعدم وجود وسائل بديله الى التقدم البطيء ولكن المستمر الى المناطق المحيطة بالمدن وجود حسب تقديره كان البوير جد قريبين من استرداد المبادأة . ولكنه أيضا جرب اسلوبا آخرا .

المفاوضـــــات

زاد كيتشنر من مساعداته للسكان والقرى التي تستسلم في محاولة لاقناع البوير بعدم جدوى متابعتهم الحرب . وكان القائد العام رجلا عمليا ، وباستطاعة القارىء ان يستنتج منطقيا انه مع معرفته للنجاح الذي كان البوير يحققونه فانه لم يكن على ثقة بأنهم سيقبلون بالسلام وانه حاول على الارجح كسب الوقت ريثما يصبح جيشه قادرا للعمل بفعالية ضد هؤلاء العصاة . ربما كان هـذا جزء من اهدافه . ولكنه بنفس الوقت كان يشجع المفاوضات مع الحكومـات الخارجة على القانون وكان يعارض نظرة ميلز القائلة باستسلام البوير دون قيد او شروط ، فاذا امكن جمع لجنة « برغر » للسلام برئاسة بوتا فـان كيتشنر سيكون مسرورا جدا . اكثر من ذلك فانه بدأ يتلقى شكاوي من سكان القرى التي استسلمت « الرافعي الايدي » بأن رجال المقاومة كانوا يضغطون عليهم لينضموا الى صفوفهم . لا شك مطلقا ان هذا كان يحدث فعلا ويلاقي نجاحا هاما . وقد نصح بوتا احد مرؤوسيه في تشرين الاول بابلاغ سكان هذه القرى بانهم اذا استمروا اذا لم يحملوا السلاح فانه سيعتبرهم « متآمريـن وسيصادر كل ما يملكونه ويمكن نقله وسيحرق مزارعهم ايضا » (٢٤) . لهذا شجع كيتشنر لجنة السلام « بورغر » على ارسال مندوبيها الى داخل معسكرات المقاومة . وكان البوير قلقون جدا من هذه الجهد واحتمال تأثيرها على رجال المقاومة لذلك عاملوا هؤلاء المندوبين بقسوة وذهبوا بعيدا في ذلك بان حاكموا واعدموا احد زعماء هذه اللجنة كخائن ، وهو ميير دوكوك (٢٥) . وهكذا فشلت كافة جهود هذه المنظمة رغم ان احد مقترحاتها الى كيتشنر كان له اثار بعيدة المـدى .

محاولة عزل المقاومة عـن الشعب

آخذا بنصيحة منظمة السلام قرر القائد البريطاني في كانون الاول من عام ١٩٠٠ ممارسة الضغط على البوير بان نقل الى المعسكرات كافة سكان المناطق التي كانت مسرحا لعمليات رجال المقاومة ووضع هؤلاء السكان تحت اشراف الجيش البريطاني (٢٦) . وقد وجدت آنذاك بضعة معسكرات جعلت فيهـا عناصر اللاجئين الذين طلبوا الحماية من العصابات وكان هدف كيتشنز من ذلك بالطبع هو ارباك البوير وضرب قواعد تموينهم . وانصافا له علينا ان نعترف انه كان ايضا مدفوعا بدوافع انسانية وقد اوضح ذلك في اوامره اذ ان بعض السكان المتضررين قد عوض لهم نتيجة اوامر روبرتس السابقة بأن كل المزارع العائدة لمساندي البوير ستحرق ويقضي على كل حي فيها . وقـد برر كيتشنز عملية الاجلاء هذه بانه بناها على اساس ان بوتا قال له بصراحـة في مؤتمر ميدلبورغ في اذار ١٩٠١ بأنه لن يمتنع عن الضغط عـلى الرجـال للانضمام الى قواته واذا رفضوا فانه سيدمر ممتلكاتهم مما سيترك العائـلات في العراء (٢٧) .

لقد اعطت سياسة الاخلاء هذه نتائج بعيدة المدى . الواقع ان كيتشنز لم يتنبأ بمدى حجم مشاكل الاقامة والعناية الصحية والتموينية . فالجيش المهتم بواجباتهم العسكرية والمفتقر الى القدرة البشرية قدم عناصر غير مؤهلة للمعسكرات ومنطقيا ارسل اقل رجاله كفاءة لادارتها . لذلك بدأت الظروف تزداد سوءا وقد مات الكثيرون في هذه المعسكرات وبدأت اصوات الاحتجاج ترتفع بين العناصر المؤيدة للبوير في بريطانيا نفسها وكسب البوير عطفا متزايدا في كافة انحـاء العالم .

استردت الحكومة الاشراف على المعسكرات من ايدي كيتشز واسندت هذه المهمة الى ميلز الذي اصلح اخطاءه شيئا فشيئا . وعند انتهاء الحرب اعترف قادة البوير بأن عائلاتهم كانت تحت الرعاية البريطانية وقدموا لها الشكر على ذلك . هذه العائلات التي كانت في معسكرات البوير (وقد توقف كيتشز عن اجلائهم في الاشهر الاخيرة من الحرب) كانوا في حالة سيئة جدا .

وعندما سئل دو ويت عما سيفعل بهم فيما اذا قرر متابعة الحرب أجاب بأنه سيرسلهم الى الانكليز برفقة مجموعة من رجال المقاومة ويكلف هذه المجموعة بالادعاء بأنها جاءت تستسلم للبريطانيين(٢٨) . التساؤل الهام في مجال دراستنا هذه يكمن في مدى فعالية عملية الاخلاء كسياسة وكتدبير في الاجراءات المضادة للثـورة .

ان حل مسألة الاخلاء له ارتباط وثيق بسياسة احراق المزارع ، طالما ان نقل العائلات الى مكان آمن هو جزء من سياسة التدمير . وبما ان هذه السياسة قد انتشرت بشكل واسع ونفذت بواسطة اعداد متزايدة من مرؤوسي كيتشز فقد اصبح التفريق بين الملتكات العائدة للمستسلمين او مؤيدي المقاومة قليل جدا . ومع ذلك فان البرغيرز الذين في الاساس شجعوا على السلام كانوا يشاهدون من يدعون حمايتهم وهم يحرقون ممتلكاتهم وبالتالي كانت هناك فرص كبيرة لانتقالهم الى صفوف المقاومة . وهناك ناحية اخرى وهي ان تدمير الملتكات ادى الى عكس مصلحة البريطانيين في انه زاد في قوة تصميم البوير على متابعة المقاومة(٢٩) . وتبعا لموقفهم المعلن بالنسبة للاستقلال من غير المعقول ان يكون البوير ميالون للاستسلام في وقت ابكر لو ان كيتشز لم يمس المزارع بأي ضرر كما كان بوتا يرغب . فقد كانت هذه المزارع مصدرا هاما لامداد رجال المقاومة ولا يستطيع كيتشز اهمال ذلك .

هناك مآخذ اخرى على السياسة البريطانية المتعلقة بتدمير الممتلكات . يتمسك جون فوللر القائل بأنه لو تركت المزارع سالمة وتركت العائلات نعيش فيها لكانت اصبحت مصائدا يمكن للقوات الانكليزية الاستفادة منها(٣٠) . هذا القول فيه خطأين : الاول ان البوير كانوا اكثر مهارة وابداعا من الوحدات البريطانية المعادية . وثانيا لم يكن لدى البريطانيين قوات كافية لنصب كافة

هذه الكمائن . وقد شهد الجنرال شارل نوكس وهو خبير في محاولاته مجاراة دوويت ، ان العديد من اهالي قرى فري ستيت كانوا يفضلون البقاء في مزارعهم لو أمنت لهم الحماية من دو ويت ورجاله ولكن البريطانيين لم يتوفر لهم مطلقا القـوى الراكبـة الكافيـة للعمـل ضـد مجموعات البوير المتفرقـة(٣١) . وهنـاك اعتبـار آخر هو ان سياسـة التهـديم والاخـلاء شغلت القـوات وحولتها عن مهامها الاصلية وهي القضاء على رجال المقاومـة(٣٢) . هذه تهمة حقـة ولكنها ليست ذات قيمة اذ انه عندما طبقت سياسة التهجير لم تكن القوات البريطانية منظمة بشكل يسمح لها بمطاردة والقبض على البوير . وبنفس الوقت فان تدمير الامدادات يساهم ولو كان بشكل بطيء بنسف والقضاء على امكانيات البوير في متابعة القتال . استنادا الى شهادات زعمائهم ، عندما بدأت محادثات السلام ، كان هناك القليل من الشك بأن يقود عجزهم عن الحصول على الامداد الى عنصر فعال يقودهم الى الاستسلام(٣٣) .

الانتقاد الرئيسي الذي وجـه الى سياسة تهجير اهالي البوير الى معسكرات هو ان هذا العمل قد حرر رجال المقاومة من مسؤولياتهم تجـاه عائلاتهم وسمح لهم بتوجيه اهتمامهم الكامل نحر الحرب . نظريا يظهر هـذا وكأنه استنتاج منطقي ويؤيد الحل الذي قال به دو ويت والذي ذكرناه اعلاه ، لمتابعة الحرب . ولكنه يتجاوز العامل الانساني ، هذا العامل بالذات بتطبيقه على المعسكرات جلب انتقادات عديدة للبريطانيين . اذا قبلنا بضرورة تدمير قواعد الامداد فهل كان باستطاعة كيتشنر ترك النساء والاطفال في العراء للموت جوعا ؟ ومع اقرارنا بأنه فعل ذلك في المرحلة الاخيرة من الحرب ولكن العدو انذاك كان قليلا . مثل هذه السياسة كانت ستلقي عبء العناية بهم على البوير مما كان يمكن ان يدفعهم الى الاستسلام في وقت ابكر مما حصل . هذه الروح القتالية غير القابلة للسيطرة كانت ستلقي اللوم كله على البريطانيين وتنشره عبر العالم كله . عامل آخر أخذ بعين الاعتبار الروابط العائلية الوثيقة في الحضارة البويرية هو انه من غير الممكن الا يبدي رجال المقاومة اي اهتمام بعائلاتهـم المسجونة لدى البريطانيين(٣٤) . هذا الاهتمام كان سيقود الى نسف تصميم بعض رجال المقاومة على المثابرة في القتال ، رغم عدم وجود وقائع تدعم هذا

الرأي بالنسبة للمقاومة ككل . ان حجر عائلات وأقرباء رجال المقاومة كان ذي انعكاس سيء على مجمل الجهود البريطانية المضادة للثورة ولكنها مارست بعض التأثير على بعض الافراد ودفعتهم نحو السلام .

وبخط مماثل للفكرة التهجير والحجر حاول كيتشنز تطبيق اسلوبين آخرين من اساليب سياسة الضغط ولكنها باءا بالفشل نسبيا . عندما تضايق من اغارات البوير داخل مستعمرة كاب وناتال(٢٥) والثورات المتكررة التي كان يقوم بها مؤيدو البوير داخل هذه المستعمرات اعلن كيتشنز الاحكام العرفيـــة واتخذ تدابير صارمة ضد أي رجل مقاومة يلقي القبض عليه وقد سمح له هذا التدبير استخدام الوسائل العسكرية في المناطق التي تعتبر مؤخرة مناطق العمليات . ولكن هذه التدابير اساءت الى حكومات هاتين المستعمرتين كما ان اعدام بعض رجال المقاومة واحيانا بشكل فيه الكثير من الاثارة لم يمنع اصدقاء البوير من الاستمرار على روابط الصداقة . عند انتهاء الحرب كانت العمليات في الكاب في وضع الجمود وكانت هناك ٣ الاف من البوير ولكن العصيان الواسع لم يكن متوقعا . وبغية اعادة التوازن اضطر كيتشنز الى ارسال وحداته الى تلك المنطقة(٢٦) . ويمكن للمرء ان لا يوافق على تدبير كيتشنز باعلان الاحكام العرفية كأسلوب من اساليب الصراع ضد الثورة . رغم اننا نجد هنا درسا فيما يتعلق بمجال العلاقات المدنية العسكرية .

قد يكون كل من روبرتس وكيتشنز قد حاول تنظيم واستخدام الوحدات الموالية بشكل افضل تلك القوات المتوفرة بين صفوف سكان تلك المستعمرتين التصدي الى اغارات البوير وبالتالي الاحتفاظ بالقوات البريطانية للعمل في ترانسفال وفري ستيت .

التدبير الثاني للضغط كان الاعلان الذي إصدره كيتشنز في آب ١٩٠١ مهددا بالنفي مدى الحياة خارج جنوبي افريقيا لقادة البوير ما لم يستسلموا . وكان رد فعل دو فلت على ذلك قوله « لم يمت احد من الخوف » كان نموذجا للاحتقار الذي قابل به زعماء البوير هذا الاعلان(٢٧) وكانت محاولة الضغط هذه من قبل كيتشنز آخر جهوده لسوق البوير الى الاستسلام وقد جاء في وقت كان فيه يجرب التقنية العسكرية الجديدة لاستخدامها ضد رجال العصابات .

الحـــل العســـــكري

امتد حل كيتشنر العسكري للتصدي الى هؤلاء البوير المتملصين لفترة عدة شهور وتألف من مزيج من مظاهر ثلاث : نقاط محصنة ، تحركات بأرتال راكبة ، اغارات ليلية مفاجأة . المظهر الرابع مركزية الاشراف كان مرتبطا بالمظهرين الاولين . فالرغبة بالتخطيط المفصل والتنفيذ الدقيق كانت بنظر القائد البريطاني لها حظ كبير بالنجاح في هزم البوير ويكمن في اشرافه الشخصي المباشر بالاتصال اللاسلكي مع عدد من الارتال المتحركة التي كان بامكانه تحريكها وفقا لمعلومات الاستطلاع عن العدو التي تتجمع لدى اركانه . لقد اعطى هذا الاسلوب نتائج ايجابية ولكن لا يمكن اعتباره افضل اسلوب . كان اسلوب كيتشنر يفترض ان القوات البريطانية وقادتها لم تكن في مستوى البوير . بصورة عامة كان هذا الافتراض صحيحا ولكن هذا الاسلوب افقد القادة المرؤوسين له حماسهم وحرمهم من ممارسة المبادأة وتطوير استراتيجيات مضادة للثورة غير نظامية .

وقد جعلهم هذا الاسلوب عبيدا لما هو مخطط . وقد حاول كيتشنر ان يدعم عناصر جمع المعلومات ودفعهم الى ما ابعد من مجال نشاط القــادة المحليين لجمع معلومات اوسع مما يمكن جمعها بواسطة دوريات تعمل في قطاع كل قائد . كان هناك حد ادنى من الصلاحيات يمكن منحها للمرؤوسين في مجال المسؤولية العملياتية ولكن في مجال التعامل مع عناصر البوير المتفرقة والمنتشرة في مناطق واسعة حيث كانت عدم المركزية في القيادة البريطانية مرغوبة اكثر .

التحــرك بالارتــال

أول حملة كبيرة اطلقها كيتشنر في كانون الثاني عام ١٩٠١ وذلك قبل وصول الامداد بالوحدات الراكبة التي طلبها(٢٨) . في تلك الاثناء كانت التنظيمـات البريطانية قد تحولت الى الارتال بدلا من الفرقة كتنظيم عسكري موحد . وقد قصد ان تكون هذه الارتال متمتعة بقابلية حركية قدر الامكان ولكنها كانت تتضمن مجموعات هامة من المشاة وقوافل الامداد . وانتظر حاول شهر ايــار حتى تمكن كيتشنر من تجميع حوالي ٨٠ الف مقاتــل راكب(٢٩) وقد بدأوا يتصفون بالقدرة الحركية الكافية لمواجهة البوير . ولكن الارقام وحدها غير كافية وكان لا بد ان يتبعها التدريب والخبرة . وحتى ذلك الوقت كان على كيتشنر استخدام القوات المتوفرة لديه . وقد تألفت الحملة الموجهة نحو وارنج فري ضد دوويت من حوالي ١٥ الف مقاتل مقسمة الى ١٥ رتلا وتضم معظم الوحدات ذات الخبرة . في تلك العملية طارد الانكليز دوويت بواسطة رتل واحد في مطاردة مباشرة مستخدمة السكك الحديدية للتجمع السريع في حين احتلت بقية الارتال في مواقع ثابتة لسد كافة المحاور . ولكن هذه الارتال البريطانية لم تكن لا مرنة ولا مدربة بالشكل الكافي وكانت المعلومات تصل متأخرة ، وكان دو ويت يتملص من مطارديه بعد انهاكهم . الحملة الاخرى كانت باتجاه شرقي الترانسفال وكانت معدة لاستغلال السياسة الجديدة لاجلاء السكان عن المناطق الريفية لمطاردة بوتا . وقد استخدم فيها حوالي احد وعشرين الف مقاتل ضمن سبعة ارتال . كانت الوحدات الراكبة قليلة وبالتالي التحركات بطيئــة نسبيا ، وتقليدية . لم يجد بوتا أية صعوبة في تجنب الارتال ولكن الارياف تحملت الكثير من عمليات النهب الاولى التي قامت بها قواته .

رغم ان كيتشنر ثابر طيلة الفترة المتبقية من السنة على ارسال حملات

راكبة مختلفة الاحجام وتوجيه الارتال المتحركة بشكل متزايد القوة الى داخل فري ستيت فان النتائج كانت مخيبة لآماله . دمرت المزارع والمداجن والعربات صودرت العائلات ونقلت الى المعسكرات في حين لم يقع في الاسر سوى عدد قليل من رجال المقاومة . ورغم ذلك كانت القوات تكتسب خبرة قتالية وتطور تكتيك الحملات . في عام ١٩٠٣ شرح الجنرال ريمنفتون احد اوسع قادة الارتال خيالا ، كيف حاول تحسين فعالية قواته : تخفيف الحمل عن الحصان ، ترجل الجنود اثناء الاستراحة بهدف اراحة الخيل السماح للخيل بالرعي متى كان ذلك ممكنا ، ارسال الدوريات الليلية لتحديد اماكن وجود معسكرات البوير(٤٠). (خلال السنة الاخيرة من الحرب كان رتله مؤلفا من ٢٥٠٠ مقاتل راكب ويغطي ثلاثة الاف ميل ، وتكبد ٥٥ اصابة وخسر ١٦١٧ر١ حصانا وقتل ٤٥ رجلا من البوير واسر ٣٩٦ منهم وحوالي ١٨٠٠ حصانا ، ٣٩١ عربة و ٣٠ الف رأس ماشية)(٤١) . هناك سببين رئيسيين لعدم تمكن هذه الحملة من اسر عـدد اكبر من البوير الاول لم يكن باستطاعة الارتـال تغطيـة المنطقة ليـلا بشكل كاف لمنع العصاة من التسلل عبر القوات وثانيا كان اشراف كيتشنر المركزي يمنع قادة الارتال من التصرف بمبادأتهم للرد الفوري على أي تبدل في الموقف . لهذا كان لا بد من تبديل جذري(٤٢) . كان ريمنفتون هو الذي اقترح على كيتشنر التطور الاخير في تقنية الحملات : استخدام خط متواصل من الخيالة تستند اجنحته على خط من المنعات الحصينة المدعمة بالمشاة يتقدم هذا الرتل الى الامام يوميا ويتوقف ليلا ليشكل خطا قويا للدفاع وقد كان كيتشنر يهدف الى اقامة شبكة ودفع البوير الى داخلها(٤٣) .

لجأ البريطانيون الى هذا الاسلوب الجديد منذ مطلع ١٩٠٢ في حملتين ضد دو ويت . ولكن كيتشنر فشل في القبض على هذا البوير المتمرس اذ تمكن من التسلل عبر الخطوط البريطانية ليلا ولكنه تمكن من اسر ١١٠٠ رجل من رجاله ، مع عدد من العربات وعدد قليل من الاقرباء . هذا الخط القليل العمق من المقاتلين وفن الاسلوب الجديد قابل للاختراق من قبل أي عدو مصمم على الخرق مع التضحية ببعض الاصابات ، كما ان هذا الاسلوب يعتمد كثيرا على اليقظة ليلا على طول امتداد محيط طويل جدا (٩ الاف رجل كانوا يشكلون

خطا طوله ٤٥ ميلا في الحملة الاولى)(٤٤) . ومع ذلك كان افضل تدبير طبق حتى ذلك الوقت اذ ان التقدم المستمر والمنتظم اثر على معنويات البوير وجعلهم يلجؤون الى ضربات يائسة أنهكت جيادهم . كما كان له تأثير هام اذ اثبت المدى البعيد الذي كان كيتشز مستعد للوصول اليه بل ومصمم على بلوغه . وتبعا لتطور الاحداث لم تعد هناك ضرورة للمتابعة في سياسة الحملات . اذ انه تحت تأثير الوزن المتصاعد للضغط البريطاني بدأ البوير يهتمون بمفاوضات السلام اعتبارا من شهر ايار في حين استمر كيتشز بالعمليات القتالية حتى آخر لحظة في غربي ترانسفال كانذار نهائي . هذا الحديث مع ذلك امتد الى ما ابعد من تطوير المنعات المحصنة اكثر الاكتشافات البريطانية معنى .

المنعات الحصينة والحواجز

اعتبارا من كانون الثاني ١٩٠١ بدأ كيتشنر ببناء سلسلة طويلة من المنعات المحصنة متصلة بين بعضها البعض بصفوف من الاسلاك الشائكة بهدف منع البوير من التحرك بحرية عبر البلاد(٤٥) . لم يكن باستطاعة المغيرين المرور عبر خط المنعات دون ان يشاهد ويرمى عليه من قبل عناصر احدى المنعاب على الاقل . عندما طبق هذا النظام لاول مرة كان نظاما دفاعيا بحتا بل كان تدبيرا يائسا بهدف حماية الخطوط الحديدية وبعض المدن الرئيسية . وكانت المنعات المحصنة المبنية على مقربة من الخطوط الحديدية مؤلفة من طابقين حجريين باهظة التكاليف من حيث القدرة البشرية والوقت والمواد .

في محاولته ايجاد بديل اقل كلفة طور الميجور ويليم رايس منعة قابلة التكاليف قابلة للنقل وذلك في شهر شباط . وطالما ا نالبوير لم يعد لديهم مدفعية فانه وضع مخططا لملجأ خماسي الاضلاع ذي جدران داخلية وخارجية من صفائح حديدية متموجة متباعدة بمسافة ٤½ انشات وملء الفراغ بينهما بواسطة التراب وبالتالي تصبح قادرة على الوقاية من نيران الاسلحة الخفيفة . وقد سمرت الصفائح الى اطار خشبي بسيط يرتكز على اساس ارضي ، ثم يغطى بسقف معلق .

وقد قادت التجارب اللاحقة الى اقامة ملاجىء دائروية مؤلفة اساسا من اسطوانتين معدنيتين ذات اقطار مختلفة يتشكل بينهما فراغ للوقاية . الملجأ بكامله بارتفاع خمسة اقدام ونصف قطر ثلاثة عشر ونصف قدم . وقد تم الاستغناء عن كافة الاعمال الخشبية وكان بالامكان الانتاج الكثيف في مستعمرة كاب كما تقلصت تكاليف العمل ، الايدي العاملة الى حد كبير . وكان بامكان اثني عشر مقاتلا مع عشرين رجلا من المحليين اقامة ملجأ كامل مع الاعمال الدفاعية المرتبطة به خلال ثماني ساعات .

يتألف خطر المنعات المحصنة النموذجي من هذه الملاجيء المتباعدة بفواصل تقدر بحوالي نصف الى ثلاثة ارباع الميل ومتصلة فيما بينها بشبكة من الاسلاك الشائكة . هذه الشبكة مدعمة بأوتاد تحمل سلكا فولاذيا يصعب قطعه . كل منعة كانت تكلف ١٦ جنيها استرلينيا (اذا صنعها رجال الهندسة الملكية) و ٦٠ جنيها (أ المتعهد) ، وتحتوي على عدة فتحا تـللرمي وباب محمي بترس مقاوم للرصاص (واق من الرصاص) وفيها مخزون مياه يكفي لمدة اسبوع كامل وكذلك بالطعام والذخائر . ويقود الباب الى خندق يحيط بالمنعة . وعلى مسافة عشر ياردات ابعد من ذلك نجد طوق من الاسلاك المحيطة بالمنعة بكامل جهاتها . وعلى امتداد الشبكات المتعرجة بين المنع هناك خنادق عريضة معدة احيانا لايقاف تحرك العربات في حال استطاعة البوير اختراق شبكات الاسلاك الشائكة . الحامية متصلة مع قيادتها بالهاتف وتتألف من صف ضابط وخمسة جنود ثم يكلف مساعد مع عشرة رجال اضافيين بالاشراف على ثلاث منعـات ولكل عشرة مواقع ضابط برتبة كابتن مع ثلاثين جنديا اضافيا يمارسون الاشراف . خلال النهار يكون الاشراف على شبكة الاسلاك الشائكة من قبل عناصر المنعة أنفسهم أما في الليل فان المدافعين اعتمادا على احساسهم وأصوات علب الطعام الفارغة التي وزعوها على امتداد الاسلاك الشائكة يطلقون النار على أي شيء يتحرك . وعندما يكون الخط المحصن على امتداد الخط الحديدي كانت تسير مقطورات مسلحة على الخط الحديدي على شكل دوريات تحمل التعزيزات المطلوبة وحسب الحاجة . أما الخطوط المحصنة الممتدة عبر البراري فكانت تدعم بوحدات راكبـة .

في حزيران عام ١٩٠١ مع كون الخط الحديدي قد اصبح مضمونا بشكل معقول اتخذ كيتشنر قرارا فوريا بانشاء خطوط عبر البراري بين الخطوط الحديدية . ولم يكن يهدف من وراء ذلك اقل من تقسيم اراضي كامل فري ستيت وترانسفال والجزء الشمالي من مستعمرة كاب الى اجزاء صغيرة يمكن بسهولة مسحها بقوة من الخيالة .

وحتى انتهاء الحرب كان كيتشنر قد اقام ٩ الاف منعة محصنة تغطي

حوالي خمسة الاف ميلا من الخطوط الطولية . أحد هذه الخطوط كان يقطع الصحراء بين محطة طريق فيكتوريا وخليج لامبير ، بلغ ٣٠٠ ميلا طولا(٤٦) .

كانت النقطة الهامة مع ذلك ان كيتشنر لم يستخدم خطوط المنعات المحصنة رسميا كتدبير دفاعي سلبي . لقد اصبحت جزءا لا يتجزأ من تقنية الحملات كما ذكرنا سابقا . كانت ايضا منبعا هاما لجمع المعلومات تساعد على رصد تحركات رجال المقاومة عند عبورهم المناطق الريفية . وأخيرا بعد توغل هذه الخطوط الى اكثر المناطق صعوبة في الارياف وبذلك أمنت خطوط المواصلات الى اهم القواعد الجديدة للارتال البريطانية . حقيقة ان هذه المنعات المحصنة كانت تحتاج الى قوة بشرية لبنائها ولكن السكان المحليين كانوا يقدمون جزءا من هذه القدرة والجزء الباقي كانت تقدمه وحدات المشاة التي أثبتت عدم جدواها في الحملات ضد البوير . وكانت هناك ايضا مسألة رتابة الحياة والعزلة التي تجد الحاميات نفسها وقد أثر ذلك على العناصر صحيا واصبحوا اكثر عصبية . اهم النتائج الناجحة عن خطوط التحصينات كانت انها ساهمت في مفهوم كيتشنر حول مركزية الاشراف وساعدت على إعطاء « صفة الآلية والثبات للحرب »(٤٧) . وقد تم التغلب على روح العدوان التي كانت مرغوبة لدى القوات.

ما مدى فعالية خطوط التحصينات هذه هو الحكم الفصل بقيمتها لقد قامت فعلا بخنق البوير تدريجيا واجبارهم على التشرذم بمجموعات صغيرة بدون عربات اذ كان من الصعب جدا عبور خطوط التحصينات مع العربات كان بامكان مجموعات صغيرة ليلا ان تعبر الخطوط ولكنها كانت غالبا ما تتكبد اصابات اكثر من السابق واعلى مما بامكانها تحملها . كانت خطوط التحصينات هذه اشبه بشبكة العنكبوت ملتفة حول الذبابة وتقوم بخنقها شيئا فشيئا . أما دو ويت نظرا لافتقاره الى صحة تقدير مدى مفهوم الخطوط المحصنة وابعاده قد فكر بأن هذه الخطوط غير قادرة على الحد من حريته ولكن قادة البوير الآخرين شهدوا بقيمة فعاليتها وبالتالي قللوا من تحركات رجالهم(٤٨) . ولكن دو ويت اظهر تقديرا اكبر لتدبير بريطاني آخر .

العمليـات الليلية

ان العمليات الليلية التي نفذها بضعة قادة ارتال بريطانيين كانت تدبيرا اضافيا فعالا لفكرة كيتشنر حول الحملات . هذه الاغارات « متهربة من الادارة الحديثة لكيتشنر وتدخله في كل شاردة ، كانت تتسم بالجرأة والمهارة والشجاعة التي بمقارنتها مع صفات رجال البوير كانت تهاجم معسكرات البوير عند الفجر »(٥٠) . اعتمدت فكرتها على الاستفادة من عناصر كشافة من الموالين المحليين والعملاء منهم في كافير كمراكز تستخدم شبكة تجسس وجمع معلومات متطورة لجمع المعلومات . ثم تتحرك وحدة راكبة مؤلفة من حوالي ١٥٠٠ رجل خارج معسكراتها ليلا (وفق خطة سرية مبنية على المعلومات التي أمكن جمعها) وتتحرك باتجاه معسكر البوير المحدد لها وتنظم توقيت وصولها بشكل يؤمن لها القيام بهجوم مفاجيء عند الفجر . وبذلك يفقد رجال البوير الكثير من مميزاتهم عندما يفاجؤون وهم مترجلون وكانوا يكرهون جدا هذه الاغارات . وبالكاد يستطيعون الدفاع عن معسكرهم لمدة كافية للوصول الى خيولهم والفرار . ثم فيما بعد تعب رجال البوير من هذه الغارات المتعبة لهم واتضح لهم انها تهدف الى استنزافهم ولم يعودوا يستطيعون تحملها . ولكن ما من غارة اعطت نتيجة حاسمة في أسر كافة البوير في المعسكر وكان على المهاجمين أن يعدلوا اسلوبهم بعد ان اصيبوا بخيبة أمل قتالية . ولكن هذه الاغارات بالتعاون مع خطوط التحصينات ساهمت في تضخيم الشعور باليأس لدى رجال المقاومة خاصة اولئك العاملين في شرقي ترانسفال .

ربما استطاع كيتشنر تطوير عمليات الاغارة هذه لو ان الحرب استمرت وربما كانت اصبحت احدى افضل الوسائل لديه . نظام جمع المعلومات ، تهيئة وحدات افضل تدريبا وتعيين قادة انشط واكثر بداهة ويتمتعون بروح

هجومية عدوانية مع ذلك هذه الشروط كانت تعيق تطبيق هذا الاسلوب على نطاق اوسع .

على كل حال لم تتم تجربة هذه الفكرة اذ ان التدابير التي اتخذها كيتشنر بمجملها ادت الى الضغط الشديد على البوير حتى قادتهم الى المطالبة بالسلم . وبعد ثمانية عشر شهر من النهاية المفترضة للحرب وصلت المعارك المضادة للثورة على الرغم من تكاليفها الضخمة الى نهاية مظفرة .

* * *

قادة البوير يقبلون الاعتراف بالهزيمة

في شهر شباط من عام ١٩٠٢ طلب كيتشنر مرة اخرى من قادة البوير مناقشة شروط وقف اطلاق النار ، بورغر وترانسفال طلبتا من كيتشنر الامان لمقابلة ستاين . وقد ادى قبول هذا الاقتراح الى موقف غير طبيعي اذ تعاونت القوات البريطانية مع بورغر لجمع قادتهم في الوقت الذي كانت فيه العمليات الحربية ما زالت تدور ضد رجال المقاومة .

رغم مؤتمر القمة هذا فان قادة البوير قد شعروا بضرورة التشاور مع القادة العسكريين . وبالتالي عقد اجتماع يوم ١٥ ايار فعقد اجتماع يوم ١٥ ايار في فيرينيكنغ حضره ثلاثون مندوبا من وارنج فري ستيت والترانسفال . وكي يصلوا سوية قام هؤلاء الممثلون القادمون من مناطق شاسعة في جنوب افريقيا بعبور الخطوط البريطانية وهم يحملون اعلاما بيضاء ووثيقة السماح بالمرور(٥٢) . بعد الجلسة الاولى أيقن المجموع بأن الهزيمة اصبحت قريبة لذلك قبلوا بالاستسلام متأثرين بتطمينات كيتشنر الشخصية التي وعد بضمان تطبيق اضعف الشروط الممكنة .

الفقرات الاخيرة من نص الاستسلام كانت تطلب من البوير الاعتراف بالسيادة البريطانية . ثم وعد الجانب البريطاني انه :

١ ـ لن يعدم أي بورغر الا بسبب ادانته كمجرم حرب .
٢ ـ يمكن تدريس اللغة الهولندية في المدارس واستعمالها في القضاء .
٣ ـ يمكن للاشخاص الاحتفاظ ببنادقهم للحماية الذاتية والدفاع عن النفس.
٤ ـ يسمح باقامة حكومة ذاتية عندما تسمح الظروف بذلك .

ثم فيما بعد وعدت الحكومة البريطانية بدفع ثلاثة ملايين جنيه استرليني للتعويض عن الاضرار وكقرض للمزارعين الذين خسروا مزارعهم(٥٣) .

الخـــــلاصة

ان التحليل المعمق لاساليب كيتشنر يسمح بعدة استنتاجات متعلقة بالحل البريطاني لمسألة كيفية الانتصار على البوير . أولا مصارعة تكتيك رجال المقاومة ، الاساليب وتنظيم القتال على اسس الحرب النظامية ثبت عدم جدواها . للمحافظة على البقاء كان على غير النظاميين استغلال نقاط القوة لديهم ورفض خوض المعارك الا اذا شعروا بتمتعهم بالتفوق اللازم .

وكان الاسلوب المناسب للعمل ضد البوير يعني التمتع بالحركية التي كانت القوات البريطانية تفتقر اليها في المرحلة الاولى .

ثانيا على كل أمة تورطت في عمليات مضادة للثوار ان تنظر ببعد نظر وهدوء الى موضوع تبديل استراتيجيتها . هناك عدة وجوه فيما يتعلق بهذا التعميم . يجب ايضاح الامر الى الرأي العام الداخلي خاصة ان هذا العمل سيكون طويل الامد ومخيب للآمال احيانا خاصة اذا كان قادة المقاومة يدافعون عن قضية عادلة وتصميم . وكان البوير يتمتعون بكلتا الصفتين . كانت طلبات كيتشنر بالدعم وتدابيره القاسية ضد السكان المحليين قد اصابت بالصدمة البريطانيين في انكلترا لانها كانت فاشلة . وبشكل مشابه لذلك تعتبر المواقف التي تفرض استسلاما بدون شرط غير مفيدة ولا يؤدي الى نتائج ايجابية وغير قابلة للتطبيق . في حرب البوير ان هذا الموقف الذي اتخذه ميلز ، مع موافقة الحكومة ، كان يتعارض مع افكار كيتشنز الخاصة وادى الى شعور سيء(٥٤) . وهذا ما اضاف جهدا آخر لادارة الجهد الوطني . في حرب العصابات ، يكون جزء من البلاد نصف مسالم وتحت اشراف الادارة المدنية . والسياسات الممارسة والى حد ما الاشراف على تصرفات القادة العسكريين يكون عادة غير

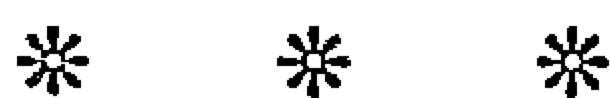
مضمون . مثل هذا التدبير وجد صدفة في جنوبي افريقيا . اراد كيتشنر كسب الحرب واتهم بجهله للمظاهر السياسية . وقد احتج ميلز على تدابير كيتشنر التعسفية وطالب باعادة تنظيم البلاد بعيدا عن المداخلات العسكرية ، ورغب بأن تبدأ هذه الجهود قبل السلام . أما حجم القوى اللازمة وكيفية استخدامها فهي مسائل ثانوية في حين ان كيتشنر كان يرغب بصلاحيات كاملة وحرية عمل تامة . ولم يكن هناك أي شخص على مستوى كاف من القدرة لتنسيق العمل بين الرجلين والفكرتين .

أما من وجهة النظر العسكرية البحتة والتدابير التي طبقتها القوات البريطانية فان اساليب كيتشنر قد ادت الى نتائج جيدة – وان كان ذلك مقابل ثمن باهظ . الاعتبار الاول لقد أمن عدم امكانية وصول اي دعم خارجي للبوير . وبالتالي ركز هجماته على موارد التموين المحلية . وقد تبين بوضوح نتائج هذه الاعمال . ولكن سياسة التهجير للاهالي قد تركت آثارها على البوير الذين حافظوا على مشاعر الكره تجاه البريطانيين لمدة طويلة بعد انتهاء الحرب . وفي هذا المجال يصعب اعتبار هذا التدبير ايجابيا لان البوير كان لهم شعور مماثل قبل الحرب ايضا . كم من الوقود اضيف الى نيران الكره هذه نتيجة تدابير كيتشنر من الصعب تقديرها وهي مجال للنقاش . ثانيا سياسة القهر خاصة عندما تستند الى خدعة لم تعط نتائج ايجابية . وانها على الاقل توحي بمزيد من الشك وعدم الثقة . التهديدات لا معنى لها الا اذا كانت قابلة للتطبيق . ثالثا ان سياسة كيتشنر المتعلقة بالاشراف المركزي والتقليدي في الحرب تقضي على كل مبادأة اذ ان الشجاعة والتفكير الطبيعي كانت ضرورية لهزم البوير على مستوى الحملات والارتال . وعلى الرغم من ذلك فان الحرب قد انتهت بالنصر .

ومع أخذ ذلك بعين الاعتبار نجد ان حرب العصابات امتدت لمدة عام ونصف فقط ، وربما لن نجد اسلوبا افضل منها يحقق نتائج مماثلة .

لم يكن كيتشنر مالكا لوحدات متحركة خاصة كالتي يحتاجها لمجابهة عمليات البوير ، عند استلامه للقيادة ، وبغية تدريب وتطوير وحدات كهذه ثم

دفعها الى عمليات صيد رجال المقاومة عمل يتطلب اشهرا . ومن المشكوك به انه تمتع بالوقت الكافي لذلك . لذلك فضل اللجوء الى الاستفادة من التقنية وقوة الامبراطورية البريطانية لتحقيق ذلك وبث روح اليأس لدى العدو وانهاكه ، وبنفس الوقت الاستمرار بالاعلان عن استعداده للمفاوضات ضمن الشروط التي وجد فيها . وقد نجح في ذلك كما قال رئيس ترانسفال شالك بورغر عند نهاية الحرب : « كنا على ثقة تامة بأسلحتنا ، وقد قللنا من قيمة العدو ، وكانت الروح القتالية عالية بين شعبنا وان فكرة الانتصار قد تبخرت ليحل محلها(٥٥) احتمال الهدنــة » .



المراجـــــع

١ ــ راين كروغر « الى اللقاء دوللي غراي : قصة حرب البوير » (فيلادلفيا : ليبنكوت ١٩٦٠) .

٢ ــ انسور « انكلترا ١٨٧٠ ــ ١٩١٤ » (نيويورك مطبوعات جامعة اوكسفورد ١٩٦٣) . اريك وولكر « تاريخ جنوب افريقيا » (لندن لونغسمان١٩٦٧) . جودفري لوماي « السيطرة البريطانية في جنوب افريقيا ١٨٩٩-١٩٠٧ » (نيويورك مطبوعات جامعة اوكسفورد ١٩٦٥) .

٣ ــ لومــاي « جنوب افريقيــا » .

٤ ــ ارسكين تشايلدرز « تاريخ زمني للحرب في جنوبي افريقيا ١٩٠٠-١٩٠٢ » (لندن ــ سامبسون لو مارستون ١٩٠٧ ؟ . كريستيان دو ويت « ثلاث سنوات من الحرب » (نيويورك ١٩٠٢!) .

٥ ــ تشايلدرز « تاريخ زمني للحرب في جنوبي افريقيا » .

٦ ــ كروغر : دوللي غراي ــ لوماي : جنوب أفريقيا .

٧ ــ هانكوك : « سموتس : السنوات الدموية ١٨٧٠ ــ ١٩١٩ » (نيويورك مطبوعات جامعة كمبردج ١٩٦٢) . انسور : « انكلترا ١٨٧٠ ــ ١٩١٤ » .

٨ ــ تشايلدرز : « تاريخ الايام » . ــ كان بامكان البوير في تلك الايام جمع حوالي ٦٠ الف رجل معظمهم مسلح وراكب ومع ذلك مع الايام تدنى عددهم الى اقل من ربع هذا العدد يقاتلون راجلين غالبا . وفي مواجهة هذه الاعداد كان لدى كيتشنر في الفترة الاولى ٢١٠ الاف مقاتل عشرة

بالمئة منهم فقط لديهم خيولهم وحوالي نصفهم موزعين على مواقع منعزلة حراسا على طول الخط الحديدي .

٩ ــ وزارة الحربية الاميركية : « تقارير حول العمليات العسكرية في جنوبي افريقيا والصين » (واشنطن المطبعة الرسمية ١٩٠١) .

١٠ــ اميري : « تاريخ زمني للحرب في جنوبي افريقيا ١٨٩٩ ــ ١٩٠٠ » خمسة اجزاء (لندن سامبسو لو مارستون ١٩٠٢) .

١١ــ تشايلدرز : « تاريخ الايام » . ونيز راينز : « مذكرات محارب من البوير في حرب البوير » (لندن فابر ، فابر ١٩٥٠) .

١٢ــ ان تفاصيل النظام العام للاسلوب العسكري لدى البوير في هذه الفقرة والفقرة التالية مبنية على اساس مؤلفات : اميري وهاوارد هيليغاس .

١٣ــ بين فيلجوان : « ذكريات عن الحرب البريطانية ــ البويرية » (سانت لويس بيكتولد ١٩٠٥) . د وويت الحرب . رولاند شيكرلنغ « شجاعة رجال المقاومة » (كيب تاون ١٩٦٤) . فريدريك هولاند « مطاردة دو ويت ١٩٠١ » . كروغر : « دوللي غراي » .

١٤ــ تقارير اللجنة الملكية للتحقيق في الحرب في جنوبي افريقيا (لندن مكتب صاحبة الجلالة ١٩٠٣ ؟ .

١٥ــ اميري : التاريخ الزمني ...

١٦ــ تقارير وزارة الحربية الاميركية .

١٧ــ تشايلدرز : حول حجم القوات التي كانت قائمة او تقوم بالاغارات .

١٨ــ اميري : التاريخ الزمني ...

١٩ــ تقرير لجنة التحقيق البريطانية الملكية .

٢٠ــ هلليجاس : « البوير » .

٢١ــ هلليجاس : البوير ، المصدر اعلاه .

٢٢ـ تشايلدرز (المصدر السابق) . هولدن « نظام التحصينات في جنوبي افريقيا ١٩٠٢ » .

٢٣ـ تشايلدرز (المصدر السابق . نقلا عن مارش فيليبس « مع زيمنفتون » ١٩٠١ .

٢٤ـ وثائق نيابية ١٩٠١ ذكرت لدى مارتن « معسكرات التجمع » .

٢٥ـ فيلوجان : ذكريات . تشايلدرز : المصدر السابق .

٢٦ـ تشايلدرز : المصدر السابق .

٢٧ـ فيليب ماغنوس : كيشنز : صورة امبريالي (نيويوك دانون ١٩٥٩) ومارتن « معسكرات التجمع » .

٢٨ـ دو ويت الحرب : صرخات الاحتجاج على التهجير ومعسكرات الاعتقال .

٢٩ـ رايتز : رجال المقاومة ـ هانكوك « سموتس » ولوماي .

٣٠ـ جون فوللر : آخر الرجال في الحرب (لندن فبر فابر ١٩٣٧) .

٣١ـ تقرير اللجنة الملكية للتحقيق .

٣٢ـ كروغر : دوللي غراي . تشايلدرز : التاريخ الزمني .

٣٣ـ كروغر : دوللي غراي . مارتن « معسكرات الاعتقال » . تشايلدرز .

٣٤ـ دو ويت الحرب : فيما يتعلق بآراء قادة البوير حول المحادثات مع بريطانيا فيما يتعلق بالاهالي الموجودين في المعسكرات .

٣٥ـ في كانون الثاني ١٩٠١ اجتمع قادة البوير ووضعوا خطة استراتيجية لغزو المستعمرتين الملكيتين بهدف اثارة السكان ضد الانكليز وسوق هاتين المستعمرتين الى الحرب ضد بريطانيا . تحرك رتلان من البوير الى داخل مستعمرة الكاب في الشهر السابق لهذا الاجتماع وقد حاول دو ويت مرتين خلال عام ١٩٠١ دعمهما . وبنفس هذا العام تحرك بوتا نحو ناتال لفترة قصيرة من الزمن . وعندما انتهت الحرب سمتس كان لديه قوة في مستعمرة كاب وكان يحاول اثارة الثورة. انظر تشايلدرز : التاريخ الزمني.

٣٦ـ لوماي : جنوب افريقيا . كروغر : دوللي غراي . هأنكوك : سموتس .

٣٧ـ دو ويت : الحرب . لوماي : جنوب افريقيا . تشايلدرز : التاريخ الزمني .

٣٨ـ لتفصيل اوسع حول هذه الحملات انظر تشايلدرز وكروغر .

٣٩ـ تشايلدرز المصدر السابق .

٤٠ـ تقارير اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق حول حرب جنوب افريقيا .

٤١ـ واتكنز ياردلي : « برفقة الخيالة الفاشلين » (لندن لونغمان ١٩٠٤) .

٤٢ـ ياردلي « الخيالة الفاشلون » . تشايلدرز التاريخ الزمني .

٤٣ـ ياردلي المصدر السابق . تشايلدرز المصدر السابق .

٤٤ـ تشايلدرز المصدر السابق .

٤٥ـ ان اوصاف المنعات والمواقع المحصنة الواردة في هذه الفقرات وسواها مأخوذة عن هولدن : « النظام البرياطني للمواقع الحصينة » وتشايلدرز التاريخ الزمني . وفوللر السادة .

٤٦ـ فوللر : « آخر سادة الحروب » .

٤٧ـ تشايلدرز : المصدر السابق .

٤٨ـ دو ويت « الحرب » تعليقات قادة البوير وردت في محضر اجتماع هؤلاء القادة عشية توقيع معاهدة السلام .

٤٩ـ دو ويت : الحرب .

٥٠ـ كروغر : دوللي غراي .

٥١ـ كروغر : دوللي غراي . تشايلدرز : المصدر السابق .

٥٢ـ مارتن بلو منسون « جنوب افريقيا ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ » .

٥٣ـ المصدر السابق اعلاه : مارتن بلومنسون .

٥٤ـ لوماي : جنوب افريقيا .

٥٥ـ كروغر : دوللي غراي .

الثـــورات ضد التـــاج الملكي :
الرد البريطاني على الثـــورة الامبريالية

بوير بيـــل

تعليق النـــاشر :

مع اقترابنا من نهاية هذه الابحاث تعود بنا الذكرى الى انها مناسبة للمؤرخ العسكري الذي عليه ان يكون متواضعا حولها وفي طريقة الاستفادة منها . لقد وجد الجيش البريطاني ان حرب البوير كريهة بشكل كاف لدرجة انه لم يدرس الحرب بالعمق الذي كان عليه دراستها فيه . وكما يمكن ان يفعل . ولكن مع ذلك الجيل الآخذ بالفناء ، اصبح للجيش البريطاني تجارب عديدة حول كيفية التعامل مع الثورات واسلوب مجابهة اعداء يستخدمون اساليب غير تقليدية وبالتالي توفرت لديه كميات كبيرة من المعارف التاريخية من الدرجة الاولى .

لو أن أي جيش تعمق في التاريخ العسكري الخاص بالتعامل ضد الثورات وخوض حروب مشابهة فان الجيش البريطاني هو الاول في يومنا هذا . وكما يوضح لنا بوير بيل في بحثه المقدم هنا والمكتوب عام ١٩٧٣ فان الجيش البريطاني قد خطط عن وعي وبتفكير عميق وبوجدان الدراسة وهضم هذه الدروس وتطبيقها في تجاربه الحديثة . وكما اوضح الدكتور بيل ايضا فمن المفيد أيضا لاي مؤرخ أن يعرف أن التاريخ هذا لم يساعد الجيش البريطاني سوى في السماح له بالانسحاب من مستعمراته مغطيا هذا الانسحاب بلمحـة من الواقعية شبه الطقسية . ان خبرة الجيش سمحت لبريطانية بالتخلي بهدوء عن مستعمراتها والتحول من امبراطورية الى دولة مصغرة .

الدكتور بيل مرتبط مع معهد الحرب والسلام للابحاث والدراسات التابع لجامعة كولومبيا . وهو يعترف بأنه كتب ودرس عمليات العصيان والثورات في مختلف الاطر الجغرافية ولكنه يقول ايضا انه يفضل القيام بدراسات حول احداث غامضة في ظروف غامضة مثل ايرلندا وقد كتب خصيصا عن تلك البلاد وايضا عن الجيش السري : الايرا ١٩١٦ – ١٩٧٠ (نيويورك : جون داي ١٩٧١) .

* * *

الثورات المضادة للتاج البريطاني
الرد البريطاني على الثورات الامبريالية

بويير بيل

في كانون الثاني عام ١٩٤٤ بدأت تنتشر اخبار عدائية ضد الانتداب البريطاني على فلسطين . وكان هذا الاعلان المتمثل بالعصيان الذي قامت به منظمة الارغون زفاي ليومي اليهودية بمثابة باكورة جيل كامل من الثورات الامبريالية والسطور الاولى من المشهد الاخير للامبراطورية . ففي عام ١٩٤٤ لم يكن الصراع المسلح بين مجموعة صغيرة مسلحة من الحركة الصهيونية المتعصبة يبدو مؤثرا او حتى موجها للبريطانيين وكذلك العمليات الجانبية التي تلته . فقد كانت هناك حرب عالمية واسعة موجهة ضد اكثر اعداء الصهيونية تعصبا ادولف هتلر . لذلك كان معظم اليهود المتدينون ضد اعمال هذه المجموعة المتطرفة العاملة ضد سلطة الانتداب ـ والتي تشكل قلة لا تخيف احدا . أن ما فاجأ البريطانيين هو الثورة العلنية ، رغم كونها غير مؤثرة ، التي اعلنت من قبل هؤلاء اليهود المتعصبين ضد حليفتهم القديمة . لقد اصيبب البريطانيون بالدهشة وفوجئوا وشعروا بالاهانة من ادعاءات عصابة من الارهابيين الذين لا شعبية ولا دعم لهم .

ولكن بغض النظر عما كان الرد العاطفي البريطاني فان هذا العصيان الصغير قد نما سنة بعد سنة ليضم حشدا من عشرات الالوف من الرجال ، اجبروا بريطانيا على صرف مبالغ ضخمة من الجنيهات وابعدت عنها اصدقاءها القدامى وحتى العرب مع قرف عميق من قبل الشعب البريطاني ، وفي ذروة اليأس سعت بريطانيا للتفتيش عن المساعدة لدى هيئة الامم المتحدة وفي عام

١٩٤٨ وبجو من الفوضى العامة تخلت عن الانتداب على فلسطين . وحتى ذلك الوقت كان الصراع الذي بدأته الارغون زفاي ليومي قد اصبح تقليديا . فان هذه المجموعة بقيادة مناحيم بيغن قد تبنت استراتيجية اصبحت نموذجا للثورات الامبريالية . وقد اوجدت اسلوبا يسمح للضعيف بدفع القوى خارجا او هكذا بدا للبعض .

قبل عام ١٩٤٤ تعرضت الامبراطورية البريطانية الى تجربتين كبيرتين من الثورات الوطنية . ففي اميركا عام ١٧٧٦ قام العصاة مستفيدين من بعد المسافة وبمساعدة حلفاء اقوياء باقامة المؤسسات البديلة ودافعوا عن انفسهم وعنها بالطرق التقليدية . وقد تعلم البريطانيون درسهم انذاك وقاموا خلال القرن التاسع عشر بتطبيق استراتيجية مضادة للعصيانات في تلك الدول القادرة على حكم نفسها : تخفيض السلطة بالتنازل عن بعضها لصالح الاتحادات الجديدة . وقد طورت هذه الاستراتيجية في القرن العشرين وتحولت الى الكومنولث او استراتيجية الكومنولث التي أثبتت فعاليتها الفورية في الاتحادات الناطقة بالانكليزية وقابلة للتطبيق في أي مكان آخر . ولكن في تلك الاثناء كانت قد تطورت ايضا استراتيجية معادية وضعتها ايرلندا التي لسبب او لآخر وبتطبيقها مزيج عام من التقنية والتكتيك ، كانت منذ مئات السنين تسعى لخلق ايرلندا للايرلنديين . وكانت التجربة الايرلندية أكثر من التجربة الاميركية البعيدة المثل الاول لكافة العصاة في طول الامبراطورية وعرضها وخاصة في المناطق التي لم يكن مخطط لها ان تدخل ضمن سياسة الكومنولث .

في عام ١٩١٦ وفيما بدا انذاك آخر تحرك عسكري لحركة الجمهوريين الارلنديين ، نسفت فكرة بريطانية تقول بتقديم بعض التنازلات للارلنديين اذا اندلعت ثورة في دبلن خلال اسبوع عيد الفصح . هذه الثورة وسواها انتهت بالمرارة والفرقة وبدا ان السلاح قد تخلى اخيرا عن السياسيين الايرلنديين . وفي عام ١٩١٨ ومنذ مطلعه اخذت بالظهور محاولة اخرى اكثر تنظيما يقودها الجيل الجديد الذي حاول انشاء جمهورية ايرلندية حرة وذلك بدمج الحرب غير النظامية التي يقودها الجيش الجمهوري الايرلندي السري مع تأسيس

مؤسسات حكومية ايرلندية بدلا عن الانكليزية . وكان الرد البريطاني هو منع هذه المؤسسات من ممارسة اعمالها ولكن هذا العمل لم يتمكن من القضاء على جيش ايرلندا السري « الارهابي » . والواقع ان الاجراءات المتزايدة الشدة ضد هذا الجيش قد أثار سخط الرأي العام البريطاني . في ذلك الوقت وجدت بريطانيا وسيلة لانشاء دولة ايرلندا الحرة مؤلفة من ٢٦ منطقة وبداخلها شبه فجوة مؤلفة من ستة مناطق في اولستر يسكنها شعب موال جدا للبريطانيين وكلهم بروتستانت مع ضمان بريطاني لهذه الدويلة بالمساعدة الاقتصادية مع الابقاء فيها على قواعد بريطانية . كانت هذه الدولة الحرة التي تحولت الى الجمهورية الايرلندية خارج الكومنولث ولكن هذا التصرف اعتبر في بريطانيا كتصرف رائع وفريد من نوعه لتفهم التطلعات القومية وتطبيق ممتاز لاستراتيجية التحجيم .

ولكن الاستراتيجية الثورية الايرلندية اذا كانت لم تفهم في الانحاء الامبراطورية الاخرى خاصة البعيدة ، فانها لم تنس . وكان القليل من العصاة الوطنيين يستطيعون الامل بتقليد جورج واشنطن ولكن كان باستطاعتهم تنظيم اغتيال .

ومع ذلك لم يكن المزيج بين الارهاب الايرلندي ، والمكر البريطاني ، والمؤسسات الشبح والدعاية العالمية والعصابات في الجبال وتعب الآلة الامبريالية والرغبة لدى الشعوب بالنضال هو الذي درسته المنظمات الوطنية الثائرة . اذ بدا ان مفتاح التحرر الوطني قد ظهر في الهند حيث المهاتما غاندي وجواهر لال نهرو قد نظما حركة شعبية مستندة الى عصيان مدني منظم وغير عنيف . وقد ترسخت قناعة لدى قادة حركة الكونفرس الهندي انه ما ان يقوم عصيان مدني جماهيري منظم ومصمم وذي مبادىء فان بريطانيا لن تجد امامها سوى طريق استخدام العنف وتدمير نفسها او الانصياع للمطالب . وقد قدروا ان القوة اللازمة لضبط ٤٠٠ مايون انسان غير موجودة وحتى لو وجدت فان الرغبة باستخدامها غير متوفرة .

وفي عام ١٩٣٥ اقرت بريطانيا بوجهة النظر الهندية وفي عام ١٩٤٢ في

منتصف الحرب وعدت لندن رجال الكونفرس الهنود بمنحهم الاستقلال . وكانت الاستراتيجية الهندية بنظر معظم الوطنيين مناسبة جدا للتعامل مع بريطانيا ويجب ان تطبق داخل استراتيجية الكومنولث البريطاني أي الطلب بالطرق السلمية لما يجب ان يعطى برحابة صدر مع كبت ثورة علنية يقوم بها الضعفاء وتقدم وسائل لتطويع الامة مستقبلا للعمل ضمن النشاط السياسي المنظـم .

في نهاية الحرب العالميـة الثانية كانت هناك استراتيجيتان وطنيتان رئيسيتان داخل الامبراطورية البريطانية : الثورة المعتمدة على الصراع المسلح لاستنزاف بريطانيا : الايرلنديون والارغون زفاي ليومي . والعصيان المدني الجماهيري السلمي المعتمد على اعداد ضخمة من الشعب المنظم . وكان هناك بالمقابل الاستراتيجية الكومنولث البريطانية ، أي التنازل عن السلطة للدول الناضجة . في تلك الاثناء كانت استراتيجيات الثوريين الارثوذكسية وباندفاع الماركسيين اللينيين نحو المتاريس ومعظمهم من البروليتاريا والتجربة البعيدة التي قام بها ماو تسي تونغ في الصين الشعبية ظهرت كلها منافسة للخبــرة الامبريالية . وفي عصر الجيل التالي ستختفي الامبراطورية البريطانية ــ عملية انكماش مكثفة مرت عادة بشكل سلمي . وقد طبقت الاستراتيجية الهندية بشكل مماثل في كافة الانواع والمظاهر وعدا بعض الاستثناءات واصبحت الطريقة التقليدية للوصول الى السلطة ورغم انه في بعض الحالات قد تسارعت عن طريق ثورات مكشوفة في امكنة اخرى . بعد نجاح التجربة الهندية بدا واضحا انه في البلاد والمستعمرات الاقل نضجا مثل الشاطىء الذهبي اصبح ممكنا . هناك كوامي نكروما متأثرا باستقلال غانا وبتطبيق اساليب مماثلة اقل تنظيما واكثر تشويشا ولكنها بنفس الوقت كانت مقبولة بنفس الدرجة .

حدثت هناك بعض الاستثناءات ، ولاسباب عدة لم تمر عملية التقلص دوما بشكل لطيف وبهدوء فقد اعلــن الحزب الشيوعي الملاوي حرب عصابات مستخدما استراتيجية ماو تسي تونغ مع حماس واندفاع الجالية الصينية المحلية . وفي كينيا الكيكويو التي شعرت بالاساءة نتيجة للسياسات الاستعمارية

و « سرقة » اراضيهم حاولوا دمج سياسة التحرك والشغب التي يقودها اتحاد كينيا الافريقي مع الرعب القبلي والعنف الذي نظمته قبائل الماو ماو .

في مصر خاضت مختلف الفئات الوطنية السياسية عمليات فدائية داخل منطقة القناة بهدف اجبار البريطانيين على تقديم التنازلات . وفي قبرص نظم الكولونيل جورج غريفاس حركة مقاومة « ايوكا » وبالتعاون مع المطران مكاريوس حاول بدون جدوى تحقيق الاتحاد مع اليونان « اينوسيس » . في الجنوب العربي قام المناضلون الوطنيون العرب متأثرين بالاحداث التي اعقبت عام ١٩٥٦ بشن صراع مسلح واثقين من ان الوجود البريطاني في الشرق الاوسط قد فات اوانه وفي عام ١٩٦٧ انشأت جبهة التحرير المنتصرة بعد جلاء بريطانيا الجمهورية الشعبية لليمن الجنوبي . وكان هناك اعمال معادية للبريطانيين وثورات جابهت القوات البريطانية العاملة في بورينو وعمان وحتى بين ١٩٥٦ و ١٩٦٢ في اولستر ضد الجيش الايرلندي الجمهوري السري ، ولكن مع ترك الشاطىء الذهبي جانبا فان اهم الصعوبات التي جابهت الامبراطورية البريطانية كانت في ملايا ، كينيا ، قبرص ، الجنوب العربي وبطريقة خاصة في مصر . وكلها كانت مختلفة فالحزب الشيوعي الملاوي اتبع استراتيجية ماو أما الماوماو فقد اتبعوا التقاليد القبلية ومع ذلك كان الرد البريطاني نموذجا موحدا يمكن لاي فئة ثائرة التنبؤ به ، اسلوب جامد لدرجة انه حتى بعد انتهاء الثورات في الرد البريطاني في ايرلندا الشمالية في السبعينات بغية التصدي لاعمال العنف التي قام بها الجيش الايرلندي السري كان الرد مشابها تماما للردود السابقة وكأنها من قالب واحد .

ان عدم نجاح استراتيجية الكومنولث البريطانية في كل مكان يعود اساسا تبعا للافتراض البريطاني اما بسبب كون السلطة الامبريالية مسؤولة عن ضبط المطالب المتصارعة المطالب العربية واليهودية واليونانية والتركية او بسبب ازاحة استبعاد المطالبين غير الممثلين الشيوعيين في ملايو والماوماو في كينيا . على كل حال هؤلاء المسلحون والارهابيون الذين فتشوا عن القوة والسلطة خارج الكومنولث وعن غير الطريق الشرعي . ذلك لانه بالنسبة للبريطانيين فان الثورة

تفتح حقيقة ليس بالقنابل بل بطفو الصراع بشكل غير متوقع فوق الشرعية ، صراع في معظم الحالات له تاريخ طويل من المشاكل ، تاريخ يحببه العصاة ومتجاهل او غير معترف به من قبل البريطانيين .

رد الفعل البريطاني على تطلعات العصاة مهما كانت الظروف هو الاذلال . الثائر هو عدو ورجل شرير تقوده اطماعه الشخصية وغالبا ما يكون مسيرا بعقيدة مستوردة يستخدم الارهاب ليحصل على الرعم — رجل خارج على القانون ، خارج اللياقة والقوانين العامة ، خارج اطار المنطق . ان القيمة الكاملة للسلطة الشرعية المعترف بها تاريخيا وعالميا تنقلب الى مجموعة صغيرة من القتلة . وعلى المدى الطويل فان شرعية العصيان يمكن اكتسابها بالقوة فقط او بالتنازل . بعض هؤلاء المطالبين غير الشرعيين يمكن كما في حال ثوار ايرلندا عام ١٩٢١ ، ان تلبى رغباتهم بواسطة تطبيق مناسب لاستراتيجية الكومنولث ، ولكن في بعض الحالات لا يوجد حل سوى القضاء عليها . بعد عام ١٩٤٤ في بعض المناطق الاجنبية وبشكل نظامي وكان ذلك مفاجىء لهم ، كان على البريطانيين اتباع معركة ضد الثورات يقودها عصاة لا يمكن هضمهم . وكان الرسميون الاستعماريون البريطانيون ، الضباط النظاميون والشرطة بامكانهم لو كانوا قادرين ان يعملوا في العديد من حالات الضرورة . بعضهم بدا اكبر سنا وارجح عقلا واكثر نجاحا في كل معركة جديدة مثل روح العصيان السابق . لقد عرف البريطانيون وتابعوا تدعيم معلوماتهم حول الاخطار وتكاليف مثل هذه الثورات واساليب تجنب اسوأ المشاكل . ومن استعراضها تعلم البريطانيون التكتيك المضاد للثورة وثمن الخطر واهمية التنازلات السياسية واساليب تطبيق سياسة الكومنولث . وقد عرف مجلس الوزراء مهما كان تركيبه يعرف ثمن البقاء او الخروج . ومع ذلك فان البريطانيين كانوا يفاجؤون بالثورة وكانوا في كل مرة يصدمون ويشعرون بالاهانة .

ونادرا ما كانت السلطة اما في المكان ذاته او في لندن تتنبأ باحتمال قيام ثورة مسلحة . ان الشروط التي لم يكن بامكان العصاة تحملها والتي تخلق ازعاجا عميقا ولا يمكن تحسينها الا بالعنف لم تكن تبدو كذلك للبريطانيين . في معظم الحالات لم يكن باستطاعة البريطانيين تفهم افضليات مخالفة لمفهومهم .

ففي فلسطين لم يستطع البريطانيون فهم تأثير الاضطهاد الاوروبي لليهود وعمق المشاعر اليهودية ولم يستطيعوا اضافة ذلك الى تحمل العذاب الذي تعرضوا له . وفي الشاطىء الذهبي كان الدافع ـ السلطة السياسية ـ ابعد من الخبز والسمن أي المواضيع السياسية الاستعمارية . فلم يحلم البريطانيون بأن عوامل كهذه يمكن ان تظهر في مثل هذه المستعمرة قبل عشرات السنين في الملايو فان ثورة الحزب الشيوعي الملاوي لم تنبع من اعماق اليأس كما في فلسطين انما من مستوى عال من الثقة العقائدية ـ المطامح الوطنية للجالية الصينية المحلية في الملايو قد طفت على سطح رؤية مستقبلية للشيوعية . في هذه الحالة فوجىء البريطانيون بكون الحزب الشيوعي الملاوي قد تجرأ على القيام بثورة اكثر من مطامحهم . في كينيا خشي القيمون الاوربيون والمراقبون المحليون من ثورة ولكنهم لم يتنبأوا بأي منها في حين ان السياسات المتبعة بعد منتصف ١٩٥٢ كانت قد توضحت بأن ثورة كيكووي ستقع مع ذلك كانت هناك مفاجأة الى درجة ان انضمام كيكووي في نيروبي في حين انه في لندن كانت غير منتظرة .

اما في مصر لم يكن احد ما يخشى اية ثورة وقليلون هم من فوجئوا ببعض العمليات الفدائية لكونها نوعا ما خارج المنظور المصري التقليدي ، ولا تتلاءم مع الواقع اي حله بواسطة اتفاقية اخرى اما ما سيصبح مفاجأة مرة كان الاذلال الذي حصل في قناة السويس ومع ذلك اعتبر خارج الاعتبارات الاستعمارية .

وبعد مدة طويلة من انتهاء النهضة القبرصية اصر الناطقون البريطانيون من مختلف الاتجاهات على ان الاينوسوس هو دوما مخرجا اصطناعيا يستغله المحرضون . وبذلك رفضوا حتى الاخذ بعين الاعتبار هذا الموضوع وكان البريطانيون بمعرفتهم بما كان اليونانيون يريدون فعلا قد اقاموا حدودا للقومية على احدهم ان يجتازها يوما ما ـ كما فعل غريفاس واصاب البريطانيين بالدهشة . وحتى زمن فشل المغامرة في الجنوب العربي كان على البريطانيون ان يتجاوزوا مفاجآت مطامح العرب الراديكاليين ، ولكن مع ذلك فقد وصل

صوت راديو القاهرة الى هضاب دهالا وبقي البريطانيون يأملون ان الاساليب القديمة لا تزال صالحة مع العرب الجدد وقد فوجئوا وشعروا بالمذلة عندما لم تنجح .

كانت صعوبات البريطانيين في التبصر خطيئة محصورة بالبريطانيين طالما ان المفاجأة استمرت لمدة طويلة في لعب دورها القيادي في المسائل العسكرية والسياسية . في بعض حالات العصيان الكامن خطط لحمل السلاح مهما كانت الامكانيات المتوفرة ، ولكن هنا على الاقل كان بامكان البريطانيين ان يتسلحوا مسبقا . حتى اذا كان العصاة كانوا بالفعل يمثلون شريانان ، شرايين معادية داخل الامبراطورية ، هناك تبقى امكانية العين الاكثر تبكرا كان بامكانها اكتشاف اسلوب الازعاج واقتراح اسلوب بديل للضغط . انه وكي نكون عادلين و جدت صعوبة في فهم كيف ان لندن قائدة كاسندرا يمكنها او تعمل بشكل مخالف في معظم الحالات . العصاة شعروا باندفاع قوي لان النقاش السلمي لم يعد يقدم لهم أي شيء . في فلسطين كان اتجاه السياسة البريطانية في الشرق الاوسط منذ ١٩٣٩ كان مبني على تنازلات غير مفروضة للصهيونيين اما بالنسبة لرجال الارغون فلا تنازلات ، انه ربما كانت قد ادت الى نتيجة او تميزت بالتسامح في الملايو كانت قناعات الحزب الشيوعي الملاوي انه لم يبق سوى حمل السلاح رغم خطورته مهما قام البريطانيون بعمله او عدم عمله . في كينيا على الاقل كان انجاز مشابه لما قدم للكيويو بامكانه ان يعطي الوقت الكافي لاجراء حوار مع الشاطيء الذهبي وبالتالي ونظرا لموقف المقيمين ربما حان تقديم بعض التنازلات غير ممكن في ذلك الوقت .

وفي قبرص كان بامكان البريطانيين اتخاذ موقفا اكثر جدية من فكرة الاينوسوس ومتفهم كاف لاظهار التعقيدات الدولية التي يمكن ان تتبع أي متطلبات متصلة للامن البريطاني ولكن هل كان هناك احتمال لان يتفهم الوطنيون ذلك ؟ وبدون شك لم تكن هناك اية تنازلات قادرة على اقناع العرب في القاهرة وعدن تبديل خطهم المرسوم . اذن لا يوجد اي مكان تقريبا عدا كينيا يمكن لتعديل الموقف بشكل كبير ، اذ ان نوايا العصاة بحمل السلاح كانت لاسباب ابعد من امكانية البريطانيين قبولها .

في معظم الاحيان كلما كان الفرد اقرب الى مسرح الاحداث عشية الشغب كلما زاد حظ الخطأ والفشل في لمس التغييرات . اولئك الذين عرفوا اكثر كانوا اقل الناس رؤية . الانسان الذي يعرف السكان المحليين غالبا ما كان يسهو عن تأثير التطور او تأثير الافكار الجديدة . غالبا ما كان قد تعلم عمله وما يتعلق بالسكان المحليين من موقعه الراهن متعمقا في دراسة اللغة العامة ، هاضما الاحصائيات التفصيلية ، مشيدا سمعة مهنية عبر جولات سياحية مطولة . بعض السكان المحليين في تل ابيب ونيقوسيا كانوا مختلفين تماما عن سكان المستعمرات السابقة والخبرات المكتسبة هناك . في مكان آخر كانت مغريات التعلم ودعوة التكنولوجيا الغربية تؤدي الى تبدلات قوية تمحو بسرعة مطامح الرجل غير المحلي تنقل المتعود الى جو جديد وقوالب غالبا غير مرئية دون ان يظهر للبريطانيين أي وجه جديد . وعندما يظهر هذا الوجه فوق قبة بيضاء غير ملائمة وربطة عنق سوداء قليل من يلاحظ ويتأكد كم عميقا كان التبدل وكم محدودة كانت وسائل الاشراف القديمة وحتى عندما كان هذا الاشراف يهتز كان هناك فهم محدود للخطأ الذي حدث وان السكان المحليين قد تخلوا عن الجهد للاشتراك في الجوار مع الطرشان ويفتشون عن الدعم والقوة عن طريق القنابل .

وكان البريطانيون في محادثاتهم التي أجروها في أماكن عدة يتحدثون دون ان يستمعوا ينظرون الى الاحداث دون ان يروها . ومع مرور السنوات أخذ الانزعاج يتحول الى حوار اقسى والى استراتيجية اصابت البريطانيين بالدهشة . الجماهير السائرة بمسيرات سلمية بعيدة عن العنف سياسة المواجهة ، تكتيكات العمل المباشر اولا في اسيا ثم في افريقيا لم تفاجيء البريطانيين فقط بل لفتت انتباههم . ومات الحوار المنفرد البريطاني واصبح بالامكان سماع اصوات السكان المحليين في مصر والشاطيء الذهبي .

واذا كانت الوسائل المستخدمة لقطع المنولوج البريطاني تبدو شرعية بأسهم الماو ماو وقنابل غريفاس او اذا كان الزمن للفت نظر البريطانيين قصيرا في فلسطين ١٩٤٤ او اذا لم يتهم العصاة بالكلام وغالبا ما كان يحدث ذلك ، عند ذلك يفاجيء البريطانيون في شكل جديد من العنف والثورة من قبل السكان المحليين لا يعرف بها احد .

بعد زوال المفاجأة يظهر ان الحوار العنيف الجديد جاء لان العصاة شعروا بضرورة اللجوء الى العنف بسبب عدم تقديم بريطانيا تنازلات مقنعة للتفاهم وعندما لم يستمع احد لمطالبهم المرفوعة ، وعندما لا يسع رأي جماهير الشعب ، عند ذلك وبدون استثناء يكون التحليل الاولي في المستعمرة نفسها ثم في لندن ان هذا العصيان هو عمل مجموعة داخلية صغيرة تعتمد على دعم بالضغط او التهديد او العنف .

هذا التحليل البريطاني كان غالبا صحيحا لدرجة ما . فالثورات بلا شك في بدايتها هي عمل مجموعة قليلة من الرجال تعمل باسم المجموع تلك الجماهير التي من الصعب تحريكها جميعا ، الارغون ، ايوكا ، الفدائيين المصريين كل هؤلاء كانوا قلة ضمن محيط شعبي كبير لا مبال . وكانت نظرة البريطانيين اليهم هي انه بما ان هذه التنظيمات الثورية هي قليلة عدد العناصر فيها فهي بالتالي لا تمثل شيئا . وهذا ايضا كان صحيحا الى حد كبير . العصيان في كينيا كان مثله مثل الحرب الاهلية في كيكويد عصيانا مسلحا ولم يكن يضم معظم الافريقيين الكثيرين الآخرين ، الارغون كانت أقلية طائفية بين الاقلية اليهودية في الجالية اليهودية التي كانت هذه نفسها اقلية في الانتداب على فلسطين ، الشيوعيون في غابات ملايو جمعوا في شكل جالية متعاونة اقل من الاكثرية في الصين الذين كانوا هم انفسهم اقلية في المستعمرة . معظم الحركات الثورية كانت لدرجة معقولة مقادة من قبل اقلية قليلة ولكنها نشطة حتى عندما تكون سلبية ومدعومة بعدد قليل ن السكان الاخرين . وكان على العصاة غالبا الضغط او تصفية الموالين . في الجنوب العربي مثلا قتل عدد اكبر من العرب على ايدي العصاة اكبر من الذين قتلوا على ايدي الانكليز . في هذا كان البريطانيون على حق تماما ، العصاة كانوا اقلية تتمتع بدعم فعلي محدود وعلى الارجح محدود في كافة المجالات . البريطانيون ايضا اذا لاحظوا ان هناك دعم اذ ان المعلومات والمخابرات المطلوب جمعها حول هذا الدعم كانت محدودة بالنسبة للعصاة كما ان من الصعب جدا الحصول على اية معلومات من السكان المحليين .

النتيجة الطبيعية كانت ان الاقلية تؤثر على الاكثرية . وكان دعم المقاومة

يجب ان يتبع الضغط ولكنه لم يتبع هذا الخط المنطقي . اذ ان العديد من اليهود في فلسطين لم يوافقوا على اعمال الارغون ولكنهم لم يكونوا يعارضونها . والوضع كان مشابها بالنسبة لليونانيين القبارصة الذين لم تتأثر حياتهم اليومية الهادئة ولم تؤثر على منظمة ايوكا واعمالها . الواقع ان القسم الاعظم من الشعب ان لم يكن كله ميال الى الحياة الهادئة ولو ترك له المجال لصوت لصالح الصلح او التوقف عن القتال . وعندما لا يجد الفرصة لذلك فانه يسمح لرجال المقاومة بالتضحية بأنفسهم في سبيل هدف وطني سام خارج اطار المساومة وخارج نطاق الاجماع . فالحياد سرعان ما يلفم الحياد ومع ذلك هذا هو كل ما تطلبه المقاومة وتحتاجه . ولكن الحكومة تحتاج الى أكثر من ذلك اذ انه اذا استمرت المقاومة في العمل فانها ستنتصر حتما في الوقت الذي يجب على الحكومة ان تحكم وعليها ان تنتصر على الخارجين على القانون واعادة النظام وبالطبع سيادة القانون . ولكن هذا الشعب في وضعه هذا لا يعير الا اهتماما ثانويا لذلك . هذه السلبية هي خسارة للبريطانيين وكسب لرجال المقاومة . اذ ليس فقط الحوار قد قطع بوسائل واعمال العنف ولكن النظام والحد الادنى من النظام وموافقة الجمهور يصبح مشكوكا به وعن حق بنظر البريطانيين . المقاومة لا تحتاج الى تنظيم الجماهير ولكنه كان على البريطانيين ابعاد المحيط عن السمكة .

افترض البريطانيون انه فقط عبر العنف يمكن للمقاومة تحقيق اهدافها وهذا ما حصل فعلا . فلا ايوكا ولا الحزب الشيوعي الملاوي ولا الكيكويو ادعوا انهم لم يكونوا يعدمون الخونة والمخبرين بل بالعكس كانوا يزيدون من انتشار مثل هذه الاخبار التي تفيد بأنه كل متعاون سيلاقي مصيره الموت . كان البريطانيون يشعرون ان الشعب قلبيا يؤيدهم ولا يؤيد العصاة وهذه ليست دعاية بريطانية او دعاية مضادة للعصاة بل قناعة . لقد اقتنع البريطانيون بذلك وعملوا على اساسه . كانت ثقتهم موضوعة في معظم افراد الشعب وبالتالي اتخذت تدابير فيها كثير من الاخطار والمجازفة استنادا لهذا المفهوم والثقة هذه . ففي نيقوسيا وضع الحاجب قنبلة تحت سرير الماريشال السير جورج هاردنغ الحاكم العسكري ولم يكن الخائن الوحيد لهذه الثقة . بل كانت هناك اعمال

متكررة مشابهة . في كل مكان من الملايو حتى عدن استمروا على الاحتفاظ بالخدم غير الموثوقين حتى آخر لحظة . حتى المقيمين في كينيا ارادوا قتل كل شخص لا يعاونهم اذ طالما ان السلطة البريطانية ما تزال هي الشرعية فان كان الرجال الجيدين سينضمون اليها ويعارضون المشاغبين والمتآمرين الا اذا منعوا بالقوة والعنف . ورجال المقاومة يتميزون بالعنف ، والعصاة يعتمدون على الاعتراف بهم من مركز الثورة في القاهرة او موسكو او من نظام غير راضي غاضب في أثينـــا .

وكان على البريطانيين ان يقفوا الى جانب جهة وبنفس الوقت مقاومــة الخطيئة . وان الشرعية النابعة عن كونهم كانوا يتمتعون بالسلطة والقوة غير كافية عندما ينقطع الحوار ويبدأ العنف . وبغية التصدي للمطالبين بازالــة الامبريالية وسيطرة الامبراطورية البريطانية اتخذ البريطانيون موقف المؤيد والمنادي بالنظام والطاعة واللعبة الشريفة والحكومة الجيدة والحضارة والعدل والقانون واحيانا بالدين المسيحي عندما يكون الموقف ملائما . ولا شك ان هذا التصرف كان صحيحا وقد طبقوه فعلا . ولكن ما لم يوافق عليه البريطانيون كانت الموافقة على منح الاستقلال الفوري وتفضيل مصالح السكان المحليين على المصالح البريطانية . وكان منهاج رجال المقاومة هو هذه المفاضلة بالضبط كانوا يقولون كل شيء لنا الآن وكان لهذا الكلام وقعه الجيد وبريقه وجاذبيته . اما بالنسبة لبريطانيا فكانت المطالبة بالاستقلال الفوري قد يكون كارثة وان بامكان بريطانيا ان تقدم للسكان المحليين اكثر مما يستطيعون هم انفسهم عملـه لانفسهم . ومهما كان موقف بريطانيا من حق تقرير المصير الآن ام فيما بعد او الى الابد فقد كان موقف المقاومة هو رفع شعارات رنانة مثيرة ووضع اهداف كبيرة والتلويح بالرايات الوطنية في الوقت الذي كانوا يبيعون وطنهم الى ايديولوجيات خارجية معادية . وكان رجال المقاومة بالتالي مدعي الوطنية متعطشين للسلطة لا وطنيين حقيقيين ، كان هدفهم السلطة التي سيسؤون استخدامها وقد مر الانسان مرحلة الجنون الى مرحلة الجريمة .

واذا كانت الثورة غير شرعية وبدون مبرر اخلاقي يقودها رجال بدون

ضمير ولا اخلاق فان من الطبيعي ان يكون اسهل فضح الشيطان العاري وبنفس الوقت من الصعب التخلص منه ، وشبه مستحيل التعاون معه . وبصراحة تامة من الصعب جدا تناول الشاي مع ارهابي او القبول بدخول مجرم الى القصر واهم من ذلك من الاسهل السعي الى القضاء على الشيطان وعلى الشر . ومنذ البداية كانت قيادة الثورة مصممة ومعتبرة ليس كشيطان بل كعدو . وكلما كان الوصف ملائما كلما سهل على السلطة استخدام اقصى مدى من القوة . وان السبب الذي قاد الى الثورة المكشوفة كان ايضا واضحا للعيان .

واذا كان سبب اللجوء للثورة واه فان تأثير اهداف الثوار على مدى جيل ستصبح غير مقبولة . ففي الوقت الذي كان فيه الوطنيون بحاجة ويقبلون بأسلوب متدرج في بناء المؤسسات ضمن اطار الامبراطورية وموافقون على نموذج ويشمنتستر البريطاني سواء أكان مناسبا أم لا لعدم توفر أسلوب بديل فان الثوار لم يكونوا قابلين لذلك . كانوا يشعرون لعدم حاجتهم الى النموذج البريطاني ولا قيمة بنظرهم للحوار داخل الكومنولث على الطريقة البريطانية كل عقائدهم الصهيونية الشيوعية اليونانية كانت معادية للامبراطورية .

اكثر الجهات عداء للامبراطورية البريطانية كانوا « الماو ماو » وهم قد انحدروا الى الاساليب الوحشية وغير شرعيين مطلقا من الناحية السياسية . وكان قتل اكبر عدد من الماو ماو والاعتقال الاجماعي واعادة التوزيع للسكان والسجن كانت تدابير ممكن اتخاذها على ضوء الفظائع والعنف الذي كان يرتكبه الثوار . ولم يصب احد بالدهشة عند معرفته انه مقابل كل الف عنصر من الماو ماو يقتل كان هناك ثمانية فقط من الارغون خلال العصيان في فلسطين . فقد كان صعبا على البريطانيين قتل اليهود مهما كانت درجة التحدي . وكان هذا صحيحا ايضا في قبرص حيث كان البريطانيون يحبون اليونانيين ومتضايقون جدا من تصرفات الايوكا لانها لا ترى بوضوح الى اين يقودها صراعها هذا الموجه نحو الاينوسيس . ولم يكن البريطانيون يحبون الشيوعيين الصينيين في الملايو ، ويعتبروهم مؤامرة دولية تقوم بها مجموعة عرقية معادية وتهدد الامن البريطاني وكذلك مستقبل التطور في الملايو . وكان الحزب الشيوعي الملاوي غير شرعي

من كافة الجهات . والصينيون لم يكونوا مجانين مثل الماو ماو ولكنهم قد تحولوا الى عقيدة معادية . ولذلك جرى ايضا في الملايو اعتقالات وفتحت السجون على نطاق واسع واقيمت معسكرات التوعية وقتل العديد من الارهابيين اما اعداما او في الغابات . وكلما تمكن البريطانيون من اقناع الشعب بأن العصاة هم اعداء - واذا انطلقت في العصيان بأن تكون كيكويو فان المسألة تكون أشد سهولة من ان تكون يونانيا - كلما تمكنت السلطة من حشد قوتها وتركيز الصراع وتجميده دون حل ودونما حاجة الى زيادة في الاندفاع وهكذا اصبحت التدابير القاسية هي النظام في تلك الايام .

ومن الطبيعي انه ما ان تبدأ هذه السياسة باظهار بعض النتائج فان العودة عنها والموافقة على اجراء تسوية تصبح اكثر صعوبة اسلوب طويل لاعادة التقويم واعادة تحديد الاهداف . ففي الشاطىء الذهبي قدمت لجنة واطسون المكلفة بالتحقيق حول اسباب احداث الشغب التي وقعت عام ١٩٤٨ قدمت تقريرا يوضح بأن نكروما مشبع بالعقيدة الشيوعية وان هذه العقيدة يخفيها ستار سياسي شفاف . ان رداء احمر على جلد اسود لن يكون الشخص الملائم للمستقبل . وكان هناك في الشاطىء الذهبي معطيات كثيرة تقدم لنكروما امكانية تطبيق الاستراتيجية الهندية المطبقة لصالح الافريقيين واهم من ذلك كان هناك رسميون سياسيون ني اكر ولندن يعترفون باطلاعهم على ماذا كان يفعل . وحتى في عام ١٩٦٠ كان جومو كينياتا ما يزال قائد الظلام والموت للحاكم السير باتريك رينسيسيون . وبعد عامين اصبح كينياتا الوزير الاول الذي يعمل في ادارة افريقية يرأسها نفس الحاكم البريطاني . ان الاسلوب الذي اتبع في تحويل كينياتا من رجل خارج عن القانون وزعيم لعقيدة القتل الى رئيس لرجال الدولة الافريقيين لم يحتاج الى وقت فقط بل الى ضغط . مع ذلك تم تنفيذ ذلك . ولو أن الوطنيين العرب في الجنوب العربي قد لعبوا نفس اللعبة فهناك شك كبير في ان الارهابيين العرب العملاء لمصر يمكن تحويلهم الى مرشحين لحضور مؤتمر الكومنولث . انه اسلوب لا ينجح بدون ألم اذ ان الكثيرين يصرون على رؤية الخلفيات السلبية السابقة في النصر الحالي . رغم ان التجربة والخبرة يمكن لبريطانيا في سياسة الانحياز .

في وقت الثورة اذ بدا ان الثائر هو عدو فالتصدي له واضح القضاء عليه او الرحيل . وقد تم القضاء على كل من الماو ماو والحزب الشيوعي الملاوي الذين كانوا في نظر البريطانيين قبائل بدائية والعوبة في يد الشيوعية . اما في الجنوب العربي فقد تظاهر البريطانيون بنوع من تخفيف وجودهم في مؤتمر جنيف ولكن الواقع ان لندن رمت المفتاح وانسحبت تاركة خطا طويلا من الاصدقاء العرب الذين كانوا يحرسون الممرات في الحديقة . في قبرص اخيرا جاءت المساندة لاستراتيجية الكومنولث . في مصر وجد حل مماثل عبر اتفاقية في عام ١٩٥٤ وفقط في عام ١٩٥٦ اطلقت الامبراطورية آخر صيحاتها . أما في فلسطين كما في الجنوب العربي رحل البريطانيون انما تحت مظلة الامم المتحدة . ومع ذلك فان نصرين واضحين وخسارتين وثورتين لا يشكلا خسارة كبيرة ومظهرا للهزيمة العسكرية او السياسية .

وحتى عندما كانت تبدو بعض المجموعات معادية وغير ممثلة لاحد وقوة غير شرعية فان البريطانيين لم يعتمدوا فقط على الشدة والضغط . فقد اظهرت التجربة ان كافة عمليات الارهاب يمكن تطويقها وهذ افضل بالمناورات السياسية . هذا اذا لم يكن العصاة شديدو العداء الارغون ايوكا او الوطنيون العرب في عدن عند ذلك تضطر بريطانيا الى التفتيش عن اسلوب سياسي يسمح بزج قواتها في العمل . مثل هذه اسياسة تتضمن احتمال نفي امكانية التفاهم مع العصاة ولكنها قد تقود الى تدبير وتسوية يمكن للعصاة قبولها كما حدث في قبرص . حتى في الملايو وكينيا اتبع اسلوب سياسي مماثل لعدم حرمان العصاة من الدعم حتى عندما كان هذا الدعم يعتبر رسميا مرفوضا .

كان من الاسهل طبعا بلوغ تسوية مهما كان نوعها عندما يلاحظ بأن هناك انخفاض في اعمال العنف من جانب العصاة ، وكانت اعمال العنف التي يمارسها الماو ماو تعتبر مخيفة رغم انها لم تكن كذلك نسبة الى عدد الضحايا من الاوروبيين في حين ان غارات الفدائيين وحريق القاهرة كانت تعتبر اعمال شغب مصرية عادية وتم ضبطها بسرعة وسهولة وحلت على طاولة المساومة . في معظم الحالات سواء كان العدو من العصاة او لم يكن فان البريطانيين كانوا يفتشون

عن ارضية وسط حيث تتلاقى تطلعات العصاة مع المصالح البريطانية او تبدو من وراء التسوية الجذرية .

كانت الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية تهدف الى فتح والمحافظة على الحوار اي الوجه البريطاني للاستراتيجية الهندية هذا اذا لم تفاجأ . عند ذلك اذا كان العصاة شديدو العداء اكثر مما يمكن التفاهم معهم عند ذلك يلجأ البريطانيون الى خوض القتال ضدهم . وبنفس الوقت قد تلجأ بريطانيا الى منح تنازلات موازية — حكومة ذاتية يشترك فيها السكان المحليون الموالون . وكان التكتيك البريطاني يسعى الى المزج بين الشدة والتنازلات بشكل متوازن وكان هذا الميزان يميل الى هذه الناحية او للناحية الاخرى نتيجة لمبادآت فردية وعوامل محيطة ودوافع احيانا متضاربة . لم يكن لدى بريطانيا مطلقا نظرة شاملة موحدة للتكتيك الاستعماري . وكانت بريطانيا من الوجهة العسكرية وبعد خبرة طويلة قد وضعت اسلوبا للتعامل مع الثورات الريفية او في المدن لو طبق بشكل جيد لادى الى التقليل الى ادنى حد من اعمال العنف . وطالما ان هناك عدد قليل من الرجال مستعدون للحرية او الموت فسيكون هناك بعض المشاكل ولكن الخبرة والتجربة البريطانية تدل على مثل هذه الاعمال المعادية يمكن جعلها محدودة جدا اذا وافقت الحكومة على التحلي بالصبر وبذل جهد كبير في التصدي والتعاون مع الحلول السياسية بشكل مواز . واذا لم تفعل ذلك فان كافة الجهود العسكرية ستجهض .

وقد تطورت وتحسنت الاساليب التكتيكية العسكرية على ايدي جيل كامل من الضباط والرجال ذوي الخبرة الطويلة في العمليات المضادة للثورات ، وبالامكان تعلم هذا الاسلوب وتطبيقه ويمكن على المدى الطويل ان يكون فعالا جدا . ولكن شريطة ان ترافقه تدابير سياسية ملائمة . اذ ان العمليات العسكرية الجارية في فراغ سياسي تؤدي الى مقاومة اكثر فعالية وتزيد من الاخطار . كانت التكتيكات العسكرية البريطانية قليلة الفائدة مالم تدخل الشروط السياسية وتحورها بشكل ملائم لكل وضع وموقف اذ له حالة وضع متميز . وبالتالي فان الصيغة الواحدة كانت تحور تبعا لكل منطقة وبالتالي تختلف من ثورة الى اخرى .

اما التكتيك السياسي البريطاني أثناء متابعة سياسة التقلص حتى في خضم ثورة ما علنية فكان متغيرا ويمكن ان يكون جد مرن . طبيعي ان المبدأ الاساسي كان عزل واذا امكن تجاهل العصاة وهذا يعني ابعاد أي تحقيق دولي وتجاهل قرارات الامم المتحدة والسعي بكل محاولة لتطويق الازمة . ولم يكن البريطانيون يتورعون اذا كان الموضوع لصالحهم باثارة الموضوع . مثلا حتى بدء انفجار قنابل غريفاس كان موضوع قبرص قضية داخلية . وفور انطلاق اعمال منظمة ايوكا وانفجار قنابلها عقد في لندن مؤتمر ثلاثي واصبحت قضية قبرص دولية ، او على الاقل الى المدى الذي اعترفت بريطانيا لتركيا بأن هذه القضية تمسها . أي أصبح لانقرة حق النقض على المطامع اليونانية . فلسطين ايضا اصبحت قضية دولية طرحت امام الامم المتحدة في وقت ما رغم ان الانسحاب البريطاني لم يكن لصالح بريطانيا ، وعندما فشلت كافة الجهود والوسائل في الجنوب العربي ابلغت لندن الامم المتحدة انه ما من اجنة قادرة على الخروج بنتيجة . ومن ثم طبقت عدة قواعد عنيفة وسرية في استخدامها للتكتيك السياسي .

استمرت بريطانيا بوضع سلسلة من الاساليب تبعا لكل أزمة هدفها اعادة النظام : دساتير ، لجان زيارات ملكية مساعدات وتطوير ووعود وبرامج . كل هذه التدابير كانت تستخدم ليس بشكل مستقل بل كجزء من عدم امكانية اجراء الحوار . قد تبدو بعض هذه الاجراءات كخطوات ايجابية وقد تكون بعضها فعلا كذلك في حين ان بعضها الآخر قد يقود الى تملص جديد ولكنها كلها لعبت دورا حيويا في تقوية السلم . مشروع ماكميلان في قبرص لم يكن منفذا ولكنه حفظ ماء الوجه في أثينا حيث أمكن للنظام القائم هناك الادعاء بأن أي شيء أفضل من هذا الاقتراح الجديد .

وقد سجل موقفا سرعان ما اتخذه اليونانيون الذين اصبح بامكانهم التخلي عن منظمة ايوكا لاسباب جيدة ومشرفة . وهكذا سنة بعد سنة امكن لبريطانيا ان تقسم وتغزو ، وان توحد وتقود وتجد طرقا قديمة من منطلقات ومعطيات جديدة والعكس بالعكس اساليب جديدة انطلاقا من قواعد قديمة . تكتيكيا كانت

المبادآت السياسية في قضايا المستعمرات مبتكرة خلاقة وغالبا فعالة . ولكنه حدث بضع ثورات وان كون بريطانيا قد تمكنت غالبا من تطويقها والتفاهم والتلاؤم معها اكبر شاهد على فعالية السياسة البريطانية . كان البريطانيون يقفزون على المناسبات ومع ذلك كان هناك الكثير من نعومة ولباقة القفزة التي كانت تبهر الشعوب ويخشونها لتعطي دوما انطباعا باستمرارية وجود الاسد الجسور .

كانت الردود البريطانية على الثورات في المستعمرات غالبا معقدة ومقيدة بالمصالح البريطانية الاستراتيجية رغم انها كانت فقط عوامل اقتصادية . كانت لندن غالبا ما تقدم كل شيء للاستراتيجيين وتتمسك بالجزء السيء (الخاطىء ؟ للوضع الذي يحتاجه العسكريون توحد المستحيل لحماية حدود ما لا يهضم ـ اساسا وعلى هذا المستوى كان العسكريون يخضعون ويدفعون ثمن التمسك بموقف استراتيجي وغالبا ما كان مساويا لسجن استعماري . وكلما استمرت الحكومة في اشرافها كلما كانت المناورة السياسية اضيق افقا ومحدودة . ان الانتقاد القائل بأن القيود تقضي على القيم الاستراتيجية في المستعمرة استمر سماعه في عدة أزمات امبريالية . هل كانت بريطانيا بحاجة الى عدن عام ١٩٦٥ أم لا . وبقبرص عام ١٩٥٧ وقناة السويس عام ١٩٥٦ هو مسألة اخرى . ولكن ما هو واضح ان ثمن الضغط سواء كان غاليا ام متحفظا له بالمقابل مكاسب . ان محتلا يملك القوة الكافية قادر على القضاء على المقاومة او احتواء أي ثورة ومتابعة استخدام اية قاعدة كما أثبتت بريطانيا ذلك في قبرص عام ١٩٥٦ . اما حساب الثمن فهو موضوع اشد تعقيدا وقابلا للنقاش ومع ذلك يؤمن المطلوب منه . على كل حال نظرا لان جيل التقلص قد تطور فان اعادة النظر بالقيمة تدل على استراتيجية الاحتواء كانت اقل حيوية من ما يطلبه العسكريون واقل اتساعا للمناورات السياسية ، وحتى الجلاء كان في بعض الاحيان لا يعتبر كارثة استراتيجية ، وكان اولئك الموجودون في السلطة قد شعروا بأن المصالح الاقتصادية البريطانية ستكون افضل في حالة التواجد غير المباشر . في حين ان هناك رأسماليين متعصبين كانوا يشكون في

بعض البلاد ولكن من الصعب جدا ان تجد من يرغب ويعارض عملية التقلص علنا فقط لان المصالح البريطانية قد تتأثر به . وهكذا في نهاية الستينات لم تقف الاستراتيجية ولا المصالح الاقتصادية حجر عثرة في طريق تفكك الامبراطورية.

وقبل ذلك بكثير ، وكما كان هناك نموذج للرد السياسي البريطاني كان هناك اسلوب ونموذج مماثل على الصعيد العسكري البريطاني . في القسم الاول منه كانت هناك رغبة جامحة بأن تتماشى السياسية الاستراتيجية في لندن مع الصراحة والشدة وان تكون متعاونة مع الجهود العسكرية المحلية ومنسقة معها . ومع الوقت طبعا كما ذكرنا اعلاه كان التعريف الخاص بالعسكريين للاستراتيجية البريطانية وحاجاتها مثلا كامل جزيرة قبرص كقاعدة عسكرية تحد الى مدى بعيد من العمل السياسي . ومع ذلك اعترف العسكريون بأن هذه الخطوط والحدود كانت موضوعة في لندن بناء على دراسة مفصلة لا على اساس اقتراحات رئيس الاركان . وانطلاقا من خبرة فلسطين المبنية على الاخذ والعطاء اقرت القوات المسلحة البريطانية وتفهمت المظاهر السياسية للثورة والقوة المطلقة للحكومة ثانيا اذا امكن كانت القوات المسلحة ترغب بالحصول على السلطة بمطاردة الثوار عبر حملة مستمرة تحت قيادة موحدة ، قيادة رجل عسكري تكون مثالية انذاك شريطة الا يكون مقيدا بتعليمات السلطات المحلية ، البريطانية . ولكن نادرا ما كانت تتوفر هذه المثالية فاما توجد وتتعارض مع السلطات المحلية او كانت تفرض عليها قيود من حيث حجم القوات الواجب استخدامها او كلاهما . على كل حال كان موقف العسكريين تجاه القرار لا يختلف كثيرا في معظم الاحيان عن موقف السلطات الاخرى .

وبصورة عامة فانه ضمن اطار سياسة التقلص فان اسس الرد البريطاني على الثورة المكتسب عبر التجارب ولم يهضم ويفهم دوما بشكل جيد فقد بقي كما كان الى حد كبير دون أي تبديل . في البدء أتت المفاجأة ثم تبعتها الصدمة ثم اساليب تعريف العصاة كأقلية من الرجال الاشرار يستخدمون القوة والعنف كي يفرضوا على الشعب الوفي دعمهم . واذا كان العصاة يرفضون التفاوض او حملوا السلاح علنا فان الجيش يبدأ حملة مضادة للثورة وهو يعرف ان

جهوده في الميدان لن تنجح اذا وجدت صيغة سياسية مدعومة على المدى الطويل من قبل لندن . ان الوسائل اللازمة لصياغة مثل هذه الصيغة قد تكون مع ذلك محددة بالحاجات العسكرية نفسها وبالتالي تعقد مسائل ومواضيع التصفية . وكانت العوامل الاقتصادية فقط هي الثابتة حتى انها كانت أيضا هامة جدا حتى في الملايو او الهند او الخليج . وقد حاولت وتمكنت في تجنب الثورات العلنية وحتى فيمثل هذه الاحوال كانت تختار الحلول المغايرة والبعيدة عن الارهاب او الجلاء . ونظرا لعدد السكان المحليين المشتركين وفرص سوء التفاهم والتدخل الدولي من قبل مختلف الاصدقاء والاعداء وطبيعة سياسة الانصار فقد انقطع حوار التقلص .

ومع الجلاء عن الجنوب العربي عام ١٩٦٧ ونهاية الوجود البريطاني شرقي قناة السويس بدا ان نهاية الامبراطورية البريطانية قد اقتربت ، ولم يبق تحت السيادة البريطانية سوى القليل . بعض المسؤوليات العامة في عمان وبورنيو ولكن مع نهاية الامبراطورية فان اسلوب الرد على الثورة بدا وكأنه ينتمي الى الماضي . ومع ذلك لم يكن الوضع كذلك اذ ما ان ظهرت المسألة الايرلندية من جديد وهذه المرة بشكل عنيف ومرة اخرى سواء كانت اولستر جزءا من المملكة البريطانية ام لا فان الرد البريطاني اتبع الاسلوب الامبريالي السابق نفسه .

في آب ١٩٦٩ خلال المعارك لاجل الحقوق المدنية في شمال ايرلندا تحولت البلاد الى عنف طائفي ، البروتستانت الاتحاديون خاصة الاكثر نشاطا يعتقدون ان الحقوق المدنية كانت كلمة رمزية تعني في الواقع الدعوة الى ايرلندا الموحدة تحت اشراف نظام دبلن البابوي . وصمم الكاثوليك على تحقيق نفس الحقوق السياسية الممنوحة للاخرين في المملكة المتحدة ، ولا يمكنهم بعد الآن مع ترك ارلندا الموحدة جانبا ، تحمل الشتائم والتحديات التي تبديها الاكثرية . وقد شاهدوا هذه الاكثرية الاتحادية تنتظم في اطار دولة بروتستانتية لشعب بروتستانتي حيث تقام المؤسسات وتدعم بواسطة قوة شبه عسكرية طائفية ومستندة الى قانون مخادع . وما ان انتشرت اعمال العنف التي بدأت في دري الى بلفاست لم يعد باستطاعة الحكومة المحلية في ستورمونت التي جاءت نتيجة

سياسة التقلص عام ١٩٢١ الاشراف والسيطرة على الموقف ، فأعطت لندن الامر الى الجيش البريطاني بالدخول ومنع ما بدا تحولا نحو حرب اهلية . كانت بريطانيا منذ مدة طويلة لم تعر ارلندا اهتماما ولم تتوفر لديها معلومات كافية عن الوضع فيها لذلك فوجئت بمستوى العنف وعمق الكره الطائفي والفروق البدائية والمستمرة بين الوطنيين الكاثوليك والبروتستانت الاتحاديين . هذه المفاجأة والنتائج التي نجمت عنها لم تقد حكومة العمال لوضع سياسة او اتخاذ تدابير سياسية تسهل ما اعتبر مقبولا لمطالب الكاثوليك . بدلا من ذلك أدخلت التعديلات على نظام ستورمونت . وخلال تلك الفترة حافظ الجيش على سلم غير مريحة بانتظار تخفيض حدة التوتر او مبادأة سياسية موازية وظهرت ارلندا الشمالية بعيدة عن التهدئة وبدون اتخاذ اية مبادأة سياسية بدأت تتحرك نحو الفوضى الكاملة .

وهناك ثلاثة عوامل كامنة أدت الى الحرب الاهلية العلنية في فترة تقل عن سنتين . أولا تابعت لندن شعورها بالخوف من ان الاصلاح قد يوحي برد بروتستانتي عنيف ، وشعرت وأملت خلافا لكل الوقائع بأن الزمن سيؤدي الى اراقة الدماء الى درجة الكره .

في حزيران عام ١٩٧٠ جاءت الى الحكم حكومة محافظة اقل اهتماما بالضغط على الحلفاء الاتحاديين ومع ذلك لم تتخذ أي اجراء جذري .

في تلك الاثناء سمح للجيش تنفيذ مهامه في فرض النظام . ومهما بلغ من ترحاب الكاثوليك بالجيش عند وصوله ولكن لم يكن هناك شك بأن موقف الحياد الذي اتخذه الجيش قد تدنى قيمة في نظرهم . وكانت السلطات الشرعية في ستورمونت موالية اتحادية ترفع على الاتحاد ، شعب نظيف لا يرغب بأي تغيير . كانت لديهم ثقة في شرطتهم وفي جيشهم واصدقائهم في لندن . اما الكاثوليك من ناحية اخرى كانوا يريدون التغيير وفتشوا عنه عبر اعمال مباشرة في الشوارع ونزعوا ثقتهم او قاموا بنشاط السلطة اللاشرعية في ستورمونت والشرطة . وأثاروا شغبا وغالبا ما كانوا يرفعون علم الثوار الثلاثي الالوان بدلا من العلم البريطاني الاتحادي . كان الجيش البريطاني يمسح

ويفتش ويستخدم السلاح والغاز . وقد اعتبر الرد القوي والسريع من قبل اعداد متزايدة من الاقلية الكاثوليكية واقعيا بأن الجيش قد اصبح تحت سيطرة ستورمونت . وبالتالي تحول الجيش من دور المدافع الى دور المستبد .

وقد تسارع هذا الانحراف نتيجة لعامل ثالث: مناورات الجيش الجمهوري الارلندي . بعد احداث العنف في آب ١٩٦٩ تم تشكيل جيش ارلندي جمهوري جديد سمي « بروفوس » وذلك مقابل قادة الجيش الجمهوري الارلندي الذين اصبحوا اكثر ميلا للسياسة . وقد قبل البروفوس في البدء لعب دور حماة الكاثوليك ، وبدأوا يجمعون الاسلحة وينظمون القواعد القريبة وحتى التعاون مع الجيش البريطاني للمحافظة على السلم . وكانت قيادة البروفوس خليط من عصاة قدامى وانصار جدد وكلهم يعملون على تحويل دورهم الى جيش سري مصمم على طرد البريطانيين . لذلك كان التكتيك البريطاني يسير من قبل تحديات الجيش الارلندي وقد تمكن هذا الجيش حتى مطلع عام ١٩٧١ من ضم معظم افراد الطائفة الاقلية الكاثوليكية وبذلك استطاع الجيش الارلندي الانتقال الى المعركة الهجومية ضد العدو أي ضد الجيش البريطاني .

وقد تعقدت المسائل البريطانية في آب عام ١٩٧١ عندما بدأت السلطات بتطبيق التوقيف بدون محاكمة بناء على نصيحة نظام ستورمونت الذي أصر على حسن معرفته للسكان المحليين الارلنديين . عند ذلك سحبت الاقلية موافقتها على ان تخضع للحكم المحلي وتحولت الى الاضرابات وساندت البروفوس وفي نهاية العام بلغت حرب العصابات في اولستر حدا ان وزير الداخليةالبريطانية ريجينالد موليدينغ اعترف في بلفاست ان الجيش الجمهوري الارلندي لم نستطع تحطيمه انما فقط وضع ضمن حدود معقولة .

عبر الاشهر الستة التالية تحملت القوات المساحة البريطانية ضغطا شديدا . وقد اصابت قنابل الجيش الارلندي بالدمار ضواحي بلفاست وديري . واصبحت الطرق في البلاد غير آمنة ووقعت احداث وحوادث عبور الحدود وعمليات قنص في المناطق السكنية وعلى التوازي قامت هناك ميليشيا بروتستانتية . وكان قتل ثلاثة عشر مدني في يوم الاحد الدامي في ديري خلال

شهر كانون الثاني عام ١٩٧٢ جاذبا لانتباه العالم كله وعقدت الى درجة كبيرة مساعي نظام دبلن في محاولة احتواء الجيش الجمهوري الارلندي في الجنوب . برلمان ستومرونت الذي فقد الثقة كان مسيرا من قبل لندن . وقام البروفوس في تموز بشق طريقه نحو طاولة المساومة بواسطة القنابل . وقد ادت المحادثات بين البروفوس والحكومة التي جرت في لندن الى هدنة قصيرة الامد تحولت الى حرب استنزاف وحرب عصابات لمدة عام طويل . وكان باستطاعة الجيش البريطاني احتواء البروفوس ولكن ليس القضاء عليه . وفي عام ١٩٧٢ بدأت لندن مع ذلك اخيرا تتحرك وقد بدأت تتجاوب مع المواضيع الارلندية مع مرونة اكبر بدرجة كبيرة ومبادأة تفوق ما سبقها اذا لم نقل بنجاح اكبر .

في أولستر اتبع البريطانيون ما دعوناه الخبرة الامبريالية . بعد المفاجأة بدأ الشعور بالاهانة اقلية صغيرة من الجيش الجمهوري الارلندي تعمل نيابة عن اقلية ، بدأت تهاجم الجيش البريطاني الذي كان يقوم بواجبات حماية السلام لصالح الجميع . وكان واضحا ان الجيش الجمهوري الارلندي استوحى الدعم من الاذلال طالما ان معظم الكاثوليك كانوا يرغبون فقط ببعض الاصلاحات بالاضافة الى السلاح . كان الجيش الجمهوري الارلندي انذاك غير شرعي وخارج عن القانون في الشمال وفي الجنوب مؤلف من رماة القنابل التي تقتل المدنيين الابرياء في محاولة لاجبار الاكثرية الموالية على التحول الى اعداء للدولة ضد مصالحهم ومعارضة لوعود الحكومة البريطانية وربما حتى ضد رغبات الكاثوليك الذين يتمتعون بكافة انواع المساعدات الاجتماعية البريطانية . هنا تكمن المفاجأة والصدمة والخجل ، تصميم جماهيري على عدم التعامل مع عصابة صغيرة من الرجال القساة الذين يستخدمون الارهاب لكسب الدعم في المثابرة على تحقيق هدف خاطىء . وعندما لم تفلح وسائل الضغط والاحراج في تحقيق اهدافها اتخذت لندن اساليب مختلفة سياسية وحتى انها بدأت المحادثات مع البروفوس على مستوى الحكومة .

وقبل ذلك بمدة طويلة أي في شباط عام ١٩٧١ عندما تحولت قوات حفظ الامن البريطانية من وحدات لحفظ السلام الى عنصر مضاد الثورة فقد طبق اسلوب معالجة الموضوع وفق اسلوبين : عسكري وعمليات أمن في خدمة المبادآت

السياسية الساعية الى حرمان العصاة من الدعم وذلك بخلق مواقف موازية . وحتى ورغم أن هذه المبادآت السياسية لم تكن جديدة وقد مهدت الطريـق السياسية لها من قبل لجان تحقيق ومشاورات خلال شهر اذار ١٩٧٢ . وكانت نهاية ستورمونت تعتبر وسيلة لفتح الطريق لحل محلي سيحرف الاقلية عن حل شامل لارلندا وايجاد قوى وسيطة في اولستر . وكانت الاجتماعات مع البروفوس في لندن فرصة سمحت للسياسيين استبدال القنابل بمحاولـة لتسوية مع رماة القنابل . ومع هذا كان ذلك ملائما لمساعي الانكليز السابقة لمتابعة اسلوب مرن رغم انه غير ممتع . وفي الاولستر قام الجيش بعملية كما فعل في الماضي رغم صعوبات العمل مع عربة ستورمونت والعمل تحت عدسات التلفزيون وداخل المملكة المتحدة والقيود التي فرضتها لندن ، لقد نفذ الجيش عمله المعاد للثورة ، وكان يطلب سرعة تدخل لندن السياسي .

قادت احداث اولستر الى تأكيد نموذج التدخل وفق الخبرة البريطانية في معالجة الانتفاضات الامبريالية . قد تكون ارلندا أو لا تكون حالة تقليديـة كالمستعمرات كما يعتقد العديد من الارلنديين ولكن الرد البريطاني يمكن بسهولة ان يقارن بتلك التدابير السابقة . وان دراسة هذه الخبرة اصبحت الآن موضوعا أكاديميا يفيد بأن بريطانيا قد نفذت فعلا عمليات تجميد او القضاء على العصاة . ولكن وجود نموذج وطني واحد يفترض وجود حلول اخرى في مناطق اخرى . ولا شك ان ثوار المستقبل اذا وجدوا ان يدرسوا قوة خصومهم لو كانوا فعـلا يتمتعون بالجرأة والعقل وكذلك دراسة اساليب الرد على الثورات وتاريخها . العصاة المنورين التصدي للشروط والتدابير كما حدثت في الثورات المضادة للتاج البريطاني . البروفوس في بلفاست استمدوا قوتهم وشجاعتهم من معارفهم ومطالعاتهم حول هذا الموضوع اذ تمكنوا من تنظيم استراتيجيتهم وفق افكار وخطط خصومهم . ومن جهتهم فان حراس النظام القائم عليهم ان يأخذوا العبرة في تنفيذ مهامهم من التحاليل الجيدة للخبرة السابقة . لا شك ان لكل استراتي يواجه مشكلة او واقع ثورة ان يعرف بوضوح امكانياته وكذلك معرفة صفات وامكانيات خصمه وحتى أن هذه القدرة والكفاءة يمكن ان تكون متبادلـة .

مصــادر البحث

حتى كتابي « في الثورة : استراتيجية التحرر الوطني » نيويورك بازيك بوك ١٩٧٤) لم يكن هناك كتاب واحد يبحث بدقة في موضوع الثورات المختلفة ضد بريطانيا منذ الحرب العالمية الثانية ، هناك استثناء هو كتاب جوليان باجيت « المعارك المضادة للثورة » (لندن فابر وفابر ١٩٦٧) الذي يبحث في ثورة الملايو . كينيا وقبرص . بصورة عامة نجد ان الابحاث تميل الى التركيز على النهضة السياسية للامم الجديدة (روبرت ايمرسون . من امبراطورية الى أمة) بوسطن ١٩٦٢ او تحول الامبراطورية البريطانية (كوركلي بارنيت « انهيــار القدرة البريطانية » ، نيويورك مورد ١٩٧٢) نحو الكومنولث الجديد نيقولا مانسرغ ، خبرة الكومنولث (لندن ١٩٦٩) حساب ممتع شعبي لهذا الاسلوب نجده لدى كولن كروس « سقوط امبراطورية » (نيويورك كاوارد ماك كان ١٩٦٩) .

هناك العديد من الكتب حول التقنية والتكتيك عبر وجهة النظر البريطانية اندرسون « عمليات في فلسطين » مجلة الاسطول نيسان ١٩٤٨ . العميد هيثكوك ولكن نادرا ما نجد وجهة نظر عامة انما تعميم ضيق ليشمل خبرة فردية . وان افضل المصادر حول دراسة هذا الموضوع نجدها لدى الباحثين او الذين ساهموا شخصيا فيها ولكنها محصورة بموضوع واحد .

ـ فلســطين :

ان المنشورات حول مختلف النواحي حول فلسطين ضخمة جدا انظر الملاحق الموجودة في كتابي « الحرب الطويلة ، اسرائيل والعرب منذ ١٩٤٦ » (ايكلوود كلفيس براشو هول ١٩٦٨ ؟ ليس هناك تاريخ محدود للارغون ولكن

افضل دراسة حول الانتداب تبقى كتاب هوروتير « الصراع من اجل فلسطين » (نيويورك غرين وود ١٩٦٨) حول العصيان انظر مناحيم بيغن « الثورة » (لندن آلن ١٩٥١ ؟ صاموئيل كاتز « ايام النار القصة السرية لاقامة دولة اسرائيل » (لندن الن ١٩٦٨) حول الجانب البريطاني انظر ويلسن كوردون وسيرتش (١٩٤٩) وهناك مسح جديد حول الفترة بكاملها للمؤلف دان كورزمان والتكوين ١٩٤٨ (نيويورك وورلد ١٩٧٠) الذي يحتوي على معلومات جيدة حول الارغـون .

ـ الملايـو :

أشهر ماكتب حول قضية الملايو هو ما صدر عن السير روبرت تومبسون « الانتصار على الثورة الشيوعية » (لندن ـ شاتو ووينـدوس ١٩٦٦) . وهناك دراستين ركزتا على الرد العسكري البريطاني وهما ريتشارد كلوتربوك الحرب الطويلة الطويلة ، الثورة في الملايو ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ (لندن كاسل ١٩٦٧) وأدغار اوبلانس ملايو حرب الثورة الشيوعية ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠ (هامدن ، ارشون بوكي ١٩٦٠) . بالاضافة الى دراسة شيقة للسيد ريلي ساندرلاند الهزيمة الشيوعية في الملايو (سانتا موبكا راند ١٩٦٢) .

ـ كينيـا :

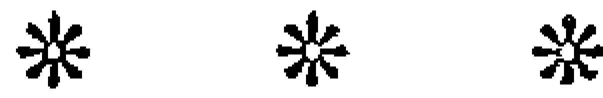
لا توجد دراسة وافية حول قضية كينيا . افضل الموجود هو فريد مجدلاني « حالة الطوارىء ، القصة الكاملة الماو ماو » (لندن لونغمان غرين ١٩٦٢) . مبادىء التفسير البريطاني تجدونها لدى كورفيلد « مسح تاريخي لاسس وانتشار الماو ماو » (لندن مكتبة صاحبة الجلالة ١٩٦٠) وكارل روز فيرغ وجون نونينغهام : « اسطورة الماو ماو الوطنية في كينيا » (نيويورك براغر ١٩٦٦) وهناك مؤلف شيق قديم لفرانك كيشون خبير بريطاني حول الحروب البطيئة الايقاع والكثافة « عصابات وضد العصابات » (لندن باري روكليف ١٩٦٠) .

ـ قبـرص :

أفضل وربما اصدق عمل حول هذا الموضوع هو مسح لموضوع ايوكا لشارل فوللي رئيس تحرير قبرص تايمز خلال فترة ازمة قبرص « جزيرة ثائرة » (لندن لونغمان ١٩٦٢) ثم وراثة العنف من العصيان الى الحرب الاهلية في قبرص (هارموندوورث ١٩٦٤) وهناك من الجانب الآخر غريفاس « في حرب العصابات وصراع الايوكا » (لندن ١٩٦٤) مذكرات (لندن لونغمان ١٩٦٤) دادلي باركر : غريفاس صورة أرهابي (لندن كرسيت ١٩٥٩) .

ـ الجنوب العـربي :

كتب العديد من الحكام البريطانيون مذكراتهم : برنادر سيللي ، تـوم هيكنبوتام ، شال جونسون ، كندي تريفاسكي ، اورد تريفيليان افضلها « كنت جنديا » لكون ميشيل والجنوب العربي لتوم ليتل ١٩٦٨ .



بعض الاستنتاجات حول التاريخ العسكري

طبيعة وآفـاق التاريخ العسكري

موريس متلوف

الادارة العسكرية والحاجة الى مفاهيم تاريخية

هارولد جونسون

تعليـق النـاشر :

موريس ماتلوف كبير المؤرخين في ادارة التاريخ العسكري التابع للقوات المسلحة كان اول من تحدث من بين الضيوف في المرحلة الاولى من دورة ابعاد جديدة في التاريخ العسكري وذلك في نهاية عام ١٩٧١ . ومع بداية دورة جديدة للتاريخ العسكري وجد من المناسب التطلع الى الامام الى مستقبل التاريـخ العسكري هذا الاسلوب يجعل من المناسب الاستفادة من ملاحظاته الآن في نهاية هذا المؤلف كخلاصة عامة ونقطة انطلاق نحو مما لا يزال امامنا في سبيـل تطوير التاريخ العسكري من اعمال . بعض سطور هذا البحث الذي دعي لالقائه في عام ١٩٧١ قد بدىء فعلا بالعمل بها ولكن بالنسبة للقسم الاعظم فان مناقشة الدكتور ماتلوف لمواضيع جديدة تبقى تفحصا لمسائل لم تحل بعد وتحديات لا بد وان نجابهها .

بالاضافة الى واجباته الرسمية في المساهمة بالتاريخ العسكري يقـوم الدكتور ماتلوف بملء الصفحات الناقصة في هذا التاريخ التي يلاحظ وجودها في التاريخ العسكري الاميركي . سيملىء جزءا من الفراغ في تاريخ الاستراتيجية بدراسة عن الافكار الاستراتيجية الاميركية في الفترة ما بعد الحرب العالميـة الثانية . ولقد ساهم فعلا في كتابة تاريخ الاستراتيجية الاميركية المؤلف من جزئين التاريخ الرسمي كمؤلف متعـاون مـع ادوين سفيل حول التخطيط الاستراتيجي لحروب الاحلاف ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ (واشنطن مكتب ادارة التاريخ العسكري ١٩٥٩) . في كلا الجزئين الصادرين عن وزارة الحربية الاميركية عن الحرب العالمية الثانية .

طبيعة وآفـاق التاريخ العسكري

موريس ماتلوف

نحن بحاجة لاثارة جديدة للسؤال الاساسي : ما هو التاريخ العسكري ؟ لقد تعمق المؤرخ البريطاني المعروف السير جون فورتسكو في مسألة التعريف . وقد احتاج الى ستة واربعين صفحة للتعامل مع التفسير ومع ذلك لم يستطع الخروج بتعريف واحد محدد . لذلك وضع عددا من التعاريف ووصف التاريخ العسكري « تاريخ الحروب وخوضها » . « تاريخ صراع المجتمعات المعبر عنه بواسطة عصابات منظمة ورجال مسلحين » . وايضا « تاريخ الشرطة الخارجية للمجتمعات والامم » . واضاف ايضا « التاريخ العسكري ليس تاريخ مادي بل تاريخ قوة معنوية وربما انتصار المعنويات على القوة المادية البحتة » . وتدل تعاريف فورتسيكو على بعض الانواع والمجال الذي يغطيه هذا التاريخ . التاريخ العسكري هو هذا كله وأكثر من ذلك . فقد امتد التعريف من المسائل العسكرية المحددة ودراستها الى اكثر فأكثر من نشاطات الانسان سواء لخوض الحروب او منعها .

ما هو التاريخ العسكري اذن ؟ علينا دراسة كل مرحلة ماضية كي نصل الى تعريف وتحديد معنى هذا التعريف . كما علينا دراسة كل فترة ضمن الاطار المحيط بها . في القرن الثامن عشر العصر الذي ولد به الجيش الاميركي وقبل ان تدخل الثورة الفرنسية مفهوم « الامة المسلحة » وقبل ان تصبح الحرب ديموقراطية انذاك كان التعريف يستخدم التعبير عن تاريخ الصراع المسلح والمعارك والعمليات الحربية بالطبع كانت في القرن الثامن عشر بسيطة نسبيا . المنطقة القوات الاهداف كلها كانت ايضا محدودة نسبيا . ولكن مع انتشار الرجال المسلحين بسبب زيادة حجم المساقين للخدمة العسكرية التي بدات

مع الثورة الفرنسية ثم مع توسع الثورة الصناعية أصبحت الحرب أكثر اقناعاً . واصبح تأثيرها يمس المجتمع بشكل متزايد وهكذا في الحروب العالمية التي وقعت في القرن العشرين بدأت نتائجها تؤثر ليس فقط على الدول المحاربة وانما على الدول البعيدة حدودها عن حدود الدول المشتركة في القتال . وبالتالي توسع المفهوم . ويتوضح التاريخ العسكري على الحدود بين الفن العسكري والعلم والتاريخ العام . لا يعني هذا ان المسائل العسكرية يجب ان ينظر اليها كفن وعلم بآن واحد . التاريخ العسكري يتعامل مع المزيج والتأثير المتبادل بين الدبلوماسية والسياسة والاقتصاد والاجتماع والعوامل الثقافية والميول العسكرية في المجتمع . هذا التأثير المتبادل والدمج يجب أن يدرس ضمن تيار عريض من التاريخ .

ويمثل التاريخ العسكري ضمن اطار المفهوم الاميركي عدة عوامل مترابطة . ويشمل بالطبع الاعتبارات الحربية ــ الحروب من كافة الانواع . يحب الاميركيون أن ينظروا الى انفسهم كشعب مسالم يكره الحرب . ومع ذلك فان تاريخنا الوطني يظهر مجموعة واسعة من الاحداث الحربية . الواقع ان الكتاب المعاصرين الذين عالجوا هذا الموضوع وهو لبروفسور بيتر باريت من جامعة ستانفورد قد اقترح التعبير « اميركا الجميلة » كوصف قد لا يكون ملائما اذ انه في مجال الحرب فقد ينظر الى الامة من قبل الاجانب على الاقل بوصفها اميركا العدوانية او المحبة للحرب .

على كل حال ان التعريف ضمن المفهوم الاميركي يشمل انواعا مختلفة من الحروب . لقد ولدنا بثورة غالبا ما دعيت اولى الحروب الشعبية في العصور الحديثة ، ثم تحملنا ومررنا بمد حرب اهلية مرة ، تدخلنا في سبع حروب دولية منذ استقلالنا ، بما فيها ثلاث صراعات عالمية . ولم يكن لنا خبرة في مثل هذه الاعمال في القرن التاسع عشر وما قبله .

تعتبر الثورة الاميركية مثال جيد للحروب المحدودة في القرن الثامن عشر . وهناك نماذج اخرى من الحروب المحدودة في تاريخنا مثلا حرب عام ١٨١٢ والحرب الاسبانية الاميركية الى جانب خبرات الفترات الزمنية الاحدث .

الحرب الاهلية تعتبر عادة اولى الحروب الحديثة اذ ادخلت عصر الحرب الشاملة الذي ينتمي اليه الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية . ومع ذلك يبدو وكأننا نعود الى أشكال اكثر بدائية للحروب . اذ رغم اهتمام المنظرين بالحروب النووية والحروب المحدودة الذرية فان الواقع الفعلي كان العودة الى الاشكال السابقة . يبدو انا قد قمنا بدورة كاملة وهناك اهتمام كبير بين الباحثين في المواضيع العسكرية فان كل اهتمام سابق بمثل التجارب كانتفاضة الفيلبين عام ١٨٩٩ — ١٩٠٢ التي لحقت بالحرب الاميركية الاسبانية ويتزايد هذا الاهتمام ايضا في دراسة الحروب الهندية كامثلة على حروب العصابات والاعمال المضادة لها . بالطبع فيما يتعلق بالاعمال الحربية هناك عدد كبير من المثيلات في تاريخنا علينا أخذها بعين الاعتبار .

عندما نتحدث عن الحروب علينا ان نتذكر دوما انه حدث تحول هام . تعودنا على اعتبار الحروب كممارسة للعنف بصريح العبارة . كانت تتميز ببعض المراسم الخاصة — الاعلان عن بدئها ، استسلام ، هدنة ، معاهدة سلام في النهاية .

وفي الفترة التالية للحرب العالمية الثانية زالت كل هذه الممارسات التظاهرية ولم تعد هذه الشكليات تتبع . وقد اصبح الضباب يخيم على تلك الفترات الواضحة التي تعودنا رؤيتها وتفصل بين الحرب والسلام . وبدأ المؤرخون ينظرون اكثر فاكثر الى تلك الفترات التي سبقت بدء الحرب ، وبالطبع زاد اهتمامهم أكثر فأكثر بالقرارات المتخذة قبل بدء العمليات الحربية نتيجة لذلك ، يهتم المؤرخون العسكريون المعاصرون عند تقويمهم للحروب ، بما حدث قبل بدء العمليات الحربية وفي فترة ما يسمى بفترات ما بين حربين .

والى جانب الحرب بالمعنى الواسع هناك عامل آخر أساسي يهتم به المؤرخون العسكريون المعاصرون وهو موضوع الجيوش كمؤسسات . وينطبق الوضع نفسه على الاسطول والقوى الجوية أيضا . كمؤسسة تعكس القوات المسلحة الحضارة القومية والوطنية كما ان لها تأثير عليها . هناك امثلة تاريخية على جيوش وجدت كطبقة منفصلة عن باقي المجتمع في معظم تاريخنا

القومي وجدت القوات المسلحة نفسها فعليا بعيدة عن باقي المجتمع . في القرن التاسع عشر مثلا كان الجيش منعزلا وموزعا على مواقع حدودية . وهذا عامل يجب اخذه بعين الاعتبار في كل مرة يدرس فيه الدور العسكري في جتمع خاص . كمؤسسات ، الجيوش تأخذ شكلا وطبيعة ومظهرا خارجيا تأسيسيا يتجلى في عدة مظاهر : الاسلوب الذي تنتقي به قادتها وتهيء عناصرها واسلوب التغذية بالرجال العقيدة القتالية نوع العلاقة بينها وبين المدنيين . وكل تبديل او تحول في النظام التأسيسي يجر وراءه سلسلة من التبدلات والانعكاسات . اي تبديل جذرع في التسليح او المعدات او التكنولوجيا مثلا ادخال البواريد البعيدة المدى التي يستخدمها المشاة ، دخول الدبابة ، الطائرة حتى البارود او في العصور الاحدث القنبلة الذرية . كل منها ادخل معه تعديلات على الاساليب القتالية التقليدية وكذلك على العلاقة بين المدنيين والعسكريين وعلى التنظيم العسكري العام . وفي هذا الاطار فان ظاهرة التركة الثقافية التي تؤثر بعمق على باقي المؤسسات الانسانية يجب اخذها بعين الاعتبار . هناك خاصة خطر اذا كانت تركة الجيوش ، واذا كانت العقائد العسكرية لا يترك مجالا للتأقلم مع التغيرات بالاسلحة التاريخ العسكري غني بالامثلة عن جيوش حاولت تطبيق عقائد بائدة مما قادها الى نتائج مفجعة في ساحة القتال التجربة النهائية المثلى والاهم . ان عامل التركة الثقافية اذن يجب ان تدخل في كل دراسة التاريخ العسكري .

كفئة اجتماعية اتخذت الجيوش على عاتقها تنفيذ مهمتها الاساسية أي القتال . ولكن كمؤسسة فيجب اعتبار الجيوش كقوة اجتماعية في زمن السلم . وجيشنا نحن مثاله مثل جيوش باقي الدول لعب دورا هاما في بلادنا في زمن السلم . اذ منذ البداية ساهم جيشنا بنشاط في تأسيس بلادنا وفي رفاهيتها وتطورها بحراسة لحدودها . وقد ساهم مرارا في مجال الطب والصحة والاشراف على الهجرة الطوعية والنقل والمواصلات والاعمال الهندسية . هذا الدور المنسي احيانا قد يصبح ذي اهمية في الفترات اللاحقة . والى جانب دوره الداخلي قام جيشنا بلعب دور جزئي (ساهم) في رفع مستوى النشاط الاجتماعي لبعض الفئات المحرومة من الشعب . في الاربعينات والخمسينات

من القرن الماضي مثلا كان بامكان المهاجرين الاوربيين صعود السلم باستخدامهم الجيش كنقطة انطلاق نوع من الانصهار في المجتمع الاميركي . في الخمسينات والستينات من القرن الحالي تكررت نفس الظاهرة بالنسبة للزنوج في الجيش . لقد قاد الجيش فعلا المجتمع الاميركي لتقبل الزنوج . وعلى الرغم من المشاكل التي تعرض لها في هذا المجال اعتبرت القوات المسلحة في هذا الصدد في طليعة المجتمع الاميركي . وبالمناسبة فان أحد التلاميذ المشهورين في هـذه المرحلة من التاريخ العسكري البروفسور راسل ويغلي ينظر الى الجيش الاميركي كاطار للعناصر المهنية . انه يرى ان تطور تلك القوات المسلحة كتاريخ لمؤسسة ذات وجهين : جيش نظامي لجنود محترفين وجيش شعبي مؤلفا من العناصر المعروفة عادة بالميليشيا . وان الجمع بين النوعين هو الذي يؤدي الى قيام مؤسسة فريدة هي الجيش الاميركي .

علينا ان نعترف بأن كل جيل يعيد كتابة التاريخ ، انه ينظر الى الماضي ليستلهم منه ، وليكسب العقلانية ويجد احتمالات بديلة للعمل . ان المشاكل في كل جيل تحدد كما يتألف تاريخه . وما هي المواضيع الذي على المؤرخ التعرض لها . في بلادنا نجد مزيج من العوامل التي ادت عبر تاريخنا الى لعب دور زاد من اهمية العامل العسكري . لا شك انه بعد ولادة الثورة الاميركية كان هناك اهتمام اكبر بالتساؤل عما اذا كنا سنستمر في الحياة كأمة . ولكن خلال معظم سني القرن التاسع عشر تمتعنا بفوائد ما سمي « بالامن الحر » . استفدنا من وجود الاسطول البريطاني في الاطلسي وبانعزالنا الجغرافي عن احداث اوروبا . كان تجاورنا جيران ضعفاء على كلا الحدود شمالا وجنوبا . لذلك استطعنا تطوير وضعنا الداخلي دون ان نفكر بالعامل العسكري . توخيا للدقة اقول انه كانت هناك حروب في القرن التاسع عشر ولكن باستثناء الحرب الاهلية كانت هناك احداث صغيرة نسبيا غير تاريخ الامة بصورة عامة . هـذا الانعزال بالاضافة الى التقاليد الليبرالية ادت الى تدعيم الشعور بأن العامل العسكري ليس هاما جدا بالنسبة للاميركيين . وقد اوضح الباحثون ذلك وكانوا انعكاسا له . حتى في العصور الحديثة هناك اصرار على هذا الميل مثلا

حتى يومنا هذا وفي عدة مؤسسات هناك ميل للاقلال من اهمية العامل العسكري. ولكن جرى تبدل كبير على وجهة النظر الاميركية فيما يتعلق بأمنها القومي .

جورج كينان الخبير بالعلاقات الاميركية ـ السوفياتية كتب ببراعة عن تزايد الشعور بالخوف على الامن في صفوف الرأي العام الاميركي في عصرنا هذا . اذن دولة شعرت في مطلع القرن العشرين بانها آمنة جدا ولا علاقة لها بالتهديدات والاخطار الخارجية ، كما قال ، فانها في منتصف القرن بدأت تشعر بالقلق واظهرت اهتماما باسس امنها القومي . وللمرة الاولى منذ ولادتها اصبح البقاء القومي موضوعا للاهتمام بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية . ونتيجة لذلك بدأ الاميركيون ينظرون بشكل جديد الى تاريخهم العسكري وماضيهم العسكري وزاد الاهتمام في العامل العسكري رغم استمرارية العديد من القطاعات بشعورها المعادي للعسكرية وميلها للاحتلال من اهمية العامل العسكري في تاريخنا .

ومع هذا التحول ظهر تبدل كبير خاصة منذ الحرب العالمية الثانية في محتوى التاريخ العسكري تحول من « الطبل والمزمار » مدرسة الطبل والزمر التي تهتم بالمعارك والعمليات الى المدرسة « ايكلوجية » المتعممة التي تهتم بوضع العمليات الحربية في محيطها الصحيح السياسي والاقتصادي والاجتماعي مع تفصيل بالنواحي العسكرية وتأثيرها العميق على المجتمع الاميركي .

لا ريب بأنه يمكن تطبيق هذه الخبرة الاميركية على المجتمعات الاخرى في العالم المعاصر .

كنا حتى الان نتحدث عن مضمون وتكوين التاريخ العسكري ولكن التاريخ هو اشياء عديدة اخرى . انه ليس فقط دراسة الماضي وتسجيله ولكنه ايضا وسيلة للبحث انه وسيلة استخدمها الكتاب الكلاسيكيون حول الاستراتيجية مثلا منهم كلاوزفيتز جوميني وماهان من قبل المحللين الاستراتيجيين الجدد مثل ليدل هارت وفوللر وحتى من بعض الكتاب الاستراتيجيين العاديين المعاصرين الذين يسمون الاستراتيجيون العلميون أمثال هيرمن كاهن . وبعض المحللين المعاصرين مثل برنارد برودي الذي استفاد من التاريخ بشكل كبير وجيد .

بعض علماء السياسة يستفيدون منه بشكل افضل من سواهم . ولكن هذه الوسيلة التقليدية غابت في السنوات الاخيرة بسبب الاهتمام باساليب احدث مثل الابحاث العملياتية ، التحاليل النمطية المنهجية ، وتنظيم الميزانية . وهذا لا يتطلب اخذ اي شيء من وسائل البحث الاخرى . ولكن اذا نظرنا الى اعمال مثل هؤلاء الباحثين مثل صموئيل هانتنجتون احد امهر علمائنا السياسيين نجد انه عندما يصل الى تحليل العوامل العسكرية في المجتمع الاميركي يشعر بالحاجة الى الغوص في اعماق التاريخ ليستخرج امثلة واكتشاف الآثار واستغلالها . وفي حين لا يوافق جميع المؤرخين على هذا الاستخدام للتاريخ فانه مع ذلك استخداما فعالا ومثيرا .

والتاريخ ايضا ليس اداة بحث فقط بل هو ايضا مخبر للتجارب وللعلم الاجتماعي . علم الاجتماع ـ بالنسبة للرجل العسكري هذه ناحية هامة جدا لانه أثناء التدريب والتعلم فانه يحتاج الى اكتساب خبرة حربية عملية وقد يصادف خلال فترة خدمته مثلا واحدا فقط من خبرة الصراع المسلح . وقد قال بسمارك مرة انه يفض التعلم من خبراته الخاصة بل يفضل التعلم من خبرات الآخرين . وهو يعتقد ان المجانين فقط هم الذين يتعلمون من خبراتهم الخاصة والتاريخ بالنسبة للعسكري خاصة يمثل قاعدة واسعة مجموعة من الخبرات يمكنه الاخذ منها لتعلمه الخاص ومن ثم تطورها . وكمنبع للحكمة والالهام وسجل لاساليب تبادلية لسير الاحداث وللعمل ، يقدم التاريخ اهتمامات اكبر للعسكري لفائدته الشخصية والعامة .

ماذا يحاول المؤرخ ان يفعل ؟ يحاول المؤرخ اساسا اعادة بناء الماضي . ويعمل المؤرخ العسكري عادة مع اقرب احداث الماضي القريب ، عمل لا يرغب بالقيام به زملاءه الاكاديميون . ولكن المؤرخ العسكري وجد ان عليه التعامل مع الماضي القريب . المؤرخ يتعامل مع احداث الزمن ، والتبدلات الطارئة عليه ان يجد مشجبا يعلق عليه قبعة الزمن لذلك يستخدم التواريخ . عليه ان يتعامل مع سبل من المتغيرات (التبديل) انما عبر الزمن . كيف يقوم بذلك ؟ انه يستخدم الوثائق التي تدور حولها الاحداث ويتعامل ايضا مع المنابع الاساسية والثانوية .

المنابع الاساسية معاصرة للحدث قد تكون مفكرة رسالة او مذكرات كتبت انذاك او تقريرا كتب اثر عمل مباشرة . باستخدامه هذه المصادر الاساسية على المؤرخ ان يكون واثقا من وصوله بالنهاية الى الوقائع الراهنة مع الواقع التي تعطي اجوبة للمسائل التي يطرحها الان ويريد ايضاحا لها . احيانا تحتوي الوثائق الراهنة موادا ونواح لن تهتم بها مطلقا الاجيال القادمة او لا تعرهـا انتباه مثلا عامل الطقس (الاحوال الجوية) . اذا كان الموضوع هو تقرير فقد لا يتعرض الى موقف العدو اذ لا يملك وقائع . ولكن عندما يأتي احد الباحثين فيما بعد ويتمكن من الاطلاع على هذه الوثائق الموجودة لدى الطرف الآخـر من المرتفع الجانب المقابل يستطيع آنذاك ان يروي قصة الحدث كاملـة . وما يحاوله هو اعادة صياغة الحدث او رسم صورة جديدة دقيقة قدر الامكان لذلك الحدث . واثناء ذلك سيعرف اكثر مما كان لدى القائد انذاك . واثناء اعادة رسم وصياغة القصة سيستخدم بدون شك مصادر ثانوية واحـداث تافهة ثانوية كتبت بعد الحدث . الكتب مثلا التي كتبها الباحثون حول الثورة الاميركية تعتبر مصادر ثانوية .

خلال استخدامه لمصادره يطبق المؤرج قواعد الواقعية ويصبح حكما على هذا الواقع . واجبه اعادة صياغة الحدث ، ان يحصل على اكبر حجم ممكن من الوقائع المعبرة ولكنه ليس حكما او مدعيا عاما على المنفذين او على الذين كان لهم دور في الاحداث . انه حكم على الوقائع وهناك فرق كبير بين أن تكـون حكما على وقائع او حكما على اشخاص عاشوا هذه الوقائع .

في السنوات الاخيرة ظهرت تقنية جديدة يستخدمها المؤرخون العسكريون بنشاط ملحوظ . وهي استخدام التاريخ الشفهي يملؤوا الفراغات الموجودة في التاريخ المسجل . احد اكثر المظاهر ازعاجا في العمل في تاريخ الحرب العالمية الثانية على مستوى عال هو واجب سرد قضية عمل ما منذ ان بدأ مخطط الجيش في شعبة العمليات الاركان العامة مقتنعا بفكرة الخطة حتى عبر مستوى الاركان المشتركة الى مستوى رؤساء الاركان وحتى الى مستوى المؤتمرات الدولية . ولكن عندما يصل العمل الى مستوى الرئيس ليتخذ القرار قد يكون رفع سماعة

الهاتف وطلب مسؤولا كبيرا وعند ذلك لا يوجد اي وثيقة توضح ذلك او ما قيل. وبذلك يفقد الحلقة في مكان ما بجوار البيت الابيض . احيانا يمكن للرواية او التاريخ الشفهي ان يملىء مثل هذه الثغرة .

لقد وضع حاليا برنامج لكتابة تاريخ شفهي يساهم فيه القادة الرئيسيون الكبار ، يشترك ويدار من قبل مجموعة بحث التاريخ العسكري بالتعاون مع الاكاديمية الحربية وهذا المهاج سيسمح بملء جزء هام من الفراغ الحاصل فيالوثائق الرسمية خلال السنوات التي اعقبت فترة الحرب العالمية الثانية .

وعلينا ان نذكر ان المؤرخ عليه ان يختار بين الوقائق حتى لو كان لديه كافة الحقائق وحاول طرح كافة هذه الحقائق امامكم لكانت اشبه بمزيج فوضوي غير مفهوم . ولكن الواقع والامكانيات لن تضع بين يديه مطلقا كافة الوقائع . فالوثائق عادة لا تتضمن كل شيء واذا كان يستفيد من شهادات شفهية فان المؤرخ يتعامل مع ذاكرة انسانية قابلة للخطأ . وفي مرحلة الانتقاء فانه يقدر ويفسر وهنا يبرز الجزء الفني والمهارة بالعمل كيف يقوم بالانتقاء ؟ عليه ان يطرح الاسئلة . كارل بيكر احد اشهر المؤرخين الاميركيين في العصور الحديثة يقول انك بامكانك معرفة المؤرخ الجيد من الاسئلة التي يطرحها على الوقائع . هناك بعض الاساليب العملية التي يمكن استخدامها ؟ مثلا ما هو المفيد للرجل العملي ورجل الفكر ان يعرفه حول عمل معين ؟ وتستخرج الاسئلة من الخبرة الشخصية للمؤرخ ، قراءاته تدريبه ، وهكذا ، بصورة اساسية ، ان ما يفصله المؤرخ هو محاولة استخراج النظام من الفوضى . انه يحاول وضع هيكلا واظهار العلاقة المتبادلة . احيانا تكون الصورة الناتجة من ذلك كثيرة التنظيم واصطناعية . وعلى القارىء ان يكون حذرا جدا .

يعرف المؤرخ انه يتعامل مع ظاهرة مزيدة . لا يوجد فيها حدثين متشابهين تماما . ومن المهم جدا ان تكون هذه الناحية واضحة . انتم تعرفون على الارجح المثل القديم القائل بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، ولكن المؤرخين يكررون بعضهم البعض . هناك العديد من الاساطير التي اصبحت ابدية في التاريخ . مثلا احدى الاساطير التي استغلت مؤخرا مفادها ان تيودور روزفلت كان المسؤول الاول

بسبب اعطائه امرا للاسطول بالتوجه نحو الفيلبين عند اندلاع الحرب الاميركية الاسبانية اذ صدف ان كان موجودا في مكتب وزير البحرية وكان هذا الاخير غائبا في احد الايام فاتخذ بنفسه هذا القرار المصيري . ونحن نعلم الآن لديها خططا جاهزة منذ سنوات قبل الحادث وسواء اكان روزفلت موجود في مكتب وزير البحرية ام لم يكن في ذلك اليوم فلن يكون هناك اي فرق . اذ ان الخطة كانت ستوضع موضع التنفيذ . ومع ذلك فان العديد من الكتب التدريسية في التاريخ الاميركي تكرر هذه الاسطورة . ولا تصحح هذه الاساطير ومثيلاتها الا تدريجيا . ويمكن تعداد امثلة عدة مشابهة . المؤرخ المحترف متفهم ان القارىء يدرس لا ما يحدث حاليا بل ما يقول المؤرخون انه حدث . ويدخل عامل بين الحدث والرواية عنه وهو الباحث الذي يقوم بالعمل .

لنأخذ مثلا دراسة ميشيل هوارد حول « استخدام واستغلال التاريخ العسكري » . ميشيل هوارد هو احد المؤرخين العسكريين البريطانيين الطليعيين الذي عمل في وضع سلسلة من الدراسة الرسمية البريطانية حول الاستراتيجية الكبرى في الحرب العالمية الثانية وكان لعدة سنوات مدرسا للدراسات الحربية في جامعة لندن قبل ان يصبح زميلا دفاعيا في اوكسفورد في دراسة المنوه عنها اعلاه يلفت انتباهنا الى ثلاثة عوامل مفيدة لنا مفيد لنا حفظها في دراسة واستخدام التاريخ العسكري . الاول هو مسألة اتساع افق الدراسة ومن ثم القدرة على الاستشفاف ، اي انه كلما قرأنا التاريخ وخاصة التاريخ العسكري من المهم جدا ان نقرأه بشكل عميق . والشعور بالاستمرارية والانقطاع . ان نتفهم ما يبدو انه باق على ما هو ؟ وماذا حصل من تبديل ؟ دراسة مبادىء الحرب مثلا بشعور من التبدل من فترة الى اخرى ثم مقارنة الشروط التي احاطت بظرف ما ومقارنتها بالظرف الآخر . يذكر هاورد مثال محاولة تطبيق الاساليب النابوليونية على الحرب العالمية الاولى كاستخدام فات زمنه للعقيدة الذي كان بالامكان تجنبه لو قرأنا التاريخ . وذكر ايضا عامل « العمق » وفي هذا المجال كان في ذهنه الحاجة الى التوغل الى ما وراء النمط المنظم للحدث او للعمل كما نقرأه في كتب التاريخ . هذه الاسهم الصغيرة الدقيقة التي تبدد وكأنها تظهر لنا كيف ان كل شيء كان منطبقا على ساحة القتال

هي في معظم الاحيان عروض اصطناعية ان ما يبدو وكأنه قرار محسوب من قبل القائد يتضح انه كان كل شيء عدا ذلك عندما ننظر الى الوقائع ككل . اذا نظرتم الى التقارير التي اعقبت العمل ، المذكرات المفكرات وسواها يتضح ان القرار كان غالبا نوع من الالهام ، ومسالة خط عليكم النظر الى الاحداث التاريخيـة بعمق . انظروا الى كافة انواع الوقائع ثم قارنوا الحدث مـع ما اعاد المؤرخ صياغتـه .

ثالثا يقول هاورد حول العامل الثالث وهو « المحتوى » وبه يقول ان الاحداث التاريخية يجب ان توضع في محيطها الصحيح . ويقول كونوا حذرين من التشابه ـ وبالطبع المؤرخون عادة يشكون في كل تشابه . انهم يشكون جدا في الفكرة القائلة ان المبادىء الثابتة هي التي تقود التاريخ وهم ينصحون كمـا نصحنا هاورد بعدم الصاق بجورج واشنطن مثلا مبادىء يمكن اكتسابهـا فقط بقراءة كلاوزفيتز او لاجل ذلك عبر دورة في كلية الحرب . لا تأخذوا الشيء خارج محيطه . اعكسوا التطورات على قاعدة الزمن التي حدثت فيه .

في الوقت الذي يدرس فيه المؤرخون الحروب خاصة الحروب الحديثـة فانهم يقفون اكثر فاكثر انه اذا كان الطالب يهتم بما كان يجري في ساحة القتال فانه يرى فقط ذروة الجبل الجليدي . وفي الغاب النجاح او الفشل . فـي ساحة القتال يحسب تبعا للارادة والقوة التي يتمتع به المجتمع الداخلي ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا الخ . لنأخذ حالة اليابان التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية في عدة معارك ولكنها لم تتمكن من ربح الحرب . الفرق بين تعبئة قوى الولايات المتحدة وقوى اليابان تساعدنا في حساب النتيجة . اذا القيتم نظرة على ساحة القتال نفسها فأنكم ستخسرون قسما كبيرا من القصة . وهكذا فان مسألة المحيط والمحتوى هي هامة جدا لوضع الاحداث التاريخية في اطارها الصحيح .

غالبا ما يعمل المؤرخ العسكري مع التاريخ الجاري وبالطبع ان نهايـة وتألق التاريخ المعاصر هو محاولة اكتشاف التيار . وعندما يعمل المؤرخ بهـذا القرب من احداث زمنه فمن الصعوبة بمكان احيانا معرفة ما هو هام . وما

هو ليس كذلك ومحاولة استدعاء كل مباداته ومصادره . وغالبا ما يكون عليه تعميم التقارير التسجيلات وتسجيل الاحداث والمشاعر والانطباعات المعاصرة لها بحسب تطورها واذا لم يفصلوا ذلك تاهوا الى الابد . هذا هو نسبيا الدور الجديد الذي يلعبه المؤرخ كما انه احد التطورات الجديدة في حقل التاريخ العسكري المعاصر .

اسمحوا لي الآن ان اتحول الى موضوع آخر ذي اهمية كبرى — ما هي اهمية التاريخ العسكري للقوات المسلحة في السبعينات من هذا القرن ؟ مما لا شك فيه ان حاجة القوات المسلحة الى التاريخ العسكري تتزايد وستستمر بالتزايد بشكل لا يتناسب مع الميزانية المختصرة المخصصة لهذا المجال . ستكون هناك حاجة لمتابعة الخبرات وتشكيلة كبيرة من التورط الجديد في القتال الحرب العالمية الثانية ، كوريا فييتنام . وكما ان الضباط لم تتح لهم فرصة التقاط انفاسهم في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية كذلك لم تتح للمؤرخين كذلك ايضا . وبالطبع ان الدراسات التاريخية على ضوء تورطنا في فييتنام ليست فقط البداية والاسلوب الحالي لادارة الصراع بل البقاء خارج الصراع ، ستكون مواضيع هامة لضباط المستقبل . كل هذا يمكن تعلمه عن التكتيك والاستراتيجية والعلاقات المدنية العسكرية وعدم التورط ، فك الاشتباك ، فك الارتباط ستكون لها اهميتها .

ويبقى خاصة موضوع كيفية انتهاء الحروب . لدينا عدة دراسات في التاريخ العسكري متعلقة بالاسباب وسير الاحداث ونتائج العمليات الحربية . ونحن نعرف الكثير حول جذور واسباب الحروب وحول الاسلوب الذي جرت وفقه المعارك (وكيف خاضتها الجيوش) . ونعرف القليل ولا يوجد الا القليل من الكتابات الجيدة حول مسألة كيف تخرج الامم من الحروب . ان هذا احد المواضيع التي علل الجيل الحالي التعامل معها .

بالطبع لم نصادف مصاعب في الخروج من الحرب كما نصادف في تجربتنا الحديثة . ومن جديد هذا دليل حول كيف ان مشاكل الايام الحالية تجعل المؤرخ ينظر الى الوراء نحو الخبرات السابقة ليحاول ملء السجل . كان

علماء السياسة نوعا ما اكثر تنبها من المؤرخين وقد بدأوا بالتعمق داخل هـذا المجال . مثلا البروفسور ويليم فوكس مدير معهد دراسات الحرب والسلم في جامعة كولومبيا الذي احسن استخدام التاريخ وقد كتب مؤخرا دراسة رائعة حول كيفية انتهاء الحروب . ان هذا مجال لاهتمام المؤرخين والعسكريين اكثر فاكثـــر .

لقد مرت على المهنة العسكرية تبدلات عدة منذ نهاية الحرب العالميـة الثانية . وعلى الرجل العسكري الا يكون فقط مقاتل في المعارك ولكنه عليـه ايضا ان يكون مدير برامج ايضا . هذه المهام تدفع الى الامام بالادوار التاريخية في المجتمع الاميركي للرجل العسكري ليس فقط كمقاتل انما ايضا كداعية للصالح العام والاستقرار الداخلي . في الفترة القادمة فترة الميزانيات المقترة فـان الصورة المتوازنة للادوار التاريخية للضابط في اميركا في المجتمع الاميركي ستقدم من قبل الجيش اذا كان سيستمع الى المجتمع الاميركي . بالطبع هذا يثير من جديد المسألة برمتها مسألة موقف المجتمع الاميركي تجاه العسكري .

عبر تاريخنا كان هذا الموقف تأرجحا . وسيدفع الرجال العسكريين الى النظر وراءه الى الفترات الماضية وبعيدا عن الحروب لرؤية المواقف التي كانت تتخذها المجتمعات وكيف كان رد فعل الجيش عليها . هذا موضوع هام ، مثلا ، موضوع سرعان ما سيواجه العسكري مسألة فيما اذا كان بعد الصراع الحالي سيتحول الى احتراف ضيق او واسع المدى . هذه المشكلة لها ما يوازيهـا في خبرتنا السابقة . المشكلة كلها حول ماذا حدث للعسكري عندما خاض حروبـا غير شعبية هو موضوع هام حاليا على كامل المؤسسة العسكرية ان تتعامـل معه . المهم ان المؤرخ يصل الى الماضي عبر مشاكل الحاضر ولكل جيل مشاكله الخاصة . وما يحاوله المؤرخ هو اكتساب الحكمة من الماضي . بعض العوامـل التي تؤثر على الجيش اليوم لها توابع وسوابق وهذه ستكون العوامل الخاصـة على المؤرخ العسكري ان يتعامل معها .

رغم تفاوت نظرة القادة الكبار سلبا وايجابا حول العسكري عن قيمـة التاريخ كأمة من العاملين الاميركيين كان تقليديا قليل تحمل الماضي . عندمـا

نلقي نظرة الى كتابات وولتر ميليز الذي كان باحثا عسكريا ذي شهرة معتبرة ستلاحظون ان رد فعله الاول تجاه عصر الذرة القادم كان ان كافة التاريخ العسكري السابق يمكن قذفه من النافذة . كل شيء في هذا المجال قبل عام ١٩٥٠ كان جزءا من ماض مات . كان هذا اول رد فعل من قبل كاتب له مؤلفات ودراسات هامة حول الخبرة العسكرية . كان هذا بلا شك رد فعل متسرع من قبله ، وهو المحلل الجيد وهناك ردود فعل دقيقة فيما يتعلق بخبرة هذه البلاد وسواها في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هي نظرة ريمون آدون احد المحللين الفرنسيين الطليعيين في مجال المسائل العسكرية . وفكرة آرون انه تحت المظلة النووية تعدد الحروب الى اشكال اكثر بدائية كما في السابق . اذا نظرتم الى ما حدث في الفترة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يعكس بدقة اكبر تأويل ارون اكثر من تأويل ميليز .

وبالطبع كان هناك انعاش للاهتمام بمثل هذه الاحداث مثل انتفاضة الفليبين ، حيث تورطنا بعد الحرب الاميركية الاسبانية . نحن بحاجة الى دراسات اكثر حول الحروب المحدودة والحروب المضادة للثورات ليس فقط فيما يتعلق ببلدنا فقط بل بباقي الدول ايضا .

هناك سبب آخر لازدياد اهتمام الجيش بالتاريخ العسكري وهو عامل مقارن الذي بدأ يصبح اكثر واكثر اهمية . كنا نعيش في الفترة منذ ١٩٤٨ في عصر من التعبئة الطويلة الامد لا شبه لها في التاريخ الاميركي السابق . انه اقرب الى ما كان يجري في اوروبا في الفترة بين ١٨٧٠ و ١٩١٤ . نحن بحاجة الى مزيد من الدراسات حول الجيوش الاوروبية والاسيوية . كنا نتعامل معها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل اشد كثافة مما جرى في تاريخنا السابق . ومع ذلك كان هناك قليل جدا من الدراسات المقارنة الجيدة حول اساليب الخدمة الالزامية بين دولة واخرى وحول استخدام الجيوش المتطوعة الاختيارية حيث استخدمت من قبل دول اخرى . وجدت دراسات جيدة مقارنة ولكنها قليلة جدا ونحن بحاجة لمزيد منها . نحن بحاجة مثلا حول الخبرة الاوروبية مع المساعدة العسكرية والنصيحة . في حين كانت الجيوش الاوروبية متورطة

في هذا المجال نحن نعرف القليل حول تطبيقاتها ونتائجها . وبما ان نشاطاتنا تستوعب دورناكورثة للعديد من المسؤوليات البريطانية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية نحن بحاجة لمعرفة هذا النوع من الخبرة . لم تكن متوفرة لدينا من خبرتنا الخاصة السابقة وعلينا استخلاصها من خبرات الجيوش الاخرى . وعلى المقولة القديمة « اعرف عدوك » من المفيد اضافة مقولة اخرى « اعرف حليفك » علينا ان نعرف اكثر حول اكثر من اربعين حليفا علينا ان نتعامل معهم في هذه الفترة الحديثة .

وهناك ايضا سبب آخر لتعاظم الحاجة الى التاريخ العسكري هو اتساع افق المواضيع العسكرية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وسيجد الرجال العسكريون انفسهم مضطرين لتعامل مع مجالات واسعة من مسائل الامن القومي الاستراتيجية العسكرية والسياسة العسكرية التي كانت مجال اهتمام الباحثين خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ومع ذلك نجد ان القليل من الدورات الاكاديمية قد شملت هذه المواضيع وهي ضرورية خاصة للرجال المسؤولين عن وضع استراتيجية تضمن مصالحنا القومية وامتنا .

اما فيما يتعلق بمسائل الردع او مسائل التدخل بمختلف حالاته مع استخدام القوة ضمن الاطار العام للعوامل السياسية والعسكرية فهذه هي المجالات التي سيجد خريجو كلية الحرب العليا انفسهم متورطين بها كثيراً . ومع ذلك تاريخيا اذا نظرتم الى استخدام التاريخ العسكري في المؤسسات العسكرية فانكم تجدون ان هذه الاستفادة تمت على المستويات الدنيا . فقد ادخلت في مفاهم روتس وفي ويست بوينت حيث استفيد منها في التدريب التكتيكي او في مجال الاطلاع العام . في الفترة القادمة سنحتاج الى التاريخ العسكري اكثر فأكثر على مستوى ضباط الميدان الذين سيحتاجون الى استخلاص الحكمة وكمنبع للالهام او معطيات متنوعة وتبادلية لاعمال مختلفة وذلك بالاطلاع على الخبرات السابقة في هذه البلاد او سواها .

يضاف الى ذلك عامل اضافي . لا يوجد لدينا في الواقع عمل جيد في مجال الاستراتيجية او تاريخ الاستراتيجية حول الخبرة الاستراتيجية حتى من

خبرات بلادنا نحن . أن الخبرة الاميركية في مجال الاستراتيجية كانت عامة ومع ذلك الدينا بعض المفكرين القلائل حول الاستراتيجية . وقد استعرنا الكثير من الخارج . ليس لدينا حتى الآن احصاء لما اقتبسناه ليس لدينا حساب دقيق وجيد حول الفواصل الزمنية بين الحروب ليس لدينا حساب جيد للفروق الكائنة بين النظريات الاستراتيجية وتطبيقاتها ، النظريات التي تدخل الامم بها الحروب وما يحدث لهذه النظريات بتأثير هذه الحروب نفسها عمليا . نحن بحاجة الى اعمال كثيرة في هذا المجال وهذه الحاجة ستزداد اهمية للجيل الجديد من المحترفين العسكريين والمدنيين .

الباحثون التقليديون اهتموا في النواحي العسكرية في الفترة منذ الحرب العالمية الثانية . وقد شاهدنا بروز « مفكرو الدفاع » . ولكن في الظروف الراهنة في مؤسسات مختلفة في هذه البلاد ، ان تقوم بأبحاث حول النواحي العسكرية اصبح اقل شعبية شيئا فشيئا وعلى العسكري ان يطور مفكريه الخاصين في الفترة القادمة . والتاريخ يقدم وسيلة رائعة مثالية لهذا العمل وسيلة للتدريب على هذا العمل .

أبعد من ذلك لقد اصبح الرأي العام الاميركي مهتما اكثر فأكثر وواع لحاجتنا الى عمل شيء ما حول دور الاقليات . وكان هذا عصر التطلعات المتزايدة من قبل مجموعات الاقليات . والجيش بحاجة الى مزيد من الدراسات حول تشكيل الجيوش . وما هي خبرة جيوش الدول المتطورة البيضاء في بلاد البيض التي تضم مزيج من الفئات المختلفة الاعراق ؟ لدينا قليل جدا من الدراسات الجيدة حول دور السود في جيشنا . وليس لدينا عمليا حول دور الاميركان الاسبانيين والشرقيين وقليل جدا عن الاميركيين من اصل فيليبيني كل هذه الدراسات مطروحة امام الجيل الجديد .

ان ما اقترحه ليس الانقياد الاعمى نحو الماضي او بالماضي . ان دروس الماضي تكون عادة اوضح من الناحية السلبية توجيه افضل نحو ما يجب عمله او تجنبه . ولكننا نجهل ماضينا وبشكل اكبر ماضي الشعوب الاخرى وذلك على حساب أمننا . وان توصية سانتيان ان الذين يجهلون الماضي هم معرضون لارتكاب نفس الاخطاء لا تجد مجالا افضل لها من مجال التاريخ العسكري .

ولكن عليكم قراءة وتفسير الماضي بكامل عرضه وعمقه ومضمونه كما قال ميشيل هوارد ولا يمكن لضابط ان يعرف اي طريق يسلك في المستقبل الا اذا كان يعرف ما هي الطرق التي جربها جيشه او الجيوش الاخرى في الماضي .

دعوني انتقل الآن وباختصار الى مراجعة الميول في التاريخ الرسمي وفي المجال الاكاديمي لنرى ما هي التدابير التي اتخذت لتلبي حاجات هذا الجيل في موضوع التاريخ العسكري . أولا تعالوا نلقي نظرة على وضع التاريخ العسكري الرسمي . لا يوجد ادارة مركزية تاريخي في الحكومة الفيدرالية . بعض الادارات وليس كلها لديها مكاتب تاريخية وهي تسلك طريقها الخاص وتعمل بشكل مستقل تماما . وزارة الدفاع هي اكبر مستخدم ومستفيد من المؤرخين المدنيين في الحكومة الفيدرالية والجيش البري ، والقوى الجوية والقوى البحرية والاركان المشتركة ومكتب وزير الدفاع والبحرية لديها فروع تاريخية .

لدى القوا تالبرية اكبر مركز للدراسات التاريخية في واشنطن يعرف باسم « مكتب مدير التاريخ العسكري » (حاليا مركز التاريخ العسكري) هذا المكتب لديه اشراف مباشر على مجموعة الابحاث التاريخية العسكرية في كارلايل باراكس (معسكر كارلايل) . وهو في الواقع مركز متقدم ومتطور باباس بيروقراطي . وقد انطلق بشكاله الحالي من الحرب العالمية الثانية عندما اتصل عدد من رجال الدولة الكبار العاملين في مجموعة « اتحاد التاريخ الاميركي » بالرئيس فرانكلين روزفلت ، وطلبوا تسجيل ما اعتبروه خبرة وطنية كبيرة . وقد نصت رسالة روزفلت المؤرخة ٤ اذار ١٩٤٢ على تشكيل لجان تنفيذية لوضع نظام واتخاذ التدابير لحفظ الوثائق وتسجيل خبرتهم الادارية خلال فترة الحرب . نتيجة لذلك انتخب عدد من الضباط وبعض الرجال العاملين في حقل التاريخ للعمل لصالح الجيش . وبالصدف لم يسمح روزفلت لاحد المؤرخين بالعمل في البيت الابيض مما ادى الى وجود تغيرات كبيرة وقد تلقى التاريخ العسكري الرسمي للجيش دفعة جديدة من قبل الجنرال دوايت ايزنهاور عندما كان رئيسا لهيئة الاركان . ففي التوجيه الذي اصدره بعد ٢٠

تشرين ثاني ١٩٤٧ وضع نموذجا ما زال متبعا حتى الآن . كان يريد ان يسمح لكافة المؤرخين العاملين مع الجيش بصلاحية الاطلاع على كافة الوثائق ، ولا تكون هناك حواجز تمنع من رواية الاحداث بصورة واقعية . وكان على المؤرخين ان تتبعوا افضل الاساليب للبحوث التي تمنحهم امكانية تقديم تاريخا دقيقا ، وكان هذا الجهد المشترك من قبل هذين القائدين منح الجيش هذا الموقع المسيطر في حقل التاريخ العسكري الرسمي .

لكي نقوّم وضع التاريخ الرسمي للجيش علينا تقدير آثاره على الجيش الاميركي (في الحرب العالمية الثانية) في سلسلة الحرب العالمية الثانية ، لقد نشر حتى الآن سبعون مجلدا وسيصل عدد هذه المجموعة الى ثمان وسبعين عند انتهائها قريبا . هذه المجموعة هي اوسع عمل تعاوني تاريخي نفذ حتى الآن في الولايات المتحدة الاميركية مما منح للتاريخ العسكري الرسمي لهذه البلاد موقعا محترما . وحتى الحرب العالمية الثانية كان الجيش الذي كان يقوم بعمل تاريخي منذ الحرب الاهلية قد ركز عمله على التاريخ الوثائقي « التقارير الرسمية » حول حرب العصيان مثلا نشر من قبل الجيش في اواخر القرن التاسع عشر. في نهاية الحرب العالمية الاولى عندما كانت ادارة التاريخ موجودة في هيئة الاركان العامة اتصل الضباط المؤرخون بالسيد نيوتن بيكر وزير الحربية وعرضوا فكرة كتابة تاريخ مروي ، حول الصراع ضمن مجموعة من الافراد . ولكن بيكر رفض الاقتراح قائلا انه لا يرى ان من مهام الجيش كتابة تاريخ روائي لان المحتويات قد تنقلب الى مسائل سياسية مما قد يزج الجيش ببعض المشاكل . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان الجيش يفتقر الى معلومات حول خبرته في الحرب العالمية الاولى صمم على عدم الوقوع بخطأ مماثل . وبغية وضع الاجزاء المتضمنة احاديث وتفسيرات خبرة الحرب العالمية الثانية استخدم عدد كبير من المؤرخين المحترفين الذين كانوا عسكريين في الحرب العالمية الثانية في واشنطن بعد هذه الحرب مباشرة .

انتقد البروفسور بيتر باريت التاريخ الرسمي على أساس انه تقليدي جدا . ومع ذلك فانه باستخدامه الاسلوب الروائي فان المؤرخين الرسميين قد طبقوا الاساليب الدراسية المقبولة بالنسبة لتاريخ رسمي . كما ان سلسلة

تاريخ الجيش الاميركي في الحرب العالمية الثانية قد اعطت دفعا للتاريخ المعاصر الذي يعتبر تطورا حديثا في المكتبة التاريخية الاميركية . وان التاريخ الرسمي كونه عمل به باتصال وثيق مع الاحداث وابرازه الوقائع والاحصائيات التي صمدت حتى الآن تجاه كافة الانتقادات ، يعتبر قادرا على دفع دراسة التاريخ المعاصر في الولايات المتحدة الاميركية . وهو في الطليعة بالنسبة لتاريخ الشفهي . فقد اجريت اعداد هائلة من المقابلات مع الجنود القادمين عبر الباسيفيك . كما ضم معلومات الجنرالات الالمان العاملين على مسرح العمليات الاوروبي بعد الحرب العالمية الثانية ليقصوا ما لديهم حول الاعمال التي شاركوا فيها مما شكل معاكس المعلومات والمذكرات الحقيقية . هذه الاساليب تعطي دفعا قويا للتاريخ الشفهي وقد استفاد التاريخ العسكري من هذا الاسلوب منذ ذلك الحين .

ان منهاج التاريخ الرسمي قد استفاد من افضل التقنيات في العالم الاكاديمي ويسعى لتطوير تقنيات جديدة ليتلاءم مع متطلبات الدراسة . قدم التاريخ الرسمي اسماء طليعية ليس فقط في التاريخ العسكري انما ايضا في الاشكال الاخرى من التاريخ الاكاديمي . الباحثون أمثال جيمس ماك غربغوار بورز وفورست بوغ ولويس مورتون وهاري كولز في فترة او اخرى عملوا في التاريخ الرسمي ونضجوا خلال عملهم فيه . وعلى المرء ان يذكر انه لم يكن هناك مدرسة للتاريخ العسكري في الولايات المتحدة الاميركية قبل الحرب العالمية الثانية . ونوعا ما أنشئت هذه المدرسة في مكتب مدير التاريخ العسكري وكان لها تأثير ملحوظ بصورة عامة . ان الكتب الرسمية حول الحرب العالمية الثانية هي اساسا مصادر جيدة كمراجع كما ان الهوامش الموضوعة فيه تعتبر دليلا جيدا لمنابع ومصادر معلوماته . وهناك عدد كبير من الابحاث والكتب الشعبية حول الحرب العالمية الثانية التي تزداد انطلاقا من ابحاث لاحقة مبنية على اساس هذه المصادر .

ان التبديل في مادة التاريخ العسكري ومحتواه اي انه منطلق من « الطبل والزمر » ومدرستها الى المدرسة المنهجية فأصبح حتى في سلسلة المؤلفات الرسمية للحرب العالمية الثانية في كتب مثل « القوات المسلحة والقدرة

البشرية الصناعيــة » او « القــوات المسلحة والتعبئــة الاقتصادية » حــول الاستراتيجية والخدمة التقنية الموجودة في مجلدات خاصة وهي تعالج الاحداث في ساحة العمليات بشكل عام وبسيط . وانعكاساتها على المجتمع الاميركي . ومع تدني الاهتمام بمجلدات الحرب العالمية الثانية فان هذا التعميم مستمر خلال المذكرات والدراسات الحالية الصادرة عن OCMH (المركز الرسمي للتاريخ العسكري) هذا المركز يلبي حاجات الاركان وحاجات المدارس . ويمكن ان يصبح مصدرا لتوسيع اهتمام الجيش ليشمل ازمة برلين او احداث لبنان .

ويمتد الشمول لينعكس على سلسلة قد صدرت فعلا وهي سلسلة تاريخ الجيش وان التاريخ العسكري الاميركي هو جزء من هذه السلسلة ككتاب حول الادارة منذ الحرب الثورة الاميركية وحتى كوريا . وستكبر هذه السلسلة مع الزمن . ان سلسلة الحرب الكورية التي نتجاوزها احيانا كانت موضــع دراسة قيمة من قبل والتر هرمز حول « خيمة السلام وجهة القتال » الذي يتعرض فيه الى العمل المتبادل بين ساحة القتال وطاولة المفاوضات وهو أحد الكتب القليلة المتوفرة حول حول خبرتنا في التعامل معالعالم الشيوعيفيالصراعات التي نسعى الى القضاء عليها وانهائها . وهناك دراسة ممتعة اخرى قد يكون كسابقة للمستقبل هي دراسة فوق المنصة ، حول « استيعاب الزنوج » في القوات المسلحة في الفترة منذ ١٩٤٥ الذي أضيف الى مخزن التاريخ العسكري وخطط ايضا لاصدار سلسلة حول حرب فيتنام الذي سيعالج اهتمامات الجيش في ساحة القتال .

بالاضافة الى ذلك هناك عدد من الدوافع الجديدة والمصادر في التاريخ العسكري الجاري تطويرها تحت اشراف الجيش . ان مجموعة مركز القوات المسلحة للتاريخ العسكري الاميركي في معسكرات كارلايل تمثل احد احدث التطورات ان هذه المؤسسة الجديدة تبشر بفوائد كبرى كمساعد لدراسة التاريخ العسكري في صنوف الاسلحة وفي الخدمة العسكرية وفي العالم الاكاديمي المدني كما انها تنظر الى الجانبين المدني والعسكري . هناك تطورات جديدة مثل انشاء درجة بروفسورية في التاريخ العسكري وان رئيس هيئة الاركان مهتم جدا

بانشاء مثل هذه الدرجة العلمية سواء في كارلايل او في ويست بوينت وستفتح في تموز عام ١٩٧٢ على اساس سنوي دوري . وقد وضعت على اساس مدة سنتين دراسيتين . وفي كارلايل يوجـد سبعون باحث جيد ضمن المجموعة وسيكون على اتصال وثيق بكلية الحرب العليا الموجودة عبر الشارع . هـذا التطور يعكس حس الاهتمام لدى الجيش نحو الحاجة الى دراسة جيدة ومعمقة للماضي . وفي ويست بوينت شكلت لجنة مؤلفة من ضباط يمثلون هـذه المؤسسة بالاضافة الى مكتبنا الخاص ووكالات اخرى لدراسة حاجات الجيش للتاريخ العسكري في الفترة اللاحقة . وهي مدعوة ايضا لان تشمل دراسة التاريخ العسكري على مختلف المستويات .

هناك تعميم آخر حول ما يعمله وما لا يعمله المركز الرسمي للتـاريخ العسكري انه لا يعمل ما يعتبر افضل عملا بالنسبة للخارج أي بكلمة اخرى اننا لا نرغب بأن نحصر عمله التاريخي بمجال محدد ولا اسلوب محدد . ان احدى المهام الاساسية لرئيس التاريخ العسكري هو دفع الدراسة والابحاث حـول التاريخ العسكري الى الامام سواء داخل او خارج المؤسسة العسكرية . اذا كان بامكان الباحثين الخارجين عن المركز يمكنهم القيام بعمل افضل فاننا نستفيد منهم بل ونشجعهم على ذلك . نحن نعمل اكثر على كشف ذروة الاحداث نظرا لاننا على مقربة من الوثائق الرسمية والرجال الرسميين فاننا في موقف فريد من حيث الاطار الخارجي .

دعوني الآن التحدث لحظة عن الميول الاكاديمية في مجال التاريخ العسكري من المهم جدا ان نعترف انه رغم الميول المعادية للعسكرية والمشاعر المعادية للمؤسسات في العالم الجامعي فان دورات التاريخ العسكري تتزايد قبل الحرب العالمية الثانية كانت هناك دورة واحدة تعقد في كامل البلاد حول التـاريخ العسكري وهي في جامعة شيكاغو . ويوجد حاليا على الاقل ١١٠ مؤسسة تقدم دورات متخصصة بنوع او آخر والتاريخ العسكري دون حساب الدورات التي يعقدها المركز الرسمي للتاريخ العسكري وهذا تطور هام والعدد في تزايد . ان عدد الابحاث المقدمة لدرجة البروفسورية في التاريخ العسكري قد تزايد ايضا حوالي عشرة بالمئة من البحوث في الاكاديميات التاريخية في السنوات

الاخيرة يعالج مواضيع عسكرية وهذا عدد كبير . المناقشات حول المواضيع العسكرية تجري حتى في الجامعات التي ليس لديها فرع للتاريخ العسكري .

وهناك العديد من المؤسسات التي تقوم حاليا بتطوير ملحوظ في برامج في هذا المجال مثلا ، جامعة ديوك التي تعتبر احدى المراكز الرائدة . لديها منهاج موسع وتخرج عددا من حملة الدكتوراه في هذا الحقل . البروفسور تيودور روب ريتشارد بريستون وايرمنغ هوللي يعملون في ديوك . هاري كولز المرتبط بمؤسسة ميرشون فوند لدراسة الامن القومي في اوهايو ستين . لويس مورتون في دارتسوت الذي ينشر سلسلة ماكميلان حول الحرب الاميركية . هاري ويليامز في لويزيانا ستيت . فرانك فانديفر في رايس . بيتر باريت في ستانفورد ، جون شاي في ميتشيغان ادوار كوفمان في فير كونسون ، راسل ويغلي في جامعة تامبل هؤلاء تامبل هؤلاء يؤلون روادا في هذا الحقل . وهناك ايضا كرسي للتاريخ العسكري في جامعة كنساس سيتي وهو نسبيا تطور جديد .

ان مجموعة التاريخ بنظري هي فعلا الذروة ونواة الاستقطاب في هذا المجال ان تأثير مكتب مدير التاريخ العسكري في هذا المجال في فترة ما بعد الحرب كان في حقل تصميم هذا الميل وزيادة الاهتمام بهذا المجال ووضع مقاييس . كان الامل ان يلتقوا العالم الجامعي هذا المجال ويساهم فيه . ويبدو ان هذا ما يحدث فعلا الآن ونحن مسرورون جدا لهذا التطور . في بعض المجالات يمكن لكلا الفرعين من المؤرخين العسكريين الرسميين والاكاديميين العمل بصورة مشتركة وبشكل متعاون . في حين ان مجالات اخرى تناسب اكثر المجال الدراسي الجامعي .

فيما يتعلق بالمذكرات . هناك صعوبة للمكتب الرسمي للتاريخ ان يعمل في مجال المذكرات خاصة فيما يتعلق بالاشخاص الاحياء في حين ان هذا سهل نسبيا في المحيط الجامعي خلال نقاش حول البرنامج السنوي للزملاء الاساتذة كنا نتعامل مع العالم الجامعي فنكلف احد الفائزين في السنة القادمة بوضع سيرة الجنرال جيمس فرانكلين بل رئيس هيئة الاركان بين ١٩٠٦ حتى ١٩١٠

الواقع اننا قليلا ما نعرف عن رؤساء الاركان القدامى هؤلاء في الفترة عندما بدأت البلاد تتطور لتصبح قوة عالمية . وبامكاننا وبصورة غير مباشرة دعم هذا النوع من الابحاث ولكنه بحث اضافي وتكميلي لبرامجنا اكثر منه جزء داخل فيه.

فيما يتعلق بالتأثير على المؤسسات العسكرية نحن نعرف من العمل الذي جرى في مكتبنا ان العالم التجاري قد أثر على تطور هيئة الاركان العامة في مطلع القرن العشرين . وكما يمكن ان يكون هناك تأثير عكسي فهل تطور الاركان العامة كأركان متعاونة لها سلطة على العالم التجاري ؟ هل خبرة الضباط في الجيش تقودهم الى تنظيم وادارة المؤسسات والمشاريع الصناعية الخاصة ؟ كانت هناك دراسات قليلة جامعية حول الاغناء المتبادل . وتوفرت لدينا كمية قليلة من الابحاث الجيدة حول تطور مستوى ضباط الجيش . كما أن العمل مع الاستفادة من الكومبيوتر في جامعة ميتشيغان دليل يبشر بالخير في هذا المجال .

نحن بحاجة الى مزيد من الدراسة وهذا يمكن ان يكون اكثر سهولة للعمل في العالم الجامعي ، حول تأثير الحروب ونتائجها على المجتمع الاميركي مثلا على المناطق والقرى والمدن . وكحالة مطروحة نأخذ مثلا الآثار التي اصابت الهجرة داخل البلاد خلال الحرب العالمية الثانية . ما الذي حدث عندما تحرك السود من الجنوب ؟ وما هي النتيجة التي حصلت مثلا بالنسبة للبناء الداخلي والنظام المطبق ؟ هذه هي المجالات التي يمكن العالم الجامعي ان يعمل فيها بسهولة اكبر ولكن التحرك في هذا المجال كان بطيئا جدا . . اما فيما يتعلق بالدراسة النوعية للحرب وللعسكريين وللمجتمع الاميركي مثل هذه المواضيع كمبادىء اجتماعية كأصول اجتماعية ومراكز اجتماعية للضباط الاميركيين . هذه المجالات التي بدأت تجذب اهتمام الباحثين الجامعيين تحتاج الى عمل أكبر ، نحن بحاجة الى معلومات اكثر واكبر من تأثير التعليم العسكري على التعليم المدني . ليس لدينا تاريخ جيد للروتس . الدور التاريخي للتعليم والتدريب العسكري على المؤسسات المدنية يحتاج لدراسة .

خلال العام الماضي هناك بحثين مثيرين قد وضعا « تاريخ الحرب »

للبروفسور بيتر باريت حول « الخبرة الاميركية في الحرب » لجون شاي وهو بحث حول « التاريخ والتعلم » في مجلة انترويسبايزي تاريخ قد اظهرت الحاجة الى اسلوب لدراسة التاريخ العسكري . ويوضح باريت بأن التاريخ تقليديا كان يستعير من العلوم الاجتماعية الاخرى . انه يأخذ من مجالات التنسيق ، الاقتصاد ، علم الاجتماع ، وتحاليل كمية ، وكذلك استخدام نماذج الاحتواء كعامل هام للمساهمة في دراسة تاريخ الحرب ويدعو الى اهتمام اكبر للعالم الجامعي في التاريخ العسكري . أما دراسة جون شاي فانها تقدم لنا نظريات وفرضيات ممتعة حول التصرف الاميركي الحالي الذي يعتقد انه بالامكان فهمه على ضوء الماضي . وهو يناقش ان ماض عسكري نذكره قد قاد التصرف الاميركي تقليديا . يمكن للماضي ان ينعكس على عوامل جديدة في العصر الحالي الذي قد لا تنطبق حاجاته مع احداث الماضي كما يمكن ان يؤدي الى ازمة كبيرة في الشخصية الوطنية الاميركية . الواقع ان شاي بتبنيه نظريات تعليمية من مجال علم النفس الى التاريخ العسكري وتطبيق الحدس يكسب من التعلم من فرد الى التعلم عن الامة غير تاريخها وماضيها العسكري . هذه اذن هي بعض النماذج من الخمائر الاكاديمية الحالية في حقل التاريخ العسكري .

دعوني استنتج وانهي موضوعي بالقول بأنني لا ارى اي تناقض ولا تنافس بين التاريخ الرسمي وغير الرسمي في التاريخ العسكري . كلاهما يستند اساسا الى معطيات مماثلة وواحدة وهناك مجال لكل منهما . ان الحاجة والمسائل المطروحة امام هذا الجيل كثيرة ومتشعبة ولا شك ان التاريخ يحتاج لاعادة كتابة في الصيغة التي تلبي هذه الحاجات والمتطلبات وحل هذه المشاكل . في هذا المجال ان للتاريخ العسكري دور هام يلعبه .

المراجـــع

المراجع المقترحة للتوسع في هذا البحث هي :

ريمون آدون في الحرب(غاردن سيتي ـ دابل داي ١٩٥٩) و « الحرب والمجتمع الصناعي » (نيويورك مطبوعات جامعة اوكسفورد ١٩٥٨) . كارل بيكر « كل رجل مؤرخ نفسه : ابحاث حول التاريخ والسياسة » (نيويورك كروفتس ١٩٣٥) برنارد برودي « القوى البحرية في عصر الآلة » (برنستون مطبوعات جامعة برنستون ١٩٤٣) (فون بلومنفتون مطبوعات جامعة انديانا ١٩٧٣) . فون برودي « من القوس حتى القنبلة الهدروجينية » (بلومنفتون ـ مطبوعات جامعة انديانا ١٩٧٣) السير جون فورتسكيو « الكتابة عن التاريخ » (لندن ماكميلان ١٩٢٨) . و « البحوث التاريخية والعسكرية » (لندن ماكميلان ١٩٢٦) . ويليم فوكس « كلية العلوم السياسية والاجتماعية » (١٩٧٠) والتر هرمز « خيمة السلام وجبهة القتال » (واشنطن مكتب مدير ادارة التاريخ العسكري ١٩٦٦) . ميشيل هوارد « استخدام واستغلال التاريخ العسكري » (مجلة معهد الخدمة الملكية الموحدة شباط ١٩٦٢) . هيرمن كاهن « حول الحرب النووية » (برنستون مطبوعات جامعة برنستون ١٩٦٠) . صموئيل هانتنجتون « الدفاع العام : البرامج الاستراتيجية في السياسة الوطنية » (نيويورك مطبوعات جامعة كولومبيا ١٩٦١) . جورج كينان « الدبلوماسية الاميركية ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ » (شيكاغو مطبوعات جامعة شيكاغو ١٩٥١) . موريس ماتاوف « التاريخ العسكري الاميركي » (واشنطن مكتب مدير فرع التاريخ العسكري ١٩٦٨) . والتر ميليز « التاريخ العسكري » (مركز خدمة الاساتذة للنشر واشنطن الجمعية الاميركية التاريخية ١٩٦١) . بيتر باريت « تاريخ الحرب » (ديدالوس ١٩٧١) . جون شاي « الخبرة الاميركية العسكرية: التاريخ والتعلم » (مجلة التاريخ غير المنظم ١٩٧١) . راسل ويغلي « تاريخ الجيش الاميركي » (نيويورك ماكميلان ١٩٦٧) . وخاصة : مجلدات الجيش الاميركي في الحرب العالمية الثانية التي بدأ بنشرها عام ١٩٤٧ من قبل مركز الجيش للتاريخ العسكري وباقي الوكالات المرتبطة به .

القيــادة العسكرية
والحــاجة الى الاهتمــام بالتاريخ

هارولد جونسون

تعليق الناشـر :

لقد وضع منهاج دورة الابعاد الجديدة في التاريخ العسكري لطلبة هـم انفسهم عسكريون . وهناك فائدة كبرى لزج مثل هؤلاء الطلبة في مجال التاريخ العسكري وخاصة بنظرة مخالفة للتي يرونه بها العسكريون الاخرون ومع الذين يعيشون باتفاق محدود وتعود قليل . ومع ذلك فان افكار العسكري المحترف حول التاريخ العسكري كانت مشمولة في منهاج العامين الاوليين من الدورة وكان من الواجب نشرها في هذا الكتاب ايضا . كيف ينظر ذوي الخبرة الفنية من المتقاعدين العسكريين المحترفين الذين كانوا يشغلون وظائف هامة الـى التاريخ العسكري ؟ . الجنرال هارولد جونسون من الجيش الاميركي رئيس اركان الجيش ١٩٦٤ ــ ١٩٦٨ قدم ملاحظاته في المرة الاولى في خريف ١٩٧١ .

القيــادة العسكريـــة
والحاجة الى الاهتمام بالتاريخ

الجنرال هارولد جونسون

اخشى ان اكون هنا جزئيا تحت مظاهر كاذبة مخادعة . فانا لست مؤرخا رغم انني في الواقع املك اهتماما كبيرا بالتاريخ وخاصة بالتاريخ العسكري ، لقد جلبت معي « ثوراتي » التاريخي وانا واثق انكم على اطلاع جيد على هذا الكتاب « دروس التاريخ » من تأليف « ويل واريبل دورانت » واريد ان آخذ عنه استشهادا صغيرا « معظم التاريخ تكهنات والباقي ادعاءات » كمحاضـر كثيرا ما شبهت نفسي بالدكتور دوغلاس سوهال فرعيان بكل تواضع . انني صالح لحوالي ثلاثة أو أربع أسئلة في الساعة كما كان هو . ولكني شعرت أنه من المفيد كبداية اعطاء بعضا من الافاق .

عندما بدأت مسألة فييتنام اول ما فعلته هو انني ارسلت فريق التاريخ العسكري التابع للجيش الى هناك لاننا في معظم الاحيان كنا متأخرين ودوما نحاول اعادة صياغة وبناء ما حدث لاعادة ترتيب سير الاحداث . اذا نظرنـا الى التاريخ ــ التواريخ الموحدة خاصة ــ للحرب العالمية الثانية تكتشف فيهـا ثغرات . كلما ما هو مكتوب يبدو جيدا . ولكن نقاط الضعف ، التقصير الذي حدث لا نجدها مطلقا . وهذه هي نتيجة طبيعته وميل انساني وناحية علينـا الاعتراف بها . وبنفس الوقت من الاهمية بمكان اننا نحاول عمل شيء مـا حول ذلك كي نظهر الوقائع بدلا من نصف الحقائق . لا عرض النصف الجيد وتجنب النصف السيء . التاريخ الجيد هو الذي يعرض كافة الجوانب بكل ابعـاده

وحقائقه بقدر ما يسمح لنا المجال والمعلومات المتوفرة . في وقتنا الحاضر اعتقد ان الافاق التاريخية مهمة بشكل خاص لاننا حاليا في منتصف وسط مرحلة التحول السريع .

أرغب معكم اثارة بعض المواضيع الاساسية . في ليفنورت صدمت بقول القوى الجوية آنذاك « ان القيادة الاستراتيجية الجوية س اس قد أبعدت شبح الحرب » . لم اتمكن من أن افهم بوضوح كيف امكن للقوى الجوية الاستراتيجية ان تقضي على الحرب في حين اننا خسرنا ٣٢ الف قتيل في كوريا . وخضنا عددا ملموسا من الصراعات عبر العام . فالقوى الجوية الاستراتيجية لم تنف الحرب كل ما فعلته هو انها جمدت التبادل النووي ، ولكنها لم تقض على الحرب حسب أي تعريف كان . لذلك وضعت بعض العناصر الجامعية في عمل للعودة عبر التاريخ في محاولة للتفتيش عن وجود خط موحد لكافة الصراعات . (خط جامع مشترك لكافة الصراعات ولكنهم لم يجدوا اي شيء من هذا القبل .

ما الذي ادى الى الانتصار في الحروب ؟ ولم يستطع هؤلاء الباحثين تحديد الشروط التي تميز اسباب النصر في الحروب . ولكن من هذه الدراسات اتى تعريفي الخاص للحاجة لقوات مسلحة او اسباب بوجود قوات مسلحة وقد استخدمته منذ ذلك الحين ولعدة مرات وقد أفادتي كثيرا وما يزال حتى الآن .

اعتقد أن النشاط الذي وصف هو تعبير عن قيمة العودة الى الوراء عبر التاريخ لاستنباط دروس اعمق واوسع منه ، بدلا من استخدام التاريخ لتحديد قواعد يمكننا بموجبها معرفة والتنبؤ بسير الاحداث او بمعنى اشمل الدروس التي يمكننا ان نحياها . لا يمكن المرء ان يأخذ دروسا وقواعد من الماضي ليطبقها في حياته الحالية واعتقد ان هذا اسلوب خاطىء لاستخدام التاريخ . لا يمكنكم صياغة مبادىء عامة موسعة عبر دراستكم للتاريخ .

أعتقد أن الاستفادة الصحيحة من التاريخ العسكري هي ان نحاول وضعه ضمن الاطار الذي احاط به يومذاك ، ومن ثم تحليل الحدث والقول « هذه هي الطريقة التي تم بها الحدث انذاك » الآن بالتشابه ما هي العوامل التي أخذناها

وما زالت كما هي حتى الآن وما هي التي تغيرت ؟ هذه الاعتبارات قد تعدل الاسلوب الذي يمكننا ان ننظر به للدروس المستخلصة من التاريخ .

هذه الدروس التي نوهت عنها هي بالنسبة لي الهدف والغاية التي من أجلهما خلقت القوات المسلحة او أعيد تنظيمها او استخدامها كوسيلة لحفظ النظام والتي تستخدمها الحكومة بظل القانون يمكنها ان تمارس عملها بفعالية . حاليا ، يمكن ان يعتبر هذا سببا ودافعا بسيطا ولكن واقع اساسي وتطبيق حقيقي واقعي . اين نقف الآن ؟ ماذا يجري حاليا ماذا يجري لطبيعة قواتنا المسلحة في الولايات المتحدة الاميركية ؟

عندما أقول اننا في وسط تحول قومي وطني عميق أنا لست واثقا من ان الكثيرين يفهمون ذلك . نموذج لهذا التحول هو زيارة الرئيس للصين ولروسيا . ولم نسمع أي صوت كالذي كان من المتوقع سماعه منذ خمس سنوات لا اكثر حتى لو تم الاعلان فقط عن مثل هذه الزيارات . في فالي فورج هذا الاسبوع هناك جمعية من الهيئات القضائية العليا لاحدى عشر ولاية ورؤساء المنظمات المحاربين القدماء ورؤساء المنظمات الادارة (الخدمات) كانت تناقش موادا للحصول على الاعتراف من مؤسسة الحريات التي أسست العام الماضي ، أحد هؤلاء هو أحد رجال الهيئة القضائية العليا في فلوريدا وقال : « اتعرفون أنا لا أستطيع أن اتصور ماذا سيفعل الروس بنا ولا ماذا سيفعل الصينيون بنا ولكنني ابقى ساهرا طيلة الليل أفكر بقلق بما يحدث لنا داخليا » . وهناك العديد ممن يشاركونه هذا الاهتمام اليوم ولكن نادرا ما نسمع صوتا واحدا يعبر عن ذلك .

الآن ماذا يلزم للدفاع عن الوطن ؟ مع الاسف في كافة المبررات السائدة حول القوات المتطوعة الجديدة التي سنملكها ولاحظوا انني اتجنب صفة الجيش انما حول القوات المتطوعة الجديدة لم يطرح احد سؤال كهذا . والسبب لعدم طرحهم هذا السؤال هو كونه محرجا . والاهم من ذلك انني لا اعتقد ان أي شخص او اية مجموعة في موقف ملائم لاعطاء جواب ذي درجة ملموسة من الصدق . ماذا يلزم للدفاع عن الوطن ؟

حسنا هنا في هذا المجال يستطيع قادة قواتنا المسلحة الاستفادة من التاريخ ، ماذا كان يلزم للدفاع عن الوطن عام ١٨١٢ ؟ لم نفعل ذلك جيدا أليس كذلك ؟ ما الذي كان بامكانه المساعدة على تجنب صراع عام ١٨٦١ ؟ لماذا تورطنا في اسبانيا عام ١٨٩٨ ؟ ما الذي دفعنا الى التحرك نحو الحرب بين ١٩١٤ و ١٩١٧ ؟ أين كنا عسكريا عام ١٩٣٤ وعام ١٩٣٩ واين كنا عندما تحركنا فعلا عام ١٩٤١ ؟ الواقع اننا لم نتحرك او لم نبدأ بالتحرك حتى ١٩٤٣ تقريبا . هل نحن ننزلق الى فترة الفوضى العسكرية كما في الثلاثينات من هذا القرن ؟

خلال السنوات الثلاث الاخيرة قمت بالعديد من الجولات وقد تعاونت مع عدد من الاشخاص ـ انواع مختلفة من الناس ومجموعات مختلفة من الجماهير ـ وحصلت على دروس جديدة تماما بالنسبة لي . ان المواقف ووجهات النظر في مجتمعنا هذا جد مختلفة بالفعل . وهذا يعني ان عليكم ان تتفهموا ماهية هذا التباين في وجهات النظر لو كان عليكم العمل بفعالية وبدراستكم للتاريخ فأنتم لستم مقيدين بحدود التاريخ العسكري فقط . علينا الاهتمام بالتاريخ العسكري ضمن اطار المحيط والوقت الذي حدثت فيه احداث عسكرية معينة .

اين نحن الآن ؟ نحن كقاعدة عسكريين في دور مختلف تماما عن دورنا السابق . متى وصلنا الى المحرك النفاث ؟ الالمان كانوا يطيرون في اواخر الحرب العالمية الثانية . متى وضعنا اشخاص على متن هذه الطائرات ؟ حوالي ١٩٦٠ او في نهاية الخمسينات . لقد ركبت نفاثة للمرة الاولى في مطار في كنساس سيتي في عام ١٩٦١ للسفر الى لندن . ماذا نستطيع عمله اليوم ؟ من واشنطن يمكننا السفر الى اية بقعة من العالم خلال ٢٤ ساعة فقط بسبب ميزات المحرك النفاث هل نحن فعلا واعين لنوع التبدلات التي ادخله هذا المحرك الى حياتنا ؟ ونوع التأثير الذي سيكون له على قصة عصرنا ؟ كلا لا اعتقد اننا وعينا لهذه النتائج . عسكريا ماذا نستطيع ان نعمله ؟ نستطيع زيادة قوتنا نستطيع الهروب نستطيع دفع مجموعة تحليل الى ساحة القتال . نستطيع تقديم مساعدة معينة وباستطاعة المنظمات والتعاونيات ان تفعل مثلنا ولكن على العسكري ان يتمكن من القيام بالاجابة بالرد على هذه التساؤلات فورا .

ثم وبالتوازي مع عصر النفاث ودمج هذه الظاهرة مع تطور آخر جرى بعد فترة وجيزة وهو القدرة على الرؤية . نستطيع النظر الى اية بقعة من هـذا العالم حيث بامكاننا نقل آلة تصوير . وهذا ما أثر علينا بعمق في حـرب فيتنام . يمكن للشعب تجاهل الحرب حتى يشاهدون الدماء على شاشـة التلفزيوون وهم يتناولون طعامهم . ولكنهم لم لا يستطيعون تجنبها لن تستطيعوا تجاهلها لمدة اطول . الرجال الاكبر سنا والاكثر وعيا الذين كانوا يتمتعون بنوع من بعد النظر يمكنهم ان يحاولوا ولكن الشباب اكثر واقعيه ومثالية لا يمكنهم تجاهل الحرب حتى للحظة واحدة . فهذه المواقف بالطبع تؤثر على حياتنا وتكيف آراءنا وبشكل عميق .

عند ذلك نضيف عاملا ثالثا لم نجد له حلا بعد . ولن نجد هذا الحل قريبا . وهو موضوع الحجم الكبير من المعلومات التي نستطيع جمعها اننـا نحصل على معلومات نستطيع رؤيتها عبر الشاشة ولكننا نحصل ايضا عـلى طوفان من المعلومات بفضل مهارتنا بنقلها عبر عدة وسائل الاعلام ولم نتعلم بعد كيف نفرق بين الغث والسمين . في هذا المجال اعتقد ان الجهات العسكرية تتحمل مسؤولية كبرى من الذنب لاننا نحصل على عدد م نالاشخاص متزايدة باستمرار وبالتالي نحصل على معلومات أغزر وأغزر بدلا من الحصول على القليل منها بواسطة عدد اقل من الاشخاص . مما يدفعنا الى التخلص من الغث والاحتفاظ فقط بالسمين منها .

عندما كنت يافعا طفلا صغيرا كان لدينا جهاز يدعى منظف الحبوب داخل هذا الجهاز تمر كافة الحبوب السيئة ، وهذا الجهاز هو جهاز صغير ولكنـه معقد ولكننا كنا بحاجة الى جهاز معقد كبير لفصل الحبوب الجيدة عن الحبوب السيئة او القش . حسنا نحن قادرون على تطهير البذار المعد للزراعة ولكننا حتى الآن لا نستطيع تطهير المعلومات مما يحيط بها من الحواشي التافهـة والمضللة ونحن حاليا بحاجة ماسة الى ذلك .

ما هي الوقائع الكاملة وانصاف الوقائع ؟ منذ عام مضى او اكثر بقليـل كنت في شيكاغو لاجتماع في نهاية الاسبوع . صعد احد الاساتذة الى المنصـة

ليقدم استاذا آخر وقال : « من المؤسف انه قبل ان نبدأ لم نحدد عدد الوقائع التي تحتاج الى استنباط الحقيقة منها . ولكن من الواضح اننا نملك القليل جدا من الصدق على هذه المنصة » . ان عملية التفريق بين الجيد والسيء في المعلومات هو في الواقع سر تحديد الحقيقة . وهذا ينطبق على التاريخ نفسه كما ينطبق على الاحداث الحالية . وطالما ان معظم التاريخ هو تكهنات بسبب حشو المعلومات لدعم وجهة نظر او اخرى فان كل شخص بالتالي ينتقي ما يؤيد وجهة نظر أو يلغي سواها لانها لا تتماشى مع الفكرة او وجهة النظر التي يرغب بالخروج بها .

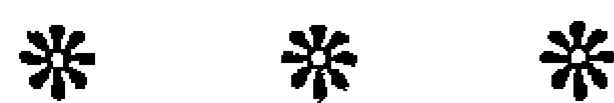
خلال تحليل المعلومات من يقوم بالغربلة ؟ كيف نستخلص المتاز منها ؟ مع كل هذه المعلومات المتوفرة لدينا الآن لم نتعلم بعد كيفية التعامل معها . وهذا بالفعل يخنقنا . فكروا فقط بالمشاكل التي تعرض لها المؤرخ منذ خمسين عاما من الآن وكان عليه ان يتعامل مع كافة هذه المعلومات .

هذا نوع من المحيط الذي علينا كقادة عسكريين التعامل والعمل ضمنه في هذه الايام . في عالم يزداد تعقيدا في عالم مضغوط ويتحرك ككل لم نتعرض لما يجري خارج الكرة الارضية وما هي الاثار التي سيكون له علينا في المستقبل . انه بلا شك يفوق التصور . شخص ما يقف على القمر في الوقت نراقب فيه كل حدث خلال الفترة التي تبث فيها المعلومات . كل هذه الاشياء سيكون لها تأثير على طريقة عمل المؤرخين الذين سينكبون على دراسة ايامنا هذه وعصرنا هذا وسير الاحداث فيه .

ماذا بامكاننا التطلع ليه مستقبلا ؟ اسمحوا لي ان اعطيكم مثلا ايضاحيا بسيطا . كايضاح عسكري كان لنا دوما مشكلة كبرى بالاتفاق مع الكونغرس حول تنظيم ملاك الضباط في الجيش . فاذا كان لدينا ما يعادل ٦ر١١ الى ٧ر١١ بالمئة من تعداد قواتنا المسلحة يسمح لنا بجعلهم ضباط ؟ ان هذا لا يحمل اية علاقة بالحاجة الى الضباط ، ولكنه مبني على اساس الوظائف التي قرر *الناس انه يجب اشغالها بالضباط . هذا عمل نقوم به منذ أمد طويل من الزمن* وكان النقاش حول عشر الواحد بالمئة او اثنين بالمئة في كل عام . لماذا وما هو

الارتباط التاريخي لهذا الوضع ؟ لا يوجد سبب لذلك ، انه فقط نما مع الزمن . وهذه انواع من المواضيع عليكم باعتقادي ان تواجهوها في المستقبل . ففي الوقت الذي تتعاملون فيه مع عالم مختلف تماما عن العالم الذي كنا نحن نتدرب خلاله فانكم ما زلتم معرضون للتعامل مع عوامل ثابتة وراسخة منذ امد طويل في المجال العسكري وقد رسخت اقدامها في هذا الوطن منذ امد بعيد جدا ولسنوات عدة .

فيتنام بلا شك هي على الارجح مثال تقليدي كلاسيكي جيدا . ومع ذلك ربما كان من السابق لاوانه القول انه كان هناك خطأ فقط في تطبيق دروس التاريخ او فهم التاريخ . هل جرى تحليل عميق أي بكلمة اخرى بحث تاريخي عميق لطبيعة المجتمع الفيتنامي وتاريخه ، وههنا على الارجح حيث سبعكس عمل قادتنا السياسيين . ربما كان وجودنا هناك جزئيا لان الفيتنام كانت بنظرهم صورة مصغرة للولايات المتحدة الاميركية . فيتنام هي دولة والولايات المتحدة الاميركية دولة اخرى . لذلك ومن بعض النواحي ساد اعتقاد بأن الفيتنام يجب ان تكون مماثلة للولايات المتحدة الاميركية . لدى فيتنام مقاطعات ، مقاطعات مشابهة للدولة لذلك بالنسبة للبعض كان التنظيم السياسي في فيتنام ينظر اليه وكأنه مماثل للتنظيم السياسي في الولايات المتحدة الاميركية . الواقع ان التنظيم السياسي والاجتماعي لاية دولة مختلف تماما عن سواها ولا يوجد اية روابط فيها . لا يوجد عناصر تركز التأثير نادرة على جمع الدولة الى بعضها البعض امكنني معرفتها . جنوب الفيتنام مع تنوع سكانها وقيمها ومفاهيم مختلف فئاتها كانت قسما لا يمكن جمعها تامة في أي وقت ممكن من الزمن لذلك أنا واثقا انه ليس فقط تاريخها الذي كان جهولا بل واقعها الحالي الاجتماعي ايضا . ومع ذلك يمكننا الان بعد الحرب ان نعطي فكرة مخالفة عن فيتنام .



الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة